

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ
أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ
تخصص التاريخ الحديث والمعاصر
الموسومة بـ:

المقاومة الثقافية في إقليم توات خلال الفترة الاستعمارية 1900_1962م

- إشراف الأستاذ الدكتور
بودواية مبخوت

- إعداد الطالب
بلعروسي عبد الفتاح

أعضاء لجنة المناقشة

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	معمر العايب
مشرفاً ومقرراً	المركز الجامعي النعامة	أستاذ التعليم العالي	بودواية مبخوت
عضواً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	سعاد يمينة شبوط
عضواً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	ثابتة حياة
عضواً	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	محمد مكحلي
عضواً	جامعة معسكر	أستاذ محاضر قسم أ	مختار بونقاب

السنة الجامعية 2021-2022 م / 1442-1443 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ الْمَوْتَئِدَ وَالشَّجَرِ
الَّذِي تُتَأَمَّرُ بِهِنَّ
وَالْحَبَّ الرَّطْبَ وَالنَّخْلَ
وَالزَّيْتُونَ وَالسَّيِّدَاتِ
وَالسَّيِّدِينَ وَالْحَبَّ
الَّذِي يُسْقَى بِهِنَّ
وَالْحَبَّ الرَّطْبَ وَالنَّخْلَ
وَالزَّيْتُونَ وَالسَّيِّدَاتِ
وَالسَّيِّدِينَ وَالْحَبَّ
الَّذِي يُسْقَى بِهِنَّ

الاهداء

إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى: "فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
كَرِيمًا"

والدي الكريمين بارك الله لهما في عمرهما

إلى من كانت على العهد نعم العون والسند زوجتي الغالية تقيّة

إلى سبب سعادتي الكبيرة ابنائي الاعزاء: مُجَدِّ اشرف - بهاء الدين - كوثر جنان .

إلى شركاء الرحم: اخوتي الافاضل كلثوم - زهية - عائشة - عبد الوهاب - عبد

الرحمان - عبد السلام. إلى كل عائلتي الكبيرة بلعروسي وكل الاصحار والزملاء

والاصدقاء.

إلى كل شهداء الجزائر وشيوخها واعلامها وكل طالب للعلم سائر في طريقه ...

اهدي هذا العمل

عبد الفتاح بن عبد القادر بلعروسي

شكر وعرفان

لله الحمد من قبل ومن بعد

انطلاقاً من قوله ﷺ "من صنع لكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه". رواه الحاكم وغيره.

أتوجه بالشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل: الأستاذ الدكتور مبخوت بودواية على تفضله الاشراف على هذا العمل وتشجيعي ونصحي في هذا المجال.

إلى كل أساتذتي الأفاضل بجامعة تلمسان

إلى الدكتورين الفاضلين: الدكتور أحمد بوسعيد والدكتور بابا عبدالله اللذان وجهاني وقدما لي يد المساعدة والدعم.

إلى الدكتورة الأفاضل الذين استمده منهم القدوة والعمل: الدكتور كمون عبدالسلام، الدكتور كنتاوي محمد، الدكتور عبد الله عبدالله وكل أساتذة التاريخ بجامعة ادرار لهم مني كل التقدير والاحترام.

عبد الفتاح بن عبد القادر بلعروسي

مَقْلَمَةٌ

مقدمة:

تنوعت أشكال الرفض الاستعماري للوجود الفرنسي في الجزائر من مقاومة سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية، واجتماعية وغيرها وكثيرا ما ينطبع في أذهاننا شكل المواجهة العسكرية الراديكالية والمتمثلة في المقاومات الشعبية في طول البلاد وعرضها، أو المقاومة السياسية في المقام الثاني من خلال عمل لجنة المغاربة أو اعيان الجزائر أو تيارات الحركة الوطنية بعد الح-ع-I، وصولا إلى الثورة التحريرية الكبرى. حتى ارتسمت في اذهاننا أن صورة المقاوم ترتبط اساسا بالبندقية، مع العلم أن السواعد التي كانت تحمل السيف أو البندقية كانت تستمد قوتها وتشد ساعدها بالجانب الروحي الذي منحها القوة وروح الانتماء والشهادة في سبيل الله والوطن، فرمز الدولة الجزائرية مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة الذي يمتطي حصانا ويشهر سيفها، كان رجلا صوفيا حفظ القرآن منذ نعومة اظفاره وترى تربية دينية في زاوية اجداده القادرين بالقيطنة كان الامير ادبيا وشاعرا وعالما، بالإضافة انه كان فارسا شجاعا ذكيا ماهرا.

غير أن الجزائر ضربت امثلة رائعة في انواع اخرى كثيرة من المقاومة مثل المقاومة الاجتماعية ضد المستعمر بالهجرة من الأرض والحفاظ على وحدة وتماسك القبيلة والعرش والمجتمع بالرغم من سعي المستعمر إلى تفتيتها وتجزأتها وضرب وحدتها، والمقاومة الثقافية التي وقفت في وجه التعليم الفرنسي والدور الذي قامت به الزوايا والطرق الصوفية في انشاء الكتاتيب والزوايا والمدارس القرآنية وربط الصلات بالزيتونة والأزهر والرباط ومكة المكرمة والمدينة المنورة واشعاعها نحو افريقيا، وعن طريق مقاطعة القضاء الفرنسي وانشاء محاكم للجزائريين تنظر في قضاياهم وعدم اللجوء إلى القضاء الفرنسي.

فهنا يبرز دور الطرق الصوفية والزوايا والأئمة والخطباء والدعاة والمربين والصحفي، والنوادي والصحف والمجلات والجمعيات والأحزاب والنقابات والطلاب والتعليم والايديولوجي والوفود والعرائض والانتخابات والأعيان وغيرها، وقفت شامخة امام كل محاولات الطمس وضرب مقومات الهوية الدينية واللغوية والتاريخية للشعب الجزائري.

فالدين الإسلامي كان الحصن الحصين لهذه الامة، فقد عمل الجزائريون بعد اعتناقه إلى نشره في الاندلس وبقية أنحاء افريقيا، وتشكل رافدا صلبا امام كل محاولات الهيمنة والسيطرة على المجتمع فكانت المساجد والكتاتيب والزوايا والأئمة والقضاء والمفتيين وغيرها كلهم وسائل لمقاومة فكرية وأدبية راسخة

وضعت معالمها نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مقاومة اعتمدت التعليم والتأليف والفكر وانشاء الاحزاب والجمعيات والنوادي وغيرها كوسائل مقاومة تحافظ بها على شعلة الرفض الاستعماري متقدمة بعد فشل المقاومات الشعبية، هذه الشعلة التي حاولت فرنسا بكل ما اوتيت من قوة طمس معالمها ومحاربتها حتى ظن الاستعمار انه قضى على الطليعة الجزائرية المثقفة وانها ارتمت في احضان الغرب الامبريالي، ولم يكن ذلك إلا الهدوء الذي يسبق العاصفة هذه العاصفة التي كان تياراتها تنبع من المنابع الصافية للأمة الجزائرية القائمة على الدين الإسلامي الذي حافظ على تماسك المجتمع ووحدته وقوته في وجه الهجمة الصليبية المتعترسة للاستعمار الذي حارب الدين واللغة والتاريخ في المقابل عملت النخبة على المحافظة على الهوية الوطنية متقدمة، هذه الهوية التي نهلت منها المقاومة السياسية والثورات الشعبية وصولا إلى الثورة التحريرية استمدت منها قوتها ودعمها وصلابتها.

الإطار المكاني: احتلت منطقة توات مكانا هاما في طرق التجارة والحجيج فهي توسطت

الطرق التجارية من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، كانت بعيدة ومستقلة عن أي تأثير سياسي في أغلب الاحيان، مع توفرها على مقومات الحياة من مياه الفقاقير والبساتين الخضراء في وسط محيط قاس جعل منه مكانا ضروريا لالتقاط الانفاس ومواصلة الطرق لذلك زاره واستقر به العديد من العلماء منذ القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي، ساهموا في انتاج حركية علمية وفكرية بالاقليم استمرت إلى غاية نهاية القرن الثالث عشر هجري، برز فيها علماء ومفتون وقضاة، واشتهرت بهم مدن اصبحت حواضر علمية ذاع صيتها في الداخل والخارج، وكان لها دور ثقافي بارزا في افريقيا الغربية حيث نشرت الإسلام بفضل طرقها الصوفية وزواياها التعليمية، واصبحت هذه الحواضر تضاهي حواضر العلم في فاس ومكناس والزيتونة والأزهر. والدليل على ذلك هي كمية المخطوطات الهائلة المتواجدة في مختلف خزائن المخطوطات، بالمنطقة حتى عدة المنطقة من أغنى المناطق بها حيث تشير بعض الاحصائيات أنه كان بها في 1962م ازيد من اربعين الف مخطوط موزعة على أكثر من سبعين خزانة، منها خزانة كوسام والمطرفة والبكرية وغيرها، وانتشرت الزوايا بها حتى لا تكاد تعرف توات إلا بالزوايا ولا نعرف الزوايا إلا بتوات والكثير من قصورها تسمى باسم الزاوية.

فشكلت بذلك الطرق الصوفية والزوايا والمساجد والكتاتيب شخصية المجتمع التواتي الذي انصهرت فيه جميع المكونات والأجناس والطبقات تحت سقف الدين الإسلامي فشكلت بذلك مجتمعا متماسكا قويا تجمعها المحبة والتعاون والتآخي والتضامن.

الإطار الزمني: جاء الاستعمار الفرنسي للمنطقة في مطلع القرن العشرين 1900م وتدخل المنطقة في مرحلة جديدة لم تعرفها من قبل وهي المنطقة التي عاشت مراحل عديدة تنعم بالاستقلالية عن أي سلطة محلية يتولى امرها سلطة الجماعة التواتية، تتولى الامور الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقضائية وفق تعاليم الدين الإسلامي.

كما فرضت علينا الضرورة العلمية العودة إلى مرحلة الازدهار الحضاري والعلمي في منطقة توات ونزوح العلماء وانتشار الطرق الصوفية والزوايا والإرث الحضاري لهذه المرحلة من مخطوطات طلّت شامخة وشاهدة على نهضة علمية وثقافية استمرت حتى دخول الاحتلال الفرنسي، كست المجتمع التواتي بصبغة دينية علمية صلبة جعلت منه طيلة هذه السنين متسلحا بثوابته الدينية واللغوية والمجتمعية ضد السيطرة والهيمنة الفرنسية، محافظا على هويته وثقافته رافضا هذه السيطرة الاجنبية فكانت حقا نواة صلبة تغذى منها المجتمع في وجه العدوان الفرنسي الغاشم.

قاوم التواتيون المستعمر الفرنسي بكل قوة وقابلهم بقوة مفرطة وتفوق بفعل تفوقه الحضاري المادي وقوة مدفعه حيث اسقط القصبات على رؤوس ساكنيها ولم يفرق بين الحجر والبشر أو الحيوان، وبقيت شعلة الرفض متقدة بفعل العامل الديني فكانت قاعدة خلفية للعديد من المقاومات الشعبية مثل أولاد سيدي الشيخ وبوعمامة الذي احتسى بدلدول في منطقة تينقورارين وقاد مقاومة الرفض الشيخ ابا جودة مقدم الطريقة السنوسية والرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس مقدم الطريقة الطيبية كما حافظت على المقاومات الفكرية للمجتمع ضد الاحتلال وصولا إلى الثورة التحريرية والكفاح المسلح.

طبيعة الموضوع: وقد اخترنا عنوانا للأطروحة يمثل المقاومة الفكرية في اقليم توات خلال

الفترة الاستعمارية 1900_1962م وهي مرحلة هامة من تاريخ الجزائر عامة والمنطقة خاصة عرفت فيه سيطرة قوة اجنبية على المنطقة بقوة السلاح مستغلة تفوقها الحضاري والعسكري لرفض سيطرتها العسكرية والثقافية في منطقة عرفت بمحافظتها الشديدة وتمسكها بثقافتها الإسلامية الراسخة واجهت

كل اساليب المسح والمسح والاندثار والذوبان وسط الحضارة الفرنسية الغربية، توفرت فيها اسباب الصمود الفكري والثقافي في وجه المستعمر الفرنسي الذي أدخل المنطقة تحت تنظيم اداري خاص بالصحراء والذي يعرف بأقاليم الجنوب الجزائري.

أسباب اختبار الموضوع: لاشك أن هناك اسباب ذاتية وأخرى موضوعية لتناول هذا البحث فمن الاسباب الذاتية هو أسلوب الحياة الاجتماعية والثقافية السائد والمسيطر في منطقة توات والذي يتربى عليه النشأ منذ نعومة اظافرهم المتمثل في المسجد والكتاب والزاوية، هذه المدرسة التي يتربى فيها النشأ والتي تطبع حياته وسلوكه وشخصيته وعلاقاته بمجتمعه فهذا التأثير القوي جعلني افكر في هذا النوع من الدراسة وهو دور الزوايا والمدارس القرآنية والطرق الصوفية في المحافظة على هذه الهوية.

بالإضافة إلى ذلك عند دراستي لتاريخ الجزائر وجدت مجهودا ضخما سخرته فرنسا للقضاء على هوية المجتمع الجزائري وانتمائه وحضارته من خلال سياستها في المجال الديني والثقافي والقضائي والاجتماعي والتعليمي، إضافة إلى العسكري وتشويه التاريخ ومحاربة الدين واللغة، بالمقابل ظل الشعب الجزائري طيلة مائة واثان وثلاثون سنة يحافظ على عناصر هويته أما هذه الهجمة الشرسة للسياسة الفرنسية.

وأسباب اخرى موضوعية ومنها:

- أن كل المقاومات الشعبية الراضة للاستعمار كانت تنهل من الجانب الروحي للمجتمع الجزائري حيث كانت الطرق الصوفية والزوايا هي الوقود التي تستمد منه هذه المقاومات قوتها وزخمها.

- كما أن جل الدراسات ركزت على المقاومة العسكرية حتى أضحي اسلوب المقاومة ينطبع حصرا عليها وأن المقاوم هو من يمتطي جواده ويشهر بسيفه بالتركيز على القوة المادية في مقابل القوة الروحية التي تشحذ المقاوم وتدفعه نحو الشهادة والدفاع عن الاوطان.

- بالرغم من أن اقليم توات قد شهد نهضة علمية وفكرية كبيرة من خلال توافد العلماء وانتشار الطرق الصوفية والزوايا التي طبعت الاقاليم بطابع خاص حتى غدا هذا الاقليم حاضرة علمية تضاهي الحواضر العلمية في تهرت وتلمسان وفاس ومكناس والزيتونة والأزهر يشهد على ذلك الكم الهائل من

الإرث الثقافي المتمثل في خزائن المخطوطات التي تزخر بأعداد كبيرة ومتنوعة في شتى المجالات والتي كانت سببا لتبلور نواة صلبة لمقاومة المحتل الاجنبي إلا أن الدراسات كانت قليلة في هذا المجال.

- الإقليم قدم تضحيات كبيرة في دعم المقاومات الشعبية وكان بمثابة القاعدة الخلفية للعديد من الثورات والمقاومات الشعبية، كما استبسل في الدفاع عن ارضه وحافظ على شعلة المقاومة متقدة حتى الثورة التحريرية وملاحمه البطولية في معارك العرق، وتنظيمه في اطار الجبهة الجنوبية، وانتقام فرنسا منه عندما استباحته أرضه في التفجيرات النووية بركان، وهذا بفعل تأثير العامل الروحي الذي ظل حيا خلال كل هذه المرحلة.

- المقاومة الفكرية والثقافية هي الاساس لكل مقاومة عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية لأنها هي من تعطي للمجتمع هويته وكيانه لذلك كانت هذه الدراسة في هذا المجال.

أما الإشكالية التي تتمحور حولها الاطروحة هو دور العامل الثقافي والديني في مواجهة المستعمر الفرنسي والتي تندرج ضمنها عدة تساؤلات جزئية كالاتي:

في الجانب التاريخي: ماهي ابعاد وظروف احتلال المنطقة وماهو دور الزعامات المحلية والطرق الصوفية والزوايا في تنظيم المقاومة ضد المستعمر؟ وماهي التنظيمات الادارية التي استحدثتها فرنسا بالمنطقة؟ وكيف حافظت المنطقة على هويتها في وجه السياسة الفرنسية القائمة على محو مقومات الشخصية الوطنية؟ وكيف استفادت المنطقة من اوضاعها السياسية والجغرافية لترسيخ فكر المقاومة في المنطقة؟

في الجانب الثقافي: ماهو الدور الذي لعبته الطرق الصوفية والزوايا في ترسيخ هذه المقاومة؟ وكيف كانت علاقة فرنسا بهذه الزوايا والطرق الصوفية؟ وكيف شكلت هذه الطرق والزوايا خزانا لرفض الوجود الاستعماري؟.

في الجانب الاجتماعي والاقتصادي: ماهي مكونات المجتمع التواتي؟ وكيف استطاعت هذه المكونات المختلفة الانصهار في مجتمع متكامل متأزر ومتعاون؟ وماهو دور الجماعة التواتية في تحقيق الاستقرار والتنظيم المجتمعي في المنطقة؟ وماهي الوضعية المعيشية والصحية لسكان المنطقة؟.

وكيف استغلت فرنسا الظروف المعيشية المتدهورة التي صنعتها بفعل سياستها الاستعمارية في
تمرير هيمنتها الثقافية على المجتمع؟

وأخيرا كيف ساهمت جميع هذه العوامل التاريخية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية في ترسيخ
مفاهيم المقاومة الفكرية؟ وكيف كان موقف الاستعمار من هذه المقاومة؟ وهل نجحت السياسة
الاستعمارية في القضاء على هذه المقاومة الفكرية؟ وكيف تجسدت هذه المقاومة في الواقع واستطاعت
إخراج المستعمر الفرنسي من المنطقة.

وللإجابة على هذه الاشكاليات استخدمنا المنهج التاريخي في التعريف بالمنطقة واصل التسمية
وبدايات الاستقرار بالمنطقة وعلاقتها بالكيانات السياسية المجاورة، والنظام السياسي والاجتماعي الذي
كان يسير المنطقة، والتدخل الاستعماري الفرنسي والمقاومة الشعبية ودور العامل الديني للنهوض
بالمقاومة وتتبع الاحداث التاريخية وربطها بجذورها وبدايتها باعتبار أن المنطقة كانت منطقة ملائمة
للتعبد هجر اليها العلماء والفقهاء والصالحين حتى أضحى حاضرة علمية وثقافية كبيرة رسخت فيها
مبادئ الدين الإسلامي وكان لها دور في نقله إلى مناطق اخرى وكيف وقفت هذه التركيبة الثقافية حجرة
صماء أمام محاولات الاستكشاف والغزو للمنطقة وتنظيم المقاومة العسكرية والاجتماعية والثقافية وصولا
إلى الثورة التحريرية وتحقيق الاستقلال.

كما استعنا بالأسلوب الوصفي للتعريف بالمنطقة الاستعمارية في مختلف المجالات وللإحاطة
بدور الطرق الصوفية والزوايا في المنطقة وتتبع اهم العلماء والإعلام والقضاة بالمنطقة اثناء الفترة
الاستعمارية. والأسلوب الادبي لتحليل النصوص الادبية الثرية والشعرية التي خلفها الادباء والعلماء
والفقهاء والتي تتناول موضوع المقاومة ضد المستعمر، كما تتبعنا الاسلوب الاحصائي لإحصاء مكنتات
المخطوطات والخزائن والتأليف وتتبع توالي القضاة وفئات المجتمع ونسب تواجدهم في المجتمع.

كما استعملنا الاسلوب التحليلي لمعرفة مدلول النصوص والوثائق وربط الصلة بين الموروث
الثقافي ودوره في شعر المقاومة الشعبية ضد المستعمر، وكيف أن هذه المقاومة الفكرية هي من اسهمت
في اعطاء القوة والإرادة لإخراج المحتل من أرض الجزائر.

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي:

المدخل: بعنوان التوسع الاستعماري في الجنوب الغربي الجزائري تناولت فيه التعريف بالمنطقة جغرافيا وتاريخيا وكيف سميت المنطقة باسم توات مستعرضا مختلف التأويلات التاريخية ومسلماها التاريخية ثم تطرقنا إلى أهمية المنطقة الجيوستراتيجية وللأطماع الفرنسية في المنطقة ومختلف البعثات الاستكشافية لغزو المنطقة وصولا إلى احتلال المنطقة وتنظيم المقاومة ضد المستعمر.

وفي الفصل الأول: بعد اتمام السيطرة الاستعمارية على المنطقة بقوة السلاح وسياسة القوة المفرطة تطرقنا إلى السياسة الاستعمارية في المنطقة في مختلف المجالات الادارية والقضائية والاجتماعية والثقافية من اجل اخضاع المجتمع التواتي، والتي هي محور دراستنا هل نجحت؟ وكيف فشلت امام اليقظة الفكرية للمنطقة؟

وفي الفصل الثاني تناولنا فيه المقاومة الفكرية وسائلها وأبعادها تطرقنا فيه إلى الطرق الصوفية ودورها في مقاومة الاحتلال، تناولنا فيه تعريفها وانواعها وكيف ظهرت وانتشرت في العالم الإسلامي بصفة عامة وكيف انتقلت من المشرق إلى المغرب الإسلام ثم إلى الجزائر ثم إلى منطقة توات ودورها في نشر الإسلام في مناطق افريقيا، وكيف انتشرت في منطقة توات وتفرغت منها زوايا دينية اخذت على عاتقها لواء المقاومة الفكرية ومقاومة المستعمر والمحافظة على قوة وتماسك المجتمع الصحراوي التواتي ثم تطرقنا إلى موقف العلماء والأعيان والإعلام والقضاة ودورهم في ترسيخ المقاومة الفكرية والوقوف في وجه السياسة الاستعمارية المذكورة آنفا وتطرقنا إلى دور الشعراء والأدباء باعتبارهم وقفوا ضد هذه الثقافة الغربية بأقلامهم وكتبهم وتصانيفهم وتأليفهم.

وفي الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى موقف الاستعمار من هذه المقاومة الفكرية مع العلم أنه سعى جاهدا للقضاء على المقاومة الفكرية والثقافية للمجتمع الجزائري من خلال مختلف انواع السياسة الاستعمارية القائمة على محاربة الدين الإسلام واللغة العربية وتشويه التاريخ، ونشر التعليم الفرنسي ومحاربة التعليم العربي ونشر المسيحية وسياسة التنصير التي اخذت اهتماما واسعا من السياسة الفرنسية والتضييق على العلماء والشيوخ ومحاربة التعليم الديني واستمالة شيوخ الزوايا والشخصيات سواء بإغرائهم

بمناصب ادارية أو منحهم امتيازات خاصة أو عن طريق المصاهرة وتدجين الطرق الصوفية وجعلها متعاونة مع الاستعمار واستغلال جهل الشعب الجزائري من اجل السيطرة على مقدراته.

وفي الفصل الرابع: تطرقنا فيه إلى فشل هذه السياسة الاستعمارية وهذا بدليل تزايد الرفض الشعبي للوجود الاجنبي طيلة وجوده رغم كل محاولاته من اجل السيطرة وخر دليل على ذلك المقاومة العسكرية ثم المقاومة الفكرية والدينية والثقافية من خلال المحافظة على نظام الزوايا والتدريس في الكتاتيب والمدارس القرآنية، والمحافظة على الوعي الوطن من خلال نشاط الحركة الوطنية وصولا إلى الثورة التحريرية وإنشاء الجبهة الجنوبية التي ضربت احلام فرنسا وتخطيطها واستراتيجيتها في فصل الصحراء ضرب الحائط، وأفشلت كل مشاريعها في المنطقة بالتأكيد على شمولية الثورة ووطنيتها وضربت المناورات الديغولية الهادفة إلى تجزئة الجزائر عرقيا وجغرافيا فكان نجاح الثورة دليل على فشل سياسة فرنسا في المنطقة وهذا كله بفعل الشعور بالانتماء للأرض والدين والوطن.

أما الهدف من الدراسة: فيتمثل في:

1- التركيز على المقاومة الفكرية كنوع من المقاومة يعد عصب واصل كل المقاومات الاخرى العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها لأنه بدون شعور الانسان بانتمائه إلى مجتمع معين وبالتالي إلى ثقافة معينة لن شعر بكيانه أو وجوده كأمة تستحق أن يجتمع عليها الجميع والتعاون من اجل احيائها والدفاع عنها والتعاون من اجل رقيها وازدهارها.

2- أن هذه المقاومة الفكرية هي التي حافظت على جذوة المقاومة مشتعلة وهذا بفعل الطرق الصوفية والزوايا والمساجد والكتاتيب وغيرها، هذه الزوايا التي كان لها دور كبير في تربية الاجيال تربية إسلامية عربية وأنتجت ذلك الجيل المؤمن بدينه ووطنه والذي ساهم في ثورة نوفمبر الخالدة.

3- الدور الكبير للفكر والطرق الصوفية ف ترسيخ التعاليم الدينية والمحافظة عليها في الجزائر أمام سياسة فرنسا التغريبية أو في نشر الإسلام في اواسط افريقيا بطريق الارشاد والتعليم والتجارة والمصاهرة مع ملوك افريقيا ونشر الإسلام في مناطق نائية بطريقة بسيطة خالية من كل تعقيد، مما جعل

الكثير من شعوب العالم يدخلون في دين الله افواجا، عن طريق الأعمال المتقنة التي قام بها الصوفية، وأوصلوا الإسلام إلى منطقة مرتفعة في هذه المناطق تقوم لها وتعد كل دولة مستعمرة.

4- التركيز على مرحلة ذهبية في منطقة توات شهدت اثناءها نخضة علمية وفكرية عرفت نزوح العديد من العلماء والفقهاء وتأسيس الزوايا والمدارس والكتاتيب وازدهرت حركة التأليف وهذا ما يشهد عليه كم المخطوطات الهائلة حتى عدة المنطقة حاضرة علمية وفكرية تضاهي أكبر الحواضر العلمية في الداخل والخارج كتيهت وتلمسان وفاس ومكناس والزيتونة، هذه النهضة العلمية هي التي وضعت القاعدة الصلبة لمناهضة الاستعمار ورفضه ورفض هيمنته وثقافته والوقوف في وجهه.

5- تسليط الضوء على المقاومة العسكرية القوية للتغلغل الاستعماري في المنطقة مطلع القرن العشرين 1900م، هذه المقاومة التي تصدى لها المجتمع يتقدمهم مقدمي الطرق الصوفية والتي قادت أولى المعارك الدامية امام الهجمة الاستعمارية الشرسة المزودة بالمدفعية الثقيلة التي قامت بإبادة جماعية للسكان.

6- دور الزوايا في مناهضة الاستعمار الفرنسي والمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية، والوقوف في وجه المشاريع الفرنسية الهادفة إلى فصل الصحراء وتفتيت الوحدة الترابية للوطن.

7- ابراز أهم الجهود المبذولة في اطار الجهد الثوري الوطني من تأسيس الجبهة الجنوبية ومساهمتها في الثورة التحريرية، ومعارك العرق الكبيرة التي افسدت على فرنسا مشاريعها ومخططاتها.

8- ابراز الدور الفكري المحافظ على مقومات الهوية الوطنية، والذي ظل صامدا طيلة الفترة الاستعمارية التي لم تدخر جهدا للقضاء عليها، هذا الدور الذي كانت قوامه المحافظة على الثوابت الوطنية، تمثلت ساحاتها في المدرسة والوعي ومحاربة التنصير وتفتيت التركيبة الاجتماعية، هذا الدور الذي تكفلت به الكتاتيب والزوايا والطرق الصوفية والاحزاب والجرائد، وكل اشكال المقاومة الفكرية. هذه المقاومة التي كانت أساس لكل المقاومات المختلفة.

أما الدراسات السابقة: فنجد أن الدراسات التي اهتمت بتاريخ المنطقة قليلة جدا مع الملاحظة أن هناك اهتمام بها مؤخرا وترتكز في اغلبها على الجانب السياسي والعسكري والاجتماعي، اما الجانب الفكري وربطه بالمقاومة فكانت الدراسات فه قليلة نذكر منها:

- دكتوراه الأستاذ: **بودواية مبخوت** حول العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الاوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، الذي تناول اقليم توات وائر عبد الكريم المغلي في الحياة الفكرية والثقافية فيه بجامعة تلمسان، ودكتوراه الاستاذ: **بابا عبد الله** المعنونة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات ابان الاحتلال الفرنسي من خلال سجلات المحكمة الشرعية، بجامعة ادرار وخاصة ما تناوله حول الحياة الاجتماعية بتوات والمستوى المعيشي والصحي والأسرة والعلاقات الاجتماعية في المجتمع التواتي.

- ورسالة دكتوراه بعنوان: القضاء بتوات خلال القرنين 17_18م للأستاذ: **بعثمان عبد الرحمان** بجامعة احمد بن بللة وهران، والتي تطرق فيها إلى القضاء بتوات واهم القضايا التي كان ينظر بها وإلى القضاة وأهم الاسر التي تولت هذه المهنة.

- ومذكرة ماجستير: الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري للأستاذ: **بوسعيد أحمد** بجامعة ادرار والتي تناول فيها البيئة الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لإقليم توات وتناول المجال الثقافي في منطقة توات انطلاقا من نوازل الجنتوري.

- ومذكرة ماجستير بعنوان: الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18_20م. للأستاذة: **زهرة مسعودي** من جامعة ادرار والتي تطرقت فيها إلى الزوايا والطرق الصوفية بالمنطقة ودور هذه الطرق في نشر الإسلام بغرب إفريقيا.

- ورسالة ماجستير للأستاذ: **خثير الصافي** بعنوان: النضال في اقليم توات 1962_1965م، والذي تناول فيه الاحتلال الفرنسي لإقليم توات والمقاومة الشعبية والسياسة الفرنسية في اقليم توات ونشاط الحركة الوطنية والعمل المسلح ومشاريع فرنسا في المنطقة.

هذا إلى جانب العديد من المصادر المتمثلة في المخطوطات منها كتاب: درة الاقلام في اخبار المغرب بعد الاسلام، ل: مُجد بن عبد الكريم التمنطيبي، والتي تناول فيه الاحداث الواقعة في توات منذ عهد الفراعنة وتحدث عن احوال التصوف والطرق الصوفية في المنطقة، وحرب المغيلي على اليهود وإخراجهم من توات وحرب يحمّد وسفيان وتوافد العلماء إلى المنطقة، وابن بابا حيدة في كتابه: القول البسيط في اخبار تمنطيط، الذي لم تبق منه إلا احدى عشر ورقة بخط المؤلف والذي حققه: فرج محمود

فرج وأعاد نشره والذي يتحدث عن الاحداث الجارية بمنطقة توات من القرن 8هـ حتى القرن الثاني عشر الهجري، والتعريف بمشاهير علماء توات واخبار منطقة بودة وقد كتبه المؤرخ بعد انتقال السيادة من تمنطيط إلى ادرار وتحدث فيه المؤرخ عن تمنطيط ومكانتها السياسية والاقتصادية، كما اعاد مارتان Martan كذلك ترجمته إلى اللغة الفرنسية في كتابه: تاريخ اربعة قرون.

بالإضافة كذلك كتاب: نقل الرواة من ابداع قصور توات للشيخ: محمد بن عمر بن محمد البوداوي وهو مصنف مهم يعي بتاريخ توات الاجتماعي والثقافي، وتناول التعريف باسم توات واصل الكلمة واصل الفقرات والاستقرار بمنطقة توات، وهو مخطوط بخزانة الحاج محمد بن حسان بتينلان - ادرار الجزائر وغيرها من المخطوطات المهمة وكتاب: نسيم النفحات من اخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات. للشيخ: مولاي احمد الطاهري الادريسي والذي تحدث فيه عن محبة الصالحين والأولياء والكرامات، والتعريف بتوات وقصورها وتكلم فيه عن الزوايا ودورها في ترسيخ الوحدة الوطنية، كما تكلم فيه عن مناورات فرنسا لفصل الصحراء والأدوار التي وزعتها على بعضهم ورفض اعيان المنطقة لهذه الفكرة وما لاقاه من تعذيب وتنكيل على يد الاستعمار لدوره في رفض هذه الفكرة من خلال تأسيسه المدرسة الطاهرية بمنطقة سالي برقان والدور الذي لعبه اعيان المنطقة في رفض الفكرة التقسيمية للجزائر.

بالإضافة إلى تقارير الحكومة الفرنسية الخاصة بالجنوب والتي كانت تعمل على الحاق المناطق الجنوبية بالشمال خاصة بعد احتلال عين صالح سنة 1900م من خلال اعداد مشاريع قوانين خاصة بمناطق الجنوب ومرسوم 24 ديسمبر 1902 ومرسوم 7 جانفي 1904م وقانون جونار ومرسوم 1906م ومرسوم 19 اوت 1907م حتى القانون الخاص بالجزائر في سبتمبر 1947 إلى غاية قانون فصل الصحراء في 10 فبراير 1957م وإنشاء وزارة خاصة بالصحراء تحت اشراف ماكس لوجان، هذه التقارير لها فائدة كبيرة في تتبع التطور الاداري لإقليم توات كإقليم صحراوي.

بالإضافة إلى الشهادات الحية لمجاهدي المنطقة الموجودة في متحف المجاهد بادرار مثل: شهادة برادعي سليمان، وبودواية بودواية، وسلكة بومدين. والمقابلات الشخصية مع الزاوي بحوص وغيرهم ممن أثروا مشروع البحث.

هذا إلى العديد من الكتب التي استفدنا منها ككتاب: فرج محمود فرج في كتابه: اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، والذي تناول فيه الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية لمنطقة توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، والذي عرج فيه على اقليم توات وعلاقاته بالعالم الخارجي ونظام الجماعة التواتية والنظام الاداري والقضاء ومكونات المجتمع التواتي، وتحدث فيه عن الزراعة والصناعة والتعليم والدور الحضاري بالإقليم.

إلى جانب كتاب توات والأزواد للأستاذ: مُجَّد الصالح حوتية والذي تطرق فيه إلى منطقة توات والأزواد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، في دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في جزئين تناول فيه البيئة والسكان بمنطقة توات والنشاط الاقتصادي بالمنطقة والحياة الروحية والثقافية والعلمية بالإقليم وتناول فيه الحياة الاجتماعية والفنية والعمرانية بمنطقة توات، كما تطرق فيه إلى رد فعل منطقة توات على التوسع الاستعماري الفرنسي ورد الفعل الدول على غزو الاقليم وقد وجدنا فيه مفاتيح مهمة للولوج للموضوع.

كما استعنا كذلك بكتاب الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية للأستاذ إبراهيم مياسي والذي تناول فيه تاريخ البعثات الاستكشافية للمنطقة والمشاريع الاقتصادية الفرنسية لاستغلال المنطقة واحتلال منطقة تيديكلت والمعارك الأولى للمقاومة الشعبية في المنطقة.

وكتاب: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الاعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يرتبط بها من الجهات. للشيخ: مُجَّد باي بلعالم. الذي تناول فيه محاور متنوعة ومتعددة لتاريخ المنطقة للطرق الصوفية والزوايا والحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمنطقة والعلماء والصالحين والمقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي في تيديكلت وتوات الوسطى وتينقورارين، كما تحدث عن قصور توات والشيوخ والعلماء والمساجد والزوايا ودورها في تنوير المجتمع التواتي والعادات والتقاليد والعوائد السيئة والأزمات الاقتصادية والانفجارات النووية الفرنسية في المنطقة.

وكتاب: لفت الانظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية ادرار إبان الاستعمار. للشيخ: مولاي التهامي غيتاوي. والذي تطرق فيه إلى تسمية توات وتكلم فيه عن واحات منطقة توات واهتمامات الفرنسيين بالمنطقة وأهمية موقع توات بالنسبة لتجارة الصحراء ومشروع احتلال منطقة توات

في السياسة الفرنسية، واكتشاف المنطقة ودور أولاد سيدي الشيخ والشيخ بوعمامة في قيادة المقاومة في المنطقة والتنافس بين فرنسا وبريطانيا على المنطقة والمقاومة المسلحة للاستعمار الفرنسي في المنطقة، كما تطرق إلى دور علماء المنطقة وزواياها في تنظيم الصفوف وإلى معارك العرق الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي أثناء الثورة التحريرية وإنشاء الجبهة الجنوبية والجرائم النووية الفرنسية في منطقة رقان.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا نذكر منها:

- شساعة الولاية وما يجب علينا التنقل إلى مختلف اقاليمها بحثا عن المصادر والمخطوطات عبر خزائنها المتعددة.

- نقص الارشيف الفرنسي الخاص بالمنطقة المتعلق بالمرحلة التاريخية.

- التعامل مع مصادر مخطوطة لم يحقق معظمها مما يستدعي منا قراءتها وفهم مضامينها ولأنها غير مطبوعة يجب التركيز فيها نظرا لنوعية الخط المكتوبة به.

- قراءة الشهادات الحية ومقابلة بعض صناع الحدث مما نجد تعارض في بعض المعلومات وجب علينا التحقق منها ومقارنتها.

ويبقى هذا العمل عمل اضافي يضاف إلى الأعمال التي سبقته وقد حاولنا الاجتهاد في هذا المجال الذي تأخر فيه البحث وكانت المحاولات الاولى فيه جادة ولها أهمية كبيرة، حاولنا قدر الامكان أن ندلووا فيه بدلونا والاجتهاد فيه قدر الامكان.

ولا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا وعلى رأسهم الدكتور بودواية مبخوت على توجيهاته القيمة وتشجيعنا للخوض في هذه المواضيع وللدكتورين الاستاذ بوسعيد أحمد والأستاذ بابا عبد الله على توجيهاتهما القيمة، ولكل الأعلام التي سبقتنا إلى البحث في هذا الموضوع لهم منا جزيل الثناء

عبد الفتاح بلعروسي رقان يوم: 01 أكتوبر 2020

الفصل التمهيدي: التوسع الاستعماري في

الجنوب الغربي الجزائري

المبحث الأول: التعريف بالمنطقة.

المبحث الثاني: الرحلات الاستكشافية للمنطقة.

المبحث الثالث: احتلال منطقة توات.

تتفق المصادر التاريخية على أن منطقة ادرار عرفت حل وترحال العديد من القبائل مثل قبائل الجيتول وقبائل صنهاجه وزناته البربرية، كما نرح إليها أحفاد المرابطون وسكان اشبيلية وكانت منطقة توات ممرا تجاريا نشطا نحو إفريقيا، كما اعتبرها المؤرخون ملاذاً آمناً للقبائل الهاربة مثل البرامكة وبنو هلال في القرنين 9م، 10م. وفي التاريخ الحديث شهدت ويلات المستعمر ومقاومة الشيخ بوعمامة، ولا زالت ويلات الاستعمار ووحشيته إلى اليوم في منطقة رقان من خلال الجرائم النووية الفرنسية في رقان¹، ويتضح من ذلك أن ولاية ادرار كان الاستقرار فيها باكراً للسكان باعتبارها منطقة آمنة صالحة للاستقرار البشري. ويعتبر الإقليم ضمن الصحراء الكبرى الإفريقية، وهو يحتوي على أزيد من 350 واحة متناثرة هنا وهناك بحوالي 2000 ميل مربع، ويقع بين خطي عرض 26/30 درجة شمالاً، وبين خطي طول 4 غرباً إلى 01 شرقاً. وهذا المنخفض يمثل امتداداً طبيعياً لمنخفض تنزروفت نحو الشمال، والإقليم يقع حالياً ضمن امتداد ادرار تيميمون وعين صالح، والأولى كانت تعرف منطقة توات²، والثانية باسم منطقة قورارة³. الثالثة باسم منطقة تيدكلت⁴، وقد أطلق بعض الكتاب القدماء على المناطق الثلاثة مجتمعة اسم إقليم توات⁵.

¹ - قالون جيلالي عياد صالح، تسويق التراث الثقافي وحمايته، دراسة حالة ولاية ادرار، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 2018، ص 28.
² - تقع ما بين نهايات منحدر الهضبة العليا للقرارة، التي تكون الحافة الشرقية لوادي مسعود والحافة المقابلة له والمسماة بالعرق الغربي أي من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان وهو بذلك يغطي مساحة لا تقل عن 1600 كلم وترتبه خصبة وسكانه يأتون بالمياه من الهضبة العلوية لتادمايت وهذا ما تؤكدته وضعية الفقاير التي تتبع من الجهة الشمالية الشرقية وتنتهي مجاريها على حواف وادي مسعود ومن أهم قصورها قصور بودة - تيمي - تمنطيط - بوفادي - تسفاوت - تامست - أنجزمير - سالي - رقان. انظر: د. محمد الصالح حوتية: ال كتنة. دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008، ص 37_41.
³ - تقع شمال توات يحيط بها العرق الغربي من جهة الشمال والشمال الشرقي ومن الجنوب هضبة تادمايت ومن الشرق الحوض الشرقي لواد الساورة ومن أهم قصورها قصور اوقروت القصور الشرقية والغربية - قصور تيلكوزة قصور اجريفت - تيميمون - أولاد سعيد - حيحة - دلدول - شروين - تساييت - السبع... الخ محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص 33_36.
⁴ - قصور أولف تقع في نهاية منخفض تادمايت وتبعد حوالي 80 كلم شمال شرق رقان وتنقسم إلى أولف الشرفة وأولف العرب وأهم قصورها قصور اقبلي - تيط - عين صالح، نفسه، 43.46.
⁵ - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 13.

ونرجع عمارتها إلى ما قبل الإسلام وكانت تسمى بالصحراء القبيلية، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر جير في غضون القرن الرابع للهجرة وهي أرض ذات سباح كثيرة الرمال والرياح لا تحيط بها جبال ولا أشجار¹، وتعتبر منطقة توات من أهم المناطق الصحراوية نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز، وتعود عمارتها حسب الشواهد الأثرية إلى عصور ما قبل التاريخ.

وبعد دخول الإسلام إلى شمال إفريقيا لعبت دورا مهما في نشر الإسلام جنوب الصحراء، وفي ربط العلاقة بين ممالك المغرب الإسلامي والسودان الغربي، وقد ازدادت أهميتها التجارية بعد تراجع الطريق الصحراوي الغربي الرابط بين مراكش وغانا نتيجة لسقوط مملكة غانا وقيام مملكة مالي، وهو ما أهلها لتصبح من أهم المحطات التجارية مما ساهم في تطورها وعمارتها. وتوافد الكثير من العلماء عليها مثل الشيخ مولاي سليمان بن علي (580هـ-1148م)²، والشيخ عبد الله بن أبي بكر العصنوني (845هـ-1412م)³، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (882هـ-1458م)⁴، والشيخ احمد بن محمد الرقادي الكنتي، (999هـ-1590م)، والشيخ احمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية (1196هـ-1782م)⁵.

¹ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج 1، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص59.

² - الشيخ سيدي سليمان بن مولاي علي الشريف: من أولاد وشن ينتمي إلى الدوحة النبوية ذهب إلى تينلان في مستهل جمادى الاخير سنة581هـ، وبقي بأولاد عمور إلى سنة 593هـ. فتزوج بنت الشيخ عمر وأنجبت له أكبر أولاده مولاي عيسى، وتوفي سنة 670هـ. انظر مولاي التهامي: سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، ج1، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، 2008، الجزائر، ص89.

³ - هو رحمه الله من الشيوخ المعتمد عليهم فارس في النحو والبيان حائز قصب السبق في الحديث مالك الأصول والفصول من أشياخه والده رحمه الله ومن مصر الشيخ سالم السنهوري والشيخ يحيى الانبائي. انظر: عبد الحميد البكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها دار الطباعة العصرية الجزائر، 2010، ص75-76.

⁴ - هو محمد بن عبد الكريم المغيلي وكنيته أبو عبد الله، ونسبه إلى الحسن المثنى ولد بمغيلة وهي قرية قرب تلمسان فلقب بالمغيلي، ولد سنة 790هـ 1388م على حسب بعض الروايات اما وفاته كانت سنة 909هـ 1503م، وهو من ابرز وجوه الحركة العلمية بتوات والغرب الإسلامي في نهاية القرن 9هـ. 15م. انظر: الحمدي احمد الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية مكتبة الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى 2012، ص20.

⁵ - مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي 2016، ص8-9.

أصل تسمية توات:¹ اختلفت التسميات والتأويلات حول تسمية منطقة توات فيذهب مولاي احمد الطاهيري إلى أن تسمية منطقة توات سميت بهذه التسمية لأنها تواتي للعبادة، أي تليق بها لان كل من قدم إليها من الأولياء المتقطعين تواتيه للعبادة فلذلك سكنها الكثير من أولياء الله الصالحين العارفين². وما ذهب إليه الشيخ عبد الرحمن السعدي³ في كتابة تاريخ السودان أن سلطان مالي⁴ كنان موسى⁵ كان ذاهبا إلى الحج برفقة جماعة كبيرة من أهل بلده فلما وصلوا هاته الديار أصيب البعض منهم بمرض معروف عندهم باسم توات. فانتظرهم السلطان ومن معه لعلهم يشفون بسرعة من مرضهم لكن ابطأهم المرض وصار الحال إلى ما لا يرضون، فتركهم السلطان في هاته الأرض وسار بمن معه هؤلاء الذين بقوا وجدوا هذه الأرض مخضرة وذات بساتين وواحات فمكثوا واستقروا وصاروا يسمونها بالمرض الذي أصيبوا به وهو توات. وقيل أن العرب لما تغلبوا على البلاد فرضوا على أهلها الاتوات فسموها بلاد الاتوات فتغير اللفظ إلى توات.

وهذا ما ذهب إليه العلامة سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي التواتي: حيث قال: (حكا عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طالبهم المهدي ملك الموحدين بالمكوث بالمغارم استضعفوا وقالوا: لم يكن بأرضنا ذهب ولا فضة، وكان ذلك شهر الخريف فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر أثمار الكروم ففعل، ثم باعه السلطان للبدو والنازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت المصلحة. بذلك

¹ - نجد أن كل من الرحالة ابن بطوطة وابن خلدون قد ذكر توات حيث مر بها الأول عند عودته من مالي إلى المغرب الأقصى سنة 754هـ، وكان عند حديثه عن توات يقصد بها كافة التجمع السكاني المعروف بها الآن أما ابن خلدون فكثيرا ما يذكر توات أنها المقاطعات الواقعة بالمنطقة الغربية للاقليم فقط (انظر فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص12).

² - أحمد الطاهيري الإدريسي، نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء والنفقات، تحقيق مولاي عبد الله الطاهيري، بدون دار النشر، طبعة 2010، ص57.

³ - عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس 1964، ص 07.

⁴ - محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنيط، ص 03.

⁵ - كانت قبائل -سونينيكي- ماندينكا -منديجو قد انفصلت عن الكونغو عام 1230م، حيث قام قائد ماندينكا (سونديانا كايتا) بتكوين اتحاد للقبائل في الوادي الخصيب وجعل جيرانه تحت سيطرته، مؤسس مملكة مالي. وكانت أكبر من مملكة، غانا وأثناء أوجها امتدت من الساحل الأطلنطي بالغرب إلى ما وراء تحوم منحي نهر النيجر بالشرق، ومن حقول الذهب في غينيا بالجنوب إلى محط القوافل التجارية عبر الصحراء بالشمال. وكان إمبراطورها (مانسا موسى) قد حج إلى الحج عام 1324 عبر القاهرة واستقبله الماليك في القاهرة بحفاوة بالغة وقد انخفض سعر الذهب بالعالم اثر رحلة الحج تلك لكثرة ما وزع من الذهب طول الرحلة، وفي هذه السنة أصبحت العاصمة (تومبكتو) مركزا لتجارة الذهب ونشر الإسلام، في أواخر القرن 14م استقلت الأقاليم الخارجية واستولى الطوارق على تومبكتو العاصمة، وفي سنة 1500 امتد حكم مالي لمناطق بأعالي نهر النيجر. انظر: عبد الحميد البكري: المرجع السابق، ص07.

فصدر الأمر منه في العام الثاني بتخريص الأشجار وقبض الإتاوات كيلا ووزنا على حسب التخريص. فعرف أهل هذه الأرض (القطر) بأهل الاتوات، لان السلطان قبلها منهم في المغرب فصار هذا الاسم علما على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزة إلى عين صالح. وقيل لما نزلت زناتة بأرض الصحراء قالوا: تواتي السكني¹. وذهب الفرنسيون إلى أن أصل الكلمة لاتيني، لأنهم يطلقون على اسم الواحة وازيس وهو مصطلح إغريقي يتركب من كلمتين إحداهما: (وا) (oa) الذي يتطابق مع الاسم البربري (وا) في اللفظ والمعنى وهو يدل على الجمع مفردة توات ويعطي مثال على ذلك (تواتن عبو) وتعني واحة الماء² tout abbou.

وصف توات عند بعض المؤرخين

كانت منطقة الصحراء في نظر العديد من الناس منطقة موحشة مقفرة صعبة المسالك محفوفة بالمهالك، نظرا لمناخها الصعب وتضاريسها وبحور رمالها المتناثرة وحرارتها المرتفعة وجفافها فحفت بها الأساطير، لكن رغم ذلك كانت العديد من الطرق التي اخترقتها وكشفت عن أغوارها وطرقها، وان كان من الصعب تتبع بدايات الاستقرار الأولى بالمنطقة نظرا لشح المعلومات لان الدلائل حول تلك الحقبة من التاريخ تقتصر فقط على إشارات موجزة في كتب الرحالة والجغرافيون القدماء.

لقد بدء استقرار الإنسان الأول بهذه المنطقة بإنشاء الواحات والقصور بالقرب من السبخات ومنايع المياه القريبة منها، وقد وردت معلومات وأوصاف أولى من طرف المؤرخ هوميير Homère حول مجموعة بشرية أطلق عليها اسم (الاثيوبيون) سكنوا هذه الجهة³.

وجاءت فيما بعد كتابات المؤرخ اليوناني هيروdotot Hérodotot: لتقدم لنا معلومات حول القرون الخمسة الأولى قبل الميلاد فيصفها بأنها مناطق خالية وقاحلة⁴. ويشير كذلك إلى رحلة مجموعة

¹ - هو القاضي المؤرخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري ولد بتمنيط سنة 1300هـ، بما نشأ نقله والده إلى كوسام لطلب العلم الشرعي عاد إلى تمنيط واشتغل بالتدريس تولى القضاء 1354هـ. من كتبه الكواكب البرية في مناقب البكرية، جوهرة المعاني في ما ثبت لي من علماء الألف الثاني، درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام. انظر: درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، تحقيق أبو انس عبد القادر نعيوي، ط1، 2017، دار صبحي الطباعة والنشر، ص 19.

² - محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي، المصدر نفسه ص 03 8.MARTIN AG: O. quatre sieeles (1504-1904.paris.1923.1-2)

³ - J-C (Echalier), villages désertiques et structures agroines anciennes, Paris 1972, p17.

⁴ - J-C (Echalier), Op. Cit, P17.

من الشبان أطلق عليهم اسم: الشبان النسامون الذين انطلقوا من منطقة فزان باتجاه الغرب حتى وصلوا إلى مدينة سكانها كلهم سود وقصار القامة، لم يفهموا في البداية اللغة التي يتكلم بها هؤلاء القوم وكانوا يمر بهذا المكان نهر كبير¹. وفي وصفه لهذه الناحية في القرن الخامس قبل الميلاد يقول: "أن المنطقة الواقعة جنوب البحر توجد بها وحوش، ورائها لا توجد إلا منطقة قاحلة".

ولقد أمدنا المؤرخ بلين Pline في القرن الأول ميلادي بأوصاف قريبة مما ذهب إليه هيروdot².

كما وردت معلومات أخرى هامة عند المؤرخ بتوليمي Ptolemé: الذي يشير إلى بعض المدن القديمة في المنطقة، حيث ذكر اسم سبعة عشر قصرا ونحرا قديما في لصحراء كانت مأهولة بشعوب بيضاء وسوداء خلال القرن السادس قبل الميلاد.

كانت منطقة توات مزارا للعديد من المؤرخين لأهميتها البالغة وباعتبارها حلقة وصل بين العديد من الجهات.

ويصفها الجغرافي الكبير ابن حوقل: في كتاب صورة الأرض. في القرن العاشر الميلادي المناطق الصحراوية الجنوبية للغرب المجاورة لمنطقة توات فيقول: (أرض المغرب سكان من البربر ومغاوير وبراري منقطعة متعذرة المراعي لا تسلك إلا في الشتاء³).

ويصفها ابن غداري المراكشي حيث يقول: (ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها إلى مدينة تيهرت ويليهها بلاد المغرب وإذا جرت هذا الجبل فعلى يمينك بلاد السودان الأقصى ببلاد الصحراء إلى السودان)⁴.

وفي كتاب المسالك والممالك للاصطخري نجده يصف المنطقة أكثر فيقول: (أرض المغرب ما كان منها في شرق بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة، وكلما تباعدوا فيما يلي الجنوب والمشرق ازدادوا سوادا حتى ينتهوا إلى السودان فيكون الناس بها اشد سوادا)⁵.

¹ -A-GP- (Martin. Challamel les oasis sahariennes, paris P28.

² - J-C (Echalier), op. cit, p17.

³ - أبو القاسم (ابن حوقل)، صورة الأرض، طبعة برلين 1938، ص83.

⁴ - ابن غداري (المراكشي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت 1848-1851، ص5.

⁵ - إبراهيم (مُجد الفاسي الاصطخري)، المسالك والممالك، تحقيق مُجد صابر عبد العالي، القاهرة 1961، ص32.

ويصفها الحسن الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي حيث يقول عن إقليم توات: (إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد نحو مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة، سكانه فقراء جدا لا تنبت أرضهم غير التمر وقليل من الشعير، بشرتهم سوداء إلا أن نساءهم جميلات سمراوات). ويقول عن تيكورارين: (تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا بعيدة بنحو مائة وعشرين ميلا عن شرق تسابيت وحيث يوجد ما يقرب من 50 قصرا وأكثر من 100 قرية بين حدائق النخيل، وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيرا بسلعهم إلى بلاد السودان، وهنا مجمع القوافل، لأن تجارة البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ثم يذهبون جميعا)¹.

وهناك رواية ترى أن تسمية توات بربرية. لان زناتة والملثمون هم أول من سكن الإقليم من الشعوب ولا زالت أسماء القصور تشترك في الكثير من الأسماء البربرية وتبتدئ بحرف التاء في البداية مثل: تميمون - تمنطيط - تسفاوت - تيمادنين - تاوريت.... الخ².

كما يصفها العلامة المؤرخ أبو سالم العياشي³ الذي قال عنها: «ودخلنا أول عمالات توات وهي قرى تسابيت وزرنا بأول قرية منها قبر الوالي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الراس»⁴، ومن بينهم كذلك العلامة ابن خلدون⁵ الذي قال عنها: «وفواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين»⁶،

¹ - الحسن (بن محمد الوزان) (ليون إفريقيا)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حاجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، لبنان 1983م، ص133.

² - عبد المؤمن بهية، الحياة الاجتماعية في إقليم توات خلال القرنين 18م-19م من خلال نوازل الغنية البلبلية، مذكرة ماجستير قسم الحضارة الإسلامية، وهران، 2006، ص03-04.

³ - قال الشيخ المسناوي في كتابه (جهد المقل القاصر): هو رحالة المغرب الإمام العلامة سند صعقه في عصره أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي الذي قال عنه الافرائي: (احد من أحيا الله بهم طريق الرواية بعد أن كانت تمشي على أطراف النخيل وجدد من فنون الأثر كل رسم محيل كانت ولادته سنة 1037هـ وتوفي يوم الجمعة 18 ذي القعدة 1090هـ بالطعون عن عمر ناهز 53 سنة انظر: عبد الحميد البكري: المرجع السابق، ص09.

⁴ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية ماء الموائد، ج1، تحقيق محمد حجي، 1977 طبعة حجرية، المغرب ص20.

⁵ - يعود أصله إلى عائلة عربية هاجرت إلى اشبيليا ولعبت دورا كبيرا في تاريخ هذه المدينة العربي من كتبه كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر انظر عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص10.

⁶ - عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص93.

وذكرها الرحالة ابن بطوطة¹ كذلك حيث قال: وقصدت السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكدا وتوات.

ويقول بن بطوطة كذلك «ثم وصلنا إلى بودة وهي من أكبر قرى توات وأرضها رمال وسبخا وثمرها كثير ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على ثمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت، وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب واكل أهلها الثمر والجراد وهو كثير عندهم يخترنونه كما يخترن الثمر ويقتاتون به ويخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس فانه لا يطير إذ ذاك لأجل البرد وأقمنا ببودة أياما ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في أواسط ذي القعدة إلى سجلماسة»².

وذكرها من علماء توات الشيخ سيدي لحسن، والشيخ عبد الكريم الحاجب بن سيدي محمد الصالح بن الشيخ السيد البكري عندما قال: «توات صحراء بها قصور متعددة أخذت من المشرق إلى المغرب آخرها من جانب الشرق تملكوزة فتيميمون فشروين... تمنطيط وواد الحناء وتشتمل على قصور ذات نخيل وأشجار»³.

ووصفها القاضي الفاضل والمؤرخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: «توات هي صحراء في اعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما وعدد قصورها في القرن 11 هو مائتا قصرا أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط»⁴.

وفي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي وفدت على إقليم توات جماعة من عرب المعاقيل، مستغلين ضعف أمراء بني مرين على هذه المنطقة وكذلك الصراعات بين القبائل التواتية، فثبتوا نفوذهم، كما كانت المنطقة ملاذا للعديد من المهجرات اليهودية التي يرجع أصلها إلى ما قبل الفتح الإسلامي

¹ - ابن بطوطة: هو أبو عبد الله بن محمد بن عبد اله بن إبراهيم الطنجي، رحالة شهير لف بلاد المغرب، وقام بتسجيل ماراه في كتاب شهير كتبه له ابن الجوزي، وهو الكتاب الذي يعرف بكتاب رحلات ابن بطوطة، قضى ابن بطوطة في رحلاته زهاء ثلاثين عاما تعرض فيها للعديد من الأحداث، قام في حياته بثلاث رحلات: انظر عبد الحميد البكري: المرجع السابق، ص 11.

² - محمد (بن عبد الله ابن بطوطة)، تحفة النظر في غرائب الأمصار، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1970، ص 700.

³ - عبد الحميد البكري: المرجع السابق، ص 11.

⁴ - سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، المصدر السابق، المخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط. ص 01.

لبلاد المغرب، ويرى البعض أن بعض هذه الهجرات انتقلت إلى المنطقة مع الفتوحات الإسلامية استعان بهم عقبة بن نافع في تعمير مدينة القيروان وعرفت تزايد بين 1391م _ 1491م بعد سقوط غرناطة¹.

بدأ الشيخ المغيلي يتبع أحوال يهود توات منذ 877هـ _ 1477م، وتمكن من إجلاء اليهود منها عام 882هـ _ 1477م، وسيطر على كل القصور ولم يترك للقبائل التي عارضته أي سلطة نذكر خاصة قبيلة أولاد علي بن موسى، وانتقلت بذلك عاصمة الإقليم من تمنطيط² إلى قصر بوعلي³. واستخلف ابنه عبد الجبار عندما غاب لأرض التكرور، وسحب السلطة من رؤساء القبائل وجمعها في يد شخص واحد وبذلك أصبحت توات سنة 833هـ _ 1478م مستقلة في قرارها لا تخضع لأي دولة لا من الناحية السياسية أو الاقتصادية⁴.

وكان للسعديين أطماع في منطقة توات، حيث قام مولاي احمد المنصور بغزو المنطقة سنة 1588م عندما شرع في احتلال السودان الغربي ولكن رفض توات افشل حملته وبقيت الأوضاع على حالها حتى عام 1808م، رغم ما كانت تلاقيه من السلطة المغربية من احترام في المنطقة باعتبارها أقرب سلطة إسلامية للمنطقة إلا أن الصراع المحتدم بين فرعي أحمد وسفيان واستطاع السلطان مولاي سليمان إبرام معاهدة سلام بين فرعي احمد وسفيان⁵، لكن ما لبثت أن زالت السيادة المغربية وتفككت قصور الواحات ورجعت إلى صراعاتها السابقة، وقد أكد السلطان مولاي عبد الرحمان استقلال واحات قورارة وتوات وإعفائها من الضرائب في رسالة وجهها إلى سكان المنطقة سنة 1830م⁶.

¹ - بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، (أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه في قسم التاريخ، غير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2006، ص 239.

² - بودواية مبخوت، المرجع نفسه، ص 242.

³ - بوعلي وهي قرية قديمة كانت للبرامكة الذين كانت لهم خطوة وتجارة في تلك البقاع ويحبون بها جميع الأقباق، وهذا القصر كان أكبر قصر للبرامكة في قصر توات ويوجد بها الشريف الكريم مولاي السعيد وأهل بوعلي أي البرامكة هم الذين طلبوا من الشيخ الكبير سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي أن يقيما معهم في قصرهم بوعلي فلما طلبهم وأقام معهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، أنظر أحمد الطاهري الإدريسي، المصدر السابق، ص 92-93.

⁴ - الحمدي احمد، المرجع السابق، ص 44-45.

⁵ - إن قضية احمد وسفيان هي فتنة وقعت بين بعض القبائل التواتية فكان بعضهم يميل للتسمية بيحمد وبعضهم بسفيان، وسبب هذه التسمية هي خطاب أرسله عامل السلطان إلى الملك من جملة ما قاله (ان أهل الصحراء اشتد الحرب بينهم مثل الحرب الواقع بين احمد عليه السلام وبين أبي سفيان) وحكمة التشبيه لبعضهم الأمر على السلطان لشهرة الحرب الواقعة بينه عليه السلام وبين قريش ممثلة في أبي سفيان قبل إسلامه فأصبحت عداوة محتصة بالبلاد التواتية انظر: عبد الحميد البكري: المرجع السابق، ص 42.

⁶ - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 26-27.

وكانت الهجومات التي تتعرض لها المقاطعة التواتية استوجب التعاون من الجميع لصد هذه الهجومات، رغم هذه الفتن الداخلية والهجومات الخارجية فإن حكومة المخزن لم تهتم للمنطقة إلا بعد شعورهم بوصول أطماع فرنسا للمنطقة وهو الوقت نفسه التي نشطت فيه الجمعية السنوسية بالمنطقة¹.

وحيثما تعرضت الجزائر للغزو الفرنسي هب سكان هذه المنطقة للدفاع عن هذا الوطن وخاصة ثورة الأمير عبد القادر، وتنص معاهدة لالة مغنية المبرمة بين الدولتين الفرنسية والمغربية 18 مارس 1945م: من أجل تحديد الحدود أن قصور فيقيق وقصور ايش للمغرب، وعين الصفرة وسفيسفة وعسلة وتيوت والشلالة والايض ويوسمغون للجزائر، وتنص المادة السادسة: بان الأرض التي هي جنوب هاته القصور صحراء لا ماء فيها ولا سكان فهي عبارة عن فياني قاحلة جرداء فتحديدها غير واضح المعالم².

ومن هنا فان هذه المنطقة هي خارجة عن السيادة المغربية والسلطة الفرنسية أيضا.

وبعد هذه المعاهدة فإن الجنوب الغربي الجزائري أصبح مجال نفوذ لأولاد سيدي الشيخ، لأن هذه الأسرة التي تنتمي إلى أسرة الخليفة أبي بكر الصديق لعبت دورا مهما في الجنوب الوهراني وبمقتضى المعاهدة انحاز فرع الغرابة إلى التراب المغربي، أما فرع الشراقة فانضوا على مضض تحت السلطة الاستعمارية الفرنسية التي حاولت أن تجعل منهم وسيلة للتوسع للاستعمار الفرنسي لكن انته الامر بها إلى إعلان الثورة ضد فرنسا سنة 1864م بقيادة السي سليمان³.

وأصبح الإقليم نقطة تهديد لفرنسا ووجودها في الشمال وهذا ما ذهب إليه الرحالة الألماني (جيرهارد رولف)⁴: الذي زار إقليم توات سنة 1864م، عندما شاهد مساهمة أهل المنطقة في المقاومات الشعبية قال: «قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى غاية واد الساورة ويستولوا على هذه

¹ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص18.

² - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص27.

³ - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص30.

⁴ - ولد في بلدة فيجياك قرب برما في 14 ابريل 1831 وتخرج طبيا وكان يعمل في الجزائر كطبيب مع الجيش الفرنسي وقام برحلات كثيرة شملت شمال المغرب العربي والإسكندرية والسودان الغربي انظر الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا: تأليف اثيليو موري، تعريب خليفة مجد التليمسي، طرابلس، 1971، ط1، ص74.

الحدود الطبيعية، وإلا لن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران». فكانت المنطقة بمثابة قواعد حليفة للمقاومات في الشمال فعلى سبيل المثال استقلت قبيلة أولاد سيدي الشيخ بمنطقة دلدول¹ سنة 1869م قائد المقاومة (يوتشوشة) وكذلك منطقة سي قدور بن حمزة الذي سبق وان وصل إلى الأقاليم وساندته مقاطعات توات بالمال والرجال وصولاً إلى مقاومة الشيخ بوعمامة 1882م الذي وجد المناخ المناسب لجمع الأعوان والمال لاستئناف كفاحه من الجنوب، بعد أن نجح الفرنسيين في تضيق الخناق عليه في الشمال وإنشاء زاوية له في قصر دلدول، وأمام هذا الحظر بدأت فرنسا التفكير جدياً في احتلال الإقليم².

أهم قصور توات

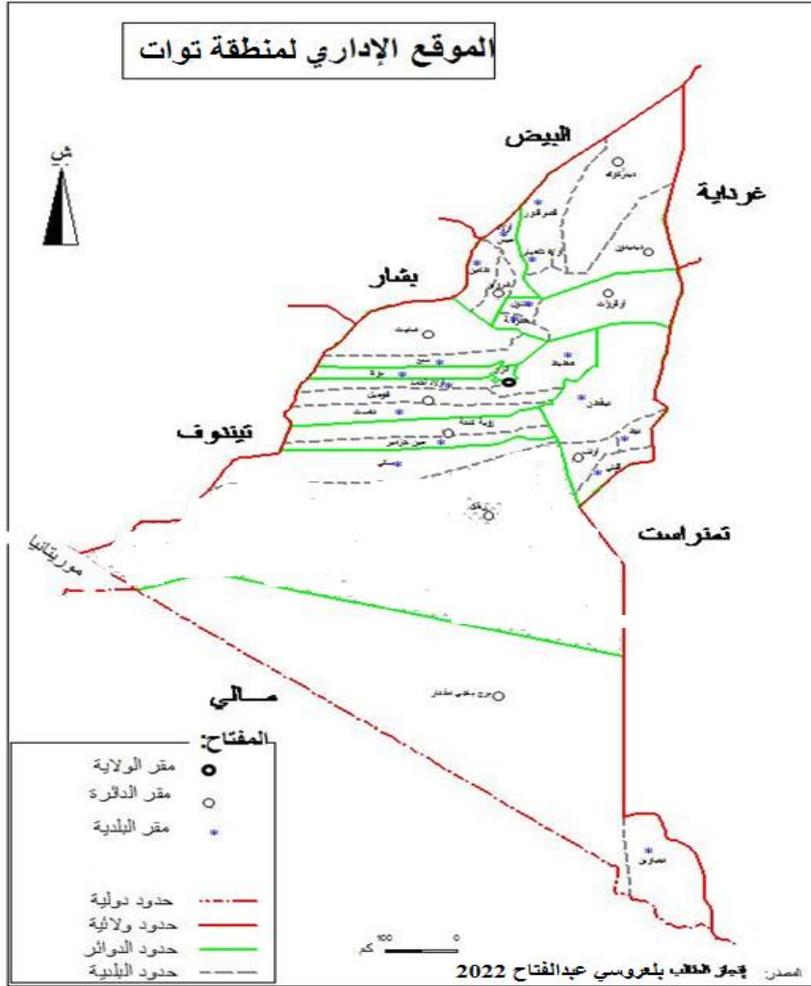
منطقة توات حدود من الجهات الأربع من الجهة الشرقية الجنوبية يبتدئ من قصور اقبلي وتيط واينغر وعين صالح وفقارة الزوى ومن الشمال الشرقي بين المنيعه وتيميمون وصولاً إلى تملكوزة وسيدي عريان الراس، ومن الشمال الغربي تبتدئ من عريان الراس مروراً بالاقصابي وبن طلحة واسع حتى غرباً بودة وتسفوت حتى الجنوب الغربي تصل إلى تيمادين وزاوية الشيخ مولاي عبد الله الرقاني حتى قصور اقبلي واللات ويوجد داخل هذه الحدود قصور كثيرة.

ويتضح مما سبق أن منطقة توات الكبرى تشمل قصورا توات وتيدكلت وتيكوراين لما لها من ميزات اجتماعية واقتصادية وثقافية وطبعية مشتركة.

¹ - تقع دلدول شرق المطارفة وتسمى بالزوى ومنها قصور قسطن وبها الولي الصالح الشيخ بن عومر ومن قصورها البركة وتوكي وأولاد عبد الصمد زارها مولاي احمد التيجاني ووقف على اولياءها الصالحين. انظر: مولاي احمد الادريسي، المصدر السابق، ص112.

² - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص19.

وعدد قصورها في القرن الحادي عشر هجري مائتان قصرا وسطها بودة¹، وتيمي² وتمنيط³، وهذه القصور هي قاعدة ومركز توات بها مركز قاضي الجماعة وفيها يجتمع الرأي والمشورة أهلها أهل سياسة وقوة وجاش⁴.



¹ - أصل الكلمة من اللهجة المحلية وهي مجزأة إلى جزأين: بو: الماء، و دا: هنا، مُجَّد بن عمر بن الحبيب البوداوي، ثقل الرواة عن أبداع قصور توات، تحقيق مولاي عبد الله اسماعيلي، دار الكلمة للنشر والتوزيع ادرار، الجزائر، 2015، ص75.

² - تعني الجبهة: الشيخ سيدي احمد الخليفة، الطرائف والتلائد في كرمات الشيخين الوالدة والوالد، ت يحي ولد سيدي احمد، دار المعرفة الجزائر، 2011، ج1، ص287.

³ - كلمة بربرية وتعني باللغة العربية: الجبهة أو العينان. انظر: مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات ج1، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص61.

⁴ - مُجَّد بن عبد الكريم، درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري التمنيطي، تحقيق أبواس عبد القادر نعيوي، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، 2017، ص20.

ومن أهم قصورها

قصور توات الأصلية أو توات: وهي تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقرارة التي تكون الحافة الشرقية لواد مسعود والحافة المقابلة لها المسماة العرق الغربي. فتوات العليا تبدأ من أعلى مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها وادي مسعود باتجاه الغرب، فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل رقان وهذا الامتداد هو ما يسمى بمقاطعة توات الأصلية¹.

وتشمل هذه المنطقة قصور بودة وتيمي وتمنيط وبوفادي وتسفاوت وفونوغيل وتامست وانجزمير وقصور سالي ورقان وزاوية كنتة².

ثم منطقة تيدكلت وقصورها هي قصور تمقطن اقبلي تيط اينغر وعين صالح³.

ومنطقة تينجوارين واهم قصورها قصور اوقروت وتبلكوزة وأولاد سعيد وحيحة وقصور شروين ودلدول وقصور تساييت وقصور السبع⁴.

اهتمامات الفرنسيين بالمنطقة والبعثات الاستكشافية

تسابق الأوروبيين لاكتشاف الصحراء وسير اغورها والاستفادة من موقعها الجغرافي والإستراتيجي الممتاز، كحلقة وصل بين الشرق الغرب وبين الشمال وأوروبا وأدغال إفريقيا لما توفره من مواد أولية غير متواجدة في أوروبا. وخاصة الاهتمام الفرنسي الذي زاد عنه كونه منطقة تؤمن الأمن الاستراتيجي لها وخاصة أن معظم المقاومات الشعبية قد جعلت من المنطقة قاعدة خلفية وإمداد لها.

¹ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج 1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 32.

² - نفسه، ص 32-34.

³ - مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية ادرار إبان الاحتلال الاستعماري، منشورات العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الحراش الجزائر، 2013، ص 75-76.

⁴ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، المرجع السابق، ص 30

شرعت فرنسا الاستعمارية في تطبيق مخططاتها الاستعمارية الاستيطانية في المنطقة الصحراوية، التي دامت أكثر من أربعين سنة وكانت المرحلة الأولى تتمثل في الدراسات التاريخية والرحلات الاستطلاعية العلمية والعسكرية والحملات التنصيرية¹.

وكانت تسعى فرنسا من خلال ذلك إلى بسط نفوذها العسكري والسياسي والاقتصادي على المنطقة، وذلك بربط الشمال الجزائري بمنطقة الساحل والاستيلاء على موارد المنطقة وإمكاناتها الطبيعية والبشرية من خلال وضع مشروع خط سكة حديدية عبر الصحراء من أجل اكتشاف واستثمار خيرات المنطقة².

وتتضح هذه الأهمية الإستراتيجية من خلال زيارة الرحالة الألماني (جيرهارد رولف)³ إقليم توات سنة 1864م. وشاهد بنفسه دعم المنطقة للثورات الشعبية، فأشار على الفرنسيين بنقل حدودهم للمنطقة حيث قال: «قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية واد الساورة فمن هنالك بالضبط تبدأ كل المصاعب وكل الفوضى مادام الفرنسيين لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية ولن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران»⁴.

وفعلا عملت فرنسا على إبعاد النفوذ الأوروبي وخاصة البريطاني عن المنطقة من خلال إبرام اتفاق فرنسي انجليزي يوم 05 أوت 1890م. يجعل جنوب الجزائر مناطق نفوذ فرنسي في محور يمتد من ساي على النيجر إلى بارووا على بحيرة التشاد، وبذلك يمكن لفرنسا من ربط مستعمراتها من شمال إفريقيا بغيرها بعد احتلال منطقة توات⁵.

¹ - التواتي بومهلة، الاحتلال الفرنسي الصحراء الجزائرية 1837-1934م، دار المعرفة، الجزائر 2012، ص27.

² - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، المرجع السابق، ص431.

³ - جيرار رولف، ولد في ضواحي مدينة بريم سنة 1832 وهو الابن الرابع للأسرة (أنجبت سبعة أطفال كان طفلا ضعيف البنية ثائرا ففي السن ال 16 خرج من المدرسة وانخرط في جيش دوسلة بريم ونال رتبة ملازم أول ولما غادر الجيش حاول أن يدرس الطب وفشل في ذلك فاخترت الأسفار في أوروبا أولا ثم افريقية حيث انخرط في الليفيف الاجنبي. انظر: إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1983، ص89.

⁴ - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص76.

⁵ - إبراهيم مياسي، نفسه، ص77.

وكان للجمعيات الجغرافية دورا رائدا في هذا الميدان، حيث قدمت الجمعية الجغرافية بباريس مبلغا ماليا يقدر بـ 06 آلاف فرنك فرنسي سنة 1855م لمن يقوم برحلة من الجزائر إلى السينغال ويمر بتبمكتو للتعرف على القوافل التجارية التي تعبر المنطقة من حيث مسالكها وأوقاتها واتجاهاتها¹.

وقد تزامن في هذه الفترة بداية القرن التاسع عشر في أوروبا بحب الاكتشاف والمغامرة وحب السيطرة والاستعمار من طرف الحكومات الأوروبية المختلفة، فوضعت هذه الجمعيات خططاً تحت مسميات العلاقات التجارية تهدف من خلالها للتمهيد للسيطرة على هذه المناطق، وقد وصفت هذه الجمعيات شروطاً يتم بها اختيار الرحالة كالمستوى الدراسي والقدرة على التكيف مع مناخ إفريقيا الاستوائية الرطب ومناخ الصحراء الجاف المتميز بحرارته المرتفعة صيفا وبرودته القاسية شتاء المتجهة نحو الأقاليم الجنوبية الغربية للصحراء الجزائرية².

ومن خلال البعثات الاستكشافية والحملات العسكرية ودراسة كتب الرحالين والمؤرخين المسلمين توصلوا إلى معرفة طرق القوافل الصحراوية التالية: طريق مراكش إلى تبمكتو وطريق فاس ومكناس إلى تبمكتو وطريق وهران وارزيو إلى تبمكتو وطريق الجزائر تمكبتو وطريق سكيكدة وقسنطينة تبمكتو وطريق طرابلس تبمكتو³.

ويتضح من ذلك أن أغلب هذه القوافل تمر عبر توات من أهلها لأن يكون لها اهتمام خاص لدى الساسة الفرنسيين لوضع خطط لاحتلال المنطقة باعتبارها حلقة وصل بين مختلف المناطق وإفريقيا جنوب الصحراء.

إضافة إلى ذلك قامت فرنسا باستغلال النزاع القائم بين قبائل أولاد سيدي الشيخ عبر استمالة الكثير منهم بالضغط والترهيب والترغيب، مثلما فعلت مع سي حمزة قائد أولاد سيدي الشيخ الشراقة بين 1849-1861 حيث منحت له لقب الخليفة مقابل بسط نفوذها في المنطقة. ومساعدة البعثات

¹ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه الجزائر، 2005، ص 407.

² - محمد الصالح حوتية، ال كنتنة، المرجع السابق، ص ص 174-175.

³ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص ص 407-409.

الاستكشافية للمنطقة التي أخذت في البداية الطابع العلمي والتعرف على التركيبة الجغرافية والانتروبولوجية للمنطقة، والتي كانت في حقيقتها مقدمة لاستعمار المنطقة¹.

وبعد مقتل الرحالة الملازم يالات عام 1886م. بمنطقة توات تخوف السكان من انتقام فرنسا، فاستنجدوا بالسلطان المغربي مولاي الحسن وعزم على ضم المنطقة إلى البلاط المغربي، لذلك سارعت السلطات الاستعمارية للقيام بعمل سريع وحاسم لضم المنطقة وخاصة بعد الاتفاق الفرنسي البريطاني سنة 1890م. وحتى لا يصبح هذا الاتفاق بدون جدوى لذلك دعا النائب اتيان اوجين: لاتباع سياسة ضم الصحراء، وهكذا تميزت العلاقات المغربية الفرنسية في هذه المرحلة والتي انتهت باستعمار فرنسا للمنطقة وللمغرب ذاته وحقت بذلك إمبراطوريتها المزعومة².

وفي 20 أكتوبر 1891م قدم النائب الفرنسي ديلونكل سؤالا إلى وزير الخارجية ريبو rebbou حول منطقة توات فأجابه: "استطيع أن أقول لك بأن الحكومة الفرنسية لن تتردد في أن تعبر للمغرب بالطرق الأكثر وضوحا وباستمرار أنها لم تعد تتحمل وجود سيادة أخرى على هذه الأراضي التي تدخل في النطاق الطبيعي للنفوذ".

"كما يجب على *ديلونكل* أن يعرف أن هذا المشكل لم يعد مشكلا أوروبيا كما لم يعد مغربيا بتاتا.... بل أصبح هذا المشكل يدخل في إطار مشاكلنا الأمنية في جنوب أراضينا الجزائرية³.

ونرى ذلك من خلال التقرير الذي رفعه الماريشال سولت (soul) وزير الحربية إلى الملك لويس فيليب والذي قال فيه: "يجب أن تؤلف الصحراء الجزائرية صنفا ثالثا من الجهات الإدارية ففي هذه الجهات لا اثر للمعمرين ولا تطؤها الجيوش إلا عرضا لقمع الفوضى، أولا عداد ظروف ملائمة لإقامة العلاقات التجارية وتوسيعها وهي مناطق تفتح لنا مجالا لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة⁴.

¹ - تواتي دحمان وآخرون، الثورة التحريرية في أقاليم توات 1956م-1962م، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، ص 11.

² - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، المرجع السابق، ص 78.

³ - مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 132-333.

⁴ - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، ط1، 1999، الجزائر، ص 63-64.

وكذلك التقرير الذي رفعه الوالي العام بيجو إلى الماريشال سولت حيث يقول: "وسيطرنا على هذه المناطق فتفتح لنا أفاق واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بأفريقيا الداخلية"¹. واشتد هذا الاهتمام بعد تعرض حملاتهم العسكرية للهجوم فيحفزهم للتوسع والسيطرة على كل الواحات الصحراوية ووضع نشاط أتباع الطريقة السنوسية بليبيا ومنع سلطان المغرب الأقصى من نفوذه لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري.²

البعثات الاستكشافية:

في النصف الثاني من القرن الـ19م كشف الفرنسيون نشاطهم الاستكشافي في الصحراء، فقام الضابط دو كولومب (DECOLOMB) القائد الأعلى لدائرة البيض برحلة إلى قصور وقرى الجنوب الغربي الجزائري، بعدها اخذ الإذن من الجنرال -دوريو- قائد شعبة معسكر في ديسمبر 1856م. وقد استعان بالخليفة سي حمزة ولد بوبكر الزعيم الروحي لأولاد سيدي الشيخ وبعض رجاله الشعانية ليدلوه على الطريق. وقد أكتشف قصور تينقوارين وتوات وتيدكلت والتي وصفها بكونها: جزر خضراء وسط محيط من النار.³

رحلة الضابطين -كولونيو (colonie)⁴ وبوران (BORAN) 1277هـ-1860م. وكانت هذه البعثة حوالي 10 آلاف جمل، وأكثر من 03 آلاف رجل وامرأة، انطلقت من الأبيض سيدي الشيخ إلى تميمون فصدت أبواب القصور في وجوههم واتجهت إلى تيمي في توات فلاقت نفس الموقف مما اضطرها للرجوع.⁵

¹ - يحي بوعزيز، نفسه، ص64.

² - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، المرجع السابق، ج 2، ص447.

³ - M.L.DECOLOMBE, Exploration des lasourset de sahara de la prorince de oran, paris, challamel, 1858, p10.

⁴ - قائد في الجيش الفرنسي تابع لدائرة البيض قام بمحاولة فاشلة لاكتشاف تينقوارين وتوات، فانطلق في شهر نوفمبر 1860م رفقة زميله الملازم يوران فصدت في وجوههم أبواب قصور تميمون وتيمي، فقررا الصعود إلى الشمال راجعين إلى مناطقهم. انظر إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص (413-414).

⁵ - خثير الصائي: النضال في إقليم توات، (رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في قسم التاريخ. غير منشورة)، جامعة بشار، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، السنة: 2012م، ص22.

وفي نطاق الأعمال الاستكشافية قام الرحالة الألماني (جير هارد رولف) GERHARO ROHLFS سنة 1864م. عبر خلالها من منطقة نافيالات إلى منطقة تساييت وتوات وسالي ثم عين صالح ثم ليبيا جمع أثناء الرحلة معلومات ثمينة عن المنطقة¹.

- بعد هؤلاء قام الملازم -بالا- Palat الذي وصل للمنطقة في أواخر 1303هـ - 1880م وكان يهدف إلى الوصول إلى السودان عبر عين صالح، وكان يعرف العربية فانتقل إلى تينجوارين والتقى بالشيخ بوعمامة بقصر دلدول إلا انه قتل في حاسي حتو شرق ادرار².

- بعثة فلاطر Flatter³، التي أيدت في كمين بمنطقة بئر الغرامة ولكن التوارق نصبوا له كميناً بجانب هذه البئر ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين قتل على اثرها فلاطر وبعض اعوانه ولاحقهم التوارق ففترقوا فمات البعض عطشا ولم ينجح منهم إلا القليل من الجنود الأهالي الذين رجعوا إلى ورقلة⁴.

- حاول كاميل صولي (Camille soule) أن يتم ما بداءه بالا، وغير خطة سيره فانطلق من طنجة متقمصا لشخصية عربي مسلم مسميا نفسه الحاج عبد المالك، إلا أن سكان تافيالات والساورة شكوا في أمره بسب لهجته غير الفصيحة واكتشف أمره في توات وتفطن له سكان تيدكلت وفي أواخر سنة 1888م. انتهى أمره إلى القتل بحاسي ايلغن من طرف توارق ايبانيناتن باقبلي⁵.

¹ - جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية ادرار، 1999، ص 07.

² - محمد الصالح حوتية، ال كتنة، المرجع السابق، ص 177.

³ - هو بول فلاتور قام برحلتين الأولى من ورقلة إلى الاغواط وتضم عشرة أعضاء من بينهم العقيد فلانترز قدم خلالها معلومات وافية حول المناطق التي اجتازها خاصة وادي ميزاب ثم بريان إلى ان دخل الاغواط يوم في جوان وبعد هذه الرحلة ذهب فلاتور إلى باريس حيث استقبل من طرف مصلحة الطريق الصحراوي والتي سلمت له الأموال اللازمة من اجل مواصلة الكشوفات في الشتاء المقبل أما البعثة الثانية كانت مهمتها دراسة الطريق الصحراوي وفي يوم 04 ديسمبر 1880 قامت هذه البعثة بمهمة إلى اميقدن والحقار وبعد وصولها إلى اميقدن وبئر الغرام قام الادلاء التوارق بقتل فلاتور ورفاقه مثل: روش-rouch. وقيار gier ومامسون masson

انظر إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص 423.

⁴ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع نفسه، ص 425.

⁵ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج 2، المرجع السابق، ص 436.

أما الرحالة الفرنسي كامبيو دولس (Camille Douls) الذي أراد اختراق الصحراء وتقديم أسرارها للمصالح الاستعمارية. فقد إدعى انه مسلم، وركب مع الحجيج المغرب وتجول في الأطلس الداخلي وجنوب المغرب، وبعد أن اجتاز توات ووصل إلى رقان اكتشف امره، وفي طريقه إلى اولف وقبل وصوله إلى واحات اقبلي اعدم اما من طرف التوارق وأما من طرف الدغامشة حوالي 1889م¹.

- وقبله وصل الملازم ماريسال يالات (Marcel Palat) إلى عين صالح، عن طريق المنيعة وانطلق إلى تينقوارين، ووصل إلى تينركوك عن طريق تعنطاس وتفطن السكان لجنسيته ثم توجه إلى سموطة في سبحة تينقوارين 1886م. وتوجه إلى دلودول والتقى بالشيخ بوعمامة، ثم عاد إلى عين صالح وفي الطريق قابله أولاد زنان بحاسي لاتو بين عين صالح وعين بلبال في 21 فيفري 1886م².

دوافع الاحتلال الفرنسي للمنطقة السياسية والاستراتيجية:

لقد كان لسلطات الاحتلال أسباب وأهداف سياسية جعلها تفكر في وضع الصحراء وضعية خاصة خدمة لأهدافها وطموحاتها، فقد كان الفرنسيون يتطلعون إلى الربط بين مستعمراتهم في شمال إفريقيا وغربها وهذا ما كانت تؤججه أوهام الغطسة الاستعمارية والغيرة من الأمريكيين الذين نجحوا في الربط بالسكة الحديدية ما بين المحيط الهادي والمحيط الأطلسي³.

كما أن هذا العمل يقطع الطريق أمام المغرب، الذي كان يحاول ضم المنطقة لحكمه فأرادت فرنسا أن تسبقها وحذرت سلطات فاس أنها لن تسمح بأي عمل من شأنه أن يضع المنطقة تحت سلطة العرش المغربي⁴.

وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر فقدت فرنسا منطقتي الالزاس واللورين أمام فرنسا 1870م وأرادت أن تعوض ما خسرت بضمها لأراض جديدة في إفريقيا وتأسيس إمبراطورية فرنسية

¹ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837- 1934، المرجع السابق، ص 427.

² - خثير الصائي، المرجع السابق، ص 22.

³ - التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص 11.

⁴ - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881- 1912، المرجع السابق، ص 107.

جديدة نظرا لان ألمانيا كانت منشغلة بوحدتها الداخلية بينما كانت كندا وراء تدعيم تجارتها في كندا وأستراليا وبعد مؤتمر برلين 1870م مدت فرنسا نفوذها على نهر النيجر، وأعلنت الحماية عليه¹.

كما أرادت فرنسا أن يجعل من الصحراء الجزائرية كورقة لإغراء أوروبا وإفريقيا انطلاقا من لغة المصالح باعتبار الصحراء الجزائرية ومنطقة توات تتوسط الطريق من أوروبا إلى إفريقيا جنوب الصحراء، وان وجود فرنسا يمنح امتيازات للدول الإفريقية والاستفادة من خيراتها كما فعلت مع تونس في قضية ايجلي². ونفس الطريقة استعملتها مع الشركات الأوروبية بمنحها تراخيص في الصحراء الجزائرية من أجل أن تكسبها إلى جانبها، وبالتالي استعمال أوراق اقتصادية للحصول على دعم سياسي³.

أرادت فرنسا السيطرة على تمبكتو، كما جاء في تخطيط "جون كاميون الوالي العام للجزائر 1891م-1897م. الذي كان يسعى إلى احتلال منطقة عين صالح لكونها نقطة عبور نحو تمبكتو ونهر النيجر، وقد استولى الفرنسيون على الطرق المؤدية إلى عين صالح لكنهم استحيوا خوفا من ردة فعل المغاربة والايطاليين وفي الأخير استولت وحدة فرنسية على تمبكتو سنة 1894م. وكان لسقوطها في يد الفرنسيين تأثير عميق في نفوس المسلمين لكونها بلد ذائع الصيت في العالم الإسلامي، وأصبحت فرنسا تبحث في الاستيلاء على المناطق والطرق المؤدية لها وبالتالي احتلال بقية المناطق الصحراوية⁴.

الاقتصادية: تحتل منطقة توات موقعا استراتيجيا مهما باعتبارها نقطة التقاء العديد من الطرق التجارية من الشرق نحو الغرب ومن الشمال نحو الجنوب، مما أهلها لان تكون موقعا جيو استراتيجيا مهم.

لعبت الأحداث التاريخية دورا مهما في الأهمية الاقتصادية للمنطقة نتيجة للأحداث التي شهدتها منطقة المغرب العربي بعد قيام دولة المرابطين في النصف الثاني من القرن 11م، وانحيار مملكة غانا ومن

¹ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج2، المرجع السابق، ص450.

² - قضية ايجلي: هي اتفاقية فرنسية تونسية تقضي بتمرير أنبوب لنقل البترول الجزائري عبر الأراضي التونسية. انظر: عبد الله مقلاتي: العلاقات الجزائرية الإفريقية إبان الثورة التحريرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص249.

³ - محمد الميلي، المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامع الشعوب، دار الكلمة بيروت، 1983، ط2، ص68.

⁴ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج2، المرجع السابق، ص462.

ثم انخيار طرق التجارة الصحراوية بين مراكش وغانا، وظهور إمبراطورية مالي القوية وبالتالي أصبحت القوافل التجارية من وإلى تمبكتو وبروتو وجي تسلك الطرق المؤدية إلى توات¹.

هذا الموقع الاستراتيجي الهام لمنطقة توات تجلي من خلال الطرق التجارية التي تتفرع من توات وتنطلق نحو الشمال والجنوب، وتفرعت الطرق الشمالية إلى ثلاث طرق الأولى الشمالي الشرقي نحو المنيعه وغرداية والشرق الجزائري وغات وغدامس وطرابلس وجنوب تونس. والثاني الوسط الشمالي فكان ينطلق من قصر أولاد عيسى ويخترق العرق الغربي الكبير حتى يصل إلى مجرى وادي الناموس، وهذا الطريق كانت تستعمله قوافل عين الصفراء وافلو وسعيدة. والطريق الثالث فهو الشمال الغربي وكان يتبع مجرى وادي الساورة وسلكه القوافل المتجهة إلى الغرب الجزائري وأسواق سجلمانة وتافيلات ومراكش وفاس بالمغرب. أما الاتجاه الجنوبي فكان يربط توات بأسواق السودان الغربي نحو أرض قبائل التوارق وتمبكتو².

وبذلك فان احتلال منطقة توات يؤمن لفرنسا مصالحها في الجنوب الوهراني وبقية مصالحها في إفريقيا الغربية، وعلى الخصوص بلاد السينيغال ومالي. وقد صرح النائب الفرنسي ايتان بما يلي: "أن الجزائر تعد من الناحية التجارية أهم زبون بالنسبة لفرنسا، بل انها محور سياسة فرنسا الإفريقية ويضيف في تعليقه: "لقد تأخرنا في ربط هذه الفضاءات الشاسعة التي تفصل بين أنحاء الجزائر وكذلك بينها وبين السودان الفرنسي وبحيرة تشاد"³.

ولم يقتصر دور توات في استقبال القوافل التجارية التي كانت تمر منها، بل كانت لها في كل عام قافلتان كبيرتان تتجهان إلى أسواق مدينة تمبكتو، وكان يجري تجمع أصحاب القوافل في ضواحي قصر "اودكار" الواقع بمقاطعة "اقبلي"⁴ التابع لمنطقة تيديكلت، وكان يشترك في هذه القوافل الكثير من التجار

¹ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 89.

² - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 90.

³ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 480.

⁴ - اقبلي: هي من بلدية من بلديات دائرة أولف الأربعة وأم قصورها: ساهل اركشاش. المنصور زاوية أبي نعامة. انظر محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، المرجع السابق، ص 66.

من المناطق الأخرى. وكان التجار التواتيون يستأجرون الوسطاء للسير بتجارقتهم، ولعب أولاد دزنان دورا مهما بعملهم كأدلاء للطرق الصحراوية الوعرة¹.

وتسلك القافلة التواتية أراضي التوارق قاطعة مسافة 1300 كلم حوالي 3 أشهر، تستبدل خلالها السلع المعروضة في أسواق تمبكتو وكانت هذه القوافل تدفع إتاوة مالية لمشايخ التوارق نظير المرور بأراضيهم تعرف بحق الطريق، وعند دخولها للإقليم تدفع إتاوة جمركية على ما تحمله من سلع الجنوب النادرة².

وأصبحت منطقة توات سوقا هاما لرواج مادة الذهب نتيجة لعلاقتها مع السودان الغربي الذي كان يعتبر المصدر الأول للذهب عبر التاريخ، وحاولت فرنسا جاهدة تنشيط التجارة مع توات في البداية نظرا للمقاطعة التي كانت تتلقاها فرنسا مع المنطقة فعمدت إلى تأمين الطرق للقوافل بين الشمال والجنوب وتخفيض أثمان البضائع وتسهيل المواصلات وتوفير المواد الضرورية التي كانوا بحاجة إليها خاصة المواد الغذائية كالقمح والشعير والصوف. وفي سنة 1886م أسست فرنسا لجنة خاصة بتنظيم وتطوير وتنمية تجارة القوافل ما بين أسواق الشمال وأسواق توات وذلك لصرفها عن اتجاهها الأصلي نحو سجلماسة ومراكش وفاس، وجذبها نحو الأسواق الفرنسية بالجزائر حيث نمت هذه التجارة بين القبائل الجزائرية وأسواق توات نموا سريعا وضخما³.

وعمدت فرنسا إلى السيطرة على المنطقة من اجل الاستيلاء على خبرات إفريقيا من جهة، واستغلال الصحراء كسوق لمنتجاتها من جهة أخرى، وفي هذا الصدد يقول "المارشال سولت": (Soul)⁴ الذي كان آنذاك وزيرا للحربية: "... أن الصحراء الجزائرية في هذه الفترة يمكن اعتبارها أهم مركز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الشمال الإفريقي من جهة والصحراء الجزائرية وإفريقيا السوداء من جهة أخرى... " ويصب التقرير الذي أرسله الوالي العام بيجو "Bugeaud"⁵ إلى

¹ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 91.

² - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 91.

³ - مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص ص 83-84.

⁴ - المرشال سولت

⁵ - الوالي العام بيجو

المارشال سولت في نفس الاتجاه وفيه يقول: "...وسيطرتنا على هذه المناطق ستفتح لنا آفاق واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية...".¹

ويتضح لنا مما سبق أن منطقة توات كانت بوابة نحو إفريقيا الغربية بسيطرة فرنسا على المنطقة اقتصاديا واحتكار تجارتها، وبالتالي تحقيق الأهداف الاقتصادية في سياسة السيطرة الامبريالية على الدول.

بالإضافة إلى أنه كان مركزا لإنتاج العديد من المحاصيل التي تزيد عن حاجاته وكان منتجا للتبغ والحناء، وبعض المحاصيل الزراعية الأخرى كالقمح والشعير، لكن بكميات قليلة لا تكفي حاجياته وكانت قصور إقليم توات ومدنه مركزا لبعض الصناعات والحرف كنسيج البرانس والحيك وغيرها من المنتجات التي كانت تلقى رواجاً كبيراً في الإقليم.²

وتبين أن منطقة توات تحتوي على كميات كبيرة من معدن الحديد وهذا من خلال ما استكشفه المستكشفون والمغامرون ومنهم: "سولييه". كما لاحظ "فور" (Four) عند اجتيازه المنطقة التواتية عدة أحجار حمراء من أصل معدن الحديد كما يتوقع وجود معدن أكسيد المنغنيز في حمادة المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر وكذلك في بعض المناطق من هضبة تادمايت، وكذا النحاس والرصاص والزنك، أما الائتمون فهو موجود من القديم ويستخدمه السكان كمادة لتزيين العين ويسمى الكحل³، إضافة إلى الفحم الحجري التي اكتشفها الأستاذ "فلاموت" (Flamand)، إضافة إلى الكبريت الذي يستعمل في المنطقة لمداواة جلود الجمال المريضة كما يستعمل لصناعة البارود في المنطقة.⁴

ويتضح مما سبق أن منطقة توات لها أهميتها الإستراتيجية الاقتصادية. فهي تذخر بمقومات طبيعية زراعية ومعدنية، وهي بوابتها لاستكمال توسعها في منطقة الساحل الصحراوي والمغرب الأقصى وبالتالي السيطرة الاقتصادية على هذه المنطقة.

¹ - التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص 23-24.

² - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص 45.

³ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 71-73.

⁴ - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري. المرجع السابق، ص 84.

ترسيخا لذلك اهتمت فرنسا بوضع شبكة مواصلات حديدية وأسلاك الهاتف لتسهيل التنقل للقوات العسكرية. ومن المشاريع ما قام به "كاني" (KANI) الذي اقترح سنة 1853م مد خط حديدي يربط العاصمة ببوسعادة، ويمتد على ورقلة وعين صالح إلى مدينة تمنراست. وإنشاء مراكز عسكرية خاصة في المناطق الإستراتيجية الرئيسية تتحكم في مرور القوافل التجارية من جهة، وتضمن الأمن للمعمرين وتسمح بالتصدي لمقاومة سكان الصحراء من جهة أخرى¹.

كما عرفت منطقة توات بممارسة العديد من الحرف والصناعات اليدوية مثل التجارة والحداة والصناعة الجلدية والمحافظ والأحذية والسروج أما صناعة الحلي من الذهب والفضة فقد اختص بها اليهود الذين كانوا يشترون الذهب الخام من القوافل القادمة من أسواق السودان وكانت النساء تقوم بأعمال الغزل والنسج في البيوت وقد اشتهرت مقاطعة تينركوك بهذا العمل وخاصة الأنشطة التي كان يطلق عليها اسم "الدكاني"، التي كانت تصنع أيضا بقصور تيمي وبودة وقد انتشرت في المنطقة تربية أعداد قليلة من الأغنام من نوع ما يعرف بـ "الدمان"، إلى جانب الحمير والخيل والإبل. أما الأبقار فكانت شبه معدومة نظرا لعدم توفر المراعي بالإضافة إلى الأخشاب من الأشجار البلبال والطلحة الموجودة بجواني الأودية لتحضير الفحم النباتي وتمكن التواتين من استخراج الجير وملح البارود وملح الطعام وصناعة الفخار من الطين.

بيان القوافل التجارية سنة 1899-1900

- قافلة عمور عين الصفراء وحميان ودائرة المشربة.
- قافلة ملحقة سعيدة.
- قافلة أولاد سيدي الشيخ.
- قافلة الطرافي.

وأهم السلع والأمتعة التي حملتها هذه القوافل إلى قورارة: "الدرهم-الضأن-السمن-الجبين-الصوف-الدقيق-القمح-القول-الشعير-الزيت-الشحم-الصابون-الشمع-القهوة-القماش-السكر-الفلفل الاكحل".

¹ - التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص25.

مقابل تمر الحميرة، تيناصر، دقازة، دقلة نور، الأطباق، النوايل، الحناء،....¹

خط سكة الحديد

لقد كان الفرنسيون يتطلعون إلى ربط إمبراطوريتهم المترامية الأطراف في غرب إفريقيا وربط تمبكتو بباريس في خط سكة حديدية يمر عبر توات احد الأهداف التي هلل لها الفرنسيون في طريق سكة حديدية تصل باريس بتمبكتو في ظرف أسبوع واحد.²

وقد جاءت هذه الفكرة في إطار التنافس الاستعماري كالحظ العابر لكندا (Candian Pacific) الذي أنجز ما بين 1878م 1886م، على مسافة أربعة آلاف وسبعمائة كيلومتر. والخط العابر لسبيريا ما بين 1891م-1898م على مسافة سبعمائة ألف وخمسمائة كلم. وغيرها وتبلور هذا المشروع في إطار هذا التنافس.³

وكان هدف فرنسا من هذا الخط تسهل عمليات التوسع العسكري وربط مستعمراتهم في شمال وغرب إفريقيا، وربطها ببعضها وجعل منها إمبراطورية متصلة مع بعضها وفتح الباب واسعا أمام تجارة نحو السودان، وبالتالي السيطرة على الطرق التجارية وعائداتها الاقتصادية المهمة نحو السودان الغربي.⁴

وتعود جذور التفكير في هذا الخط إلى المهندس: دي بونشال (De Paponchel) الذي قدم الدراسات الأولى للمشروع وأشار فيها إلى الأهمية الإستراتيجية للمشروع اقتصاديا وسياسيا وعسكريا للتوغل نحو السودان الغربي، ومنافسة خط انكلترا من الكاب إلى القاهرة، كما قدم إلى الجزائر وقام بتقديم دراسة حول الصحراء والسودان ونشرها في كتاب سنة 1878م. وهكذا بدأت التحضيرات بتكوين لجنة تحضيرية لمعرفة أرضية المشروع، حيث قدم وزير الأشغال العمومية دي فرايسنيه (De Freycinet) تقريره يوم 12 جويلية 1879م أكد فيه أهمية الخط للتوغل نحو دول الساحل الصحراوي والسيطرة على التجارة في غرب إفريقيا.⁵

¹ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 139-153.

² - التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص 17.

³ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص 437

⁴ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ثورات القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة 2009، ص 330.

⁵ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص 438.

بالإضافة إلى وزير الأشغال العمومية الفرنسي الذي اصدر مجلدا بعنوان: وثائق متعلقة بمهمة في الجنوب الجزائري والذي أكد من خلالها أهمية هذا المشروع الاستراتيجي، بالإضافة إلى السيطرة الاقتصادية والتحكم في تجارة المنطقة ربط الإمبراطورية الفرنسية في فرنسا والقضاء على ثورة أولاد سيدي الشيخ التي تتخذ من منطقة توات قاعدة خلفية لها، والقضاء على تجارة القوافل التجارية العابرة للصحراء مابين المشرية وتينجوارين وورقلة وملتيلي والمنبعة إلى اقبلي وتمبكتو. كما أن لهذه السكة محطات يستفيد منها 450 قرية و500 الف ساكن، وتساهم في غرس سبعة ملايين نخلة وتختصر المسافة من عدة شهور إلى أربع أيام وقدرت الفوائد لهذا المشروع بأربعة ملايين فرنك فرنسي بالتقريب¹.

وقد عبر الوزير الفرنسي ريبو (Riboi): ضرورة إقامة هذا الخط الصحراوي نظرا لما يحققه من ثروة لفرنسا بالسيطرة على تجارة الصحراء ومنطقة توات، التي كانت لها علاقات تجارية مهمة مع السودان الغربي باعتباره المصدر الأول للذهب عبر التاريخ².

فبعد تنفيذ مشاريع السكة الحديدية بشمال الجزائر الذي انطلق منذ 1844م جاء مشروع فارنيه (Warnien) الذي ربط وهران بقسنطينة مرورا بالعاصمة، واستأنف البرنامج سنة 1857م الذي قرر إنشاء 140 كلم من الخطوط الحديدية يتضمن خط مركزي من الشرق نحو الغرب على امتداد الشريط الساحلي، ثم تتفرع منه خطوط فرعية³.

وقام كل من "وبروسلار"، و"ماج" بدراسات لمشاريع خطوط السكة الحديدية نحو الصحراء عن طريق القطارات الحديدية واهتم كل من شوازي وبارو Barou ورولان Rollan والطبيب فيجير بير H.weigerber بدراسة علمية متنوعة وطبوغرافية وجيولوجية ومائية وإحصائية ومناخية وصحية وإعلامية، لكل من مناطق الصحراء واهتم بوطي بدراسة مشاريع السكك الحديدية الصحراوية واقترح ثلاث خطوط خط غربي من وهران إلى توات والنيجر وخط شرقي من سكيكدة إلى بسكرة وتشاد وخط في الوسط من الوسط من الجزائر إلى البرواقية وتشاد⁴.

¹ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج2، المرجع السابق، ص468.

² - خثير الصائي، المرجع السابق، ص25.

³ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837- 1934، المرجع السابق، ص438.

⁴ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين-ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص335.

وقد استغرق خط السكة الحديدية ارزيو عين الصفراء عدة سنوات وعلى مسافة معتبرة كما يوضح الجدول التالي:

الجدول رقم 01: يمثل انجاز خط السكة الحديدية ارزيو عين الصفراء

المراحل	المسافة /كلم	تاريخ بداية الانجاز	المجموع
ارزيو -سعيدة	181 كلم	1979/09/28م	171
سعيدة- خلف الله	43	1881/06/01	214
خلف الله- مصاح	24	1881/06/01	238
مصاح- الخيثر	34	1881/07/01	272
الخيثر- الابيض	52	1881/12/31	324
الاييض- المشرية	29	1882/04/01	353
المشرية- عين الصفراء	102	1882/08/28	455

وروجت الدوائر الاستعمارية لان خط السكة الحديدية من شأنه النهوض بالتنمية لذلك بعد تطوير الشبكة بالشمال توزعت داخل الصحراء وقد ظهر هذا المشروع على ثلاث خطوط:

- الخط الشرقي على غدامس.

- خط الوسط من ورقلة وامقيد نحو النيجر وتشاد.

- الخط الغربي عبر توات¹.

بالرغم من التكلفة المالية المكلفة للمشروع، إلا أن العائد منه حسب التقديرات الفرنسية كان ايجابيا ويصب في مصالح فرنسا البعيدة الأمد، حيث توصلت فرنسا إلى أن حركة السلع والبضائع تصل إلى حوالي 200 ألف سنويا ما بين وهران وإقليم توات، وتحتكر فرنسا من خلاله تجارة التمر والحبوب نحو

¹ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص 439-440.

أسواق تومبكتو، مقابل الذهب والعاج وما تجنيه فرنسا من تجارة هذه المنطقة¹. وقد قدم السيد (رولون) "Rolland" مهندس المناجم حسابات حول الأرباح قدرها عشرة آلاف وخمسمائة فرنك، بينما مصاريف كل قطار يوميا إلى خمسة آلاف فرنك كما قدر السيد.

(رولون): تكلفة انجاز الكيلومتر الواحد ما بين ألف فرنك وستين ألف فقط، ورغم هذه التكلفة الباهظة إلا أن فرنسا عازمت على انجازه نظرا لأهميته الإستراتيجية له².

وقد أولت جزائر الاستقلال أهمية كبيرة لنشاط المواصلات عن طريق إعطاء أهمية للطرق البرية المعبدة، وبقي مشروع السكة الحديدية بدون انجاز وتحولت اهتمامات الدولة إلى مشاريع الطرق المعبدة لفك العزلة عن الجنوب، وأهمها طريق الوحدة الإفريقية الذي يقدر بـ2000 كلم.

الأهمية العسكرية: لقد أعطي مؤتمر الجزيرة حول المغرب لأقصى سنة 1906م سلطات واسعة للسلطات الفرنسية لمراقبة الحدود من البحر في الجنوب الوهراني، وقد كلف النقيب بول-إزان (Paul Azan) المنتدب في اللجنة التاريخية لأركان الجيش الفرنسي بسجل المعلومات الضرورية في عين المكان، كما تحدث عن دور المعمرين في تطوير المنطقة وكذلك عن مدى مؤتمر الجزيرة ل: فيقيق وقير وعن مقاومة الشيخ بوعمامة ومكانته عند الناس في المنطقة³.

وقد لخص تقرير بعثه فلاموند 1899م. إلى منطقة تيدكلت جملة من دوافع احتلال الصحراء بقوله: "من المهم من دون تأخير ربط واحة عين صالح بالجزائر العاصمة، إما عن طريق عين الصفراء أو عن طريق ورقلة وبعدها إتمام الطريق الصحراوي وصولا إلى تومبكتو وهي الوسيلة العملية الوحيدة للاستعمار، وأيضا لكي تكون هذه المنطقة ملجأ دائما لإثارة القلاقل⁴.

¹ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج2، المرجع السابق، ص469.

² - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص443-444.

³ - إبراهيم مياسي، نفسه، ص480.

⁴ - التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص22.

وقد تميز الغزو الفرنسي لغرب إفريقيا بالطابع العسكري، وقد أتاح للفرنسيين فرصاً للترقية العسكرية وكسب لألقاب، وكان همهم الوحيد هو احتلال مساحات شاسعة من الأرض بغض النظر عن أهميتها¹.

فرنسا لم تتخل عن أسلوبها العسكري العنيف في السيطرة على المنطقة فقد أقامت سنة 1891م مركزاً عسكرياً دائماً في المنطقة للتوسع نحو واحات عين صالح التي وصفها جول قابون JUEL GAMBON أنها ملجأ للثوار ولبوعمامة الذي التجأ إليها بحثاً عن المساعدة وتأليب الثوار ضدنا².

لقد كانت المنطقة امتداداً وعمقاً استراتيجياً لمقاومة الشيخ بوعمامة في الغرب الجزائري فقد لجأ إلى منطقة تينجوارين لأن هذه المنطقة ما زالت لم تدخلت تحت الاستعمار الفرنسي مما جعله في منطقة آمنة أعاد فيها ترتيب صفوفه وأحوال جيشه³.

مما سبق تتضح الأسباب الحقيقية للغزو الفرنسي للجزائر من خلال تراكم المنافع الاقتصادية وتراكم الثروات من خلال الموقع المهم لمنطقة توات الذي يتحكم في الطرق التجارية نحو تومبكتو والسيطرة على تجارة الذهب والعاج والثروات الهائلة التي تزخر بها المنطقة.

غزو منطقة توات:

لقد كان مشروع غزو منطقة توات يدخل ضمن سياق الإستراتيجية الفرنسية لتكوين إمبراطوريتها المترامية الأطراف في غرب إفريقيا، كما أن الربط بين الشمال الجزائري والممتلكات الفرنسية في غرب إفريقيا عبر توات هدفاً استراتيجياً حتى قبل ظهور مشروع السكة الحديدية سنة 1878م لربط الجزائر بتمبكتو.

وبذلك لم يكن الأقاليم بمعزل عن المشروع الفرنسي في الغرب الإفريقي، ولا مناطق الشمال الجزائري، حيث كان ملجأ لعوائل المجاهدين من أولاد سيدي الشيخ وقائد المقاومة الشيخ سيدي بوعمامة. بحكم بعده وحصانته الطبيعية وموارده الإستراتيجية الماء والتمر والجمل وسيلة الحياة الصحراوية⁴.

¹ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد: المرجع السابق، ص 453.

² - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، المرجع السابق، ص 107.

³ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج2، المرجع السابق، ص 465.

⁴ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 8.

حاول الفرنسيون احتلال فيكيك باعتبارها البوابة الرئيسية للدخول إلى منطقة توات، لكنهم تراجعوا أمام المنافسة البريطانية لاحتلال منطقة توات وقد عبر عن ذلك الحاكم الفرنسي العام في الجزائر عن حسرته اتجاه الموقف البريطاني المضاد لفرنسا حول فيكيك وتوات قائلاً: "أي لو كان المغاربة وحدهم أمامنا حبذا لو لم يكن المارد البحري الجبار يقف أمام طموحنا تجاه قلعة فيكيك التي تطل على توات¹.

المقاومة الشعبية في المنطقة ضمن ثورة أولاد سيدي الشيخ:

قامت فرنسا باستغلال النزاع المسلح مع أولاد سيدي الشيخ واستخدام بعض زعماءهم للتدخل في منطقة توات ففي الوقت الذي كان يسود الوئام بين القوات الفرنسية والفصيلة الشرقية لأولاد سيدي الشيخ، كانت تستخدمهم لمد نفوذها في المنطقة عن طريق إغرائهم بالمناصب السلطوية وعندما تسوء العلاقة تقوم بتبعضهم والقبائل المتحالفة معهم وكذا تسخير بعض شيوخ الطرق الصوفية الذين تم اغراءهم، وكذا بالضغط العسكري والوسائل المختلفة لإرغامها على عقد اتفاقيات السلم والحماية الفرنسية عليها وبالتالي تشتت قوتها حتى يتسنى لها السيطرة عليها².

وقد عملت فرنسا على استمالة أولاد سيدي الشيخ إليها عن طريق التفاوض مع السي قدور بن حمزة ونص الاتفاقية في شهر ماي 1883م على ما يلي:

1- أن تقوم فرنسا بإعادة تجديد وبناء ضريح سيدي الشيخ الذي نسقه القائد العسكري: "دي نيقري" في أوت 1881م.

2- أن تقدم فرنسا تعويضا سنويا بمبلغ ستين ألف فرنك لسي قدور وأفراد عائلته عما صدر منهم عام 1864م.

3- تعيين السي قدور على رأس قيادة كبيرة بالبيض وتعيين عدد من أفراد عائلته في مناصب أخرى تحته.

¹ - مولاي التهامي غيتاوي، لفت الانظار، المرجع السابق، ص 83-84.

² - مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 97-98.

4- يقوم السي قدور وأفراد عائلته بإقناع كل أفراد عائلته أولاد سيدي الشيخ الموجودين بالمغرب الأقصى بالعودة إلى الجزائر¹.

وكانت هذه الإجراءات تهدف إلى عزل الشيخ بوعمامة، الذي ذاع صيته وانتشرت شهرته وأطبقت الأفاق وأصبحت تشكل خطرا على فرنسا وجب التصدي له بكل الوسائل الاستعمارية الخبيثة.

لكن الشيخ بوعمامة ظهر كقوة كبيرة في جنوب الصحراء من خلال ولاء اغلب القبائل الصحراوية له، وتقدير اشراف تاقيلالت له جنوب المغرب، حتى قبائل الطوارق الذين عبروا عن الاستعداد للالتحاق بثورته وبذلك اقتنع كل من القصر العلوي والمفوضة الفرنسية بطنجة مدى قوة ونفوذ الشيخ بوعمامة، وسعى الطرفان إلى اكتسابه في حين كان يتعامل معهم باستقلالية وحرية واضحة، من خلال معاملاته ومراسلاته مع الحكام العسكريين المباشرين وذلك من خلال دوره في المناوشات التي جرت بين الفرنسيين والجزائريين في نخيلة في 05 جويلية 1903م. وفي الهجوم الواسع على مركز تاغيت بجبل بشار، وتنظيم حملات الساهلة والمطارفة واوقروت وشروين وتيميمون... إلى آخر المعارك التي حرض عليها وخاضها².

ويتضح مما سبق أن الشيخ بوعمامة قد أصبح زعيما ثوريا دون منازع في هذه المناطق الشاسعة، استفاد من ارثه العائلي وزعامته القبلية في إرساء دعائم مقاومة لا تساوم الاستعمار.

أعاد الشيخ بوعمامة تنظيم مقاومته في إقليم تيجوارين، نظرا لان هذه المنطقة لم تدخل بعد تحت الاحتلال الفرنسي. ولوجود بعض القبائل والقصور التي لا تنتمي إلى أولاد سيدي الشيخ، وأثناء إقامته بقصر دلدول 1892م-1310هـ/1897م-1315هـ اتخذ من هذا القصر قاعدة لتجميع قواته وتنظيم صفوفه، فقد توجه إلى طلمين والمطارفة لكسب التأييد والمؤازرة وفقارة الزوى بعين صالح التي ينتمي سكانها إلى أولاد سيدي بوحفص وتعتبر منطقة التقاء بين سكان عين صالح والمنيعة³.

¹ - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881 - 1912، المرجع السابق، ص 103.

² - جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 09.

³ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج 2، المرجع السابق، ص ص 465-466.

بداية الاحتلال: بعد نجاح الجنرال توماسين Tomassin في مصالحة أولاد سيدي الشيخ حتى يستريح من مقاومة هذه العائلة والتفرع للتغلغل نحو داخل الصحراء، عملت فرنسا على انتهاز نظام المكاتب العربية ضمن الحكم العسكري وإعطاء السكان المحليين نوعا من الحكم الذاتي حتى تعتمد عليهم في التوسع في باقي أنحاء الصحراء، وتكوين منهم قوة تمتاز بسرعة الحركة وحسن التنظيم وقوة الأسلحة والدعم المادي لتتخذ منهم وسيلة للتوسع في باقي مناطق الصحراء¹.

وهكذا انتهجت فرنسا الطرق السلمية الهادئة لاحتلال الصحراء وذلك بإقامة المؤسسات الاقتصادية والمراكز التجارية حتى تدخل هذه المنطقة في تبعية للاستعمار الفرنسي، لكن لم تتخلى فرنسا عن أسلوبها العنيف في السيطرة من خلال انشاء الحصون والمراكز والقلاع للسيطرة على مناطق الجنوب الجزائري².

اهتمت فرنسا بالجانب الاقتصادي للمنطقة لربطها عضويا بفرنسا، من خلال المساعدات التي تلقتها من مجلس النواب الفرنسي وهذا بعد أن ألحقت ميزان سلطتها وإيصال الخط الحديدي إلى عين الصفراء، كما عملت على شق الطرق وإقامة الجسور فقد قرر الجنرال "ليبك" في شهر مارس 1885م إقامة مركز محصن بجنان بورزق، من اجل حماية الاتصالات بين عين الصفراء وفريق ومراقبة الواحات المغربية كما ربطت عين الصفراء بالخط الحديدي عام 1887م وبناء حصن المنيعه عام 1888م من اجل مراقبة تحركات الشيخ بوعمامة³.

وهكذا فإن فرنسا اعتمدت الأسلوب العنيف للسيطرة على حق الصحراء من خلال بناء الحصون في المنيعه مثل حصن ماريبال (Fort Miribel) في حاسي نتباية جنوب المنيعه على طريق عين صالح. وحصن ما كما هون (Fort Mac-Mahon) غرب المنيعه في وادي مقيدن، حيث لعبت هذه الحصون دورا هاما للتوسع الاستعماري في الجنوب الغربي الجزائري كما نقل مركز دائرة أقصى الجنوب من غرداية إلى المنيعه، وتم احتلال الأبيض

¹ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 454-455.

² - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 2، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر، ط 2011، ص 5.

³ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 455.

سيدي الشيخ وجنان بوزرق وهما عبارة عن مراكز إستراتيجية للمراقبة في الأطلس الصحراوي.

ويتبين لنا مما سبق أن فرنسا كانت تخطوا خطوات ثابتة لتحقيق هدفها للسيطرة على منطقة توات لما تشكله من تهديد باعتبارها عمقا استراتيجيا للمقاومة الشعبية وحلقت وصل لمستعمراتها في غرب القارة الإفريقية، وهذا ما يبين البعد الاستراتيجي لمنطقة توات كحلقة وصل لحلم فرنسا في تكوين إمبراطوريتها في إفريقيا هذا إضافة إلى ثرواتها ومواردها الاقتصادية.

رد فعل أهل توات على هذه التهديدات:

تصدى سكان منطقة توات لطلائع الاجتماع الفرنسي لاحتلال المنطقة في البداية عن طريق المقاطعة، لكنها فشلت نظرا لظروف القحط والمجاعة التي كانت تصيب المنطقة، فبين سنة 1854م 1860م أصيبت المنطقة بثلاث سنوات من القحط فكان الفرنسيون يسيرون القوافل التجارية المحملة بمختلف المواد التوينية. فلجأ سكان المنطقة إلى عقد التحالفات مثل: تحالف الغنامة مع تامريزت وتادماين بتوات سنة 1870م اثر وصول حملة قامقن إلى وادي كير، وتحالف دوي منيع والعوابد والبربوشيين 1871م، وبين دوي منيع وزاوية سيد البكري والغنامة 1877م، وتحالف بين سي الحبيب وسي احمد ولد سي المختار الجديدي من تامست، والشيخ يعقوب بن علال من الغنامة.

في 26 أكتوبر 1878م والتحالف بين أهالي يتيمة والبرابر ضد أي خطر سنة 1883م، وتحالف بين المحاميد وبودة سنة 1887م، أي يعد مقتل -بالا- والتهديد الذي نتج عن ذلك وغيرها من الأحلاف الكثيرة التي وقعت بين سكان الواحات والقصور والقبائل¹.

يتبين مما سبق وعي سكان منطقة توات بالخطر الذي يشكله الاستعمار الفرنسي للمنطقة حيث تجنبوا معهم ربط أي علاقات تجارية أو اتصالات حتى لا يعطوهم ذريعة للتدخل في المنطقة، رغم

¹ - التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 125-126.

حالة الجفاف والجوع والجذب التي كانت تعاني منه المنطقة، هذه المقاومة التي لم تصمد طويلا أمام المحاولات الفرنسية الرامية إلى احتلال المنطقة بالأساليب السلمية الهادئة بالإضافة إلى أسلوب العنف.

الاحتلال الفرنسي لمنطقة توات: لقد كان الصراع على أشده بين القوتين الاستعماريتين

التقليديتين فرنسا وبريطانيا، وهذا ما يجسده اتفاق 05 غشت 1890م بينها. حيث تم بموجبه تنازل فرنسا لبريطانيا عن حقوقها في وادي النيل. بينما اعترفت بريطانيا لفرنسا بموجب الفصل الثاني من الاتفاق بمنطقة نفوذ فرنسا جنوب ممتلكاتها المتوسطة لغاية خط ساي الواقع على النيجر في باروو على بحيرة تشاد، وتم حل قضية النيل والنيجر التي قال عنها الوزير البريطاني جورج جوليدي: "أن قضية النيل والنيجر غير منفصلة فهما وجهان لقضية واحدة" بالإضافة إلى اتفاق 21 مارس 1899م بين فرنسا وإسبانيا وروسيا حول النيل الأعلى في مصر وتوات وهو الاتفاق على أكد على اتفاق 05 غشت 1890م وبذلك بدأت الإجراءات الفرنسية الفعلية لاحتلال توات¹.

بوصول الحاكم العام الجديد للجزائر السيد: لافريار (Lafferriere) أظهر اهتماما متزايدا للسيطرة على منطقة توات والتوسع في الجنوب الجزائري ومنطقة توات وعمل على إزالة كل العراقيل لإتمام هذا المشروع الهام بالنسبة لفرنسا².

احتلال عين صالح: أخذت بعثة الأستاذ فلامون إلى عين صالح في البداية طابعا علميا، لكنها سرعان

ما تحولت إلى طابع استعماري. حيث فتحت آفاقا واسعة أمام التوسع الاستعماري في منطقة توات.

انطلقت البعثة في خريف 1899م، وأخذت طابعا علميا لاكتشاف منطقة تادمايت والتعرف على أحوالها الجيولوجية. والثانية وإمكانيات مياهها الجوفية سرعان ما تحولت إلى حملة عسكرية شرسة أشرفت عليها وزارة المعارف العمومية والمستعمرات ودعمتها الحكومة بميزانية خاصة اثر طلب الوالي العام لافريار "La Ferriere" كما أمرت السلطات من النقيب بان الذي كان يرأس المكتب العربي بورقلة

¹ - التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 128-144.

² - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص 108.

بحماية البعثة. كما انضم إليهم مقدم القادرية بورقلة، وكلف وزير الحرب جرمان "Germain" بالتحرك مع فرقة الصبايحية الصحراوية لحمايتهم وقت الحاجة¹.

وهذا ما يفسر تمركزها في البداية في منطقة الشباية، وهي منطقة إستراتيجية تسيطر على العديد من الطرق الهامة بين مدينتي عين صالح والمنيعة منذ 1883م. وهي تربط الطريق الرابط بين المنيعة وعين صالح واينغر وورقلة وتيميمون عن طريق حاسي لحرر وتساييت وادرار وامبلبال - كما تربط زاوية سيدي موسى واليزي وجانت وسيدي عبد الحاكم والقطارة، حيث أقام بها برامج مراقبة وحراسة وجمع معلومات بمركز الشباية والقطارة ومركز سيدي عبد الحاكم². وشرعت في تنظيم حركة الاستطلاع منذ 1885م في شكل بعثات علمية لدراسة أحوال المنطقة ووضع الناس³.

استفادت الحملة العسكرية من رحلة فلاثيرز التي سلكها سنة 1880م. حيث انتقلت الحملة من حاسي اينفل 1899/02/09م، إلى حاسي سوفي 1899/12/15م، ومنه إلى حاسي المقر ثم رق اجماز ووادي مسين، وفي 26 ديسمبر وصلت إلى فقارة الزوى ثم واحة ايقسطن⁴.

قاوم أهالي عين صالح هذه الحملة بعدما اكتشفوا نواياها المسبقة ضد المنطقة بقيادة الحاج المهدي ابا جودا رئيس قبيلة أولاد ابا جودا، وذلك بهجوم مفاجئ عليها يوم 28 ديسمبر 1899م. في الصباح الباكر بقوة تتكون من 1200 مجاهد استمرت حتى العاشرة صباحا، استشهد على إثرها الحاج المهدي ابا جودا، وفشل الهجوم وسيطر النقيب "جان" على الوضع خاصة بعد تدعيم قوته بفرقة الصبايحية بقيادة النقيب جرمان ودخلت القصر الكبير واستقرت بقصبتها لتواصل طريقها إلى عين صالح⁵.

لقد كانت معركة اقسطن تمثل رد الفعل الطبيعي لسكان المنطقة في رفض الاستعمار والاستبعاد الأجنبي واستجابة لنداء الدين والحماية للعرض والأرض ومثلت روح التضحية لسكان المنطقة لكن عدم التكافؤ في العدة والعتاد والتنظيم وتفوق السلاح الفرنسي جعل المعركة في صالحه، لكنه لم يربح الحرب

¹ - إبراهيم مياسي، التوسع الاستعماري الفرنسي في الصحراء الجزائرية سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الايبان الجزائر.

² - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 2، ص 6.

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 12.

⁴ - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 460.

⁵ - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص 109.

بدليل أن المقاومة تجددت والرفض تواصل. وبهذا استقبل "فلامون" استقبال الإبطال من طرف السلطات المحلية والوالي العام وقدم عرضه حول نتائج دراسته الجيولوجية والجغرافية والفيزيائية والفلكية والإمكانات الاقتصادية.

للمنطقة والشعوب المجاورة لها ونشرت أبحاثه من طرف لجنة إفريقيا الفرنسية لسنة 1900م معلومات غزيرة حول هذه المرحلة¹.

معركة الدغامشة: يعد سيطرة القوات الفرنسية على اقسطن والقصر الكبير، تجمع ما تبقى من مقاومي المنطقة للوقوف في وجه هذه الهجمة الاستعمارية فتجمع حوالي 800 مجاهد غرب قصر الدغامشة بالبركة يوم 04 جانفي 1900م. وهنا حدث الاختلاف حول مباغته العدو أو مقابلته مباشرة². وبدأ النظام تحت قيادة الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس³. وبلغ العدد تقريبا حوالي 1300، مجاهد وانضم إلى المقاتلين من عين صالح وأولف واينغر المجاهدين من توات ورقان والهبله. ودخل بينهم جواسيس استرقوا السمع وبلغت القوات الفرنسية استعدادهم وخططهم ونصبوا لهم كمينا بالكثبان الرملية جنوب غرب عين صالح، وبعد وصول المجاهدين لأرض مكشوفة لاجبال فيها ولا شجر (الدغامشة مما سهل مهمة العدو الذي كان بانتظارهم، ورماهم بغزارة نيرانهم ورغم ذلك استمرت المعركة طوال النهار وانكسر المجاهدين نتيجة الغدر والعمالة⁴.

وقد بقيت جثث هؤلاء الشهداء على حالها دون أن تتغير بعدما عرّتها الرياح فلم تأكلها الأرض لعشرات السنين. وقد قامت بلدية عين صالح بإعادة الاعتبار لهذه المقبرة وإعادة توريثهم التراب.

معركة اينغر: اصدر الوالي العام تعليماته إلى الرائد "بو مقارتن" باحتلال عين غار غرب عين صالح، حيث كلف ملازمه (كلوستر) "Claustre" بالسير إلى عين غار على رأس مائة جندي للتعرف على هذه الواحات فغادر عين صالح يوم 21 مارس 1900م. ودخل إلى عين غار بدون مقاومة تذكر،

¹ - إبراهيم مياسي، سلسلة الملتقيات، المرجع السابق، ص 230

² - تواتي دحمان وآخرون:، المرجع السابق، ص 13.

³ - مولاي عبد الله بن مولاي العباس: ولد 1254هـ-1833م، في قرية انتهنة تلقى مبادئ وعلمه في زاوية جده مولاي عبد الملك الرقاني، أسس دار المكاحلية وجهزها بأدوات البارود في منطقة أولف، قاد معركة الدغامشة ضد الاستعمار في 01 جانفي 1900، التي استشهد فيها، انظر: عبد الله سماعيل، دور الزاوية الرقانية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح، البعد الروحي، المرجع السابق، ص 110-112.

⁴ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 2، المرجع السابق، ص 10.

فسارع الرائد بومقارتن باللحاق به مع كوكبة من الجنود الصبايحية ومائة جندي ومائة وعشرين من القوم، وترك وراءه في عين صالح قوة صغيرة متكونة من الملازم (جون) "Jean" مع ثلاثين جنديا وثلاثين من القوم ورفض أهالي المنطقة رسائل الاستسلام التي أرسلتها القوات الاستعمارية في 31 جانفي 1900م.

وبذلك شرعت القوات الفرنسية في الهجوم، لكنها تلقت أوامر بان لا تحاصر أي قصر من القصور والتراجع إلى عين صالح وهذه التعليقات صدرت عن وزير الحربية نفسه والتي كانت ضد رغبة الوالي العام الذي كان يريد أن يحتل كل منطقة بتديكلت بكل سرعة قبل أن تتلقى المساعدة من المغرب الأقصى، لكن الوزير أراد دراسة المنطقة دراسة مستفيضة ليتم احتلال تيديكلت وتوات على مراحل¹.

وتم احتلال إيغلي بواسطة (بروتون) "Bertrand" الذي غادر زوبييه دوفيرييه يوم 25 مارس 1900م وانحدر مع وادي زوزفاته، حيث دخل إلى إيغلي دون حوادث تذكر ودخلها يوم 05 افريل على رأس قوة كبيرة تتكون من 1775 رجلا وخمسة وسبعين ضابطا².

وفي نفس الوقت أجهت قوة هائلة بقيادة العقيد وا eu إلى عين غار التي كانت قد استعدت للمواجهة تحت قيادة الباشا إدريس الذي جاء لتنظيم المقاومة من طرف العرش المغربي³، وأمام هذا الهجوم الوحشي بواسطة الأسلحة والمدافع الثقيلة التي دكت حصون الطوب والقصور يوم 19 مارس 1900م. اضطر المقاومون إلى التراجع والاحتماء بقصبة أولاد حادقة والمسجد وقصبة أولاد احمد جلول، وقتل الفرنسيون الكثير من الرجال والنساء والأطفال والمواشي واضطر الأهالي للتسليم للقوات الفرنسية وأخذت الباشا كأسير إلى عين صالح وكان شيخا طاعنا في السن ذي لحية بيضاء وعليه علامات الوقار والاحترام⁴، وقد كلفت هذه المعركة 500 شهيد و600 جريح من المجاهدين، مقابل 11 قتيلا و44 جريحا فرنسيا⁵.

¹ - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص111.

² - إبراهيم مياسي، سلسلة الملتقيات، المرجع السابق، ص232.

³ - إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص112.

⁴ - إبراهيم مياسي، سلسلة الملتقيات: المرجع السابق، ص232.

⁵ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 2، المرجع السابق، ص12.

وهذا ما يوضح استماتة المجاهدين في الدفاع عن وطنهم ورفضهم للاستعمار وانتهاج أسلوب المقاومة، كما يبين الهمجية الاستعمارية التي تقوم على الإبادة ودفن المواطنين أحياء تحت القصور بأبنائهم ومواشيهم باستعمال الحرب التدميرية القائمة على الإبادة الجماعية.

توجهت بعد ذلك القوات الفرنسية إلى تيط التي دخلها في 23 مارس. وبعد يومين سقطت اقبلي وأولف تحت صدمة الأهالي من المذابح الاستعمارية المريعة، وهكذا وقعت منطقة تيديكلت في يد الاستعمار الفرنسي¹. وقد خلفت معركة اينغر أثارا هاما في الذاكرة الجماعية للمنطقة حيث خلدت البطولات وروح الجهاد والمقاومة والزود عن الأرض والعرض من خلال ما كتبه الشعراء في هذا المجال. ومنها ما نظمه الشاعر حمزة بن الحاج مُجَّد (1843-1915) من اقبلي قصيدة يشيد فيها بطولات المجاهدين قائلا:

جزآهم الله عنا الخير اجمعه شريفهم مرابطا وعربانا

ثم يذكر في مؤازرة القصور الأخرى من توات وغيرها

تالله لولاهم أضحت تيديكلت بل توات كل خلاف بينهم تبارنا

فثبتوا الناس ثبت الإله قلوبهم على الدين دنيانا وأخرانا

ويصف خسائر العدو:

ستا وخمسين أهدهوها إلى سقر موتى يلقون في الجحيم خسارنا²

فتحت انتصارات فرنسا الباب أمام التوسعات الاستعمارية الفرنسية في منطقة توات، حيث غبر الجنرال "سيير فيير" إلى رقان آخر واحة في أقصى جنوب توات يوم 1900/07/23م وانطلق شمالا إلى عاصمة الولاية التي وصلها في 1900/07/30م³.

وفي شهر مارس 1900م توجه فيلقان عسكريان من الجيش الفرنسي نحو توات.

¹ - تواتي دهمان وآخرون، المرجع السابق، ص15.

² - مجموعة من الأساندة. إطلالة حول أدب المقاومة بالجنوب الغربي الجزائري، مجلة أفاق للتنمية في ادرار، 1987م، العدد2، ص 17-18.

³ - التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص58.

الفيلق الأول توجه عبر الطريق الشرقي عبر وادي ناموس في اتجاه عين صالح لتدعيم الاستقرار فيها نهائيا.

الفيلق الثاني: اخذ اتجاه ايكلي عبر مركز "دوفيربي" الموجود بضواحي فيكيك وكان تحت إشراف العقيد "بيرتر اندو من 1773م جنديا و53 ضابطا و2500 حمل في 5 افريل 1900م. احتل قصر ايكلي وسيطر على المركز الجغرافي الذي يلتقي فيه وادي كير بوادي الساورة ذلك انه كان ضروريا لتأمين عين صالح وفصل توات عن المغرب وفصلها عن الشمال لقطع كل أشكال التواصل والدعم عن المقاومة، واستمرت الحملات على الإقليم احدها بقيادة الضابط "مينستريل" من وادي مقيدن إلى تيميمون وأخرى بقيادة الضابط le tulle من مركز الأبيض سيدي الشيخ والتقتا في قصر تعنطاس في 17 ماي ووجهها الاحتلال بتيميمون¹.

احتلال تيخوارين:

كان العنف هو الطابع العام للغزو الفرنسي لمنطقة توات، فقد زحفت القوات الفرنسية على المنطقة بكل وحشية واستطاع سكان تيميمون في البداية وقف زحف هذا الجيش لكن وصله المدد على جناح السرعة من البيض رجع كفة الفرنسيين واستطاعت ان تدخل عاصمة المقاطعة تيميمون في 12 ماي 1900م. ومع ذلك لم ندخل كل قصور المنطقة تحت السيطرة لذا استمر الضابط "مينسترال" في إخضاع بقية القصور المتناثرة في المنطقة².

معركة المطارفة: 30 أوت 1900م لقد طبق سكان المطارفة إستراتيجية عسكرية استفادة من عين صالح، حيث اخلا السكان القصور لتجنب الخسائر المادية والبشرية خاصة بين النساء والشيوخ، وعطلوا بذلك الدور الفعال للمدفعية وكبدو العدو خسائر فادحة اجبروه في مرة على دفع خسائر باهظة والتراجع في عدة معارك وكانت الكثبان الرملية عاملا مساعدا لرسم خطط الانتصار³.

¹ - التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 146.

² - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص 482.

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 17.

معركة شروين:

28 فيفري 1901م لقد كان الصمود اينغر والمطارفة في وجه الهجمة الاستعمارية تأثير سلبي على الجيش الفرنسي كما اهتز له القائد العام لناحية الجزائر الجنرال "سرفيار" بعد الهجمات المتكررة والمنظمة من طرف قبائل الشعابنة والغنامة والحنافسة والمحارزة على المركز العسكري بتيميمون، حيث حوصر الجيش الفرنسي بين الكثبان الرملية من طرف قوات المجاهدين الذين نصبوا له كميناً محكماً وخاصة بعد انضمام أهل تلمين، حيث كبد الاستعمار خسائر مهمة منها مصرع الضابط RAMILLON ومُجَّد الطيب نائب الطريقة القادرية بورقلة الذي كان يقود الفيلق الغربي¹.

حركة تلمين: بعد احتلال شروين توجهت القوات الفرنسية نحو تلمين في 06 مارس 1901م التي كان سكانها يستعدون للمعركة وفي 09 مارس كانت المعركة التي استبسل فيها السكان ضد المستعمر لكن قوة السلاح كانت عاملاً فاصلاً في تحديد نتيجة المعارك وسقطت تلمين وقد فرض الجنرال "سرفار" نفس شروط شروين².

استفادة منطقة تينجوارين من تجارب معارك تيديكلت من خلال استخدام استراتيجيات إخلاء القصور وحرب الكمائن واستعمال الكثبان الرملية، مما اضعف نوعاً ما دور المدفعية الثقيلة للاستعمار الفرنسي وكبده خسائر كبيرة في صفوفه وجنب سكان المنطقة الخسائر الكبيرة في الأرواح حيث استبسل سكان المنطقة في الدفاع عن الأرض والعرض.

احتلال منطقة توات الوسطى:

أعدت فرنسا لاحتلال هذه المنطقة من خلال طابورين: إحداهما انطلق من المنبوعة يوم 8 جانفي 1901م بقيادة الجنرال سرفيار نفسه، وتضمن ثلاثمائة جندي مع أربعة مدافع والآخر من تيديكلت في ثلاثمائة جندي، مع طابور الجنرال سرفيار يوم 30 جانفي 1901م في مدينة تيمي ورغم

¹ - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 2، المرجع السابق، ص13.

² - جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص13.

مقاومة سكان المنطقة واستنجاحهم بالملك المغربي إلا أن وقوعهم بين فكي كماشة من جهة تميمون وتيدكلت وقوة سلاح المدفعية سقطت المدينة يوم 10 فيفري 1901م¹.

اشرف الجنرال رسبورغ RISBOURGH قائد الناحية العسكرية بوهران بإخضاع منطقة الساورة في 1900م حيث تم احتلال بني عباس في 01 مارس 1901م وتنصيب حاميات عسكرية في تاوريت وتاغيت².

آثار احتلال منطقة توات حفيظة المغرب الذي طالب فرنسا بإعادة النظر في معاهدة لالة مغنية 1845م، وتمخض عن ذلك إمضاء بروتوكول 20 جويلية 1901م الذي تضمن احترام وحدة التراب المغربي وتثمين روابط الصداقة القائمة بين البلدين، وتم إتباع البروتوكول بمعاهدتين تم توقيعها بالجزائر في 20 ابريل و 07 ماي 1902م نص على استمرار تطبيق معاهدة لالة مغنية وتدعيم فرنسا لنفوذها عند الحدود وتنظيم التعاون الفرنسي المغربي فيما يخص الجمارك والشرطة والأسواق المشتركة الفرنسية المغربية³.

يتضح مما سبق أن السلطات المغربية وقفت عاجزة أمام الاستعمار الفرنسي لمد العون لسكان المنطقة وجددت العمل بمعاهدة لالة مغنية، تاركة الإقليم لمصيره يقارع الاستعمار سيمتد الروابط من باقي أنحاء البلاد تكمل فيه فرنسا مشروعها الاستعماري لاحتلال الجزائر ولربط الشمال بالجنوب بمستعمراتها في غرب إفريقيا.

استبسل سكان الأقاليم في الدفاع عن أرضهم في معارك اينغر وشروين وطلمين وتوات، وقد تجددت المقاومة في إقليم تيجوارين في حاسي الغزال اوت 1903م بعد سنتين من الاحتلال خسرت في معركتها فرنسا 28 جنديا نقلوا إلى مدينة ادرار، حيث كونوا أول مقبرة للنصارى في هذه المدينة وانتفضت طلمين في 07 ماي 1902م بقيادة الشيخ عثمان ومعركة الكوديا في ديسمبر 1902م بقيادة الشيخ بن كراجي، ومعارك سيدي زين العابدين ضد طابور بوتيه، واستمرت حرب العصابات من توات إلى الهقار إلى بشار إلى أن عمت المقاومة الجزء الغربي والشرقي من الصحراء في 1927م.

¹ - إبراهيم مياسي، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص 115.

² - AUGIERAS, Chronique de l'ouest saharien, (1900-1930), paris, 1930, P P27-28

³ - إبراهيم مياسي سلسلة الملتقيات، المرجع السابق، ص 235.

لعبت فيها توات الوسطى وتينجوارين وتيديكلت دور الوصل بين الجهتين وتدخل ضمنها معركة باعمر بتوات عام 1927م¹.

وقد رثى المشرقي سقوط توات بقصيدة يدعوا فيها للجهاد بعنوان " إيقاظ أهل الغفلة والمقام عمن استيقظ ولم يقدر على الكلام قصيدة طويلة كان في مطلعها:

دع عنك داع السرور والمزاح واسلك سبيل من بكى الدين وناح

واحك نساء الحي في لكم الحدود وضربهن الفخذين والصياح

وارثني واسمعي جميل وصفه وانذب وغرد في الغدو والرواح

فشمروا لأخذ تأركم عسى تمب عليكم بالنصر الرياح

وقل لأولي العلم هذا الشحي اموتى ام نيام ام به نجاح

وان تماديتم على غفلتكم هلكتم وما أري لكم فلاح

لا بد من وثوبه دون شعور كما العقو فعله دون نباح²

لقد كانت منطقة توات منطقة صراع استراتيجي بين إنجلترا وفرنسا لفرض الهيمنة على حوض النيجر واستقر الأمر لفرنسا التي حولتها لمقاومة عنيفة في المنطقة³.

يتضح لنا مما سبق أن منطقة توات رغم طبيعة تضاريسها وأراضيها السهلية المكشوفة من الغطاء النباتي والجبال التيلا تساعد على حرب العصابات، وطبيعة سكانها المسلمون إلا أنها وقفت حاجزا أمام التمدد الاستعماري، وقاومت في أرض مكشوفة فدمت بطولات في معارك عديدة لم تكن لقمة سائغة أمام المستعمر الفرنسي، الذي كبده خسائر فادحة وضربت أمثلة واضحة في التضحية والاستشهاد. لكن قوة المدفع الفرنسي كانت عاملا قويا لحسم المعركة. هذه التضحيات التي تركت جذوة المقاومة مشتعلة ولم تنطفئ الا بخروج الاستعمار من المنطقة.

¹ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص2.

² - التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص ص 179-180.

³ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج2، المرجع السابق، ص474.

الفصل الأول: السياسة الاستعمارية في

المنطقة.

المبحث الأول: في المجال الإداري.

المبحث الثاني: في المجال القضائي.

المبحث الثالث: في المجال الاجتماعي.

المبحث الرابع: في المجال الثقافي.

أولاً: الإدارة الفرنسية في منطقة الجنوب

النظام العسكري في الجنوب: اعتمدت فرنسا في سياستها التوسعية الاستعمارية على عامل القمع والمجازر والقوة للتوسع والقضاء على المقاومات الشعبية فكان النظام العسكري وسيلتها المثلى في ذلك وبعد ما تم لها السيطرة على المناطق الشمالية راحت تتوغل نحو الصحراء واعتمدت هذا النظام كأنجع وسيلة للتوسع إلى غاية 1870م حيث أخضعت الشمال لنظام مدني وأبقت على النظام العسكري في الجنوب. فلماذا اعتمدت فرنسا هذا الاسلوب؟، وكيف طبقته في المناطق الصحراوية؟، وكيف ساعدها على التوسع وسط النفوذ؟.

الحكم العسكري بالجنوب:

تعريف النظام العسكري: أصدرت فرنسا في 22 يوليو 1834م قرارا يعتبر الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا. وهي من الممتلكات الفرنسية في أفريقيا لها وضعية مستعمرة عسكرية تابعة لوزارة الحرب تنقسم إلى ثلاث ولايات يديرها حاكم عسكري وتسيرها الاوامر الملكية¹، وهذا ما يعني أن الجزائر لا تطبق عليها القوانين الفرنسية بطريقة طبيعية لأنها تدار عن طريق الحكم العسكري وهي خاضعة لوزارة الحرب الفرنسية.

ويقصد بالمناطق العسكرية وهي الجهات التي تدار من طرف الجيش في السهوب والصحراء بواسطة المكاتب العربية منذ عام 1871م، حيث استبدلت بنظام الشؤون الأهلية وهم نفس ضباط المكاتب العربية السابقين وهي مناطق خاضعة للحكم العسكري².

يتبين لنا أن النظام العسكري هو عبارة عن قوانين خاصة صارمة عسكرية لا مدنية استثنائية عن طريق ضباط وقادة عسكريين تسلط على الأهالي من أجل اخضاعهم، استبسل الفرنسيون في استبعاد الشعب الجزائري وحرمانه من موارده واستغلاله من اجل مصلحتهم وفرضوا أنفسهم على الساحة الجزائرية من خلال الضغط على الملك نابليون لويس نظرا لضعفه وبعد أن سقط حكمه وحل محله نظام

¹ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وللنهاية 1962، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1997.

² - بشير بلاح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830_1889، ج1، دار المعرفة الجزائر، 2010، ص230.

الجمهورية الثالثة سنة 1870م ألغيت الولاية العامة وتم تعيين مندوب سامي لكن بقي الجنوب تحت النظام العسكري¹.

وأصبحت الجزائر تسير بمرسوم 29 مارس الذي ينص على:

(1)- تقسيم الجزائر إلى إقليمين شمالي مدني وجنوبي عسكري.

(2)- يحكم الاقليمين حاكم عام مدني واسع الصلاحيات يخضع بدوره إلى وزير الداخلية.

(3)- يتم إنشاء مجالس بلدية وعمالية وفق ما يجري بفرنسا².

قانون 1902 وتنظيم أقاليم الجنوب: نظرا للمصاريف الباهضة للتوسع الفرنسي في اقاليم

الجنوب طرحت مسألة تنظيم المناطق الجنوبية لترشيد المصاريف في بنود يسهل ضبطها ومراقبتها أعدت الحكومة قانون ليعرض على البرلمان في دورة الربيع 1902م الذي صادق عليه لكنه وجد معارضة في مجلس الشيوخ وعرض على المجلس الأعلى للحكومة والمندوبيات المالية والمجالس العامة³.

لقي هذا القانون معارضة من طرف المستوطنين ولم يطبق حتى تعديله بمرسوم 12 ديسمبر

1905م، حيث بدد مخاوف المستوطنين التي منها:

1- أن التنظيم يمنح صلاحيات واسعة للضباط العسكريين.

2- أن هذا التنظيم يهدد امتيازات المستوطنين في الاقاليم الجنوبية.

3- حرمان خزينة العامة من المداخيل عن طريق الضرائب الغير مباشرة من منطقة الهضاب

العليا.

4- الخوف من تحميل خزينة المستعمرة نفقات القوات العسكرية المتمركزة في الجنوب خاصة

بعد أن أصبحت هذه الاخيرة تتمتع باستقلال مالي منذ سنة 1900⁴.

¹ - يحي بوعزيز، تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 27_ 28.

² - عبد الرحمان بن مُجَّد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج 5، دار الامة، بيروت، (ب_س)، ص 193.

³ - جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار، الجزائر، 1994، ص 148.

⁴ - جمال قنان، نفسه، ص 148.

وفي جلسة الخريف من نفس السنة 1902م صادق مجلس الشيوخ على مشروع القانون والذي أصبح ساري المفعول منذ 24 ديسمبر 1902م ونظم في 04 أوت 1905م وتقسيم مناطقها في 05 أوت 1902.

وبموجب قانون 24 ديسمبر 1902 أصبحت الأقاليم الجنوبية منفصلة عن الشمال ابتداء من 31 ديسمبر 1902م، ويكون حر في تنفيذ مشاريعه حسب النصوص والمواد المحددة لصلاحيات الحاكم العام بالجزائر وبهذا قسمت الأقاليم العسكرية إلى أربع أقاليم وهي:

- إقليم توقرت وعاصمته توقرت.
- منطقة الواحات وعاصمتها ورقلة.
- منطقة غرداية ومركزها الاغواط.
- منطقة عين الصفراء وعاصمتها كولومب بشار¹.

وبهذا ظل هذا القانون هو القانون السائد طوال حوالي نصف قرن ينظم السلطة الاستعمارية وهو القانون الاساسي لأراضي الجنوب الجزائري بحيث لم يحدث كيانا جزائريا مستقلا بل اكتفى بأحداث تنظيم اداري بعد أن اعترف أن اراضي الجنوب جزء لا يتجزأ من الجزائر، وبهذا فإن الاسباب التي دفعت إلى اعتماد هذا القانون هي اسباب مالية بحثة، ويتضح ذلك من خلال تصريح مقرر مشروع القانون قائلا: «أيها السادة..... لقد أفصح البرلمان عن رغبته في أن يرى نفقات احتلال الجنوب الجزائري مقصور على ما هو جد ضروري»².

أسبابه:

أ- الداخلية:

- 1- تحقيق الاستقلال المالي للجزائر عن فرنسا.
- 2- عدم استلاء الشمال على ميزانية الجنوب الضئيلة واستغلالها في مشاريع الشمال.

¹ - بشير بلاح وآخرون، المرجع السابق، ص 230.

² - سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، الادارة الفرنسية في الصحراء الجزائرية قبل سنة 1947، المرجع السابق، ص 37.

3- الفصل بين الشمال والجنوب للقضاء على المقاومات المسلحة حتى لا تجد لها سند في الجنوب.

4- مراقبة هذه المناطق من طرف الجيش الفرنسي تحسبا لأي انتفاضة ولاستكمال التوسع الاستعماري¹.

ب - الخارجية:

1- اشتداد التنافس الاستعماري على المنطقة بين القوى الاستعمارية فرنسا، بريطانيا، اسبانيا وخاصة بين فرنسا واسبانيا في شمال المغرب وفي الصحراء الغربية فخشيت فرنسا من نقل الصراع إلى الصحراء الجزائرية والذي انتهى بتوقيع معاهدة الجزيرة الخضراء سنة 1905.

2- عملت فرنسا على ربط مستعمراتها خاصة بعد احتلال المغرب سنة 1912م، خوفا من تدخل بريطانيا لأن الحملات الاستعمارية كانت تعم جميع الدول الافريقية من كل الجهات.

3- خوف فرنسا من أن تعتبر الدول الأوربية الصحراء الجزائرية منطقة خالية خاصة بعد مؤتمر برلين سنة 1998م الذي وضع الزئير (الكونغوا) تحت الهيمنة الالمانية تخوفت فرنسا أن تمتد اطماع الدول الأوربية إلى المنطقة².

استطاعت فرنسا بفعل هذه الجهود من استكمال التوسع الاستعماري في المناطق الجنوبية ومواصلة الرحلات الاستكشافية وتجسيد المشاريع الاستعمارية كخط السكة الحديدية لتحقيق أهدافها الاستعمارية للسيطرة على الطرق التجارية في المنطقة هذا التنظيم الذي مس عديد الجوانب في المنطقة.

الإدارة الفرنسية في تسير مناطق الجنوبية

الجانب الإداري: تعتبر المناطق الصحراوية مناطق لها ادارتها وميزانيتها المالية وأملاكها فهي مقاطعة منفصلة عن بقية المناطق في الشمال ترتبط مع الجزائر في شخص الوالي العام بعض الإدارات العامة حسب قانون 1902، والوالي العام هو الرئيس الاعلى لإدارة اراضي الجنوب وتوجد في الولاية

¹ - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر (تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظامها وقوانينها ومجالستها وحالاتها الاقتصادية واللغوية والاجتماعية)، المطبعة العميرير، الجزائر، محرم 1350هـ، ص 275.

² - سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء، مرجع سابق، ص 218 - 219.

العامّة إدارة خاصة تشرف على كل ما يتعلّق بأراضي الجنوب¹، ويستمدّ الوالي العام سلطته ونفوذه من وزارة الداخلية، ولا يملك حق التشريع².

وبالنسبة للميزانية فإنّها مستقلة تعتمد على موارد الاقليم تحت تصرف مجالسها المالية التي هي تحت رقابة البرلمان وتُحصل على مساعدات من وزارة الحربية لتغطية نفقات الحاميات العسكرية المتمركزة بها³، وتنفّذ الميزانية بقرار يهيئه الوالي العام ويعرضه على مجلس الحكومة ولا يجوز تغيير الضرائب في أراضي الجنوب أو حذفها إلا بقرار يصدره مجلس شوري الدولة، أما مصاريف الجيش التي تمثل ثلثي الميزانية فإن فرنسا تدفعها من ميزانيتها الحربية.

أصبحت الاقاليم الجنوبية تحت حكم العسكريين المكلفين بالشؤون الأهلية وحلوا محل المكاتب العربية وظل ضباط الشؤون الأهلية يلعبون دورا بارزا في حركة التوسع الاستعماري، فأصبحت هذه الاقاليم تحت حكم شبيه بما وجد في الاراضي العسكرية قبل 1870، ولم تستفد هذه الاقاليم بأي من الاصلاحات التي كانت تطبق في المناطق الشمالية وقسمت إلى أربع أقاليم عسكرية يرأس كل منطقة قائد عسكري برتبة رائد وهو المسؤول عسكريا وإداريا أمام الوالي العام وقسمت إلى دوائر وملحقات ويوجد نوعان من البلديات (المختلطة والأهلية)⁴.

أ- البلديات المختلطة: وتوجد في المناطق التي يقل فيها العنصر الاوربي اوجدوا لها نظاما خاصا حتى لا تكون بلدية عربية ولا وطنية يديرها موظف فرنسي مطلق الصلاحية، وله مجلس ينتخبه الفرنسيون مهما قل عددهم وتعيين الإدارة الفرنسية من الموالين لها لتمثيل المسلمين وكان هؤلاء الاداريين محل شكوى دائمة من الجزائريين لأنهم كانوا يملكون قوة مطلقة ويتم تسيير البلدية من طرف مجلس بلدي يتكون من القائد السامي للدائرة والملحقة العسكرية ومكتب الشؤون الأهلية وضباط المكتب العربي كما يعين نائب خاص فرنسي⁵.

¹ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 275.

² - عبد الرحمان بن مُجّد الجيلالي، مرجع سابق، ص 275.

³ - جمال قنّان، المرجع السابق، ص 148 _ 149.

⁴ - الهادي درواز، الولاية السادسة التاريخية، تنظيم ووقائع 1954 _ 1962، سلسلة اوراق من الذاكرة، دار هومو للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 33.

⁵ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 26.

ب- البلديات الأهلية: توجد هذه البلديات في الاقاليم الجنوبية للجزائر، الفرنسيون هم المسيطرون والمتحكمون بها والمسلمون اعوان تلك السلطة ولا ينتخب السكان أحدا في هذه البلديات وعددها في الجنوب 07 بلديات يرأسها رائد الدائرة واعضاؤها هم العسكر والقياد والأغوات ويعينهم حاكم الدائرة كل أربعة أعوام، ولكل قبيلة مجلس جماعة يعينه في اراضي الجنوب يكلف بدفاتر الحالة الشخصية، وتحويل الكثير منها إلى بلديات مختلطة بعد استقرار العنصر الاوربي بها¹.

السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1947 - 1656

إلغاء النظام العسكري: كان لصدور ما يسمى بالدستور الجزائري أو القانون الاساسي للجزائر يوم 20 سبتمبر 1947م انعكاسات مباشرة على الوضعية الادارية في الجنوب الجزائري، اذ ينص في مادته الخمسين على ازالة النظام العسكري في الجنوب وضمها إلى الشمال ونص المادة « يلغى النظام الخاص بأراضي الجنوب وتعتبر هذه الاراضي ولايات تحدد بقانون بعد استطلاع رأي الجمعية الجزائرية الشروط التي بمقتضاها تؤلف هذه الاراضي كلا أو بعض ولايات متميزة أو ولايات مندمجة في الولايات الموجودة أو التي ستنشأ، يلغى المرسوم الصادر في 1903/09/30 وتدمج ميزانية اراضي الجنوب في ميزانية الجزائر من اول جانفي 1948م»².

وهكذا فإن اراضي الجنوب اصبحت ملغاة من ناحية انها تنظيم اداري خاص داخل الأراضي الجزائرية وإدماجها في الاقسام المقابلة لها من ولايات الجزائر بانتظار إدماجها في مختلف اجزاء هذه الميزانية وهكذا أزيل الحكم العسكري عن أراضي الجنوب مع بقاء الإدارة تحت سيطرة الضباط إلى غاية سنة 1957م³.

إلى غاية مشروع "بواني" بتاريخ 10 جانفي 1917م بموجب قانون 57/27 صدر القانون الخاص بإنشاء المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية Organisation commune des «O. C. T.S» «territoires sahariens» الذي اعتمده رئيس الجمهورية وحدد دور المنظمة في

¹ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 274.

² - سلسلة الملتقيات مجموعة مؤلفين، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المرجع السابق، ص 40.

³ - محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون 1960م_1961م، ط2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص 304.

تتمين التوسيع الاقتصادي والترقية الاجتماعية للأقاليم الخاضعة للسلطة الفرنسية، بعد اصدار مرسوم 7 أوت 1957م الذي أقر بإنشاء عمالتين صحراويتين متميزتين عن الجزائر تضمان مناطق واسعة من الأقاليم الصحراوية بعدما كانت خاضعة منذ الخمسينات إلى انظمة ادارية مختلفة¹. وقسمت المناطق الصحراوية إلى عمالتين.

1- عمالة الواحات: مقرها الاغواط ومقسمة إلى ثلاث مناطق إدارية.

● المنطقة الادارية للاغواط التي تضم اقليم غرداية وجزء من البلدية المختلطة لجرفيل الواقعة شرق " وادي زقوم" إلى غاية ضيعة الكهلة.

● المنطقة الادارية لورقلة التي تضم اقليم الواحات وجزء من البلدية المختلطة للوادي الواقعة جنوب خط عرض 32°.

● المنطقة الإدارية لتوقرت التي تضم جزء من اقليم توقرت.

2- عمالة الساورة: مقرها كولومب بشار ومقسمة إلى منطقتين اداريتين

● المنطقة الادارية كولومب بشار التي تشمل البلدية المختلطة لكولومب بشار وبريزينة والساورة وتندوف.

● المنطقة الادارية لادرار والتي تشمل البلديات الاهلية لقورارة وتوات².

ويتبين لنا مما سبق أن المناطق الجنوبية كانت مهمة للإدارة الاستعمارية لاستكمال مشروعها الاستعماري القائم على تكوين امبراطورية مترامية الاطراف تستغل خبراتها وثروتها ومواردها لذلك سعت بكل ما أوتيت من قوة على ابعاد الاطماع الامبريالية للدول الأخرى.

طبيعة الصحراء الواسعة المترامية الأطراف شكل عائقا أمام الإدارة الاستعمارية في توزيع جيوشها وتنظيم احتلال المنطقة لذلك اعتمدت النظام العسكري القائم على القمع والقهر والتسلط لقمع المقاومات الشعبية، ولفك كل دعم ممكن أن تقدمه هذه الاقاليم للمقاومات الشعبية في الشمال.

¹ - نور الدين عسال، التنظيم السياسي والإداري الاستعماري للصحراء الجزائرية 1954 _ 1962، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 12، 2016، ص4.

² - نور الدين عسال، المرجع نفسه، ص ص 5،6.

أن هذه السيطرة مست الجانب الإداري والثقافي والاقتصادي وكانت لها انعكاسات خطيرة على المنطقة مما سيؤدي إلى احتقان ضد الإدارة الاستعمارية التي حاولت تنفيسه بإلغاء الحكم العسكري في الجنوب وهذا من اجل استغلال لخبراته وثوراته وتطبيق سياستها في فصل الصحراء وهذا ما سيؤدي إلى فشل هذه السياسية للاستعمارية الفرنسية.

التنظيم للإداري: كانت سياسة التوسع الفرنسي في منطقة توات من السياسة الاستعمارية القائمة على الحاق الجنوب بالشمال لربط مستعمراتها في منطقة الساحل وتنفيذ مشاريع عسكرية واقتصادية، وربط امبراطوريتها المزعومة المترامية الاطراف في افريقيا، لذلك كانت نهاية القرن 19م محورية في عملية السيطرة فبعد احتلال عين صالح 1899م دخلت في السنة الموالية إلى قلب الاقليم التواتي.

عملت الإدارة الفرنسية إلى الحاق منطقة توات بالإدارة الاستعمارية ووضع تنظيم اداري يتماشى وتطلعات القيادة الفرنسية، وكان التجاذب بين رأيين مختلفين، هل يتم الحاق المناطق الصحراوية مباشرة بفرنسا؟، أو يتم تمديد عمالات شمال الجزائر (قسنطينة، الجزائر، وهران) على أراضي الجنوب؟. وفي النهاية تم الاتفاق على انشاء نظام الاقليم الصحراوية وإحاقها مباشرة بالحاكم العام المدني وعسكريا بقيادة الفيلق 19، وبالتالي عرفت المنطقة تنظيما اداريا وقضائيا حافظ من خلاله على بعض السلطة التقليدية على أن تكون تابعة للإدارة الاستعمارية الفرنسية¹.

فبعد أن تم نقل الاحتلال لمنطقة عين صالح قام قائد ناحية الجزائر الجنرال سرقيار بجولة ميدانية التي تمت السيطرة عليها حديثا لتنظيمها وتنصيب الحاميات العسكرية والدوائر والملحقات. وبعد هذه التنظيمات عينت السلطات الفرنسية الضابط «لابيرين» نظرا لخبرته في هذا الميدان على هذه المناطق.

وبعد أن زادت رقعة التوسع الاستعماري في هذه المنطقة زادت معها الحاجة إلى انشاء وحدات ادارية جديدة لإدارة هذه المناطق التي اصبحت تتطلب مبالغ مالية متزايدة لتغطية نفقات الاحتلال نظرا

¹ - بابا عبد الله، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962، من خلال سجلات المحكمة الشرعية (أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه في قسم العلوم الإنسانية غير منشورة)، جامعة أحمد دراية، ادرار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، 2019.

للأموال الباهضة التي استغلت في تمويل الحملة العسكرية لاحتلال اقليمي توات وتيديكلت والتي اثقلت كاهل خزينة المستعمر الفرنسي¹.

وفي العدد 1608 من الجريدة الرسمية للحكومة الاستعمارية الصادر في الثاني ماي 1900م صدر قرارا عن الحاكم العام إدموند لافيرير **Edmond Laferrire** نص على:

1- **البند الأول:** في انتظار التقنين النهائي للمناطق الصحراوية تدار بشكل مؤقت المناطق المسيطرة عليها عن طريق نظام الملحقات وترتبط بمصلحة الشؤون الاهلية وتكون تابعة مباشرة للجنرال قائد فرقة الجزائر بالنسبة لناحية توات وللجنرال قائد فرقة وهران بالنسبة لناحية زوزفانة والساورة.

2- **البند الثاني:** انشاء ملحقات في عين صالح وفي -إيقل- تكون تحت إدارة ضابط للشؤون الاهلية برتبة نقيب ونائبين له برتبة نقيب أو ملازم مع وجود مترجم وخوجة وكاتب.

3- **البند الثالث:** إلى أن يصدر عكس هذا فإن قائد الملحقة هو الذي سيعين -القياد- الضروريين لإدارة الاهالي يعينون من طرف رئيس الملحقة².

وعلى إثر هذا تم تعيين النقيب دوسوسيبال للملحقة عين صالح، والنقيب نوشاز باي فيلي والنقيب بان بورقلة.

هذا في انتظار استكمال الغزو ووضع قانون إداري نهائي كانت، كانت ملحقة الشؤون الاهلية لاقليم توات تتبع قائد ناحية الجزائر مباشرة وبعدها عين صالح برئاسة -دوسوسيبال- ويساعده نائب برتبة عقيد أو ملازم ومترجم وخوجة وكاتب ومجموعة من القياد³، مهمتهم إدارة شؤون الاهالي الذين سيطبق عليهم قانون الانديجينا على غرار بقية المناطق الجزائرية حتى أدمج هذا التنظيم في اطار الاستراتيجية الفرنسية في الصحراء الجزائرية⁴.

¹ - محمد بن دارة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952_1962، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص تاريخ الجزائر، إشراف جمال قنان، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1998_1999، ص 03.

² - Gouvernement General, Bulletin officiel no 1608 année 1900, pp621-625.

³ - ابراهيم مياسي، التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص 114.

⁴ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 20.

كما اصدرت فرنسا مرسومين آخرين في 30 ديسمبر 1903م قرر بموجبهما فصل ميزانية المناطق الجنوبية كتطبيقا لقانون 24 ديسمبر 1902م.

وبموجب هذه القوانين فان اراضي الجنوب هي مستعمرة خاصة لها ادارتها وميزانياتها وأملاكها ويحق لها أن تعقد الصفقات العمومية وترتبط معها في بعض الادارات ومشروع الميزانية العامة يهيئه الوالي العام ويعرض على مجلس الإدارة في الولاية العامة وتنفيذ الميزانية بواسطة قرار بعد عرضه على وزير الداخلية، ولا يجوز تغيير الضرائب أو حذفها إلا بقرار من مجلس الدولة في باريس أما النفقات العسكرية فإنها تدفعها الحكومة الفرنسية من ميزانية وزارة الدفاع¹.

وقد طرحت مسألة تنظيم المناطق الجنوبية تنظيما خاصا لأول مرة في البرلمان الفرنسي عند مناقشة الإعتمادات المالية المختصة لتغطية نفقات العمليات العسكرية للجنوب عندما ارادوا وضع حدا للاعتمادات المخصصة لتغطية المبالغ فيها لاحتلال هذه المناطق ولذا طلب من الحكومات أن تعد مشروع قانون خاص لإدارة المناطق الجنوبية².

وهكذا أعدت فرنسا المشروع وعرض على البرلمان لمناقشته في دور التوسع 1902م وصادق عليه بعد تعديلات³، وبعدها صادق عليه مجلس الشيوخ وأصبح ساري المفعول باسم تنظيم اقاليم الجنوب الجزائري في 24 نوفمبر 1902، وشرع في تنفيذه بداية من جانفي 1903م⁴.

وأنشأت بذلك بلديات ودوائر وملحقات ومراكز جديدة ساهمت في خلق الاقاليم الجنوبية منح لها الحرية الكاملة في مواجهة أي تغير يطرأ على هذه المناطق لتتعامل مع المشاكل التي تعترضها، كما كان هذا التنظيم يحترم العادات والتقاليد وبناء على هذا القانون الذي وضع المنطق الجنوبية ضمن وحدة ادراية مآحا ايها الشخصية المدنية وإنشاء ميزانية خاصة ومستقلة بها وكان الهدف من هذا القانون:

¹ - عبد المجيد شيخي، الادارة الفرنسية في الصحراء حتى الاستقلال، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الأبيار، الجزائر، ص 220.

² - جمال قنان، المرجع السابق، ص 147.

³ - Gouvernement General de L'Algérie commissariat General de contrition les territoires du sud de l'Algérie première partie: eequ ils sont pourquoi ils sont été Grees Alger Imp Algérienne 1929, p317.

⁴ - جمال قنان، المرجع السابق، ص 149.

- التقليل الفعلي للنفقات المخصصة لاحتلال مناطق الجنوب وكبح اي زيادة في هذا النفقات.
 - الموازنة بين النفقات المدنية والموارد المحلية مع ابقاء نفقات الاحتلال على كاهل الميزانية الفرنسية.
 - تكليف الحاكم العام المدني بمسؤولية الإدارة والدفاع عن هاته المناطق.
 - الصلاحيات الضرورية للحد من زيادات النفقات ومن التحركات العسكرية التي لا تتوفر على الموافقة المبدئية من طرف الحكومة¹.
- مرسوم 24 ديسمبر 1902م لم يدخل حيز التنفيذ الا بعد صدور مرسوم 14 أوت 1905م².

وقسمت بذلك أراضي الجنوب إلى مجموعات ادارية منفصلة عن بعضها البعض وهي:

- 1- أرض عين الصفراء: وتشمل الهضاب العليا الغربية وواحة الساورة، والساورة اسم لواد ينبع من الاطلس المغربي ويتجه نحو الصحراء فيغيب في رمالها. كما تشمل أرض عين الصفراء وواحات توات.
- 2- أرض الواحات ومركزها الاداري مدينة ورقلة وتمتد إلى السودان الغربي الخاضع للحكم الفرنسي وهو مالي والنيجر ومنطقة الهقار وتنزروفت.
- 3- أرض توقرت وتشمل واد سوف وواد أغرغر وواد ريغ.
- 4- أرض غرداية وواد مزاب³.

وقد عهدت النقاط الهامة والاستراتيجية في الصحراء في اقليم توقرت وغرداية إلى ضباط الشؤون الأهلية تحت سلطة القائد الاعلى المتصل مباشرة بالحاكم العام للجزائر⁴.

¹- Les territoires du sud de L'Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921, Imp Alger, Imp Lieriae, editeur 1922, p 15 – 16.

²- Les territoires du sud de L Algérie leur situation: op. cit, pp73 –75.

³- عبد المجيد شيخي، المرجع السابق، ص220.

⁴- ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 495.

وما يميز الإدارة في مناطق الجنوب في أن أنواع البلديات الموجودة في الشمال غير موجودة في الجنوب ماعدا البلديات المختلطة communes mixités وهي القاعدة العامة في التنظيم الاداري في الجنوب أما البلديات فإنها تسمى دوائر cercles والملحقات Annexes فضلا عن مكاتب الشؤون العربية فالبلديات المختلطة يرأسها في الشمال متصرف وفي الجنوب ضابط برتبة رائد وتوجد سبع بلديات مختلطة بالجنوب¹.

ومنذ احتلال الاقليم انشأ الرائد لابرين الكتيبة المهارية الصحراوية وفي سنة 1904م عزز الاستعمار الفرنسي للتنظيم الدفاعي للمناطق الجنوبية بحيث انشأ كتيبتين من الفيلق الاجنبي وأضاف فيلق ثاني من الرماة والمشاة وانشأ كتيبة رابعة في بني عباس بموجب مرسوم 1904م وكتيبة 05 في كولومبوا ببشار بموجب مرسوم 07 جانفي 1904م².

احدث التنظيم المالي خلاف في تطبيق النظام الاداري بين الحاكم العام والجنرال قائد الفيلق التاسع عشر ادى إلى التأخير في التوضيح النهائي في الفصل من قبل مجلس الدولة، كما عرض وزير الحربية الصلاحيات المطلقة للحاكم العام على مناطق الجنوب كونه المسؤول الاول عن الدفاع وقد بعث الحاكم العام للجزائر جوناو برسالة مؤرخة في 27 اكتوبر 1904 يحث فيها وزير الحربية للوصول إلى حل توافقي حول مشروع تنظيم مناطق الجنوب ويقول الحاكم العام جوناو بأنه يجب اللجوء إلى حلول مبنية على التسوية والصلح كما أنه يجب على الحاكم العام أن يضم في المهمة قائد الفيلق التاسع عشر بصورة فعلية وتعديل مشروع التنظيم الاداري والعسكري في مجال تلك المبادئ مع كل التنازلات والتسهيلات الممكنة لبعث الارتياح في نفس وزير الحربية.

وختم جوناو رسالته قائلا: «على الرغم من التعديلات التي أنا بصدد تلخيصها لتوضيح اتجاهاتها ومبادئها فإن وزير الحربي لم يكن يدرك انسجام مع المشروع الجديد فالتعليمات المقترحة كانت تبدو له معارضة مع القرارات التي بررت التصويت على قانون 24 ديسمبر 1902 م، ويبقى هناك حل

¹ - عبد المجيد شيخي، المرجع السابق، ص 220.

² - CH: simon, occupation, et organisation des regions sahariennes R -A, Annee 1905, p145.

وحيد قيد الدراسة وهو القانون نفسه من طرف البرلمان وبإستطاعت مجلس الدولة ايقاف تنفيذ نصوص التعديل الإداري والعسكري لمناطق الجنوب»¹.

نص قانون 24 ديسمبر على ستة مواد وهي:

- المادة الأولى: تنص على تحديد الحدود الشمالية لهذه الاقاليم الجنوبية.
- المادة الثانية: الوالي العام للجزائر هو الحاكم العام لهذه الاقاليم كما منحت هذه المادة الشخصية المدنية والذمة المالية للإقليم.

أما المواد الاخرى المتبقية فكانت حول تنظيم الميزانية لهذه الاقاليم الجنوبية وفصلها عن الميزانية الجزائرية إضافة إلى تحديد صلاحيات الحاكم العام.

وتطبيق لمواد مشروع 24 ديسمبر صدرت عدة مراسم تنظيمية متعلقة بإدارة هذه المناطق الجنوبية صدر مرسوم 15 افريل 1903م والمتضمن خلق منصب مستشار للحكومة مكلف بالمسائل المتعلقة بمناطق الجنوب بما فيها المراقبة الدائمة لكل مصالحها الإدارية².

- مرسوم 03 ديسمبر 1903م المنظم لميزانية المناطق الجنوبية.
- مرسوم 14 اوت 1905م الذي ينص على:
- المادة الاولى: يخول للحاكم العام الاتصال المباشر مع الوزراء.
- المادة الثانية: أن العمال المنتدبين من طرف الجيش يعينون من طرف وزير الحربية لصالح الحاكم العام لأجل إدارة المناطق العسكرية.

وأوضحت المادة الخامسة تقسيم الصحراء إلى اربعة أقاليم، اقليم عين الصفراء، اقليم الواحات، اقليم غرداية، اقليم تقرت وعين على رأس كل اقليم قائد عسكري.

¹ - Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921, 1922, op, cit, p 33 –35.

² - Expose de la situation Generale des territoires du sud de L'Algérie, présente par M. L jonnart, gouverneur General, année 1907, Lmp, administrative Victor heintz, rue d'isty 37 et place Bugeaud 1908, p03.

وتوضح المادة السادسة على أن النظام الإداري لمناطق الجنوب يشبه نظام البلديات المختلطة للمناطق المدنية يخافه فقط فيما يتعلق بالإدارة الأهلية وهو يركز على النقاط الآتية:

- أولاً: نظام العدالة المدنية.
- ثانياً: ممارسة السلطة التأديبية من قبل السلطات الإدارية.
- ثالثاً: نصوص القانون فيما يخص التجنيد¹.

تأرجحت السياسة الاستعمارية بين ربط الجزائر مباشرة بالحكومة الفرنسية وبين جعلها تحت إدارة الحاكم العام في الجزائر وكان يؤيد ربط الجزائر مباشرة بفرنسا كل من السياسة والحكم في البرلمان بينما كان اللوبي الاستيطاني يرفض رفضاً قاطعاً أن تدار أمور الجزائر من وراء فرنسا وذلك على خلفية الوضع القانوني لأقاليم الصحراء وإصدار القانون الأساسي في 24 ديسمبر 1902م لأراضي الجنوب باعتبارها مناطق عسكرية منفصلة على الجزائر².

إن مشروع إنشاء مجلس خاص بمناطق الجنوب الذي عرض عام 1902م كان تطبيقه غير عملي غير قابل للتطبيق على أرض الواقع نظراً للتباعد بين المناطق والخصوص عقد الاجتماعات عدة مرات بالجزائر العاصمة لأجلها المحدودة خاصة قادة المنطقة ورؤساء الأهالي الذين هم من ضمن أعضاء هذا المجلس، فهذه النقاط كانت تحول دون تأسيس هذا المجلس.

وبموجب قرار 19 يناير 1904م الذي أنشأ في منطقة بشار بلدية اعلى تحولت بعد ذلك إلى بلديات مختلطة في 08 جانفي 1919م كما أنشأت بلدية أهلية تميمون في 03 ديسمبر 1907م تضم ملحق قورارة ومركزة توات كما عين على رأس كل منطقة ضابط عسكري معين بمرسوم مبني على اقتراح من وزير الداخلي والحربية وذلك بعد عرضه على الحاكم العام³.

¹ - Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie, Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921 _ 1922, op. cit, p 37_38.

² - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 21.

³ - Expose de la situation Generale des territoires du sud de L Algérie, présente par M. L jonnart, gouverneur General, année 1907, imprimerie, administrative Victor heintz, rue d'isty 37 et place Bugeaud 1906, p27.

وقد عملت السلطات الفرنسية على المحافظة على الزعامات القبلية المحلية والعشائرية وذلك بالاستعانة بنظام الجماعة التواتية وشكل من الاعيان التي يرأسها شيخ يلقب بالكبير تكون تابعة للسلطات الاستعمارية ومسؤولة عن تنفيذ قراراتها تحت سلطة القائد الذي يتأسس العرش كما يتمتع بامتيازات مادية ومعنوية ويمنح له برنوس احمر وخاتم دائري وله الحق في التواصل المباشر مع حاكم الملحقة¹.

الجدول رقم 02: أسماء قيادة ملحقة توات 1900م.

المنطقة	القياد	المنطقة	القياد
أسبع	- مُجَّد بن احمد	بودة _ مراقن.	- مُجَّد عبد القادر بن بلقاسم
تمنطيط	- سالم بن الحاج مُجَّد	تيمي _ تيليلان _ تسفاوت.	- مُجَّد عبد الرحمان بن الحاج مُجَّد
فنوغيل	- بريك بن سيد حمد	بوفادي _ نوم الناس _ أعباني.	- أب علا عبد الله
أولاد سي حمو بالحاج_زاوية كنتنة	- مولاي أحمد بن مُجَّد	تامست _ تيطاف	-العابدين مُجَّد
سالي	- مولاي أحمد بن مولاي عبد الكريم	أنجزمير	- مُجَّد الامين بن المكلي
		رقان	-مولاي الحسان بن مولاي عبد القادر

Martin: oasis sahariennes.....p 193.

أما القرار الثاني فقد الغى قوانين البند الثاني من بيان الثاني عشر ديسمبر 1905م، والذي عين مؤقتا حاكم منطقة الواحات تحت سلطة حاكم عين الصفراء بسبب قضايا سياسية وعسكرية وتم وصفها ضمن اقاليم الواحات وعاصمته ادار ويتكون هذا الاقليم من ثلاث ملاحق وهي توات وملحقة تيميمون وملحقة عين صالح²، وفق الجدول التالي³:

¹ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 50.

² - بابا عبد الله، المرجع نفسه، ص 51.

³ - G.G.A, Les territoires du sud de L'Algérie, 1903 _ 1929, op_cit _pp 3.

الجدول رقم 03: التنظيم الاداري لتوات التابع لإقليم الواحات 1905.

اسم الإقليم وعاصمته	الدائرة	الملاحق (مقره)	المركز	الوحدة الادارية
إقليم الواحات ادرار	/	- توات (ادرار) تيديكلت (عين صالح)	تيميمون قورارة	بلدية أهلي الواحات الصحراوية

كما نص مرسوم 1906م على تقسيم مقاطعات الجنوب الغربي اداريا ما بين اقليم عين الصفراء وإقليم الواحات، وتهدف السلطة العامة من وراء اعادة التنظيم إلى توحيد اداري جيد من حيث المراقبة وأمن الحدود مع المغرب كما نص مرسوم 10 أبريل 1907م على صغر اقليم عين الصفراء ملحق توات ومركز قورارة اللذان كانا سابقا قطاعين من اقليم الواحات، كما حدد قرار رسمي بتاريخ 28 ماي 1907، الحدود الفاصلة بين منطقتي عين الصفراء والواحات وقد تسبب هذا التقسيم الاداري الجديد في إعادة إنشاء بلديات أهلية لإقليم الواحات وإقليم غرداية وكان ذلك ضمن المناطق المراد اعادة تشكيلها¹.

كما يمنح المرسوم الصادر في 19 أوت 1907م لمناطق الجنوب تطبيق احكام البند الثاني والعشرين من قانون 21 مارس 1905 والمتضمن للتجنيد كما خولت للمجالس المؤسسة في ولاية الجزائر العاصمة وهران وقسنطينة الفصل في احكام تخض طلبات المنح المقدمة من طرف الشباب ذوي الكفالة العائلية القاطنين بهذه المناطق.

وعليه تشكلت قرارات مرسوم 0 ديسمبر 1907م ليعيد توزيع الدوائر والبلديات بين الاقاليم وهو ما انعكس على توات التي اصبحت تابعة لإقليم عين الصفراء وعينت بلدية ادرار كمقر للبلدية حيث يوجد بها مركز دفع الضرائب المباشرة وغير المباشرة وكانت البلدية الاهلية بأدرار تابعة لملحق توات ومركز قورارة وكن يديرها قائد ملحق توات وتخضع اداريا لإقليم عين الصفراء².

¹ - Expose de la situation Generale des territoires du sud de L Algérie, année 1907, imp, administrative Victor heintz, rue d'isty 37 et place Bugeaud 1908, p03.

² - Ibid, pp 05_06.

الجدول رقم 04: التنظيم الاداري لإقليم عين الصفراء¹.

اسم الاقليم وعاصمته	الدائرة	الملحق	المركز	الوحدة الادارية	
إقليم عين الصفراء (عاصمته عين الصفراء)	جرفيل	/	البيض سيد الشيخ	البلدية المختلطة جرفيل	
	المشرية	/	راس العين	البلدية المختلطة المشرية	
	كولومب	بني عباس	تاغيت	بلدية	الاهالي
			كرزاز	كولومب	
	بشار	توات	قورارة	بلدية الاهالي ادرار	
		عين الصفراء	/	البلدية المختلطة عين الصفراء	
		بني ونيف	/	/	/

E.S.G.T.SA, année 1907, op, cit, p 09.

ولان منطقة ادرار في نظر المستعمر الفرنسي لا تكتسي الاهمية العظمى التي اعطيت لها من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية انعكس ذلك على التنظيم الاداري للمنطقة فنقل اثر ذلك مقر عاصمة اقليم الواحات من ادرار وضم توات والحق باقليم عين الصفراء حسب المرسوم المؤرخ بتاريخ 23 سبتمبر 1909م من ادرار إلى تيميمون باعتبارها اكثر اهمية استراتيجية وتصبح مقر القيادة وعليه تم تحويل العاصمة الإدارية إلى تيميمون مع نقل كل من البريد وصندوق المساهمات².

¹ - E-S-G-T-SA, année 1907, op, cit, p9.

² - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 52.

الجدول رقم 05: التنظيم الجديد لتوات وتيميمون سنة 1909م¹.

اسم الاقليم وعاصمته	الدائرة	الملحق(مقره)	المركز	الوحدة الادارية	
إقليم عين الصفراء (عاصمته عين الصفراء)	جريفيل	/	البيض سيد الشيخ	البلدية المختلطة جريفيل	
	المشربية	/	راس العين	البلدية المختلطة المشربية	
	كولومب	بني عباس	تاغيت	بلدية	الاهالي
			كرزاز	كولومب	
	بشار	قورارة	توات	بلدية الاهالي تيميمون	
		عين الصفراء	/		البلدية الاهلية تيميمون
		بني ونيف	/	البلدية المختلطة عين الصفراء	

لكن منذ تحويل مقر منطقة الواحات إلى عين صالح لم تمثل ادارار أي أهمية بينما احتفظت منطقة تيميمون لأهميتها الجغرافية والإستراتيجية وأصبحت مقر القيادة وحولت بذلك منطقة توات من ملحق إلى مركز وقورارة من مركز إلى ملحق وطبقا للمرسوم الصادر في 20 نوفمبر 1909م تم تحويل المقر إلى تيميمون وتم تسميتها ببلدية تيميمون وتم تحويل كل المرافق من ادارار إلى تيميمون من قباضات وبريد وتلغراف....الخ².

¹ - E-S-G-T-S-A, année 1909, imp libraire Alger: 1910, p4.

² - Expose de la situation General des territoires du sud de L Algérie, présente par M-C, Jonnart Gorenneur General année 1909, typographie Adolphe Jourdan imprimeur – libraire – éditeur, 2-place de la regenek ; 2 ; 1910, p04.

كون افراد كثيرون مخزن كولومب شكلو الكتيبة الصحراوية ولقد كانت المخازن الإضافية المتمثلة في توات وقورارة ملحقات لها قيمة كبيرة كالقيادة العسكرية وهذا باعتبارها كقاعدتين خلفيتين للقوافل التجارية.

أضاف قرار 10 جويلية 1911م خدمة الاهالي وأفراد الجيش إلى المناطق الجنوبية لحل النزاعات المتعلقة بهذه المناطق ولم يضيف شيئا للنظام الاداري بالنسبة لمناطق الجنوب ولقد بدأت المنظمة العسكرية الجديدة المشكلة بمرسوم 9 أوت 1910 مزاولة نشاطها بدأ من 01 جانفي 1911م¹.

وفي سنة 1912م لاحظت السلطات الفرنسية في بعض مناطق الجنوب كقورارة توزيع نسبة كبيرة من الجرائد الداعية للإسلام مثل (قواليب افريقيا)².

تأرجحت السلطات الاستعمارية الفرنسية بعد تشريعات تنظيمية انتهت في الاخير إلى تقسيم المناطق الجنوبية إلى 04 مناطق: اقليم عين الصفراء عاصمته عين الصفراء ويضم ملحق جريفيل (بلدية جريفيل المختلطة)، ملحق مشرية (بلدية مشرية المختلطة)، ملحق عين الصفراء لها مركز بني ونيف دائرة كولومب (بلدية كولومب المختلطة)، دائرة الصحراء العربية وتضم ملحق توات (بلدية تيميمون الأهلية)³.

¹ - Expose de la situation General des territoires du sud de L Algérie, année 1907 – 1908, op. cit, p07-08.

² - E-S-G-T-S-A, présent par M-CH-, Lutaud gouverneur Generale année 1912, typographie Jourdan, imprimeur – libraire – éditeur place du gouvernement 1913, p14.

³ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص53.

الجدول رقم 06: التنظيم الإداري لإقليم عين الصفراء من 1920 إلى 1929¹.

الوحدة الإدارية	وحدة التعليمات			اسم الإقليم وعاصمته
	المركز	الملحق (مقره)	الدائرة	
المختلطة البلدية جرفيل	/	جرفيل (البيض)	/	إقليم عين الصفراء (عاصمته عين الصفراء)
المختلطة البلدية المشرية	/	المشرية	/	
البلدية المختلطة عين الصفراء	بني ونيف	عين الصفراء	/	
المختلطة البلدية كولومب	/	/	كولومب	
بلدية الاهالي تيميمون	/	توات - قورارة	الصحراء العربية	
بلدية الاهالي الساورة	بني عباس	الساورة		

ومن خلال الجداول السابقة نضع الجدول التالي الذي يبين لنا التنظيم الإداري لإقليمي توات

وقورارة من 1902م إلى 1930.

¹ - G G A, les territoire du sud de L'Algerie année 1903-1929, op. cit, p 39.

الجدول رقم 07: التطور الإداري لإقليمي توات وقورارة من سنة 1902 إلى 1930.

السنة	الإقليم	مقره	الدائرة	الملحق	المركز	الوحدة الادارية
1901 1902	اقليم الوحات	ادرار	/	توات تيميمون	/	/
1905	اقليم الواحات	ادرار	/	توات (ادرار)	قورارة تيميمون	بلدية اهالي الوحدات الصحراوية
1907	اقليم الصفراء	عين الصفراء	كولومب بشار	قورارة	توات	بلدية اهالي ادرار
1909	اقليم الصفراء	عين الصفراء	كولومب بشار	قورارة	توات	بلدية اهالي تيميمون
1911	اقليم الصفراء	عين الصفراء	كولومب بشار	قورارة	توات	بلدية اهالي تيميمون
1912 1919	اقليم الصفراء	عين الصفراء	كولومب بشار	قورارة	توات	بلدية اهالي تيميمون
1927 1929	اقليم الصفراء	عين الصفراء	شمال الصحراء	توات وقورارة	/	بلدية اهالي تيميمون

من خلال الجدول الذي بين أيدينا والذي أدرجنا فيه مختلف المراسم المتعلقة بالتنظيم الإداري

لمنطقة توات وقورارة من 1902م إلى 1930 م من التنظيم الإداري بمرحلتين:

1902_1907م، كان اقليمي توات وقورارة تابعين لإقليم الواحات التي كان يسيرها قائد

عين الصفراء وكانت توات ملحقا بينما قورارة مركزا وبعد صدور مرسوم 1907م والذي حدد الحدود

الفاصلة بين اقليم الواحات وعين الصفراء.

وتبدأ المرحلة الثانية في التنظيم الاداري من 1907 إلى 1930م في اقليمي توات وقورارة حيث أصبحتا تابعين لإقليم عين الصفراء وتصبح توات مركزا وقورارة ملحقة، كما تم إنشاء بلدية أهالي تميمون.

ويرى جمال قنان «أن السياسة التي اتبعتها فرنسا في الاقاليم الجنوبية تكمن في أحكام القيد علة هذه المناطق باستخدام العنف والقهر والقسوة والإرهاب بكل أشكاله وصوره مستخدمة لهذه السياسة ادوات منها القمع البوليس الذي مارسه السرايا الصحراوية ذات الشهرة البائسة على كل كائن حي وفي كل واحة وكل قصر دون وازع ولا رقابة من أي كان إلى جانب ما يمارسه من ضروب القهر والعنف فحكام الأقاليم والدوائر والملاحق وضباط المراكز وأعوان الإدارة الاستعمارية من الأهالي»¹.

وفي سبتمبر 1947م صدر القانون الخاص بالجزائر وألغى النظام الخاص بالصحراء وجعلها مثل عمالات الجزائر أي وحدة إدارية متميزة لها ميزانيتها الخاصة وممثلوها في المجلس الجزائري والمقدر عددهم بستة (06) نواب من جملة 120 نائبا².

ظلت المنطقة تحت هذا النظام العسكري في الجنوب إلى غاية 10/02/1957م حيث صدر قانون فصل الصحراء نهائيا عن الشمال وأصبح يعين لها وزير مكلف بالصحراء وبذلك لم تعد تحت سلطة الحاكم العام للجزائر كما ابتكرت الإدارة الاستعمارية منظمة اقتصادية لوضع خطة لتطور الاهالي بالصحراء كما في الشمال والتأسيس لفصل الصحراء نهائيا عن الشمال³، وإقامة وحدة إقليمية جديدة تشكل جنوب افريقيا الغربية الفرنسية تشترك فيها الجزائر وموريتانيا والنيجر ومالي والتشاد⁴.

وهكذا تم تنظيم الصحراء في عمالتين:

- عمالة الساورة: ومقرها بشار وتضم اقاليم الجزء الجنوبي الغربي بما فيها توات.

¹ - قنان جمال، المرجع السابق، ص 145.

² - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 21.

³ - عبد المجيد شيخي، المرجع السابق، ص 221.

⁴ - عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995، ص ص 140 - 141.

● عمالة الواحات: ومقرها الاغواط وتضم أقاليم الجزء الجنوبي الشرقي ويسير من طرف وزارة خاصة بالصحراء أسندت إلى ماكس لوجون¹.

وهنا تبرز السياسة الفرنسية الاستعمارية في مجال فصل الصحراء لاستغلال الثروات الباطنية مثل البترول الذي اكتشف سنة 1956م بحاسي مسعود وكذلك الغاز والمعادن الثمينة بمنطقة الهقار والفحم في بشار واستغلال المساحات الشاسعة في اجراء مختلف البحوث العلمية في مجال الفلك والتجارب العلمية بما فيها المحرمة دوليا مثل التجارب النووية برقان والهقار، والكيميائية بوادي الناموس في بشار ودراسة معطيات الملاححة الجوية وهذا للدخول في منافسة نادي الكبار (الو. م. أس) في هذه المجالات فكانت الصحراء مسرحا مهما لصناعة أمجاد فرنسا الاستعمارية².

وكانت الصحراء همزة وصل لربط مستعمرات فرنسا بشمال إفريقيا مع دول الساحل الإفريقي واستغلالها كمورد مهم للطاقة بعد اكتشاف ثرواتها الطبيعية ومجالا واسعا لمختلف تجاربها العلمية النووية والصاروخية، وبذلك خضعت الصحراء لكل هذه التقلبات الإدارية³.

ثانيا: التنظيم القضائي لمنطقة توات

يعتبر القضاء الدعامة التي ترسو عليها المجتمعات لأنها تنظم علاقاتهم ببعضهم البعض وتضمن اكتساب أنشطتهم وسلوكهم وتواجههم وتزدهر بما عمارتهم ومعاشهم لذلك لأن القاضي في منطقة توات، والقضاة لهم أهمية كبيرة في المجتمع لتنظيم أحوال الناس وضبطها بضوابط وأحكام ونصوص الشرع الثابتة وذلك من خلال تنامي المشاكل الاجتماعية والاقتصادية من جراء التطور الطبيعي للمجتمع التواتي.

عرفت توات تنظيما قضائيا خاضا بها له مؤسساته وتقاليده وحواضره أطرته مجموعة من الأسر العلمية التي كانت لها باع في العلم والجاه والقوة والسلطة كالبيت البكري والتللاقي والبلبالي وكان اختيارا

¹ - جريدة المجاهد، العدد 93، بتاريخ 10 أبريل 1961، ص 08.

² - عمار منصوري، السياسة الفرنسية لفصل الصحراء "منهجية" جبهة التحرير في التصدي لها، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء، المرجع السابق، ص 254.

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 20.

القاضي يتم باختيار المجموعة التواتية ممن تتوفر فيهم الشروط من أهل العلم والدراية والاجتهاد يتقدمون في الإمامة والتدريس ويقومون بتوثيق عقود البيع والشراء وتقسيم الموارث وكان على رأس القضاء التواتي قبل الاحتلال الفرنسي **مُحَمَّد بن أُمَّحَد الحبيب البلبالي** من كوسام نصبته فرنسا بعد احتلال المنطقة سنة 1900م على المحكمة الشرعية التي كان مركزها بقصر كوسام من عرش تيمي¹.

تنامي هذا الدور للقضاة في منطقة توات في ظل انحسار دور السلطتين التنفيذية والتشريعية حتى أضحى من أهم الانظمة والمؤسسات التي فرضت وجودها في منطقة توات في ظل تنامي المشاكل الاجتماعية والاقتصادية من جراء التطور الطبيعي للمجتمع التواتي الذي أنتج جهازا اداريا مستقلا قويا استمد قوته من تفاعل المجتمع معه وفي اختيار القضاء تنظيما وعزلا².

ويمثل قاضي الجماعة التواتية أعلى سلطة قضائية في توات ويتخذ مقره في مركز الاقليم ويتمتع باحترام الجميع لأن القضاة من اشهر رجال العلم والدين وينحدرون من اسر كبيرو الشيء الذي دفع مشايخ توات إلى طلب رضاهم³.

وبعد الاحتلال الفرنسي لمنطقة توات قسمت العدالة في المنطقة إلى قسمين (الفرنسية- الإسلامية) على غرار المناطق الشمالية عدا بعض التعديلات التي اقرها مرسوم 08 جانفي 1870 نتيجة لشساعة الاراضي الصحراوية وبعدها عن المحاكم الفرنسية⁴.

القضاء الفرنسي:

ولأن اقليم توات كان تابعا لإقليم عين الصفراء لم تكن له منظومة قضائية مستقلة قمنا بنظرة عامة للمنظومة القضائية في المنطقة الجنوبية هذه المنظومة التي كانت نفسها المطبقة في المناطق الشمالية

¹ - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 56.

² - أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية باقليم توات من خلال توازن الحثثوري في القرن 12هـ 18م (أطروحة أعدت لنيل شهادة الماجستير في قسم التاريخ، غير منشورة)، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، السنة الدراسية 2011_2012، ص 104.

³ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 57.

⁴ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 56.

وهذا من خلال التقرير الصادر سنة 1903_1921، أما بقية التقارير فقد أكدت أنها على هذه المنظومة وأعطت احصائيات حول مختلف الجرائم التي كانت تخص اقليم توات.

أ- العدالة الفرنسية: اختصت العدالة الفرنسية بالأوروبيين واليهود منذ صدور مرسوم 1860م وبعد انشاء اقاليم الجنوب سنة 1902 تم تنصيب العدالة الفرنسية في هذه الاقاليم ب 14 قاضي من بينهم قاضيان مديان للصلح في كل من الاغواط والجلفة وهما محكمتان مديتان اما 12 محكمة الاخرى فهي محاكم صلح عسكرية ولم تكن لقضايا الصلح قضايا كثيرة يشتغلون عليها لندرة تواجد الأوربيون في اقصى الجنوب كون اختصاصهم والفصل في القضايا بين الاوربيين إلا ان فرنسا أنشأت هذه المحاكم في عواصم الاقليم والملاحق والمراكز وتم تأسيس محكمة الصلح العسكرية بأدرار في 17 اكتوبر 1902م وفي تيميمون في 07 يناير 1910م وذلك بعد التغير الذي تم في ملحق ادرار وتيميمون¹ تحديد مهام قاضي الصلح من طرف المحاكم العام وعادة ما يكلف بهذه المهمة القائد الاعلى للدائرة أو رئيس ملحقة المركز ويمارس سلطته القضائية على كامل الدائرة أو الملحقة ويكلف ضباط اخرون بقضايا الاهالي بحيث يعتبرون بمثابة مساعدين ويتولون عن القاضي الاول في المنطقة اثناء غيابه².

كما يمكن لقضاة الصلح اتخاذ أي اجراء تحفظي في جانب الجرح ويمارسون مهام رؤساء المحاكم الابتدائية مثل القاضي وهم مسؤولون عن:

- 1- كل المخالفات المتعلقة بالقانون.
- 2- كل الجرح التي لا تتعدى عقوبتها 06 اشهر سجنا أو 500 فرنك غرامة.
- 3- كل المخالفات المرتكبة ضدها محكمة الجرح.
- 4- كل المخالفات والجرح ضد الغابات حيث لا يتعدى غرامتها 150 فرنك (مرسوم 14 ماي 1850 م).

¹ - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 56.

² - Les territoires du sud de l'Algerie Exposé des leur situation, deuxième partie, L'œuvre accomplie, 1 janvier 1903 _31 décembre 1921 _1922, op.cit, p 408.

كما أن كفاءة الصلح في القضاء المدني والجنائي والمحاكم العسكرية هي نفس الكفاءة التي يجوزها قضاة الصلح العاديين في الجزائر وذلك حسب قرار 12 جويلية 1905م والمطبق في الجزائر بموجب قانون 31 جويلية 1913م فهم على دراية بالقانون المدني والتجاري¹.

وقد صدر مرسوم في 17 أكتوبر 1908م والذي أنشأ بموجبه عدالة الصلح بادرار (توات) ومرسوم 07 جانفي 1910م، والذي أنشأت بموجبه عدالة الصلح في تيميمون كما حول مرسوم صلاحيات المجالس العملائية فيما يخص بتطبيق الاحكام الخاصة بالقضايا الادارية والمنازعات القضائية بأكملها، كما أن المحاكم الاستثنائية بالشمال تمارس سلطتها القضائية والمدنية والعقابية تجاه الاوربيين واليهود بالأقاليم الجنوبية. فقضاء الصلح في عين الصفراء تابع لمحكمة سعيدة كذلك الجرائم المرتكبة من طرف الاوربيين واليهود في الاقاليم الجنوبية تحال على المجالس القضائية فمجلس قضاء وهران يتناول الجرائم المرتكبة في اقليم عين الصفراء².

وقد صدر مرسوم 13 فيفري 1909م لضبط التنظيم الخاص بالمناطق ومجالس الحرب الجنوبية فيما يخص احكام الجرح فالمادة الأولى من هذا المرسوم تمدد مجالس الحرب منطقة وهران إلى منطقة عين الصفراء، ومجلس حرب منطقة الجزائر إلى اقليم غرداية وأخيرا مجلس حرب قسنطينة لإقليم توقرت والواحات، أما المادة الثانية فهي تأمر قيادات الاقاليم التدخل فيما يخص المحكومين من طرف مجالس الحرب (العسكريين من جميع الرتب والأهالي الغير متحصلين على الجنسية الفرنسية وقد طرأ تغيير على تنظيم قضاء الصلح وفق المرسوم المؤرخ في 07 جانفي 1910م والذي بموجبه تم انشاء محكمة عسكرية بأدرار مركز توات ومحكمة تيميمون ملحقه قورارة وهذه المحاكم العسكرية لادرار وتيميمون تابعة لمحكمة معسكر³.

¹ - Les territoires du sud de l'Algerie, op. cit. p409.

² - Exposé de la situation General des territoire du sud de L'algerie territoire du sude sud de l'Algerie Exposé des leur situation, deuxième partie, L'œuvre accomplie, 1 janvier 1903 _31 décembre 1921 _1922, op.cit, p408

³ - Expose de la sition General des territoires du sud de L Algérie, présent par M-C, Jonnarte Gorenneur General année 1909, typographie Adolphe jourdan, imprimeur – libraire – editeur place de la regenck 02, 1910, p95.

اختص القضاء في المحاكم الابتدائية بقضايا الجرح والمخالفات البسيطة التي لا تتعدى عقوبتها ستة اشهر حبس او خمسمائة فرنك غرامة فيما يخص بعض القضايا الادارية والمنازعات القضائية كما ان المحاكم الاستثنائية بالشمالتمارس السلطة القضائية والمدنية العقابية تجاه اليهود والاوربيين بالاقليم الجنوبية وتمدد مجالس الحرب الجنوبية فيما يخص الجرح إلى الجنوب، فمجلس حرب قسنطينة يمتد إلى اقليم توقرت والواحات، فكانتتحكم على العسكريين من جميع الرتب بالاضافة إلى الاهالي الغير متحصلين على الجنسية الفرنسية وتم انشاء محكمة عسكرية بادرار، وبالتالي خضع الاهالي للقضاء العسكري ضمن الحكم العسكري للمناطق الجنوبية، ولم يخضع الاهالي لنظام مدني مثلما هو الحال بالنسبة للبلديات المدنية الكاملة الصلاحية وخضوعهم لقوانين استثنائية جائرة.

لكن هل خضع الأهالي للمحاكم الفرنسية؟ أم أنهم اوجدوا بدائل للقضاء الفرنسي ضمن حدود مايسمى بالمقاومة الفكرية للاستعمار الفرنسي؟

ب- القضاء الإسلامي: لقد حدد مرسوم 08 جانفي 1870 تنظيم القضاء الإسلامي في المناطق الجنوبية بمعنى أن القاضي الخاص بالأهالي يكلف بالجرائم المتعلقة بالشؤون الإسلامية وحسب مرسوم 17 أبريل 1889م فإن صلاحيات القاضي المسلم تنحصر في الاحوال الشخصية من زواج وطلاق وتتكون هذه السلطة من ضباط كدرجة اولى في المحكمة وكل محكمة يترأسها قاض أو عدة «بشاديل»، مستخلف القاضي، وكاتب ضبط كلهم حاملين لشهادة الكفاءة المسلمة من طرف المجلس ويعينون من طرف الحاكم العام وبناء على اقتراح قيادة الاقليم بعد استشارة رؤساء المجالس والأعوان والوكلاء وكلهم تابعين لمحكمة معينة وتحدد السلطات القضائية بموجب قرار يصدر من طرف الحاكم ويشترط في القاضي المعين في الأقاليم الجنوبية معرفة كل الشؤون المتعلقة بالقضايا المدنية والتجارية¹.

وقد حددت للقاضي المسلم مجالات معينة وهو مختص بقضايا المسلمين الذين لا يتمتعون بالجنسية الفرنسية أما القضايا الأخرى التي ليست من اختصاص القاضي المسلم فإنها تحال على العدالة الفرنسية².

¹ - Les territoires du sud de l'Algerie Exposé des leur situation, deuxième partie, L'œuvre accomplie, 1 janvier 1903 _31 décembre 1921 _1922, op.cit, p 410.

² - سعيد بن عبد الله، العدالة في الجزائر من الاصول إلى اليوم، ج 1، مؤسسة تسيو للنشر والتوزيع، الجزائر 2001، ص213.

يختص القاضي الشرعي في القضايا المرتبة المتعلقة بالأحوال الشخصية والمنقولات في حدود 200 فرنك ويتكون المجلس الاستشاري الإسلامي من القاضي وثلاث آخرين يعينهم الحاكم العام من بين مفتيين وقضاة وعلماء وأحكام المجلس غير ملزمة إلا إذا كان لا يتعلق بمسألة الدولة أو قيمته دون 200 فرنك أما غير ذلك فيمكن للمتخاصمين الطعن لدى المحكمة المحلية أو أمام قضاة الصلح الفرنسيين¹.

وفي بعض الأحيان كان يستأنف بعض الأشخاص الأحكام التي يصدرها قاضي الجماعة التوتوية حينما لا يراها تتفق مع مصالحه في محاكم الاستئناف بتاقيلا لت بالمغرب الأقصى وهذا عندما يتعلق الأمر بالعائلات الغنية التي تملك تكاليف السفر والإقامة مدة قد تستغرق شهور في بعض الأحيان²، كما أن هذه الأحكام قد تستأنف بعرضها على العلماء والفقهاء فكانوا يمثلون الجهة المقومة والمعدلة لها، وقد يتم مراجعة بعضها من طرفهم فيرجعونها إلى القضاة مبينين وجه الاعتراض والتقويم³.

يتقاضى قضاة المحاكم الإسلامية راتبا غير محدد يمنح لهم عن طريق مختلف القضايا التي منحت لهم ويتم تقاسم الاتعاب وفقا نسب محددة بموجب قرار صادر عن الحاكم العام.

تصدر المحاكم أحكامها في المناطق الجنوبية وفقا للمذهب المالكي أما في منطقة وادي ميزاب وفقا للمذهب الإباضي أما المحاكم الموجودة في المناطق الجنوبية فهي كالتالي:

- إقليم عين الصفراء: محاكم كل من البيض _ المشرية _ عين الصفراء _ أولاد سيد الشيخ _ الشلالة _ دراقا، ومحكمة ملحقة بكولومب.
- إقليم غرداية: الجلفة _ زهراز _ الزينة _ مسعد _ الأغواط _ لربعا _ غرداية.
- إقليم توقرت: طولقة _ مالة _ سيدي عقبة _ أولاد جلال _ توقرت _ جامعة _ لقمار _ قوينين.

¹ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 58.

² - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 58.

³ - أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 106.

- إقليم الواحات: ورقلة_ المحاكم الإدارية_ غرداية_ بني بزقن_ بونورة_ بريان_ مليكة_ القرارة.¹

الجدول رقم 08: تنظيم العدالة الإسلامية في إقليم عين الصفراء.²

السنة	عدد المحاكم الرئيسية	محكمة الملحق	القضاة	كاتبين عدل	عدول
1916 .1917 .1918	8	1	8	9	9

الجدول رقم 09: يبين المخالفات التي قمعت من طرف السلطات المحلية من سن 1907 إلى سنة 1912.³

السنة	الجموع	المخ تلفة	محاوالات السرقة	شهادات الزور	السكر العلني	المشاكل العلنية	رفض معاونة	الشتيم لعناصر القوات	الجهولة	الجنح	الدوائر والملحقات
1907											ملحقة توات
	148			01	01	33	22	02	25	67	مركز قورارة
1909	43	27	10							06	مركز توات
	192		48	07	12	11	07	11	12	16	ملحقة قورارة
1911	286	11 0	29	09	03	62	30	11	08	24	ملحقة قورارة
	122		13			40					مركز توات
1912	281	94	51			63	42		12	10	ملحقة قورارة
	102	09	28			50				15	مركز توات

¹ - Les territoires du sud de l'Algerie Exposé des leur situation, deuxième partie, L'œuvre accomplie, 1 janvier 1903 _31 décembre 1921 _1922, op.cit, p 410.

² - G.G.A, Direction des territoires du sud, année: 1919- 1917, p189.

³ - E.S.G.T.S.A, année 1903 – 1922, pp 413 – 414.

تبين لنا من خلال ما سبق أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية حاولت اخضاع القضاء الإسلامي للقضاء الفرنسي من خلال الاستئناف لدى محاكم الصلح الفرنسية وتعيين القضاة من طرف الحاكم العام وحصر القضاء الإسلامي في قضايا الاحوال الشخصية من زواج وطلاق.... الخ، كما أن الاستئناف يكون حسب القوانين الفرنسية وهنا تبرز المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي بعد التحاكم لدى المحاكم الفرنسية.

الجدول رقم 10: الجرائم والجنح المعروضة امام مجلس الحرب لإقليمي توات وقورارة سنة 1907 – 1915¹

الملحق	الاغتيال والمحاولة	السرقه والتعدي	الحرائق	السرقه	الفرار	النصب والاحتيال	الضرب والجرح	شراء وبيع

من خلال ما سبق يتضح لنا أن المنطقة الجنوبية كانت قليلة من حيث تواجد السكان الاوربيين وكذلك اليهود إن لم نقل معدوما على عكس المناطق الشمالية لذلك لم تنشأ السلطة الاستعمارية الفرنسية منظومة قضائية كبيرة في الاقليم بل بقي الاقليم في اغلب قضاياها يخضع للمحاكم الإسلامية تحت رقابة السلطات الاستعمارية الفرنسية، أما الاستئناف فكان لدى مجالس الصلح الفرنسية العمل تحتهم وفق القوانين الفرنسية لذلك كانت المحاكم الإسلامية هي التي تقوم بفض النزاعات بين السكان.

شروط تولي القضاء: يتم التعيين في منصب القاضي من بين الباش عدول الذين يشبتون 10 سنوات خدمة في المحكمة منها 05 سنوات في منصب باش عدل ويكون محرزا للشهادة العليا من المدرسة الثعالبية غير أن القاضي في الجنوب يتمتع بسلطات واسعة كما أن هذه الشروط لا تشترط في قاضي الجنوب بل يكفي حصوله على الشهادة الابتدائية واجتياز امتحان امام لجنة مكونة من ثلاث قضاة ويفصل بخطط القضاء الشرعي وخطه قاضي الصلح في المسائل المدنية بالنسبة للمسلمين².

¹-E.S.G.T.S.A, année 1903 – 1922- op. cit. pp 412 _415.

² - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 59.

كان لزاما على اهل توات اختيار من يتحكم في الاوضاع ويفصل ويحل المشاكل التي كانت تعيشها البلاد فكان يختار القاضي من العلماء والشيخوخ وأرباب القصور وذلك بأن تتوفر فيهم الشروط الأساسية: أ، يكون مسلما _ بالغا راشدا _ عالما بالكتاب والسنة _ متفقه في الدين _ أن يكون حرا _ سلامة السمع والبصر _ ملما بعادات وتقاليد وأعراف مجتمعه _ أن يكون مالكي المذهب¹.

كما أنه يجب أن ينحدر من أسرة كبيرة ذات نفوذ قوية، وقد بعث الضابط "لابيرين" برسالة إلى فقهاء توات وقورارة وتيديكلت مؤرخة في 03 أوت 1905 يؤنبهم فيها على عدم ارسال مجموعة من التلاميذ للدراسة في المدرسة الشرعية بتلمسان، كما يوضح لهم الاجراءات التي قامت بها فرنسا في مجال القضاء واختار 11 فقيها من قورارة و08 من توات و02 من تيديكلت²، للنظر في القضايا الشرعية وأن هذا العمل لن يتكرر إلا بحصول الطالب على إجازة من مدرسة تلمسان لكي يمارس بها القضاء باسم الدولة الفرنسية³.

ومن الأمور كذلك التي يجب أن تتوفر في قاضي الجماعة أن يكون ملما بفقهِ الإمام مالك ويظهر ذلك من خلال المقدمة التي كتبها الشيخ عبد العزيز بن مُجَّد البلبالي في كتابه المعروف باسم (الغنية البلبالية)⁴، حيث يقول فيها: «قرأت خليلا من أوله إلى آخره وكذلك التفسير والتحليل والتفسير لا يقرأهما الا العلماء الكبار، وقل لأمي ياسعادتك ويا فرحتك، قل لها ولدك أضحي من خيار علماء توات من شك بأن له بأي وقفة من خليل أو من التفسير ومن لم يشأ فليمت غيظا ومن شاء فليحمد الله على إظهار الإسلام»⁵.

¹ - مُجَّد الزحيلي، التنظيم القضائي في الفقه الاسلامي، دراسة مقارنة، دار الفكر المعاصر، بيروت دمشق، 2002، ص 13.

² - تقييد في خزانة كوسالم اسماء بعض الفقهاء الذين تولو القضاء في سنة 1318 _ 1900م، وهم مُجَّد بن احمد لحبيب بن مُجَّد البلبالي، المختار بن مصطفى الرقادي، أمبارك بن مُجَّد المأمون، حمزة بن الحاج احمد، تقييد حول قضاة توات، خزانة كوسالم، أدرار.

³ - العقيد لابيرين: رسالة إلى فقهاء توات وقورارة وتيديكلت، در - 1905/8/3م، خزانة الرقائي، بودة ادرار.

⁴ - هذا المؤلف عبارة عن مجموعة من القضايا والفتاوى والمسائل المنقولة من سجلات القاضي عبد الحق بن عبد الكريم الذي يشكل مجلس شورى من 04 فقهاء لمشاورتهم في القضايا التي تستشكل عليه، وكان بيد كل منهم سجل يقيد فيه احكامه وفتاويه وقام الشيخ عبد العزيز بجمع احكام السجل التي قيدها والده وقام بترتيبها حسب ابواب خليل وأشار إلى بعض الشخصيات برموز فأشار إلى القاضي عبد الحق بالقاضي والمشاور بالشيخ وهو مُجَّد بن عبد الرحمان والد الذي نحن يصدده وإلى نفسه بالابن، انظر فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص63.

⁵ - فرج محمود فرج، نفسه، ص ص 58- 59.

هياكل القضاء بتوات: اختلفت الهيئات القضائية من سكان القصور إلى المدن الكبرى ففي

القصور يتولى مهمة القضاء شيخ البلدة أو مجلس جماعتها اما في المدن الكبرى فكان يوجد القاضي .

أ- الجماعة التواتية: هم أهل الربط والعقد يتولون شؤون البلدة وهي جماعة إسلامية لها عاداتها وتقاليدها التي ورثتها عن أجدادها¹، وتحظى هذه الجماعة بالاحترام من طرف الجميع باعتبارهم أعيانها وكبارها من مهامها تعيين قاضي الجماعة والإفتاء في بعض الأمور الدينية وبهذا هم يمثلون فئة الفقهاء الذين لهم أحقية التدخل في حل بعض النزاعات التي يقوم بها أصحابها بعرضها على هؤلاء².

ب- قاضي الجماعة: هي أعلى سلطة قضائية في المنطقة يتم تعيينه من طرف الجماعة التواتية يتولى هذا المنصب أشهر الفقهاء والعلماء لم يتوقف عمل قاضي الجماعة على النظر في القضايا الدينية فقط بل كان يشرف على الموازين والمكاييل والأسواق والسهر على تطبيق القوانين الشرعية والمخزنية له راتب سنوي من بيت مال الإقليم وهذا الراتب يوافق عليه شيوخ البلاد التي وافقت على تعيينه لتولي أمورهم والنظر في قضاياهم والفصل بينهم³.

ت- مساعد القاضي: كان إلى جانب القاضي مساعدين له ممن يختصون بالتحري في القضايا المطروحة والتأكد من صحتها والتحقيق عن الجرائم والمجرمين وهو ما يشبه قاضي التحقيق حالياً، إضافة إلى هؤلاء يوجد مساعد خاص بالقاضي الذي يتولى إعداد ملف القضايا وتحرير الأحكام والتوقيع عليها إلى جانب القاضي ويعرف صاحب هذه المهمة بالكاتب ويطلق مصطلح كاتب الضبط بالمصطلح الحالي⁴.

مصادر قضاة توات: اعتمد قضاة توات في فتاويهم وأحكامهم على مجموعة من المصادر التي

ساعدتهم في حل العديد من المشاكل التي كانت تواجههم فاعتمدوا على مصدرين الكتاب والسنة ومنهج الأئمة ومنه تستنبط أحكامهم ومن أحاديث النبي صل الله عليه وسلم إضافة إلى مصادر أخرى كانت متوفرة مثل صحيح البخاري ومسلم⁵، وبما أن المذهب المالكي هو المتبع في الإقليم فقد اهتم

¹ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 44.

² - كحلاوي حليلة، نيكولو مريم، تاريخ القضاء بتوات الوسطى من النشأة إلى القرن 13هـ، المرجع السابق، ص 07.

³ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 45.

⁴ - كحلاوي حليلة، نيكولو مريم، المرجع السابق، ص 10.

⁵ - جبر محمود فضيلات، القضاء في الإسلام وآداب القاضي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط1، 1991، ص20.

علماء توات بجلب المصادر المالكية منها: المدونة للإمام أبي سعيد عبد السلام التنوحي القيرواني الشهير بسحنون (ت 240 هـ)، ونوازل المعيار للونشريس (ت 914 هـ)، ومختصر خليل للإمام الشيخ ابن اسحاق الجندي أبي المودة (ت 776 هـ)، شرح رسالة ابن زيد القيرواني لأبي الفضل قاسم بن عيسى بنجي التنوحي القيرواني.

أشهر القضاة الذين تولوا القضاء بالمنطقة

القاضي المُحَمَّد بن أحمد الحبيب البلبالي¹ (ت 1319 هـ_1902م): تولى القضاء سنة 1892م قبل الاحتلال الفرنسي وبعد الاحتلال اقتره الإدارة الاستعمارية على منصب القضاء وبعد وفاته سنة 1902م خلفه في القضاء أخوه عبد الله بن أحمد البلبالي (ت 1329 هـ_1911م)².

عبد الله بن أحمد البلبالي: هو الشيخ العلامة أبو عبد الله سيدي مُحَمَّد عبد الله بن العالم الرباني سيدي أحمد البلبالي كان عالما تأم له الطلبة من كل الجهات تخرج على يده عدة طلبة من بينهم سيدي أحمد ديدي الذي تخرج على يديه الشيخ سيدي مُحَمَّد بلكبيري ومنهم أيضا سيدي مُحَمَّد السالم ابن السيد الحاج عبد الله التتالي والسيد عبد الكبير المطارفي، والسيد مُحَمَّد الراشدي³، لازم التدريس وكان يواصل الدرس في سائر الفصول مواظبا على المطالعة والبحث⁴، توفي رحمه الله في عام 1329 هـ ودفن بكوسام قرية من قرى تيممي ونص ما قال عنه أحد تلامذته القاضي مُحَمَّد بن عبد الكريم عبد الله بن أحمد البلبالي: «أستاذي وملاذي ومنتهى ودادي ونور فؤادي وغاية مقصدي وعنصر مدادي شيخ الشيوخ بالديار الصحراوية وحامل لواء الأمة المحمدية قطب الشورى وقاضي الورى شيخنا شيخ الجماعة»، كان عالما عاملا طويل الباع كثير الاطلاع اخذ العلم عن والده العلامة الشيخ سيدي احمد الحبيب واخذ عنه ابنه الشيخ القاضي أبو زيد الشيخ سيدي مُحَمَّد بن الشيخ القاضي سيدي مُحَمَّد فتحا⁵.

¹ - ولد بقصر ملوكة سنة 1248 هـ / 1832م من أسرة مشهورة بالعلم والصلاح اخذ العلم عن والده وعن الشيخ مُحَمَّد عبد العزيز البلبالي، تصدر للتدريس والفتوى تولى منصب القضاء سنة 1892م، وظل به إلى غاية وفاته 1902م، انظر: الصديق حاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 هـ إلى القرن 14 هـ، ط 2، منشورات الجير، بني مسوس الجزائر، 2011، ص 95.

² - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 07.

³ - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 101.

⁴ - التهامي غيتاوي، سلسلة النواة في ابرز شخصيات من علماء وصالحى اقليم توات، ج 2، المطبعة الحديثة، الجزائر، 2005، ص 86.

⁵ - مُحَمَّد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من اخبار علماء توات، مطبعة دار هومو، 2002، ص ص 44_45.

وكان معه في المجلس كل من القاضيين الحاج بن البكري البلبالي والقاضي العربي بن الحاج أمجد التمنيطي¹ في مرتبة باش عدل ولعل القاضي عبد الله البلبالي قد ترك منصبه بعد مرض ألم به في آخر عمره للقاضي الحاج بن البكري البلبالي وما يثبت ذلك وجود عدد من العقود مضمية من طرفه هذا الأخير قبل سنة من وفاة القاضي عبد الله البلبالي².

القاضي الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي: المعروف ب سيدي الحاج البلبالي (1244هـ): هو سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي المعروف بسيد الحاج المولود في 1166هـ بقرية ملوكة والتي بها ترعرع وترى³.

قال رحمة الله عليه: قرأت القرآن على مقري بلدنا وابن عمنا البركة الطاهر سيدي عبد الله ابن إبراهيم سيد الحاج علي بن سيدي احمد بن زيد البلبالي ثم على الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمان بن عمر التلاني ثم على الشيخ سيدي محمد فتحا بن عبد الله الو نقالي إلى أن قال: ولما كان في مرضه الذي توفي فيه أقامني مقامه في التدريس فتصدرت في موقعه لاقراء الطلبة وأجازني الشيخ سيدي عبد الرحمان ثم تولى خطة القضاء وانتشرت أخبار عبد الله في الصحراء الشاسعة⁴، فكان قاض الجماعة بتوات وهو الذي انتخب مسائل الغتبة أو بمعية ابنه الشيخ سيدي عبد العزيز⁵، وظل في هذا المنصب إلى غاية وفاته سنة 1912⁶، وبعد وفاة القاضي الحاج بن البكري البلبالي خلفه على رأس القضاة بالمحكمة

¹ - هو الشيخ العربي بن الحاج أمجد بن الحاج الصديق بن ابي مدين التمنيطي ولد سنة 1853م، أخذ العلم عن الشيخ احمد المساري التمنيطي الملقب بديدي العالم وعن الشيخ محمد بن عبد الرحمان الانصاري توفي سنة 1939م، تقييد حول ترجمة الشيخ العربي بن الحاج أحمد التمنيطي بيد الحاج الحسن بابا التمنيطي، تمنيط أدرار، الجزائر.

² - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 68.

³ - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 98.

⁴ - محمد عبد العزيز بن عمر، المرجع السابق، ص ص 47 _ 48.

⁵ - مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 86.

⁶ - تقييد حول علماء كوسام بيد الطيب لنصاري، خزنة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، تيمي، ادرار.

الشرعية القاضي مُجَّد بن أمجد بن أحمد البلبالي¹ بمساعدة كل من مُجَّد عبد الرحمان بن القاضي عبد الله البلبالي² في منصب باش عدل مع استمرار القاضي العربي بن الحاج أمجد التمنطيبي في منصبه³.

القاضي مُجَّد بن عبد الكريم البكري: ولد سنة 1300هـ نشأ بتمنطيط ثم بكوسان ولما عاد لتمنطيط اشتغل بمهمة التدريس حتى تولى القضاء سنة 1354 هـ، وكل في مهمة القضاء 30 عاما أدى فريضة الحج سنة 1368هـ⁴، تولى القضاء بإيعاز مُجَّد بن أمجد سنة 1935 خلف العديد من المؤلفات منها: الكواكب البرية في المناقب البكرية، درة الأفلام في اخبار المغرب بعد الإسلام، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، حاشية على شرح السيوطي على القبة بن مالك⁵، عاصر الشيخ ابن عمه الشيخ أحمد ديدي⁶ رحمه الله وأيضا الشيخ مُجَّد بن عمر بن الحبيب البوداوي صاحب كتاب نقل الرواة عن من ابدع قصور توات، والحاج مُجَّد بن مُجَّد بن الحسن بن سعيد البكري زامن الاستعمار الفرنسي وهو من اتباع الطريقة القادرية من الصنف الذي يقوم بالعلم والدلالة⁷، من شيوخه السيد مُجَّد بن علي الاجروقي التواتي والسيد سعيد قدورة وأخوه الشيخ الحاج مُجَّد القاضي التواتي والشيخ الحاج مُجَّد بن عمر البوداوي كما تتلمذ على يده أبناءه الأربعة الشيخ مُجَّد الصالح والشيخ عبد القادر والسيد مُجَّد والشيخ عبد الكريم وابن اخته الشيخ سيدي عبد الله بن مُجَّد⁸.

¹ - القاضي مُجَّد بن أمجد البلبالي (ت 1354هـ/1935م) ولد بكوسام سنة 1277هـ/1860م أخذ العلم عن والده وعن عمه الشيخ عبد الله بن احمد الحبيب البلبالي، تقلد منصب القضاء سنة 1912م وظل به إلى غاية وفاه سنة 1936م، التقييد بيد الطيب ساري، نفسه.

² - ولد بقصر كوسام سنة 1280هـ/1863م أخذ العلم عن والده وبعد وفاته تولى التدريس بمجلسه وكان ممن تتلمذ على يده الشيخ عبد القادر البلبالي والشيخ أمجد بن احمد الكوسامي تولى منصب القضاء سنة 1330هـ/1911م، وظل به إلى غاية وفاته سنة 1353هـ/1934م، انظر ترجمة: الصديق حاج احمد، المرجع السابق، ص 95.

³ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 69.

⁴ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 189_192.

⁵ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 71.

⁶ - ولد الشيخ الحاج أحمد ديدي البكري النوناسي سنة 1908 من اسرة علمية حفظ القرآن على يد والده ثم انتقل إلى المدرسة البكرية بتمنطيط عند شيخه وابن عمه سيدي احمد ديدي البكري رفقة ثلة من التلاميذ اشهرهم الحاج مُجَّد بلكبير رجع بعدها إلى نوناس وجلس هناك للتدريس والإمامة وفي سنة 1955م التحق بمجلس قضاء توات رفقة ابن عمه القاضي عبد الحق وظل به إلى أن وافته المنية سنة 1978 أنظر، عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 71.

⁷ - مُجَّد بن عبد الكريم، درة الاقلام في اخبار المغرب بعد الإسلام، تحقيق: ابو انس عبد القادر نعيوي، المرجع السابق، ص 15.

⁸ - مُجَّد باي بعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 2، المرجع السابق، ص 181.

توفي بتمنيط سنة 1374هـ وخلفه على القضاء سيدي عبد الحق بن عبد الكريم¹.

عبد الحق بن عبد الكريم البكري: من قضاة القرن 12هـ بتمنيط تعلم على يد والده القاضي عبد الكريم وعلى يد شيوخ المنطقة من بينهم مُجَّد المصطفى الرقادي والشيخ عبد الرحمان بن عمر التينلاقي استخلفه والده في مرضه حيث وافقت الجماعة التواتية على استخلافه وعينته في منصب القاضي سنة 1174هـ حيث ترك له والده وصية ناصحا فيها إياه أن يسلك طريق الحق الذي يرضى الله والعباد وأن يتعد عن الرشوة ومصاحبة أهل سوء وأن يشاور أهل الرأي والدين²، وعمل بنصيحة والده فكان لأول مرة بتوات مجلسا استشاريا من كبار الفقهاء في ذلك الوقت وهم: الشيخ عبد الكريم الحاجب والشيخ مُجَّد بن الحاج عبد الله والشيخ عبد الرحمان بن عمر التينلاقي والشيخ مُجَّد بن عالم الزجلاوي، يتشاور معهم في الأحكام التي يصدرها وقد جمعت هذه الأحكام وأصبحت مرجعا هاما للأحكام الشرعية³، فظهر عدله وانتشر فضله وكان كثير الاجتهاد ولطريق الحق منقاد حيث تقول الحكمة ضالة المسلم تأخذها حيث وجدها⁴.

كان يقرأ صحيح البخاري، تميز بصفاء السرية والصدق في المعاملة ومجاهدته في سبيل الله للاستعمار الفرنسي واخلص العمل لثورة نوفمبر المجيدة حيث توفي سنة 1976م رحمه الله⁵.

هذه نبذة من القضاة الذين تولوا منصب القضاء خلال الفترة الاستعمارية حكموا بالعدل والإنصاف وتعاليم الدين الإسلامي ظل القضاء في عهدهم شامخا يقاوم القضاء الفرنسي الذي يعتمد على القوانين الوضعية ملمين بعادات مجتمعههم سالكين مذهب الإمام مالك وكثيرا ما كان هذا المنصب متوارثا فكان الابن يرث أبيه كانوا ينحدرون من اسر كبيرة لها نفوذ قوى في الأوساط التواتية مثلوا أعلى سلطة للقضاء تمتعوا بمكانة كبيرة سيطرت على هذا المنصب العائلتين البلبالية والبكرية طيلة الفترة الاستعمارية بحكم المستوى التعليمي لهما وانتمائهما إلى حاضرة تمنيط أكبر حواضر توات في ذلك الوقت وكان بقاء القاضي في منصبه مرهون بعجزه أو وفاته.

¹ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 193.

² - مُجَّد بن عبد الكريم، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الالف الثاني، د- ر، خزانة أولاد القاضي، تمنيط_ادرار، ص 30.

³ - محمود فرج، المرجع السابق، ص 60.

⁴ - مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق، ص 126.

⁵ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 193.

نماذج من الأفضية: القضاء ما عرفه الشيخ الجنتوري في نوازله عبارة عن النيابة من الإمام الأعظم أو نائبه في تنفيذ الحكم على غير سبيل الإلزام بينما القضاء هو الإخبار بالحكم على سبيل الإلزام ويختلف القاضي عن المحكم الذي تقيمه جماعة من الناس بعض الاعوام نظرا لتخرجهم انعدام القضاة فلا يلزم حكمه إلا من أقامه¹.

فصل القضاة التواتيون في مجالات متعددة منها القضايا الاجتماعية كالطلاق والزواج والنفقة، الخلافات الزوجية والأملاك وما شابهها والاقتصادية المرتبطة بعقود البيع والشراء والتعاملات المختلفة، والممارسات الزراعية والملكيات المشتركة والأسواق المحلية².

فكان القضاة يستندون في إحكامهم إلى الشرع الإسلامي وفق المذهب المالكي بالاعتماد على نصوص القرآن والسنة وأئمة المالكية كالشيخ خليل وفي بعض الأحكام على نصوص الفتوى والنوازل التي أفتى فيها الفقهاء وكثيرا ما يستند القضاء إلى نوازل الغنية³، لما تتضمنه من الفتاوى والأحكام⁴.

كما فصل القضاة التواتيون وأصدروا أحكاما في مجالات متعددة منها نازلة اليهود التي تعتبر قضية من اهم القضايا التي اشتهر بها القضاء في المنطقة وحدثت في القرن 9هـ، كما أن لها ميزة عن القضايا الأخرى والدليل على ذلك أنها مست بالحياة الاقتصادية والدينية معا، ومن الجانب الاقتصادي أنها سيطرت على التجارة بالإضافة إلى تحكمهم في الأسعار أما دينيا فقد عمل اليهود على بناء الكنائس لأداء عبادتهم بالإضافة إلى مخالفتهم لبعض التقاليد التي تفرض عليهم بحكم أنهم ذميين فرأى عبد الكريم المغيلي أن ذلك خروجا منهم على عقد الذمة مما يستوجب ملاحقتهم وهدم كنائسهم حيث أن المعابد تعتبر أهم الرموز السيادية في المجتمعات الدينية وقد اختلف فيها مع القاضي العصوني وبعض

¹ - أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 104.

² - أحمد بوسعيد، المرجع نفسه، ص 113.

³ - عبارة عن فتوى ونوازل كانت من بين النتائج التي ترتبت عن مجلس الشورى الذي أسسه القاضي عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري (ت 1210هـ) وتعرف بديوان الشورى إذ طالب بما قاضي الجماعة الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي، حيث عكف على دراستها وأضاف إليها ابنه عبد العزيز ما توصلا اليه من احكام وجمعها في كتاب سماه «غنية المقتصد السائل فيها وقع بنوات من المسائل» ورمز فيه للقاضي عبد الحق بالقاضي والشيخ عبد الرحمان بن عمر بالشيخ ولابنه الشيخ بالابن أما البقية فذكرهم بأسمائهم الاصلية، انظر: محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الالف الثاني، د- ر، خزانة أولاد القاضي، تمنطيط-ادرار، الجزائر، ص 23.

⁴ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 63.

علماء المنطقة وخارجها وقد افتي بهدمها وأن هدمها واجب ولا اعلم فيها خلافا ولا يفتي بتفريها إلا دجالا، وأن تهدم وإن أدى ذلك إلى قطع الرؤوس¹.

وقد رأى الشيخ المغيلي أن اليهود يدخلون القتال الذي يكون بين القبائل التواتية كما أنهم ملكوا الرقيق الذين ثبت إسلامهم كما أنهم لم يلتزموا بأحكام أهل الذمة وكان السبب الذي أدى إلى اختلاف علماء توات هو هل تهدم بيع يهود توات أم لا؟ وقسم العلماء أرض الإسلام إلى ثلاث أصناف: أرض الصلح وأرض العنوه والأرض المختلطة وأقوال المالكية لإحداث كنيسة للذميين رأى أبا القاسم أفتى بأن تترك القديمة ويمنع الإحداث في المختلطة إلا مع الإعطاء إما الرأي الثاني فيرى أن أصحاب هذا الرأي لا يشترطون الإحداث في العنوية والإعطاء والرأي الثالث تهدم القديمة ويمنع الإحداث في المختلطة وهنا اختلف الشيخ المغيلي مع الشيخ العصوني في أن الاختلاط عنده البناء والتأسيس وبالتالي الإبقاء عليها².

حيث رأى العصوني أن هدم بيعهم غير جائز كما أن كنائسهم لا تلاصق ديار المسلمين، مستندا في ذلك على عدة مصادر منها أقوال ابن عرفة والبرزكي فوافقه جملة من العلماء منهم الشيخ التلمساني ابن زكرياء بن أبي البركات (ت 910هـ-1504م) وأيده في ذلك الشيخ السنوسي وإبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي والشيخ سيدي محمد بن عبد الله التنيسي وراسلوه في ذلك منها ما ذكر به صاحب الدياج من كتاب الشيخ السنوسي ومما جاء في رسالته: «من عبيد ربه تعالى محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي يجب القيام بها لاسيما في هذا الوقت على الإقسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بالإيمان»، ولما وصل الشيخ المغيلي جواب المشايخ الأكارم أمر أصحابه بلبس آلة الحرب وهدم كنائس اليهود وقتل من عارضهم فهدموا الكنائس³.

¹ - احمد بن يحيى الونشريسي، المعيار والجامع المغرب عن فتوى أهل افريقيا والمغرب والأندلس (نازلة يهود توات وقصور صحراء المغرب

الاوسط)، مخطوط أنجزته القنادسة، بشار، ورقة رقم 02

² - الحمدي احمد، المرجع السابق، ص ص 113-114.

³ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 38.

يتضح لنا مما سبق أن العالمين الجليلين المغيلي والعصنوني اجتهدا في الموضوع استنادا لأدلة فقهية دينية خوفا من فساد اليهود أو الإضرار بحق أهل الذمة من غير المسلمين حاولا فيها اتباع رأي الشرع.

أما في المجال الاجتماعي في قضية من مواضيع الغنية البلبالية خلال القرن 12هـ في ما أفتى فيه القاضي البكري في قضية بعثها إليه العالم مُجَّد بن علي الوقروي في استفساره في عدة أمة ومدى حقها هي وابنها في الارث ويتمثل السؤال في: «... أن تنظروا في حكم أم بنت الولد من غير السيد في عدتها وهل تعتد عدة الحرة في الطلاق والوفاة أم عدة الامة، وكذلك انظروا في ماله أي مال ام الولد من غير السيد اذا تركته بعد وفاته هل يرث ابوه أم المساكين أم بيت المال أم ماذا؟». وجاء نص الجواب كالتالي: «... فكل ولد ام الوليد من غير سيدها بعد الايلاء ففيه بقية رق ما دام سيدها... وفي الامة ومن فيها بقية رق شهران وخمس ليالي...»¹.

فلاحظ أن القاضي سيد البكري أنه قال اعتمد على ستة كتب التي قال إنها لم تخالف جوابه تصريحاً في حين كان عليه لا ثبات حكمه أن يصرح بها فأساس الأحكام هو الاستدلال والملاحظة كذلك في هذه القضية هو طلب الفصل في الجواب بقوله: «عجلوا لنا في الجواب...» وهذا ما يعني اهتمام العلماء بقضايا العامة.

وهذا ما يدا على أن القضايا في توات لم ترغم المتخاصمين إلى التقاضي إلى قاض بعينه كما يحق للمتقاضي أن يختار القاضي الذي يأمل الحق فيه عنده لكن لا يجوز تغييره إذا ما بدأ مما يدل على تنوع المرجعيات القضائية في توات والتأويلات والاجتهادات بين القضاة كما أن الأحكام الصادرة عن القضاة ليست نهائية بل هي قابلة للطعن والاستئناف فكثيراً ما كان المتخاصمون يرجعون لهم لمعرفة مدى شرعية بعض الأحكام وقد تتم مراجعتها من طرفهم فيرجعونها إلى القضاة مبينة أوجه الاعتراض والتقويم.²

اعتنى علماء توات بالفتوى ومن ذلك نوازل الغنية البلبالية وما تضمنت من فتاوى ومسائل لعلماء المنطقة أمثال الجنطوري ومُجَّد العالم الزجاجاوي فقد أسست خطة القضاء في توات المبنية على الشورى مما أدى بالقاضي عبد الحق بتأسيس مجلس الشورى بسبب كثرة القضايا والمسائل التي نزلت

¹ - مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي، غنية المقتصد في ما وقع من قضايا ومسائل، خزنة شار الطيب، ورقة 03.

² - أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 106.

بتوات إذ بنى على أربعة من الفقهاء البارزين وما يلاحظ على نوازل غنية المقتصد أن منهج المفتين يعرض على أكثر من فقيهين وكان الإفتاء بالمشهور¹.

وكان المجلس الذي كونه القاضي عبد الحق يتكون من كبار الفقهاء في ذلك الوقت وهم الشيخ عبد الكريم الحاجب والشيخ محمد بن الحاج عبد الله والشيخ عبد الرحمان بن عمر التلاني والشيخ محمد بن عالم الجزلاوي وهو بمثابة مجلس استفساري يزود القاضي بالرأي والفتاوى ويتشاور معهم في مختلف الأحكام جمعها بعض المشايخ المشتغلين بالقضاء وأصبحت مرجعا هاما يرجع إليه القضاة.

نماذج من الأقضية المطروحة

تنوعت الاقضية المطروحة على مشاريع القضاة التواتية حسب انشغالات الناس واهتماماتهم ونشاطهم علاقاتهم فقد تنوعت بين الاقضية الاجتماعية وقضايا الأسرة والموارث والاقضية الاقتصادية وقضايا الاحباس والبيوع وقضايا الرهن وقضايا المدارة والضيافة واهتمت المصادر المحلية بتوثيق كبريات القضايا التي حكم فيها القضاة دون التفصيل في حيثياتها ووقائعها ومن بين هذه الأقضية نورد مايلي:

منها القضايا الاجتماعية: يغلب عليها الطابع العائلي كقضايا الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونفقة حيث حكم احد القضاة بفسخ احدى الزيجات لأسباب معينة، لكن الشيخ الجنتوري عقب على الحكم بأنه فاسد وأن النكاح صحيح ولا يفسخ ومنها قيام القاضي بمنع بعض الورثة من تملك الميراث حتى يتم أداء الديون على المتوفى، إذ لا ميراث إلا بعد أداء الدين².

¹ - فاطمة خموني، غنية المقتصد السائل في ما وقع بتوات من قضايا ومسائل المجدد عبد العزيز البلبالي (ت 1261هـ)، أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه في قسم العلوم الإنسانية، غير منشورة، جامعة احمد دراية، ادرار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، سنة 2014-2015.

² - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 60.

وكثيرا ما يستند القضاة إلى نوازل الغنية¹ لما تضمنته من أحكام وفتاوى أو ما يتعلق بالسؤال الذي بعثه سعيد بن ابراهيم بظاهرة بيع العبيد المجلوب من السودان خاصة من البلاد التي تقرر إسلامها كبورنو وكانو وغيرها وإجابة الشيخ احمد بابا في تقييده الذي اسماه معراج الصعود².

ومن القضايا الاجتماعية التي أثارت سجلا بين علماء وقضاة توات في اعتبار أن العقد الذي يبرم حين الخطبة عقد زواج على عادة أهل البلاد لتوفره على أركانه حيث اعتبره الشيخ عبد الرحمان التلاني عقدا صحيحا مستوفي الأركان وعارضه ابنه مُجَّد في شورى أرسلها له القاضي مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي يذكر فيها أن الخطبة ليست بعقد زواج، رغم توفر أركانه إلا إذا كانت الصيغة بلفظ الحاضر وأن كل ما أهدي للمخطوبة قبل العقد يحق للخاطب استرجاعه إذا أنقضت الخطوبة أما بعد العقد فلا يحق له ذلك³.

ومنها القضايا الاقتصادية: المرتبطة بعقود البيع والشراء والممارسات الزراعية والملكيات المشتركة ومراكز القوافل التجارية والأسواق فقد أقيم لهم قضاة مختصين، ومن هذه الأمثلة تعقب احد القضاة لما اشتراه وصي من مال يتيمة، وحكمه بإمضاء الشراء بعد أن تبين له سداده، وقضية بيع نصيب من الماء بين متخاصمين طال نزاعهما عند القاضي فندبهما للصلح على شروط يؤديه احدهما لصاحبه ومنها بيوع متعلقة ببعض الاطعمة أو تقويمها بسعر معين⁴.

¹ - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص ص 112-113.

² - عبارة عن فتاوى ونوازل كانت من بين النتائج التي ترتبت عن مجلس الشورى الذي اسسه القاضي عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري (ت 1210هـ) وتعرف بديوان الشورى اذ طالب بها قاضي الجماعة من بعده القاضي الحاج مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي، هذا الاخير علق على دراستها واذاف اليها ابنه القاضي عبد العزيز ما توصلنا اليه من احكام وجمعها في كتاب أسماه «غنية المقتصد السائل في ما وقع بتوات من المسائل» ورمز فيه للقاضي عبد الحق بالقاضي والشيخ عبد الرحمان بن عمر بالشيخ ولابنه الشيخ بالابن أما البقية فذكرهم بأسمائهم الاصلية، انظر: مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الالف الثاني، د- ر، خزنة أولاد القاضي، تمنطيط-ادرار، الجزائر، ص 23.

³ - عبد الرحمان بعثمان، القضاء في منطقة توات، (أطروحة اعدت لنيل شهادة الدكتوراه في قسم الحضارة الإسلامية غير منشورة)، جامعة وهران 01 احمد بن بلة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، السنة 2015-2016، ص 262.

⁴ - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 113.

ومن بين نماذج الاقضية قضايا الموارث التي يشرف عليها القضاة أو الفقهاء في علم الميراث الذي يسمى أيضا علم الفرائض فهي مقدره لأصحابها ومبنية في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه لا يجوز الزيادة فيها أو النقصان¹، وكانت من اختصاص الشهود العدول نظرا لتوسيع اهتمامات القاضي.

وهي واضحة في سورة النساء مثلا "الآية 11_12_176" في قوله تعالى: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ».

ومن هذه القضايا حكم القاضي عبد الحق في ميراث بنت وصى لها والدها المتوفي بالثلث حيث أن الحاج عبد القادر بن محمد عبد الرحمان ترك زوجته وبنت اوصى لها بالثلث وقد ترك المتوفي جنان مشاع بين إخوته فطلب هؤلاء الإخوة بالقسمة واثبتوا أن أصل الجنان لا يحتمل القسمة على الورثة فحكم القاضي ببيع الأصل لقول ابن عاصم «لا يقبل القسم بضرر»² غير أن زوج أرملة المتوفي ادعى عند القاضي بضرورة فسخ عقد البيع لأن ثلث غلة الجنان لزوجته أم البنت لأنها وارثة، فاستشار القاضي الفقيه عبد الرحمان التلاني الذي أجاب بما نصه: إذا كان احد الشركاء دعا البيع مالا ينقسم لأجل نقصان ثمن حظه لو بيع مفردا فإنه يجاب لذلك، ثم إذا وقف على ثمن فيجب على ولي البنت اذا كان لها مال أن يشتري لها ذلك وكذلك يكون لسائر الشركاء الذين لم يريدوا البيع وإما إذا أراد شركاء البنت شراء ذلك لأنفسهم فلا يجوز ذلك³.

ولأن منطقة توات كانت مركز عبور القوافل التجارية من الشرق نحو الغرب ومن الشمال نحو الجنوب فقد كانت قضايا البيوع من القضايا الأخرى التي فصل فيها القضاة ومن أمثلتها: منها مسألة بيع أصول الغائبين فقد وقع الخلاف بشأنها بين القضاة والفقهاء في القرن 12هـ/18م حيث انتقدها الجنتوري ووصفها بأنها بلوى أصابت التواتيين وألف في هذا رسالتين الأولى سماها: "رسالة المغارم في بطلان ما اخذ بالمظالم"، أبطل فيها هذا النوع من البيع واعتبره من قبيل أكل أموال الناس بالباطل إذ يدخل في بيع ملك الغير بدون وجه حق من غير رضی صاحبه، كما ألف الجنتوري قصيدة أخرى سماها: "معونة الغريم في قضاء الدين" وله شرح عليها في إقرار بعض القضاة الإقليميين ببيع أملاك الغرباء

¹ - عبد الرحمان بعثمان، المرجع السابق، ص276.

² - محمد بن عبد الرحمان البلبالي، المصدر السابق، الورقة 406.

³ - نفسه، الورقة 406.

لقضاء ديونهم حيث اعتبر ذلك اخذ لشخص بجريرة آخر والمقصود بذلك أن أملاك الغريم الهارب يستفيد منها أهله وأسرته فمن غير الإنصاف برأيه أن تباع أملاكهم ويفتقرون بجريرة غيرهم¹.

كما تضمنت النوازل ما تعلق بطبيعة عمل القضاة واختصاصاتهم ومنها أن يقوم القاضي مثلا بشراء ما باع بالمزايدة على غائب أو مفلس².

ومن هذه القضايا أيضا قضايا الرهن حين يكون المشتري بحاجة إلى سلعة معينة وغير قادر عليها فيقوم بالاستدانة على أن يرهن شيء من ممتلكاته حتى تسديد الدين وعندما يتم الإخلال بالرهن من أحد أطرافه بتدخل القاضي.

حكم القاضي عبد الحق في قضية الرهن المنهوب: ومفادها أن عوام بودة وتيمي هاجموا قصور تمنطيط ونهبوا دار رجل من مرابطي من تمنطيط ثم جرى الصلح بأن يقوم المهاجمون باسترجاع الممتلكات المنهوبة على أن يرتضوا بحضور القاضي رهونا لدى اخ الرجل المنهوب الذي عين وكيلًا عن أخيه، إلى أن يرد الأشياء المنهوبة من المنزل وينتصف الرجل المعتدى عليه، لكن النزاع تجدد بعد مدة ونهب أهل تيمي بعض قصور تمنطيط ونهبوها ومن بينها دار أخ الرجل الذي بيده الرهن فاستدل بما ذكر المازري حين نزل الروم مدينة زويلة فأجاب: حيث يثبت أن جميع ما عنده قد أخذه العدو فإن ضمان الرهن ساقط لكنه أشار إلى الخلاف بين العلماء فأوقف العمل بهذه الفتوى إلى أن يستخير الله³.

ومن القضايا كذلك قضايا الاحباس التي كانت ترتبط بالزوايا والمساجد والمدارس القرآنية حيث كان أهل الخير يجسسون المياه والنخيل وغيرها ومن هذه القضايا مثلا حيث حكم القاضي عمر بن عبد القادر التتلافي في بيع حبس مهمل ادعى انه يجلب ضررا نتيجة لهجرة أصحابه للقرية فرحفت عليه الرمال بفعل الرياح وجلب ضررا للقرية فقام اهل القرية ببيعه لما يجلبه من ضرر على القرية فرفع أهل

¹ - عبد الرحمن بعثمان، المرجع السابق، ص 298 - 299.

² - عبد الرحمن الجنيتوري، مخطوط خزانة كوسام أدرار، ورقة 1.

³ - عبد الرحمن بعثمان، المرجع السابق، ص 307-308.

البستان القضية لتقضى البيع فأجاب القاضي انه لا يجوز بيع هذا الحبس لأنه يمكن دفع هذا الضرر بإصلاحه من خلال ما يجلبه من غلة ورد الحبس لأولاد المحبس عليهم وبطلان البيع¹.

ما يؤخذ على القضاة

- عد الشيخ الجنتوري في نوازله مجموعة من العيوب ويمكن حصرها في ما يلي:
- الكتابة إلى الخصم وطلب حضوره فإن أبي حكم عليه وأبطلت حججه.
 - المبالغة في اخذ الأجرة وسعي البعض إلى إكتساب الكنوز من القضاء.
 - الحكم للوصي بمحاسبة محجوزه في طلوعه وهبوطه وحفظه وحراسته.
 - قولهم أن شهادة السماع لا ينتزع به من يد حائز.
 - الحكم على شهادة النقل دون التوديه والشهادة لا تنقل إلا عن ميت أو غائب.
 - بيع أراضي اليتيم أو الغائب بدعوى المصلحة العامة.
 - الإغفال عن تسجيل التاريخ أو تناسيه وعد القدرح في الحق المقرر في الشئ من ذمة وغيرها.

- الإفراط في استغلال سلطة القضاء خاصة من تثبت عداوته لهم.
- الركون في بعض الأحكام إلى العرف المخالف للشرع نتيجة جهل القضاة².

يتضح لنا من ما مضى أن القضاء في توات أتمم بما يلي:

- 1- أن القاضي كان يتمتع بمكانة هامة في المجتمع.
- 2- أن القضاء كان يداوي ويداري امور المجتمع ويواكب تطوره الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

- 3- سيطرة بعض الأسر على القضاء في توات خاصة الاسرة البلبالية والبكرية لأنها كانت تقيم في أكثر الحواضر التواتية نشاطا ولغزارة علمها وثقافتها.

¹ - مُجَد بن عبد الرحمان البلبالي، المصدر السابق، ورقة 505.

² - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 114.

- 4- لم يكن للقضاء في توات بيت مال كالم تكن لهم شرطة يستعينون بها على أداء هذه المهمة النبيلة.
- 5- كان الولد يرث ابيه في مهنة القضاء في كثير من الأحيان.
- 6- كانت بعض القضايا مستعصية لكن القضاة كانوا يجتهدون فيها ويستعينون فيها بالفقهاء وقد قام القاضي عبد الحق البكري بإنشاء مجلس للشورى.
- 7- كانت الأحكام تتبع من الكتاب والسنة وفقه الإمام مالك وكانت النوازل تجل للاستعانة بها أوقات الحاجة.

ثالثا: الوضع الاجتماعي:

كونت الجماعة التواتية مجتمعا منصهرا متكاملا بين خليط من الاجناس انصهرت طيلة عقود كونت علاقات اجتماعية متكاملة يحرصها الدين الإسلامي اساسها التعاون والتكامل وهذا ما تبينه الآثار والشواهد من قصور وقصبات ووسائل العيش وأنماطه المختلفة وعلاقات افراد المجتمع فيما بينهم وطرق كسبهم ومعيشتهم وعلاقاتهم الاجتماعية ودور المرأة وكذا طريقة السكن وغيرها.

تشير الأبحاث الأثرية والدراسات الأنتروبولوجية التي قام بها ايجو (Higo) بمنطقة أولف نواحي تيديكلت سنة 1955م، أن هذه المنطقة قد عرفت حضارة الحصى والصناعات الحجرية كما أن جسل (Gesell) يعتقد أن توات استوطنها شعوب من أصل بيض ومن حوض البحر الأبيض المتوسط في القرن 6 ق-م¹، وفي العصور التاريخية تعرض شمال إفريقيا إلى الاحتلال الروماني وهذا ما نجده في الشواهد المادية والكتابات الإغريقية التي اهتمت بالمنطقة الواقعة جنوب الأطلس الصحراوي والتجارة التي كانت تنشط بين السودان والشمال الإفريقي التي كانت تقوم بها قبائل الكرامنت².

فموقع الصحراء كان يشرف على طرق تجارية مهمة تربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب والتي كانت تسيطر عليه قبائل الجيتول التي كانت تسيطر على هذا الاقليم الانتقالي بين الصحراء والتل

¹ - الصديق حاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 17 إلى 20م، منشورات الخير، 2003، ص46.

² - الصديق ثياقة، نمط العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بإقليم توات، اعمال الملتقى الأول المشترك بين جامعتي ادراو وتيارت، العلاقات الحضارية بين اقليم توات والحواضر الإسلامية، جامعة أدرار، 14 ابريل 2009، ص97.

وقد اندمجت هذه القبائل مع المكونات الإدارية والسياسية بالمنطقة، أما فيما يخص الشعوب التي كان لها السبق التاريخي في بناء القصور فيوجد رأيين:

- الرواية الأولى: حسب النصوص الاغريقية من خلال ما أشار إليه مارتن من خلال اعتماده على النمط والشكل الخارجي للقصور إلى ثلاث أنواع، النوع الأول سماه الجيتول والذي ارجعه إلى 100م ومن ضمن هذا النمط قصر تاوريرت برقان¹.

أما النصوص المتأخرة فتجعل قبائل زناتة أول من شكل هذه القصور وهذا ما ذكره ابن خلدون إذ يقول: «..... من الزناتة فموطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة وتنتهي رحلتهم في القفر إلى قصور توات وتمنطيط وربما عاجو ذات الشمال إلى تساييت وتيكورارين...»، ويقول كذلك: «...أن توات من جملة ما اختصه زناتة البربر»².

وقد نزحت القبائل البربرية إلى المنطقة بأعداد كبيرة وخاصة الفرع الزناتي الذين شيدوا القصور وزرعوا النخيل وحفروا الفقاير وخاصة في القرن الخامس الهجري نظرا للصراع الذي نشب بين القبائل البربرية وقبائل بني هلال التي توافدت إلى المغرب بأعداد كبيرة وكان من نتائج ذلك أن ارغمت العديد من البطون والقبائل البربرية إلى النزوح إلى المنطقة حتى نهاية القرن التاسع هجري³.

وهذا يطابق رأي المحللين الذين أشارو بأن زناتة قدموا من سجلماسة إلى توات عبر ثلاث عشر مرحلة وكان مقامهم أول الأمر ببودة وآخر مرة قدموا فيها وجدو وادي جريز قد جف فنزلوا إلى شرقه ونزلوا بقصر بودة وتيطاف وتسايت وتمنطيط وتسفاوت من قصور توات⁴.

كما أن المنطقة خضعت لفترة غير قصيرة إلى سيطرة بعض القبائل العربية التي استولت على الطريق الثاني المار بواحات الصحراء الذي كان يمر عبر الزاب ووادي ريغ ووركلا وقد تمكنت عرب المعاقيل من السيطرة على واحات بودة وتمنطيط وتسايت وتيكورارين وفرضت الجباية وكان لها نفوذ

¹ - مينة بن الصغير حاضري، القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي، مجلة الوحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011، ص ص 136 - 156.

² - عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون سنة نشر، ص 134.

³ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 45.

⁴ - محمد بن عبد الكريم، درة الاقلام، المصدر السابق، الورقة 2.

كامل على المنطقة وبسبب غياب سلطة مركزية في هذه الفترة ظهرت النزعة القبلية فانقسم المجتمع إلى قسمين هما: صف يحمد وسفيان بين قصور توات وقورارة في مرحلة تاريخية تميزت بالتناحر القبلي والسياسي وكان السبب الرئيسي في هذا التقسيم الصراع السياسي في الشمال بين الموحدين والمرينيين¹.

لكن سرعان ما استغل التواتيون موقعهم الاستراتيجي الذي يربط تجارة الشمال بالجنوب والغرب بالشرق فانشأوا البساتين ورعو الحيوانات وجلبوا العبيد واشتروا الجوارح وتكونت زيجات تكونت منها باقي مكونات المجتمع وهم الأشراف والأحرار والحراثيون والعبيد².

أتم الاحتلال الفرنسي السيطرة على منطقة توات بسقوط معظم حواضرها نتيجة المجاهدة العسكرية غير المتكافئة.

وبموجب القرار الصادر في 02 ماي 1900م عن الحاكم العام لافيرير La Ferriere وضعت توات مؤقتا كملحقة تابعة للشؤون الأهلية أي تحت القيادة المباشرة للجنرال الفرنسي حاكم مقاطعة الجزائر³.

كما أنشئت بموجب نفس القرار ملحقة عين صالح وإيقل في وادي الساوره ويحكم الملحقة ضابطان من مصلحة الشؤون الأهلية برتبة نقيب أو ملازم أول كما يعمل معهم مترجما أو خوجة وكاتب⁴.

يقوم رئيس الملحقة بتعيين القياد الذين سيحكمون قبائل توات نيابة عن إدارة الاحتلال غير أن تهدئة المنطقة واخضاعها بشكل نهائي كان يتطلب مجهود آخر غير عسكري.

حيث أن الاستعمار الفرنسي وجد نفسه وجها لوجه مع السكان مع اختلافات كبيرة على المستوى الديني والثقافي والحضاري لذلك توجهت فرنسا إلى محاولة فهم انترولوجية المنطقة وتاريخها وبعد التقرير الذي نشره خوجه توات: سلكته عبد الرحمان عام 1913م، الذي قدم معلومات هامة عن

¹ - بن سويسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات، تخطيط نموذجاً من القرن 6هـ إلى 13هـ/12م-19م، اطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه بمعهد الآثار، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2007 - 2008، ص ص 25 - 26.

² - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 46.

³ - bulletin officiel du gouvernement général Algérie 1608 année 1900, p 624.

⁴ - Gouvernement général ibid, p 624.

السكان وطبقاتهم الاجتماعية وخلافاتهم وقبائلهم وقصورهم وأساطيرهم وتجارتهم وحرفهم وعاداتهم وتقاليدهم وزراعتهم وكل ما ينتمي إليهم¹.

وقد اقتضى هذا التوسع إيجاد شريحة من الاعيان والقياد لأحكام السيطرة ومواصلة التوسع الاستعماري الفرنسي لأن معرفة أفكار الشعوب وثقافتهم وعاداتهم ونقاط ضعفهم من بين الاساليب المهمة التي طبقها المستعمر في مستعمراته.

التركيبة البشرية للإقليم

يتكون المجتمع التواتي من مجموعة من الاجناس التي توافدت إليه على مر العصور حيث تصاهرت واندمجت وتعاونت وتكاملت فيما بينها وكونت علاقات اجتماعية واقتصادية، حيث لعب الدين الإسلامي دور الضابط لهذه العلاقات إضافة إلى الأمن والاستقرار وطبيعة المنطقة المناخية والجغرافية باعتبارها همزة وصل للعديد من الطرق التجارية شكل كل هذا المجتمع التواتي.

هذه الطبقات التي تمايزت نتيجة لأصولها الشريفة وهذا ما كان يلقي توجيها واحتراما في المجتمع التواتي، أو من خلال امتلاكها للأرض، أو من خلال أدوارها التاريخية والاجتماعية، أو من خلال خدمتها للأرض ومجئها للمنطقة. ويأتي على رأس هرم المجتمع الشرفاء ثم المرابطون ثم العامة ثم الحراطين ثم العبيد، هكذا تكون هذا المجتمع من خليط من الاجناس توافدت إلى الاقاليم عبر عصور مختلفة من مختلف الجهات الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية نظرا لتوفر الأمن به وموقعه على طرق التجارة.

التركيبة البشرية

1- البربر: يعتبرون اول من سكنوا واستقروا بإقليم توات اهم قبائلهم ملتمون وهم إحدى فروع صنهاجة ويقول عنهم ابن خلدون: «...إنهم استوطنوا الصحراء قبل الفتح الإسلامي وبلادهم ما بين المحيط غربا وغدامس شرقا وما بين بلاد البربر شمالا وبلاد السودان جنوبا اهم بطونهم كدالة لمتونة، مسوفة، لمطة...» شمل تأثيرهم ونفوذهم الصحراء ووصلو بلاد السودان²، ولم يكن المثلثون وحدهم قبائل

¹ - Selka Abderahmane khodja du poste du toutat, notice sur de tout 1913.

² - عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 241، 242.

صنهاجة الذين سكنوا الإقليم بل هناك قبائل صنهاجية أخرى استوطنت الاقليم وهذا ما ذكره ابن بابا حيدة ايضا أن احدى قبائل اللمتون الصنهاجية هاجروا واستقرو بتمنطيط وأول من بنى قصرها بعد سقوط دولتهم على يد الموحدين في الغرب¹، وهذا ما اكده ابو راس الناصري في قوله «قبيلة قدالة مساكنهم قبله المعقل عبر السوس الاقصى وملتونة وتريكة في مقابلة ذوي المنصور.... ومن الكلام على ملوك ملتونة ومسوفة وفي مقابلة المغرب الاوسط ولمطة في عرب الزاب وتركيا في مقابلة افريقيا....»². ويتضح مما قاله الناصري أن اهل الثام الذين استقروا بتوات هم قبائل مختلفة ولا يمثلون قبيلة واحدة منتشرين من ساحل النيل شرقا إلى المحيط الاطسي غربا وبسبب تباعدها عن بعضها البعض ظهرت اختلافات في سنتهم رغم أن قبائل منهاجة الأوائل من سكنو بالمنطقة إلا أنهم اقل عددا من قبائل زناتة البربرية وقد هاجرت هذه القبائل باحثه عن الاستقرار هروبا من الاضطهاد الذي عانوه من حكامهم من بين القبائل التي استقرت بالمنطقة قبيلة مغراوة وبني يفرن حيث نزلوا بها بناحية القرارة ووادي الحناء.

وقد تحدث ابن خلدون عن هذه القبائل التي نزلت منطقة توات قائلا: «....وسكن المناطق الأخرى من الصحراء قبائل زناتة قصور تيكورارين على مراحل من تلمسان وتنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد وفي الجنوب الغربي منها قصور توات وبعدها تمنطيط³....»⁴.

حيث توافدت القبائل الزناتية من مغراوة وبني يفرن على توات بداية من القرن السادس الهجري بعد أن تغلب خصومها من قبائل ملتونة على بلاد المغرب وكان نزوحهم إلى منطقة توات على النحو التالي: اولاد عبد الجليل 501هـ، اولاد عياش 502هـ، اولاد خير الله 516هـ، اولاد واعلي البلباي 518هـ اولاد بن يدر 520هـ، اولاد حسين 528هـ، اولاد بن سليمان 531هـ، قبيلة دكوان عام 536هـ، الشرفاء الحموديون 550هـ، اولاد احمد عزي 608هـ، اولاد عبو 609هـ، اولاد الصايون

¹ - ابن بابا حيدة، القول البسيط في اخبار تمنطيط، مخطوط بجزانة كوسام، ورقة 07.

² - محمد ابوراس الناصري، عجائب الافار ولطائف الاخبار، تح، المهدي البوعبدلي، ص 12.

³ - تمنطيط: « فأعلم ان مدينة تمنطيط اسم لمدينة في اقليم توات اجتمع فيها العلم والديانة والرياسة واتم بها الاسواق والصنائع والتجارات والبضائع...» أنظر: محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، القول البسيط في اخبار تمنطيط، تحقيق محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين 18_19، ص 13-14.

⁴ - عبد الرحمان بن خلدون، المصدر، ج 6، ص 372.

640هـ، أولاد عليش 650هـ، أولاد عثمان 668هـ، أولاد علي 673هـ، المحاجب 675هـ، قبيلة اخروم 698هـ¹.

بعد أن استقر الزناتيون بنو القصور التي ذكرها ابن خلدون من قصور توات وتمنيط وتيكورارين التي كان أكثر سكانها من قبيلة زناتة إضافة إلى قصور بودة وتساييت وحفروا الفقاقير ومارسوا الزراعة ومن أهم فروعهم التي جاءت إلى الأقاليم أولاد عبد الجليل، أولاد عليش... الخ، استمر توافدهم إلى غاية القرن 7هـ-13م².

وقد عبر عنهم الجنتوري بالعجم الذين استوطن أغلبهم منطقة تيكورارين³، ولعل تسمية تيكورارين اشتقت من خلال ما أقامته هذه القبائل من مخيمات واطواق من الحجارة لتخزين الأملاك وحفظ الماشية تعرف: «بتاقرارت» فاشتقت منها تسمية تيكورارين الدالة على المنطقة، غير أنها سرعان ما توسعت في باقي المنطقة أي منطقة توات وتيديكلت وأنشأوا بها قصور⁴ زناتية إذ يشير الشيخ الجنتوري في إحدى نوازله إلى وجود العجم في عين صالح⁵.

ولا تزال جل تلك القصور تحمل أسماء زناتية إلى حد الآن مثلاً قصور رقان فنجد ان أسماءها لها معاني أمازيغية مثل: -تيمادين وتعني باللغة العربية الامعاء اللاصقة ببعضها البعض - انزقوف وتعني باللغة العربية مكان الغنيمة -تاعرابت وتعني باللغة العربية المرآة الجميلة - تاويرر وتعني الحجارة المستديرة -ايت المسعود، انفيس ويعني رش الماء- القصر الجديد تينلاف وتعني مكان الحنظل - زرافيل وتعني صاحب الحجارة -ركان وتعني باللغة العربية الجمل الكبير الراقد⁶.

بالإضافة إلى عدة أسماء مماثلة مثل: اغنات، اتالنت، تاورسيت، زقوير، تاكلزي، تنكرام، تاعراضيق، ايسناون، تاعنطاس، تازليزة وطلمين وتعني باللغة العربية النواف في إقليم تيكورارين وغيرها في

¹ - مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي، المصدر السابق، ص 07.

² - مُجَّد بن عبد الكريم، المصدر نفسه، ورقة رقم 05 - 06.

³ - القصر: عبارة عن تجمع سكاني يرتبط سكانه فيما بينهم من ناحية القرابة او مصالح مشتركة وتجمع بينهم علاقات اجتماعية أدت بهم إلى السكن الجماعي داخل القصر، انظر: مُجَّد الصالح حوتية، آل كنتة، المرجع السابق، ص 33.

⁴ - عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 91.

⁵ - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 80.

⁶ - مُجَّد باي بلعالم، المرجع السابق، ج1، ص64.

تيديكلت مثل تيط التي تعني بالعربية العين، تقرأ والتي تعني المكان الذي تشرب فيها الغنم وتتردد عليه.¹

2- العرب: وكان من أهمهم هجرة الاشراف الذين يتصل نسبهم بالحسن والحسين ابناء سيدنا علي كرم الله وجهه جاء معظمهم من المغرب من منطقة تافيلالت كما قدم من الشرفاء إلى توات سيدي سليمان بن علي سنة 580هـ حيث شكل الاشراف جماعة مستقلة تحظى بالاحترام لإستنادها على الارث الديني.²

أما عرب المعقل³: فدخلوا شمال افريقيا مع الهلاليين وانحازو اليهم بعد أن اعترضهم بنو سليم جاءوا زناتة وأصبحوا حلفاء لهم واختلطوا مع قبائل اخرى ليست منهم كقزاة، الشظة، المهاية، استقرو بتوات ومن اهم فروعهم الجعاونة، المطارفة، الغسل، المهاية.⁴

ومن القبائل العربية قبائل الخنفسة الذين توسع افرادها على قصور اوقروت وتيميمون، والمحارزة غرب تينركوك والقبائل ذات الحضور الموسمي مثل الغنامة ودوي منيع الذين كانوا في عدااء مستمر مع الخنفسة،⁵ ومن القبائل العربية التي دخلت الاقليم، ذوي المنصور، البراييش وهذه الاخيرة كانت لها فروع اهمها أولاد علوش، أولاد يزيد الذين سكنوا تيكورارين وتمنطيط في القرن 9هـ-15م.⁶

ومن القبائل العربية التي قدمت إلى الاقليم من الشرق قبيلة الزوى التي يرجع نسبها إلى ذرية أبي بكر كما ذهب إلى ذلك مؤرخو المنطقة، الشعانبة وهم جماعة من العدنانية يتواجدون بتكورارين ويعتبر المرابطون من العناصر السكانية التي لها صيت ومكانة لجأ إلى توات واهم فروعهم اولاد سيدي موسى ويقول عنهم ابن بابا حيدة: «إن لم يكونوا شرفاء فهم من اكابر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم

¹ - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج1، ص ص65-66.

² - الصديق الحاج احمد، المرجع السابق، ص 43.

³ - عرب المعقل من العرب اليمانية القحطانية، نسبة إلى معقل بن الحارث كانوا في القرن 8هـ من افر قبائل العرب ومواطنهم بالمغربيين الاقصى والاوساط وهم ثلاث بطون وهم: ذوي عبید الله الذين كانوا ينتهون في رحلاتهم إلى قصور توات وتمنطيط أو ذوي منصور وذوي حسان. ينظر: عمر رضاء كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج 3، ط 8، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997م، ص 1123.

⁴ - عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 78.

⁵ - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 82.

⁶ - جعفري مبارك بن الصافي، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 44.

فهم اهل سنة ومرؤة وراثة...»¹، وهم في تسفاوت الوجدة تلمين شروين بإقليم قورارة وسكان تيليولين المرابطين في توات الوسطى والمرابطين بعين صالح بمنطقة تيديكلت.

ومن القبائل القاطنة بمنطقة توات قبيلة كنتة² والتي يعود نسبها إلى عقبة ابن نافع الفهري الذي استشهد في معركة نهودة اثناء الفتوحات الإسلامية 64هـ-683م، فقد خلف ابنه العاقب وانتشر احفاده في مختلف مناطق المغرب واستقرت قبيلة كنتة في الصحراء بعد أن اصبحت الظروف غير ملائمة في الشمال فارتبط تاريخ الكنتي بإقليم توات البعيد عن الاضطرابات السياسية والاجتماعية وخاصة مع القرن 15هـ وانتشروا بمنطقة فنوغيل، تسفاوت وزاوية كنتة بتوات الوسطى واقبلي تيديكلت وربطو صلات ثقافية واجتماعية مع سكان الصحراء مما سهل لهم الاتصال بالاطراف الجنوبية من السودان الغربي.

3- الزواج: يتواجدون بشكل كبير في الاقاليم إلى جانب العرب والبربر يعود تواجدهم بالمنطقة

إلى ازمة بعيدة حيث يذكر السعدي في كتابه تاريخ السودان «تخلف من جند السلطان كنان موسى ملك مالي في أوائل القرن 8هـ لمرض اصابهم في أرجلهم»³ فاستوطنوا المنطقة وتزايد عددهم مع الازدهار الاقتصادي بها كما اثرت الظروف السياسية المتردية في السودان الغربي كثيرا إلى هجرة الافارقة، فكان تزايدهم بشكل مستمر بحثا عن الامن والاستقرار خاصة بعد سقوط سنغاي»، لتشكّل مع مرور الزمن طبقة اجتماعية تعرف بالخرائين (الخراطين)⁴ مارسو الزراعة ومختلف الحرف وبدعو في حفر الفقاقير⁵.

¹ - ابن بابا حيدة، المرجع السابق، ص 07.

² - الكنتاويون ينتسبون إلى عقبة بن نافع الفهري القرشي فاتح بلاد المغرب ومؤسس القيروان استشهد في معركة نهودة قرب بسكرة سنة 63هـ، 683م، خلف ابنا يسمى العاقب ومنه تفرق اسمه في بلاد المغرب العربي وهذا ما يشير اليه سيدي محمد بن بادي ينظر: محمد الصالح حوتية، توات والازواد، المرجع السابق، ج6، ص66.

³ - عبد الرحمان السعدي، المرجع السابق، ص7.

⁴ - يذهب البعض ان اشتقاق الكلمة من الحر الثاني ويرى البعض ان اصله بربري وهو احرضان ومعناه باللغة العربية هجين. ينظر: عبد العزيز عبد الله، معلمة الصحراء، ط1، مطبوعات وزارة الاوقاف، المغرب، 1976، ص 109.

⁵ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 47.

4- البرامكة¹: واصلهم من الفرس والعجم وهم من العناصر الفاعلة في المجتمع التواتي حيث استقروا بمنطقة توات سنة 656هـ وهم من ناصرو المغيلي (ت 909هـ_1503م) على خصومه بعد طرده اليهود من توات وهم من انزلوه بزوايته بأولاد علي بتوات الوسطى ويتجلى وجود هذا العنصر كليا أو جزئيا من خلال الانتساب دون وجود خصائص لغوية أو عرقية تميزه عن بقية العناصر التي اندمجت معها تواملا أو مصاهرة².

5- اليهود: تدخل هجرات اليهود إلى اقليم توات ضمن الاطار العام لهجرة القبائل واصلهم من البربر الذين اختارو اليهودية كديانة لهم وازداد عددهم بتوات كما في بلدان المغرب بعد سقوط الأندلس. من خلال ما مضى نستنتج أن منطقة توات كغيرها من مناطق المغرب العربي عرفت توافد عدة أجناس وشعوب وقبائل في مراحل مختلفة وظروف سياسية واجتماعية واقتصادية معينة عرفت هجرات مختلفة من الشمال والجنوب والشرق والغرب لتشكّل فسيفساء المجتمع التواتي الذي انصهرت مع بعضه البعض مشكلا وحدة اجتماعية بصبغة دينية إسلامية كان فيها لكل مكانته ومساهمته تعايشت كلها في جو اخوي انصهرت فيما بينها تفاعلت وكونت مختلف عناصر المجتمع التواتي.

الجماعة التواتية: يقصد بها مجموعة اشخاص في القصور والتجمعات الصحراوية يتولى امرهم أحد كبار القصر³، ومجموعة كبار المقاطعة تسمى بالجماعة وهي تختص بالمسائل ذات المصلحة العامة أما المسائل الخاصة فهي من اختصاص كبير القصر لها اجتماعاتها ومداولاتها وقراراتها.

وكانت الجماعة التواتية تنحدر من ثلاث اصول كغالبية السكان وهي العربي والبربري والزنجي اءسي انصهرت في مجتمع متجانس في العادات والتقاليد تحت سقف الاداب الإسلامية⁴.

¹ - احفاد برمك الفارسي من اعظم الاسر تاريخيا واشهرها اسما في صدر الدولة العباسية منهم خالد ويحي والفضل وجعفر، وزراء بني العباس تضاربت الاسباب حول ايقاع الرشيد بهم سنة 187هـ/803م. انظر: مُجَدّ الخضري: الدولة العباسية ط3، دار المعرفة، بيروت 1977، ص 106.

² - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص81.

³ - القصر في الصحراء فضاء مشترك بين مجموعة بشرية ذات مصلحة مشتركة او انتماء واحد اما القصبه فهي قلعة يحيطها سور مشيد على أساس دفاعي وهي جزء من القصر، ينظر: مُجَدّ بن سويس، المرجع السابق، ص37.

⁴ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 45.

وانقسمت مكونات المجتمع التواتي إلى ما يلي:

- **الأشراف، الشرفاء:** وهي تحتل المكانة الأولى في المجتمع وهم ينتسبون إلى البيت العلوي وقد وفدو إلى توات حسب بعض المصادر من شمال المغرب العربي ويملكون البساتين والخدم ولهم نفوذ وسلطة قوية حرص الكل على استرضائهم فكونوا مجموعة مستقلة داخلية الجماعة التواتية لهم محاكمهم الخاصة وينتدبون من بينهم من يشرف على مصالحهم¹ وكانت لهم مكانة اجتماعية محترمة يرجع أصلهم إلى البيت أي من ذرية الحسن والحسين أبناء فاطمة الزهراء بنت الرسول صل الله عليه وسلم من بينهم شرفاء ملوكة وينتسبون إلى البلاليين وأبناء عمهم بكوسان وأولاد احمد وهم اعراب اخوانهم باكدال من عمالة واد الساورة².

كانت تمنح لهم الاعطيات والهدايا ويقدم الكبير منهم في الاعراس والمناسبات للتبرك بهم كما كانوا يوكلون في الزواج والبيوع لمكانتهم³.

وقد وصلوا إلى المنطقة عبر مراحل مختلفة منهم الاشراف الأدارسة الذين وصلوا بعد سقوط الدولة الإدريسية والشرفاء العلويين الذين يمثلون غالبية هذه الفئة بتوات وقد هاجروا من تافيلالت خلال 11هـ -17م، كما تمثل عائلة السي حمو بلحاج الفرع الأكبر للشرفاء العلويين بتوات وتنتسب هذه الأخيرة إلى الجد الأكبر مولاي مُجَّد بن مولاي الحسن بن مولاي علي الشريف دفين تافيلالت⁴.

وحافظت السلطات الاستعمارية الفرنسية لهذه الفئة على مكانتها حيث منحت لبعضهم مناصب قيادية حيث عينت على عرش زاوية كنتة ورقان في منصب قائد افرادا ينتمون لها في ظل وجود أعداد كبيرة من هذه الفئة في هذه المنطقة وهذا ما يستخلص من عقود تضمنت أسماء بعض القياد الشرفاء منها مثلا: رفعوا امره للسيد مولاي الطيب بن سيدي مولاي مُجَّد قايد زاوية كنتة وفي نص اخر رفعوا امرهم في ذلك لمتولي امر الناحية مولاي الشيخ بن مولاي عبد الرحمان⁵.

¹ - فرج محمود فرج، المرجع نفسه، ص 46.

² - مؤلف مجهول جريدة مختصرة في انساب اهل تيمي الشرفاء وعوام المرابطين مكتبة كوسام، ص 01.

³ - مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 185.

⁴ - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 101.

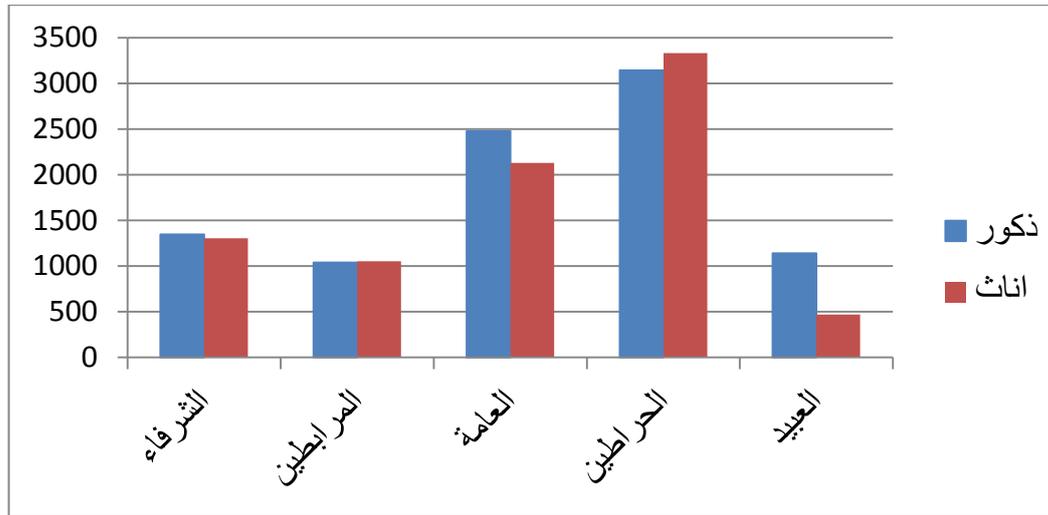
⁵ - عبد الله بابا، المرجع نفسه، ص 102.

وكانت غالبيتهم تملك الحدائق والبساتين إلى يعمل بها العبيد والجواري وكان لهم نفوذ وسلطة قوية أهلتهم لأن يكونوا في مقدمة المسؤولية بصفتهم حماة الدين من نسل الرسول صل الله عليه وسلم لما يلقي ذلك من تبحيل واحترام في المجتمع منحو بها امتيازات اجتماعية كبيرة¹.

وبالرجوع إلى الجدول الموالي الذي يمثل أعداد ونسب فئات المجتمع التواتي أثناء دخول الاستعمار الفرنسي فنجد أن فئة الشرفاء تمثل 15 % من مجموع السكان.

الجدول رقم 11: تعداد فئات المجتمع التواتي سنة 1906م².

النسبة %	المجموع	اناث	ذكور	فئات السكان
15.15	2651	1304	1347	الشرفاء
12.27	2148	1055	1039	المرابطين
26.34	4608	2128	2480	العامة (الاحرار)
37.01	6474	3330	3144	الحراطين
9.20	1611	469	1142	العبيد
/	17492	8286	9206	المجموع



أعمدة بيانية تمثل تعداد فئات المجتمع التواتي

¹ - أحمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 83.

² - Martin ; oasis sahariennes, op, cit, pp 218 – 219.

ويحفظ عقود سجلات المحكمة الشرعية مكانة الشرفاء من خلال ما تضيفه على اسماءهم من صفة التبجيل والتجليل مثل استعمال بعض القضاة في بعض العقود مفردات التشريف كقوله مثلاً «على يد الفقيه الأشرف مولاي اسماعيل بن سيدي جلول» كما ورد في عقد سنة 1942: فحضر معه الأشرف المبجل مولاي عبد الله بن مولاي عبد السلام اذ هو الرئيس في جماعه المنصور، وفي بعض الاحيان كانت لهم مهن اشتهروا بها في وسط مجتمعاتهم فيقال: «وهذه مهنة الشريف مولاي أحمد بن مولاي علي من زاوية كنتة»¹.

1- المرابطين: وهم من رجال العلم والزوايا من العرب والبربر حازوا المعرفة والعلم والزوايا فتميزوا في المجتمع التواتي²، حيث اخذوا هذا الاسم من الرباطات التي أسست في الثغور لمواجهة الاعداء ثم تحولت إلى أماكن إلى للتعبد والتصوف وزوايا أشتهر اصحابها بالعلم وانتموا إلى أسر علمية اسسوا زوايا تقدم خدمات علمية واجتماعية وبعضهم يرجع إلى أصول الصحابة الأوائل كأبي بكر وطلحة والزبير وعثمان³، تميزوا بمكانة اقتصادية مهمة سخروها لخدمة مجتمعاتهم مما اكسبهم بذلك مكانة اجتماعية مرموقة تحظى بالاحترام والتبجيل اسندت لهم وظيفة القضاء قبل الاستعمار وأثناءه كالأسرة البلبالية والبكرية وتولوا مناصب قيادية لدى الإدارة الفرنسية. كمنصب القايد نظير مكانتهم الاجتماعية التي كانوا يحظون بها⁴.

2- الأحرار: أفراد هذه الطبقة ينحدرون من أبناء وأمهات أحرار وهم يمثلون غالبية السكان يشتغلون في الفلاحة والتجارة ويمتلكون البساتين والجواري⁵، وهي طبقة ينحدر أفرادها من العرب والبربر والزناتة على السواء، وتعرف بالعوام⁶ وبداية من القرن 4هـ، استقرت مجموعات بشرية في المنطقة في البداية بمنطقة بودا ثم على حواف وادي مسعود اين حفروا الابار وبنو القصور منها قصور مكر وغرميانو وتورير بعد سقوط حكم المغراويين في سجلماسة سنة 1055م على يد المرابطين، هاجرت مجموعات

¹ - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 102، 103.

² - مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 185.

³ - بن سويسي مُجَّد، المرجع السابق، ص 103.

⁴ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 103.

⁵ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 47.

⁶ - بن سويسي مُجَّد، المرجع السابق، ص 35.

كبيرة واستقرت بتوات من هذه القبائل قبيلة داكوت وأولاد حسين وأولاد سليمان وأولاد خير الله ثم قبائل المعقل الذين جاؤوا القبائل الزناتية ثم تحكموا بهم ووضعوا عليهم الاتاوات والضرائب واهم فروعهم أولاد مُجَّد والحنافسة والمحارزة وأولاد طلحة وأولاد يعيش.¹

تمثل العامة ما نسبته ربع $\frac{1}{4}$ سكان توات في حين تبلغ ملكيتهم من الماء 30% ومن النخيل 32% حيث وصلوا إلى المنطقة كجماعات شكلت قبائل كبيرة تمتعت بنفوذ كبيرة ومكانة هامة على غرار الأشرف حيث قامت بتخطيط القصور وتقلدت مختلف المهام والوظائف الاجتماعية والإدارية مثل منصب الخوجة والعدل وكبير الجماعة وهذا ما دل على الميزات الاجتماعية والقبلية والمادية والتاريخية التي استأثرت بها على بقية الفئات الأخرى.²

3- طبقة الحراطين: ويرى البعض أن أصل تسمية الحراطين اصلها تأتي من كلمة حرثاني والبعض يرى أنها من أصل كلمة أحراضان البربرية وتعني الاسمر أو الهجين وهم من العبيد الذين تم تحريرهم واستغلوا في مختلف الحرف واستغلوا في الزراعة كخماسين.³

ويمكن أن تعتبرهم من الفئة النصف سود الذين توافدوا إلى المنطقة مع القوافل التجارية القادمة من السودان⁴ وتقع على عاتقهم مسؤولية العمل في البساتين كما عهدت اليهم مهمة التعليم في الكتاتيب والحرف الأخرى كصباغة الجلود وبيع اللحوم وبناء المنازل وبعض الحرف اليدوية.⁵

وظهرت هذه الفئة نتيجة تحرير الرقيق في المنطقة التي كانت ناتجة من جلبهم من السودان أو نتيجة التزاوج الذي كان بين الاحرار والجواري من الرقيق.⁶

¹ - مُجَّد بن عبد الكريم البكري، درة الافلام، المصدر السابق، 16.

² - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 106.

³ - مُجَّد بن اب المزمري، تحلية القرطاس في مسألة تخميس الخماس، مخطوط خزانة ابن الوليد، بعبد الله الجزائر.

⁴ - مُجَّد بن اب المزمري تحلية قرطاس في مسألة تضمين الخماس

⁵ - عبد الله عباس، التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان العربي رسالة ماجستير غير منشورة تخصص تاريخ حديث -معهد التاريخ، جامعة الجزائر السنة الجامعية 1997-1998، ص 31.

⁶ - Martine: oasis sahariennes, op, cit, 212.

وهناك من يرجع هذا الاسم إلى مرحلة الاستقطاب المغربي لمنطقة توات ومحاوله ايجاد تماثل بين المنطقتين نتيجة للتواصل بين الاقليمين حيث ذكر صاحب الاستقطاب ان السلطان المغربي العلوي مولاي اسماعيل جلب معه من السودان سنة 1089هـ-1678م الفين من الحرطين بأولادهم فكساهم بمراكش وسلحهم وانتشرت بذلك هذه التسمية في المغرب وانتقلت إلى منطقة توات بفعل التواصل والتاثير الثقافي بين الحاضرتين حيث يقول الناصري «واعلم انه قد وقع في هذه الازمات لفظ الحرطاني ومعناه في لفظ أهل المغرب العتيق واصله الحر ثاني ثم كثر استعماله على الالسنه فقبل الحرطاني على ضرب من التحقيق».¹

ويرجع البعض التسمية إلى المهنة السائدة التي كانوا يمارسونها وهي الحراثة ويطلق عليهم أيضا لفظ الخماسين ومهما يكن فإذا سلمنا إنها حر ثاني فهو اقرار بحالتهم القانونية داخل الواحات التي هي بين العبودية والحرية وإذا كانت مشتقة من الحراثين فهي نسبة إلى عملهم داخل الواحات.²

ومهما يكن أصل التسميات فإذا هذه الفئة من بين الفئات المكونة للمجتمع التواتي استطاعت بفعل عملها وكسب يديها وما تحسنه من مهارات من افتكاك مكانتها في المجتمع التواتي بالرغم من محاصرتها من طرف الطبقات الاخرى لكنها استطاعت أن تكون لها دور مهم في الحركة الاجتماعية للمجتمع وأن تقوم بأدوار اجتماعية واقتصادية مهمة.

الجدول رقم 12: تعداد فئات السكان عرش تيمي سنة 1950.

تعداد الفئات	العدد	النسبة %
الشرفاء	825	13.38
المرابطين	1192	19.33
العامة	1301	21.10
الحرطين	2801	45.47
العبيد	45	0.73
المجموع	6174	

¹ - احمد الناصري، الاستقصاء للأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج7، دار الكتاب الدار البيضاء، المغرب، 1953، ص58.

² - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 107.

بالرجوع إلى احصائيات عرش تيمي 1950 حيث أن نسبة الحرائين تكاد تصل إلى 45% إلا أن ملكيتها من النخيل والماء لا تتعدى 15% وامتلاكها لوسائل العمل كالحمير بنسبة 45% وهذا ما يؤشر على أن هذه الفئة كانت تستأثر بالعمل الشاق داخل الواحة الصحراوية التواتية مثل الزراعة وحفر الفقاقير في حين لم تكن تملك الثروة رغم كثرة عدد أفرادها وهذا نظرا للأجر الزهيد الذي كان يتلقاه أصحاب هذه الطبقة وتمسك بقية الفئات الأخرى بالثروة دون مشاركتها مع هذه الفئة حتى تبقى في وضعية الأجير.¹

5- العبيد: كانت نتيجة استرقاق من غرب إفريقيا لاستعمالهم كيد عاملة في أعمال الفلاحة والبناء وتخصص فيها القادمون من بلاد الهوسا (Houssa) وسرقو (Sergou)، والفوتا (Fouta)، والفلولان (Foulbes)، والبمبار (Bambares) وغيرهم ويوجدون في كل الحواضر والقصور²، وبالرغم من أنهم كانوا يقومون بالأعمال الشاقة فقد تعرضوا للكثير من الأمراض التي كانت تفتك بهم مما أدى إلى ادمانهم المخدرات والشمة التي كانت تفتك بصحتهم³.

وقد كان عددهم حسب احصائيات 1906م في واحات توات ب 1611 عبد بنسبة 9% من حجم السكان غير أنها تراجعت بشكل كبير سنة 1950 من خلال احصائيات عرش تيمي اذ نجد نسبة العبيد في جميع قصور عرش تيمي وصلت إلى 0.73% بتعداد 45 عبد⁴.

ولأن المنطقة في هذه الفترة كانت تتميز بالاضطرابات وعدم الامن فقد شاع استرقاق الاحرار وبيعهم كعبيد مما أدى بعلماء الأزواد بان يصدرو فتوى تنص بحرية كل من ادعى الحرية بغض النظر

عن لونه أو جنسه وقد افتى بذلك احمد بابا التمبكتي وقد اجاب حول هذا السؤال السعيد قدورة الجزائري بجواب سماه "معراج الصعود إلى مجلوب السودان" أو "الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان" وخلصته التأكيد قبل الشراء من عبود الفرد أو حرية الشخص.⁵

¹ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 108.

² - محمد الصالح حوتية، توات والاوزواد، ج 2، المرجع السابق، ص 365.

³ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 47.

⁴ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 108.

⁵ - محمد الصالح حوتية، توات والاوزواد، ج 2، المرجع السابق، ص 366.

وقد حدت السلطات الاستعمارية من المتاجرة في العبيد عن طريق مراسلة إلى شيوخ القصور توضع شروطا هامة للحد من هذه التجارة.

- منع بيع وشراء العبيد مع اعتبار العبد كالعامل الذي بينه وبين رب عمله اتفاق.
- تحريم المتاجرة بالعبيد في كل المناطق الواقعة تحت السيطرة الفرنسية.
- جرد اسماء العبيد في كل القصور مع اسماء مالكيهم وتسجيل اسماء كل المواليد الجدد ومن تحرر منهم أو توفي.
- عدم نقل عبد من قصر إلى آخر إلا بموافقة حاكم الاقليم وذلك تجنباً لعملية المتاجرة.
- أي اخلال بهذه الشروط من الطرفين سواء العبد أو مالكة فإنه يغرم ويسجن¹.

مع هذه الاجراءات فإن تجارة الرقيق انقرضت نهائيا اضافة إلى من تم تحريرهم أو توقوا فإن هذه الظاهرة قد اختفت وارتقى من تبقى منهم إلى فئة حر ثاني حتى ان الدين الإسلامي يحث على العتق مع تطور المجتمع فان هذه الفئة لم تقف رسميا بالرغم من بعض الترسبات الذهنية من هذه المرحلة فقد استطاعوا بعملهم وكسب ايديهم من ان ياخذو مكائهم في المجتمع التواتي المتسامح ووصفت هذه الطبقة كآخر طبقة ضمن السلم الاجتماعي اسندت لها الاعمال الشاقة كالبساتين والعمل في الفقارة كما تعددت اعباءهم وتحملهم الاعمال الشاقة والظروف الطبيعية كحرارة الشمس كما ان الفقر كان سببا مباشرا لهلاك العديد منهم:

- **الجماعة التواتية:** تسير القصور التواتية من طرف نظام الجماعة نظرا لان هذا الاقليم ظل طيلة قرون عديدة لم يكن يتبع اي سلطة بل كان مستقلا لذاته ولوجود اعداد بشرية معينة كما راينا في النظام القضائي اوجد لنفسه تنظيما معيناً فانه ايضاً لتسير اموره اليومية عهد بذلك إلى الجماعة التواتية التي اخذت على عاتقها تنظم العلاقات الاجتماعية المختلفة بين مختلف مكوناته.

- **هيئة الجماعة:** تتشكل هذه الجماعة من ممثل لكل قبيلة أو عشيرة وتعتبر الهيئة التشريعية والتنفيذية تتخذ قراراتها بالتشاور بين جميع افرادها يترأسها كبير القبيلة أو العشيرة ويعرف بكبير الجماعة ويكون محل اجماع بين كل القبائل في القصر يصطلح لكل الامور داخل القصر من حقوق الفرد والفئات

¹ - حاكم ملحقه توات: رسالة إلى كبير زاوية رقان دون تاريخ، خزانة زاوية الرقاني، بودة-ادرار، الجزائر.

وحل الخلافات وجميع المستجدات الدينية والاجتماعية والاقتصادية وكل مجموع الاحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث..... الخ، فيساعده في ذلك جماعة القصر من امام وعدول والمقيم والمبرز. حافظت هذه الجماعة على مهامها وأضافت لها مهام اخرى بعد الاستعمار الفرنسي للمنطقة¹.

ورغم ان الجماعة التواتية هي جماعة طبقية الا ان المودة والاحترام والتعاطف والتكافل يطبع قراراتها وسلوكاتها نظرا لتغلب اخلاق الدين الإسلامي وتحكمه في مفاصل الحياة الاجتماعية في منطقة توات ويتجلى ذلك من خلال تقاليد الجماعة والمواقف التي تتخذها فمثلا عندما ينفذ التمر من عند الاسر الفقيرة تسارع الاسر الغنية لمساعدتها وقد تتعدى هذه المساعدة القصر الواحد لتصل إلى قصور اخرى مجاورة وتكون سندا لها في مختلف الحن والنكبات².

هذا التضامن والتكافل الذي طبع الجماعة التواتية وجعل من المجتمع كتلة واحدة في مواجهة المصاعب كان العامل الاقتصادي دورا في ترتيبها باعتبار المنطقة منطقة عبور تجارية ونقطة وصل بين العديد من الطرق التجارية فكان شيخ القبيلة من تكون له حظوة مادية ويمتاز بالكرم والجود وحسن الاخلاق تختاره مجموعة من القصور كرئيس للجماعة التواتية نخول له الفصل في قضاياه وامورها عامة³ ومن مظاهر التضامن والتعاون الذي ترعاه الجماعة التواتية كل ما من شأنه جلب منفعة عامة أو درء مفسدة من بينها الوقوف على تزريب البلاد أي وضع مصدات للرياح تحول دون زحف الرمال على بيوتهم أو خدمة الفقارة والسواقي وتنقيتها من الرمال وتبين احدى النوازل إلى اهتداء التواتين إلى خدمة الفقارة عن طريق استئجار فريق من المشتركين باستئجار فريق اخر على 1/2 الماء المترتب عن تلك العملية، وبالتالي فإن المصلحة العامة كانت شعار الجماعة التواتية⁴.

ومن المهام الاجتماعية للجماعة التواتية هو الوقوف على حقوق الفئات الضعيفة والقصر والأيتام والمحافظة على أملاكهم وتعيين من يقوم على امورهم والوقوف على املاك الغائب وضمان

¹ - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 110.

² - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 48.

³ - فزان زهير، دور فقهاء توات في ارساء دعائم السلطة التشريعية بالمنطقة من القرن 9هـ إلى القرن 13هـ، الملتقى الثاني الصحراء الجزائرية

مجال لبناء الانسان والحضارة جامعة بشار 23/ 04/ نوفمبر 2014

⁴ - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 88.

استمرارية سيرورتها كما انها مسؤولة عن اوقاف المسجد من حيث رعايتها وتنميتها والتصرف في مواردها في المصلحة العامة للقصر¹.

كانت تمنطيط طيلة القرن العاشر والحادي عشر الهجريين مركز ومقر للجماعة التواتية باعتبارها اقوى القصور اقتصاديا كما انها حاضرة علمية وفقهية توجد بها أكبر القبائل قوة حيث انتهى منصب رئاستها إلى قبيلة أولاد علي بن موسى أحد أكبر واغني قبائل تمنطيط وتوات عموما وقد حرصت الجماعة التواتية أن يكون إلى جانب كبار القبائل والقصور العلماء وأصحاب الرأي والمشورة كالعلماء والأئمة وصلحاء القوم اضافة إلى اصحاب الثروة وبذلك جمعت كل عناصر القوة من اجل تنفيذ قراراتها².

العلاقة بين الجماعة التواتية والإدارة الفرنسية: لقد عرف الاقليم استقلالا تاما طيلة

فتراته التاريخية عن أي سلطة مركزية سواء أكانت عثمانية أم مغربية إلا في بعض الأحيان ما اتصل بجمع الاتاوات والضرائب لعدة ظروف وأسباب منها ما هو متصل بالبنية الاجتماعية، القبلية، أو بالموقع الجغرافي أو محدودية موارد هذا الاقليم الصحراوي الذي كان يمثل في اغلب الاحوال ممرا للقوافل التجارية مما أكسبه أهمية إستراتيجية.

لم يكن لوجود نائب سلطة المغرب أي سلطة على سكان الإقليم أو طريقة حكمهم أو أي سلطة عدا فرض وجمع الضرائب وإرسالها إلى المخزن، وكما جرت العادة فإن شيخ اكبر المقاطعات هو شيخ الاقليم والحاكم الفعلي للإقليم وكانت مقاطعة تمنطيط تستأثر بهذا المنصب ثم سرعان ما انتقل إلى مقاطعة تيمي بعد أن صارت اقوى المقاطعات التواتية وكان يستقبل الوفود والمبعوثين ويتسلم الخطابات المرسله من السلطان وكان يتمتع بنفوذ قوي ما يتعلق بأمن وسلامة الإقليم³.

¹ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 110 _ 112.

² - عبد الرحمان بعثمان، المرجع السابق، ص 196.

³ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 36 - 37.

فبعد أن استتب لفرنسا نفوذها في المنطقة وضعت قانوناً مؤقتاً لتسيير المنطقة وإنشاء ملحقة للشؤون الأهلية لإقليم توات تتبع قائد ناحية الجزائر مباشرة مقرها بعين صالح مهمتها إدارة شؤون الأهالي الذين طبق عليهم قانون (الانديجينا).¹

وبموجب قانون 24 ديسمبر 1902م الذي سن النظام الأساسي لأراضي الجنوب الجزائري الذي أكتفى بإحداث تنظيم إداري بعد أن اعترف بأن أراضي الجنوب جزء لا يتجزأ من فرنسا.

اعتمدت الإدارة الفرنسية في حكمها للاقليم التواتي على الجماعة التواتية في جوانب متعددة كجمع الضرائب المختلفة (ضريبة البرزة والكرني) وفي شكل شراكة اقتصادية مثلما حدث في إحياء فقارة عبد الرحيم بقرية سيدي يوسف عرش تامست أين دخل حاكم ملحقة توات كمساهم في إحياء فقارة معطلة مقابل حصوله على نصيب من الماء بالاتفاق مع جماعة القصر أو حين تلجأ جماعة القصر ببيع ما بين أيديها من أرض بيضاء مقابل دفع الضرائب المفروضة بدل تقسيمها على سكان قصر عزي عرش فنوغيل اين باعت أرض بيضاء للشديدي الابراهيمى مقابل 600 دور وتدفع لتسديد البرزة.²

أما الجانب القضائي فقد أبقّت فرنسا على قضاة المنطقة على أن يختصوا بقضايا الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث وحسب مرسوم 17 أكتوبر 1908م الذي انشأت بموجبه عدالة الصلح بأردار على أن يبقى الاستئناف لدى المحاكم الفرنسية.³

ويتضح مما سبق أن الإدارة الفرنسية حافظت على التراتيب الاجتماعية لمنطقة توات وحافظت على الوضع السائد واعتمدت عليه لتسيير شؤون السكان سواء في المجال الإداري أو القضائي وهو ما يبرز دور وأهمية الجماعة التواتية وتماسكها في تسيير شؤون السكان المحليين.

محبة الأولياء والصالحين: تحدث عنهم العالم مولاي احمد الطاهري أنهم يتميزون بنقاء الاخلاق وحسن الطباع ونقاء السريرة فهم يعظمون كبراءهم وفضلاهم من اهل العلم ومن عادتهم نحو الصالحين

¹ - سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء، المرجع السابق، ص 37.

² - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 114.

³ -Les territoire du sud fe L'Algérie expose de leur situation deuxième partie, L'œuvre accomplie 1 janvier 1903 – 31 décembre 1921-1922, op, cit, p410.

الاحياء انهم يكرمونهم ويزورونهم ويلتمسون منهم الدعاء ويسمعون لقولهم، أما الاموات فإنهم يحسنون إلى أبنائهم وقد يقيمون على اضرحتهم زيارات معلومة للتنبؤ بأعمالهم ومقاماتهم مع ما يشوبها في بعض الاحيان من عادات سيئة¹ وقد جاءت الآيات في هذا الصدد من قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، هُمْ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ﴾ يونس 62-64. وكذلك في قصة اصف كاتب سيدنا سليمان عليه السلام في قوله تعالى ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۗ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۗ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل الآية 40.²

فظاهرة تقديس الأولياء ومحبتهم وتبجيلهم تدخل ضمن الشخصية العامة لمنطقة توات وهذا نتيجة لطبيعة المنطقة وعزلتها وفقرها في كثير من الاحيان فكانت القناعة والتعبد والأمن من دعائم حياة المجتمع التواتي فكانت حاضنة طبيعية للتصوف والطرق الصوفية فجذبت اليها المتعبدين والزهاد من أولياء الله الصالحين فكل القصور تقريبا إلا ونجد بها ضريحا أو عدة أضرحة لهؤلاء الأولياء تقام لهم الزيارات ويستأنس بسيرهم وكراماتهم فيترحم عليهم ويتوسل بهم في الدعاء إلى الله اعتقادا منهم أنهم سببا في استجابة الدعاء.³

أما الرحالة الألماني "جيرهارد رولف" يصفهم بأنهم قوم مسالمون يحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين وتظهر المعاملة الطيبة مع جيرانهم الطوارف الذين كانوا يغربون عليهم بالتهب والسلب ولم يسلكوا

¹ - محمد عبد الحق، رياض الانس والابتهاج بترجمة شيخنا العلامة أبي احمد علالي محمد الحاج العلوي السالي التاسفاوية الطبعة الأولى، دار البلبالين-ادرار، الجزائر، 2017، ص ص 47 - 53.

بعض ملامح العامة للشخصية التواتية:

التلدين: يعتبر من ابرز المميزات للمجتمع التواتي من خلال ملاحظته في كل جزيات حياتهم وهو جزء من التنشئة الاجتماعية للفرد من الصغر حيث تحرض العائلات التواتية على غرس الإسلام ومحبة الرسول (ص) والصالحين والآداب العامة واحترام الكبير وغض البصر وملازمة المساجد.

² - احمد الطاهري الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 41_52.

³ - خالد محمد، ضرورة الممارسة الصوفية في المخيال الاجتماعي، الملتقى الدولي الرابع، الجزائر، 2007، ص ص 275 - 285.

نفس المسلك باعتبارهم العنصر المستقل داخل الصحراء وفي الوقت الذي ما زال جيرانهم يعتمدون على الغرو كنوع من نظامهم الاجتماعي.¹

وبما أن المنطقة كانت منطقة عبور فإن المسافر الذي نفذت مؤنثه اثناء السفر يدخل إلى قصور توات ليتزود بالمؤونة ليستطيع مواصلة رحلته مارا بقصورها من ادناها إلى اعلاها دون أن يسأل شيئا وقد تكلم عن كرم اهلها ابو عبد الله القيسي فقال: «...ثم نزلنا لبلاد توات بمداشر تعرف ببني اركان "برينكان" أول منزلة من البلاد المذكورة بلدة طيبة كثيرة الزرع والثمار المختلفة بالجنس والنوع ذات عيون جارية ورئيس القوم يقال له الشيخ عافة فأقام فيها القوم 17 يوما في نعم شاملة والاء الله عليه متواصلة وبيع وشراء واخذ وعطاء».²

الضيافة: من العادات والتقاليد التي عرفت عند اهل توات والتي ورثوها لابناءهم وكانت الاسر في البلدة تتناوب على تحضير الطعام للضيف وهذه الخصلة كانت نتيجة لظروف المنطقة نظرا لشساعة الصحراء وطول طرقها ومسافاتها وحرارتها المرتفعة فيضطر بعض المسافرين للالتجاء: إلى قصورها لأخذ قسط من الراحة فكانت الزاوية المكان الانسب وإلا فإن اهل القصر كانوا يتكفلون بضيافته وإكرامه.³ وفي بعض القصور كان في كل بيت غرفة تسمى بدار الضيافة تنافس السكان في ضيافة المسافر ولهم مقولات مأسورة في ذلك⁴ والضيف لا يحتاج إلى حمل الزاد معه لأن في كل قصر من قصورها دار ضيافة ولها احباس على اطعام الطعام ودار الزاوية يجد فيها الضيف كل ما يحتاج إليه.⁵

التعاون: وهي صفة متأصلة في المجتمع التواتي تعود إلى طبيعة البيئة القاسية والعوامل المناخية القاسية التي تدفع المجتمع التواتي إلى التعاون في جميع الشؤون الاقتصادية والاجتماعية.⁶ ونرى مظاهر هذا التكافل الاجتماعي والتعاون من خلال العمل لانجاز مشاريع ضخمة في أقل وقت ممكن واقل جهد

¹ - جيرهارد رولف: رحلة الماني اكتشف عدة مناطق في الصحراء الكبرى من تاقبلالت وتوات واقلي وعين صالح تميز اكتشافه بطابع جغرافي، ينظر: اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 89-91.

² - القيسي ابو عبد الله محمد بن محمد، انس الساري والسارب من اقطار المغرب إلى منتهى الامل والمآرب، تح محمد الفاسي، 1986، ص 28-29.

³ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 48.

⁴ - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج 2، المرجع السابق، ص 370.

⁵ - احمد الطاهري الإدريسي، المصدر السابق، ص 60.

⁶ - احمد بن نعمان، نفسية الشعب الجزائري، ط 2، دار الامة للطباعة، الجزائر، 1997، ص 125.

يبدل وذلك من خلال نظام التوزيع وكذلك في بعض الوجبات التي تقدم لضيوف الحاج أو الثلاثة أيام التي يبقى فيها العريس ويستقبل ضيوفه المهتمين¹.

العلاقات العائلية: كان الزواج في منطقة توات يتم في بعض الأحيان في سن مبكرة فالنبت قبل سن العاشرة أحيانا ويشترط في ذلك الكفاءة المادية والطبقية وامتازت بزواج الأقارب فلأب يزوج ابنه لابنة أخيه أو ابنة اخته حتى تظل الأسرة قريبة من بعضها²، وكان الصداق امره سهلا ميسرا ويلبس العريس العباءة والعمامة وتلبس العروس الحايك وكانت زينتها تقليدية مثل الحناء والكحل والسواك ويعتمد العريس على عرق جبينه في البستان أو التجارة أو امتهان أي حرفة أخرى³.

ومن مظاهر الترابط الاجتماعي أن الأسرة بعد وفاة الأب تبقى محتمة تحت سقف واحد وتعمل جماعيا في البستان تحت إشراف الأخ الأكبر مع الوالدة إن كانت موجودة وهكذا تجتمع العائلة الكبيرة وذلك وفاء لذكرى الوالد وبرا وصونا للوالدة وفي بعض الأحيان تتعدى تلك العناية إلى الأحفاد فيوصي لهم الجدد بجزء من ماله وبعضهم قد يوصي بثلث ماله عن ماء وهو ثروة التواتين وذلك أقصى ما يمكن أن يوصى به⁴.

المواسم والأعياد: كانت المواسم والأعياد مناسبة للأفراح والمسرات وتبادل الزيارات وإطعام الطعام، ففي شهر رمضان تقبل الناس على المساجد وتعمر بالذكر والترويح وإفطار الصائمين وفي الأعياد تتبادل الزيارات والهدايا ومساعدة الضعفاء وتبادل الزيارات بين الأقرباء وتتلى المدائح الدينية في المولد النبوي الشريف والقاء الدروس الدينية وفي دخول أكتوبر تتم التوسعة على العيال وعلى الفلاحين والعمال وفي دخول الشتاء تتبادل الأطعمة بين الجيران وتتنوع الوجبات⁵، أما ليلة القدر فهم يعظموها وتحتم فيها قراءة القرآن وتحب بالقيام وفي وقت السحور يقوم البراح بإيقاظ الصائمين لتناول وجبة

¹ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 26.

² - مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 190.

³ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 28.

⁴ - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 86.

⁵ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 2، المرجع السابق، ص 273

السحور كما كان يقرأ في المساجد صحيح البخاري وتتناوله بالقراءة والشرح وتم ختمته باحتفالات كبيرة وهكذا غيرها من المناسبات¹.

وفي موسم عاشوراء تعم الفرح والبشرى الفقراء بدفع اموال الزكاة وتتم التوسعة فيه على العيال وفي المولد النبوي الشريف فتبدأ القصائد الدينية والمدائح النبوية بتتهج بشهر المصطفى من بداية الشهر إلى غاية 12 من الشهر يقام احتفال كبير يسهر فيه الاهالي في المساجد بقراءة المدائح ويقسم فيها انواع المأكولات وتختلط فيه اهازيج الفلكلور من بارود وغيره حتى اسبوع من الولادة تعاد احتفالات كبيرة ايضا بهذا المولد وتستمر المدائح طيلة الشهر².

وظاهرة الزيارات التي تتميز بها المنطقة فكل قصر له ولي صالح تقام له ختمة للقرآن سنوية وتكون بعد موسم جني التمور أو موسم الحصاد وترتبط بذكرى عالم أو ولي صالح³، من بين هذه الزوايا: زاوية مولاي عبد الله الرقاني برقان وزاوية مولاي هيبه بأولف وغيرها مثل المغيلي وسالي واقبلي، الحاج بلقاسم بودة، موسى والمسعود.... الخ تقام فيها رقصات الفلكلور وأصبحت ملتقى للعلماء وتقام فيها الدروس والمحاضرات والذكر⁴.

دور ومكانة المرأة: حظيت المرأة بمكانة هامة في المجتمع التواتي وكانت ذات نصيب من العلم والمعرفة فقد حرص الاباء على تعليمهن كان الاباء يوهبن لهم بعض الممتلكات من اجل اعانتهم على نوائب الدهر ووقف العلماء في وجه حبس ممتلكاتهم على الذكور باعتباره مخالفا للشريعة وأعطى الوكالة لعم البنت بغية تزويجها والغاء ولاية الاب كما افتو بكامل حق المطلقة في التصرف في نفسها ومالها⁵. كانت للمرأة التواتية الحرية في التصرف في مالها بيعا وشراء وقد امتهنت العديد من المهن كالفلاحة

¹ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 26.

² - محمد باي بلعام، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، المرجع السابق، ص 272.

³ - محمد الصالح حوتية: توات والازواد، ج2، المرجع السابق، ص 373.

⁴ - محمد باي بلعام، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، المرجع السابق، ص 374.

⁵ - مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 192.

والغزل والنسيج كما كان للمرأة التواتية الحق في التقاضي والتظلم لدى القاضي دون وجل أو خوف من سلطة الرجل فكان صوتها مسموعا وحقها مصان¹.

كان للمرأة التواتية اسهامات اجتماعية مهمة واسهمت في بناء الزوايا والتصديق من مالها للانفاق عليها وحبس املاكها لها ومن امثلتها الشريفة لالة عائشة بنت مولاي الهادي من قصر تينورت عرش رقان كان لها دور في التصديق بكل املاكها على الزاوية وجاء نص الوقف يتضمن ما يلي: «تكرمت الشريفة العفيفة الظريفة الطاهرة الزكية امة الله السيدة لالة عائشة بنت سيدي مولاي عبد الهادي انها تصدقت ووهبت جميع ما على ملكها مما هو يسمى مالا وله بال فستذكره إن شاء الله.... بما اشتمل ما ذكرناه من نخيل وفسلان وأرض عامرة أو غامرة للزاوية أي لضيف الله الذين جرت عادتهم بتوات يأكلون ويشربون وينامون»².

فالمنهج السلوكي للمجتمع التواتي القائم على التدين وإتباع تعاليم الدين الإسلامي تنشأ البنت التواتية على مبدأ طاعة الوالدين والجد والجددة كل أفراد العائلة الكبيرة وتقوم الامهات بتدريهن منذ الصغر على تحمل المسؤولية واعدادهن للحياة الزوجية فيتعلمن مختلف المهارات من طهي وحياسة ونظافة وكل مهارات التدبير المنزلي فالمرأة التواتية في الغالب مطبوعة لزوجها قائمة بشؤون بيتها وهذا من خلال تنشئتها الاسرية القائمة على طاعة الوالدين³.

ومن أمثلة ذلك في قضية تناولها القاضي عمر بن عبد القادر التينلاني في شكوى من زوج يشكو زوجته انها كثيرة الخروج من المنزل لتزور اقاربها دون سبب ودون استئذان من زوجها ويتعلق الأمر بالسيد ابالقاسم بن الحاج عبد الرحمان وزوجته السيدة خديجة بنت الشيخ عبد الرحمان فحكم القاضي بأن تترك عنها هذا العمل وأن تلزم دارها ولا تخرج الا سبب مقبول⁴.

ولأن العلاقات الاسرية في منطقة توات فكانت الرابطة هي رابطة الدين الذي ينظم العلاقات الاسرية وعلاقة المرأة بزوجها ومجتمعها في حدود الاخلاق.

¹ - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 97.

² - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 151

³ - هشام شرابي، النظام الايوبي، ط 4 دار العرب للنشر والتوزيع وهران، الجزائر، 2002، ص 26.

⁴ - محمد بن عبد الرحمان البلبالي، المصدر السابق، الورقة، ص 51.

كما ان الرجل التواقي كان لطيفا في معاملته مع المرأة محترما لها يحترم علاقاتها الاسرية في بناء أسرة متكاملة يسودها الهدوء والاطمئنان فمنهم من كان يشركها في التصرف في امواله ويمنح لها حق التصرف ومن خلال الهدايا التي كان يهديها الرجل للمرأة من حلي ولباس، كما ان الرجل كان هو من يمثل زوجته في قضية تصفية المورايت التي تورثها المرأة من ابيها وتقوم بتقسيمه مع اخوتها كما كانت لها علاقة وطيدة باخوتها وأبناءها بالهدايا والهبات وكن يحطن بناهن الاناث برعاية خاصة ويهين لهن ما يقابلن به نواب الدهر وكانت المرأة هي القائمة على الأولاد اثناء غياب الزوج أو سفره وهي عمود الاسرة وعنصر وحدتها وتعاونها بعد وفاة الزوج فهن من يحافظن على تماسك الاسرة وحفظ حق الصغير من الاخوة والأيتام من الابناء فتشير احد النوازل إلى امرأة طلبت أن يتصدق عليها بجنان يمتلكه ففعل ذلك على أن لا يباع ولا يوهب ولا يسد منه دين مما يعني انخراط المرأة في مختلف التعاملات الاقتصادية في المجتمع.¹

المرأة والزينة: (لقاءات الشفوية)

المرأة نصف المجتمع وترعى وتربي النصف الاخر حظيت بمكانة هامة في المجتمعات وقد اعطى الدين الإسلامي لها مكانتها كاملة غير منقوصة وباعتبار أن المجتمع التواقي مجتمع محافظ فقد حظيت فيه المرأة بدور مميز جعلها تقوم بأدوار مختلفة.

شكلت المرأة دورا هاما في الحياة العامة فقد حرص الآباء على تعليمهن ويوهبون لهم بعد الزواج بعض الممتلكات بغرض تجهيزهم واعانتهم على نواب الدهر، وقد وقف العلماء موقف الراض لكل ما ينقص من حقهم كحبس بعض الممتلكات على الذكور أو اشتراط عليهم عدة شروط مقابل تزويجهم وكل ما رأى فيه العلماء مخالفة للشريعة وان ولايتها قد تتعدى من ابوها لعمها بغية تزويجها وإلغاء ولاية الاب وإلغاء ما تمنحه من ميراثها لإخوانها لاستعطافهم ولها الحق في التصرف في نفسها وما لها بالنسبة للمطلقة، كما كن يمارسن بعض المهن مثل المشاطة.²

كما أن لباس المرأة التواتية كان محافظا فيتمثل اساسا في خيمار وجلباب وملاحف التي تستر سائر الجسد حيث كانت تفتح في الاعلى وتزين بشريط من قطن وتشد بمسايك على الكتفين تسمى

¹ - عبد الرحمان الجنتوري، المصدر السابق، ص 128.

² - مبارك جعفري، مقالات وابحاث، المرجع السابق، ص 192.

الخلالة ويوضع ما يبقى من قماش على الرأس ويمسكوهن باليد من الامام وأحذيتهم تسمى البابوج وهي أحذية حمراء مزركشة بألوان مختلفة أما أدوات الزينة فهي ليست من الانواع الثمينة فبعضها مصنوع من الفضة مثل الخواتم والحلخل والاساور وقد وصفهن جيرالد رولف أنهن يتزين بكل ما يملكون في المناسبات من ادوات الزينة المعروفة عندهم من قطع نقود والمرجان وكن يكتفين بتسريح شعرهن على شكل ظفائر مهمة ترسل وراء أذانهن وبعضهن يربطن ظفائرهن بخيط من الجلد والقماش إلى الخلف.¹

المستوى المعيشي والصحي لمنطقة توات

كانت معيشة الانسان التواتي تعتمد على الضروري نظرا لطبيعة المنطقة ومناخها وكان نشاطها يعتمد على الكفاف. فكان الفلاح يهتم ببستانه فهو مصدر الرزق فمنه التمر والقمح وغيره فكان جل أكلهم أيام القحط التمر وكان يؤكل ليلا فقط واللحم المجفف لمن حسنت احوالهم²، وجل أكلهم التمر والقمح ومشروباتهم اللبن والشاي ونوعية الوجبة تختلف بين الاغنياء والفقراء.³

واعتمدت توات في بعض الاحيان على ما تجوب به القوافل التجارية التي كانت تمر بما لتقوم ببيع منتوجها من تمر وغيره واستبداله بمنتجات اخرى مع التجار نحو السودان الغربي أو التجارة القادمة من غدامس وغات وطرابلس أو البربر والطوارق أو من الشمال الجزائري أو منطقة ميزاب بغرداية لتبادل سلعها بالتمور من قهوة وسكر والحناء التواتية وغيرها⁴، وقد عبر عن حالة منطقة توات الشيخ البكري بن عبد الرحمان⁵ بقوله: «وفي مثل هذا الأزمة التي مسكت السماء فيها قطرها والأرض نباتها وزهرها والشتاء نتاجها وذرها والصمدد مشكرها والتجارة متجرها وفي مثل هذا الاقليم التواتي البعيد عن الامصار وخرير الانهار وزهور الأشجار ورياض الأزهار وتغريد الاطيار وقاموس الجوار وتيسير الاوطان

¹ - مُجَّد الصالح حوتية، ال كنتة، المرجع السابق، ص130.

² - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، الصفحة 66.

³ - مُجَّد الصالح حوتية، توات والازواد، ج 2، المرجع السابق، ص 383.

⁴ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص ص 82_89.

⁵ - الشيخ سيد البكري بن عبد الرحمان التنتلاقي (ت 1339هـ) وهو الشيخ الفاضل الشاعر الناثر اللغوي الصربي الماهر الفقيه العالم الفاضل التقى الزاهد سيد البكري بن عبد الرحمان بن مُجَّد الطيب بن أحمد بن فتح بن عمر بن احمد بن يوسف التنتلاقي وكان إذا استل يقول السائل هل تريد الجواب نثرا او شعرا الف تأليف عديدة منها نظما عجيبا في التوحيد وشرحه لهمزية البصري انظر: مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق، ص105. وينظر كذلك: مُجَّد باي بلعام، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، المرجع السابق، ص142.

ارضه عقيمة وسماءه سقيمة تجره كاسد ورأيه فاسد وريحه جامد وهمه راكد.... الحمد لله الذي أبدلنا نحن معشر التواتيون من ضراوة زهرات الدنيا القناعة وارضانا بفضله بالدوت من تلك البشاعة»¹.

وقد كانت الزراعة النشاط الرئيسي لاقتصاد المنطقة ومصدر رزقهم ومعيشتهم ولذلك حرص التواتيون على مواردها وصيانتها وتطويرها من خلال خدمة الفقارة وترميمها وصيانتها والتعاون من اجل زيادة مستواها وذلك بتشجيع العمل فيها مقابل نصيب من المال كما أن الأرض تابعة كالماء وهما رأس المال وسكان المنطقة وأعلى ما يملكونه لارتباطه المباشر بمعيشتهم.²

ولهذا فإن الأرض كانت هي مصدر الرزق فالانسان التواتي يهتم ببستانه ولا يدخله إلا متوضئا ولا يدخل له إلا من آمن من شره فكان جل أكلهم أيام القحط كان من التمر وكان يؤكل ليلا فقط أما في النهار فلاشيء وياكل اللحم المجفف لمن حسنت احوالهم.³

يتضح لنا مما سبق أن معيشة أهل سكان توات تعتمد على ما تجود به بساتينهم التي تسقى من مياه الفقارة التي اعتنوا بها إما اعتناء وأن عيشهم على الكفاف الضروري نظرا لجفاف المنطقة ووعورتها وقساوتها اعتمدوا على سواعدهم وكان شعارهم القناعة ولسان حالهم كم حاجة قضيناها بتركها فشعارهم الصبر والضروري من العيش.

ومن خلال التقديرات التي كان القاضي يحددها لنفقة الاطفال القصر أو الرضع أو الذين تم وضعهم تحت وكالة كفيل ينفق عليهم أو من خلال عقود الطلاق التي كانت تلزم الوالد بدفع النفقة للحاضنة التي تكون في الغالب هي الأم أو من خلال النفقة التي كان يفرضها القاضي على الزوج في حالة الطلاق الرجعي حيث قدرت ب 4500 فرنك وب 1500 فرنك لكل شهر وهو ما يبين ان نفقة الفرد تقدر ب 50 فرنك في اليوم.⁴

¹ - البكري بن عبد الرحمان التنتلاقي، الديون، ج 3، د- ر، خزنة كوسام، أدرار، الجزائر، ص ص 268 - 269.

² - عبد الرحمن الجنتوري، المصدر السابق، ص ص 20 - 21.

³ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 26.

⁴ - س - ط - و، 1955_ 1692، ع 25، 15/ 09/ 1958.

الجدول الآتي يوضح لنا تكلفة نفقة الأطفال والرضع.

الجدول رقم 13: تكلفة نفقة الاطفال الرضع¹

المرجع	العرش	الابناء	قيمة النفقة
س م 1943 - 1951، ع 43، 1944/02/1	/	1 رضيع	18 دور وشهريا + الكسوة
س م 1943 - 1951، ع 272، 1948/01/17	/	1 رضيع	40 دور وشهريا
س م 1943 - 1951، ع 279، 1948/01/16	تيمي	طفلين 4 س + 2 س	50 دور وشهريا + الكسوة
س م 1943 - 1951، ع 249، 1947/05/23	اسبع	رضيع 3 اشهر	05 فرنك مدة الرضاع
س م 1943 - 1951، ع 325، 1951/02/07	علاج تيمي	طفلين 12-09 سنوات	300 دور وشهريا + الكسوة
س م 1943 - 1943، ع 390، 1951/03/07	زاوية كنتة	طفل 9 سنوات	12 قلبة تمر وغرارة قمح
س م 1943 - 1951، ع 101، 1944/10/31	غرميانو	طفل واحد	ماجن اعزي+3 حبوب فقارة عبد الحق
س الزواج والطلاق 1955، ع 11، 1955/04/22	فنوغيل	طفلين 8 اشهر +3 سنين	90 دورو شهريا + كسوة
س الزواج والطلاق 1955، ع 38، 1955/08/08	بويجيا-تامست	رضيع 4 اشهر	120 دورو شهريا
س، الاخ البكر، س 1944، 1946 بدون عدد 1944/03/10	/	رضيع	10 دورو لليوم ولليلة 30 دورو 16 شهر.

من خلال الجدول الذي يبين لنا نفقة الأطفال في المدة الزمنية من 1944-1955 تبين لنا التكلفة انها منحصره ما بين 3 دورو للطفل إلى 150 دور مما يعني انه لا يمكننا اعتبارها مقياس للحكم على مقدار المعيشة باعتبار أن هذه النفقة كانت تختلف من شخص إلى آخر فهناك الغني والفقير والمتوسط.

ومن هنا يمكننا أن نعتمد على معيار اخر لحساب تكلفة المعيشة وهي نصيب الفرد من التمر والقمح باعتبارهما الغذاء الرئيس للسكان، فادا كانت تكلفت معيشة طفل يبلغ من العمر 9 سنين ب 12 قلبة تمر وغرارة قمح وكان ثمن قلبة تمر هو 29 دورو و ثمن حمل قمح 1440 دورو بهذا يكون حاصل تكلفة الشخص في السنة 1469 دورو وفي الشهر 122 دورو وهذا ما يعبر عن تكلفة المعيشة الحقيقي باعتبار هذا التقدير ينطلق من غذاء الانسان التواقي الحقيقي وهو التمر والقمح².

أما بقية السلع التي كانوا يحتاجون اليها فكانت تأتي عن طريق التبادلات التجارية عبر الطرق

التجارية الآتية.

¹ - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 121.

² - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 122.

- 1- التبادل التجاري مع اسواق السودان الغربي.
- 2- مع اسواق تاقلابت وسلجماته ومراكش بالمغرب الاقصى.
- 3- مع اسواق غدامس وغات وطرابلس وجنوب تونس.
- 4- مع قبائل الطوارق والبربر الضاربة جنوب توات.
- 5- مع أسواق الشمال الجزائري.

والجدول التالي يبين لنا حجم و ثمن السلع القادمة من الشمال الجزائري (عين الصفراء) لمبدلتها بالسلع التواتية عام 1899-1999.

الجدول رقم 14: نوع السلع و ثمنها

نوع السلعة	الحجم أو العدد	التمن
طرف الضأن	558 شاة	15 فرنك للشاة
السمن	320 كيلو	02 فرنك للكيلو
الجبن	530 كيلو	02 فرنك للكيلو
كرات الصوف	870 كيلو	2.5 فرنك للكيلو
الدقيق	69 كيلو	80 سنتيم للكيلو
القمح	16 قنطار	30 فرنك للقنطار
الفول الجاف	1360 كيلو	20 فرنك للقنطار
الشعير	13 قنطار
الزيت	20 لترا	1.20 فرنك للترا
الشحم	62 كيلو	01 فرنك للكيلو
الصابون	35 كيلو	60 سنتيم للكيلو
الشمع	50 رطلا	50 سنتيم للرطل

¹ وكان غالب ما يبيعه سكان توات هو التمر الذي كان يجد رواجه في الأسواق الأخرى.

¹ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص ص 82-84.

وبعد ان خضع الاقليم للادارة الاستعمارية الفرنسية ضد مرسوم مؤرخ في 18 اكتوبر 1920م للقيام بعملية احصاء للسكان في الجزائر بما فيهم المناطق الجنوبية مع العلم ان احصاء 1911م لم يغط جميع البلديات الجنوبية وذلك لصعوبة اصدار البطاقات الفردية حيث يتم تحرير كشف رقمي حسب القصور والاعراش والمراكز المهمة والتي يتم مراقبتها بدقة من طرف السلطات المحلية.

وحسب المرسوم الذي صدر سنة 1906م قدر تعدد السكان منطقة تيميمون حوالي 46.610م وقد شهدت اقليم توات وقورارة حسب النشرات الفرنسية نزوح سكاني بسبب نقص موارد الفقارة وتيقن السكان بصعوبة المعيشة في المنطقة لذلك صدر مرسوم 1921م الاحصاء السكان في المنطقة¹.

ونتيجة للسياسة الاستعمارية الفرنسية القائمة على مصادرة املاك الاهالي وتعريضهم لمختلف اساليب الاستعمار البشعة فقد تدهورت.

حالة السكان المعيشية بشكل رهيب واصبحت هذه المناطق تحت وطأة المجاعة والأمراض والأوبئة الفتاكة.

وهذا ما أدى إلى تناقص عدد السكان وقد سجل سباني وهو أحد المختصين في شؤون المناطق الجنوبية أن سكان واحات توات وقورارة وتيديكلت قد تناقص تعدادهم من حوالي 400 ألف نسمة في ثمانينات القرن ال 19 إلى ستين الف فقط سنة 1906م واغلبهم لا يجدون ما يسدون به رمقهم نتيجة للسياسة الاستعمارية الفرنسية.

ويسجل ذلك ايضا اندري نوشي بشأن هذا التراجع الذي مس سكان مناطق الجنوب الغربي الجزائري فيقول «فانخفض عدد سكان قورارة وتوات والساورة واندثر منهم 4000 ساكنا على 8700 من سنة 1906م إلى 1921م».

وقد أشار إلى هذا الوضع المرير الذي كان يعيشه سكان مناطق الجنوب ما ورد في احدى المحاضرات التي القاها الامير خالد أمام غفير من المهاجرين بفرنسا في سنة 1924م: «إن أهالي هذه

¹ - gouvernement general de la lgerie direction du territoires du sid, les territoires du sud de la lgerie, expose de leur situation buplie bar order de M steeg gouvernement general de la lgerie, deuxieme partie: borkuoi ils ont été crees, jules carboel, 1922, p206-207.

المناطق (أقاليم الجنوب) هم تحت رحمة حكامهم الطغاة في دوائرهم فهؤلاء الضباط لهم صلاحيات مطلقة يمددونها ويقلصونها حسب اهوائهم ان هذا النظام هو ابشع من قانون الاهالي لا يخضع لرقابة وليس له حدود ان البدوى الرحل قد دمر وحول إلى متسول أو إلى سارق لسد رمقه فالوباء لم يغادر هذه المناطق منذ سنة 1921م¹.

غذاء السكان:

اعتمد التواتيون في غذائهم على ما تجوده به عليهم بساتينهم من مواد زراعية وعلى ماتم تربيته من مواشي وتكشف لنا الوصايا المختلفة نوعية الطعام المخصص لسلكة الهالك جاء في وصية ما نصه: (خمسة عشر ذراعا من المحمود لكفنه وثلاثة اقصاع من القمح لسلكة الأولى واثنا عشر كيلو من اللحم وزوج كيل من السمن... ولعشاء القبر قمح كوز ولجعل المارة على القبر قصعتين من التمر وستة ازجان من القمح²، وفي الوصية الثانية خصص صاحبها لمن يحفر القبر كوز من القمح والسلكة قصعة من قمح³.

ومن هنا ينصح بشكل جلي ان غذاء السكان كان يقوم على ما تحوذ به اراضهم وبساتينهم فكان جل اكلهم التمر والقمح وما يربونه من ماعز وماشية.

وتختلف نوعية الوجبة بين الاغنياء والفقراء فالأغنياء يتناولون التمر والطعام، بينما يقتصر الفقراء على التمر والحليب في الغالب ويكون موعدها عند منتصف النهار حوالي الثانية بعد الزوال بينما يقتصرون على الشاي وبعض التمر في الصباح والمساء.

فمعيشة السكان تميزت بالبساطة في الأكل الذي كان مصدره محصولان رئيسيان مما تجود به ارضهم وهما القمح والتمر ويتناولون منه ما زاد عن حاجتهم بالمقايضة ويعتنون بالفقارة باعتبارها المورد الأساسي للمياه للفلاحة فيتفقون على وقت معين لصيانة الفقارة بحضور جميع افراد البلدة ويستفيد كل شخص منهم نصيبه من الماء يقدر عمله في الفقارة ويعتنون بالنخلة مصدر قوتهم ويتم جني التمور في

¹ - عميرايي أمحمدة واخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916 دار الهدى عين مليلة الجزائر 2009، ص 148.

² - سجل الأحوال الشخصية والتراكيب 1936م، 1943م، ع 106، 1941/03/03.

³ - سجل الأحوال الشخصية والتراكيب 1936م، 1943م، د- ر 1942/05/13.

شهر أكتوبر بينما يتم جني الزرع في شهر مارس في اجواء يسودها التعاون والتضامن والتكافل اضافة إلى ذلك اعتمد التواتيون في غذائهم على الذرة واللحوم والسمن والزبدة والحليب بفضل تربية الاغنام في البساتين.¹

وقد اكد ذلك العياشي الذي زار المنطقة نهاية القرن 11هـ/17م حيث قال: «يوجد في توات كثير من السلع مثل الخيل والملابس والحرير كما ان الحجاج المغاربة يشترون جميع ما يحتاجون اليه منها لان اثمانها رخيصة»².

وكان لازدهار هذه التجارة إلى أن اصبح بعض التواتيون يمتلكون الخيل للتباهي والاعارة مقابل مبلغ من المال وقد يشترك في الخيل الواحدة أكثر من شخص.³

الأزمات الاقتصادية:

كانت الأوضاع المعيشة في منطقة توات جيدة حيث يوجد بها التمر والذهب إلا أنه كان تمر بها فترات استثنائية تشهد بها مجاعات يعم فيها القحط وترتفع فيها الاسعار مثلما حدث في 1010هـ حيث بلغ سعر الصاع من التمر سعر الشاة وفي سنة 1053هـ وقع جراد عظيم في توات اقام سنتين في اقليم توات وفي سنة 1073هـ حتى الأزمة الاقتصادية التي حدثت سنة 1929م والتي استمرت إلى 1933م حتى صار الناس يغسلون ثيابهم بالطين البيضاء بدل الصابون.⁴

وفي سنة 1945م وقعت ازمة شديدة أيضا⁵ ضربت جميع مكونات المجتمع التواتي بفعل الحرب العالمية الثانية هذه الازمة التي مست جميع التراب الجزائري وكانت منطقة توات جزء من ذلك وهذا ما توضحه سجلات المحكمة الشرعية حيث ان مُجَّد بن دادين ابي منصور الذي طالبته الحكومة الفرنسية

¹ - عبد الرحمان الختوري، المصدر اليابق، ص ص 66-73.

² - عبد الله بن مُجَّد العباسي، الرحلة العباسية، تحقيق الدكتور الفاصلي ود سليمان الفرنسي، دار السويدي للنشر والتوزيع الامارات العربية المتحدة، 2006، ج 1، ص 79 .

³ - عبد الرحمان الختوري، المصدر السابق، ص 40.

⁴ - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 1، لمرجع السابق، ص 115.

⁵ - مُجَّد باي بلعالم، المرجع نفسه، ص 115.

لدفع ما عليه من رسم والذي اشكى من قلة المنتوج بفعل غلاء الاسعار والجراد¹ وما سجله القاضي في عقد مؤرخ في 18 ابريل 1945م ويتعلق الأمر بمبروكة بنت الحاج عبد الرحمان زوجة الغائب احمد بن عبد الله بلدة المنصور عرش بودة التي طالبت بالانفاق عليها وعلى عيالها في هذه السنة التي عم فيها القحط.²

السكن: القصر لفظ مفرد جمعها قصور كما جاء في قوله تعالى ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُوبِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾³.

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبُئِرٍ مُعْتَلَّةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾⁴.

وقد ورد في لسان العرب أن القصر: «هو المنزل وقيل كل بيت من الحجر، سمي بذلك لأنه تقصر فيه الحرم أي تحبس»⁵.

وأما اصطلاحاً فالقصر هو مرتبط بالبناء والتشييد هو يعني الرباط ويعني الحصن⁶، كما يقصد بها منازل ومسكن عليا القوم ورؤساءهم وأكابرهم وهي بيوت تبنى بمقاييس عمرانية خاصة تكون كبيرة، ومزينة بالزخارف بها حدائق وعيون ومساحات واسعة للاستراحة وهي عبارة عن بنايات فخمة تشير إلى المستوى المميز لسكانها اجتماعياً⁷.

¹ - س الاخ، الترس، 1944-1946، دار 1945/01/10م.

² - س، م، 1943 - 1951، ع 130، 1945/04/18.

³ - سورة الاعراف، الاية 74

⁴ - سورة الحج، الاية 45

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 3، دار لسان العرب بيروت، دون تاريخ نشر، ص ص 99-100.

⁶ - محمد حسن، الجغرافية التاريخية الافريقية من القرن الاول إلى التاسع، فصول في تاريخ الموقع والمسالك والمجالات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2003، ص 45.

⁷ - بن سويسبي محمد، أسس التخطيط العمراني كإحدى مقومات الحضارة الإسلامية، دار العلم والإيمان، عمان، 2015، ص 24.

ويطلق القصر على بلدة بأكملها بمجموعة من البيوت والأزقة والمساجد والبساتين والدكاكين والساحات لمجموعة بشرية تسكن حيز جغرافي محدد تشترك في عوامل متعددة تتعاون فيما بينها في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والأمنية¹.

وأما القصور في المناطق الصحراوية أو الشبه صحراوية فهي مجموعة من البيوت تنتظم داخل حصن له أبواب وأبراج مراقبة، تشترك فيه مجموعات بشرية ذات مصلحة مشتركة تجمع بينها روابط قبلية أو عشائرية تخزن فيه محاصيلها الزراعية الموسمية تستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها المختلفة وكملجأ وحصن تلتجأ إليه للحماية في وجه الاعداء تمتاز بأزقتها الضيقة محاطة بأسوار تحيط بها واحة من النخيل.

فرضت طبيعة المنطقة الحارة جدا في الصيف، الباردة جدا في الشتاء نمط معين في بناء البيوت التي كانت تبنى من المواد الأولية المتوفرة الموجودة في المنطقة وقد أبدع التواتيون في التكيف مع هذه البيئة وبنوا مساكنهم واستقروا.

بنيت الجدران من الطين الممزوج بالتربة والسقف مغطى من جذوع وسعف النخيل وتشكل المباني مجتمعة قصر يكون غالبا في شرق الواحة².

والبيوت تتركز في هندستها المعمارية على المدخل الواحد المؤدي إلى غرفة الاستقبال ثم نجد الصحن الذي يعتبر المركز الحركي منه يستمد أشعة الشمس تتركز فيه أغلب ونجد سقيفة وأروقة مؤدية إلى الغرفة بالإضافة إلى المطبخ والسلم الذي نجده في كل المساكن والذي يصل السطح بالطابق السفلي والذي يعتبر مكان النوم في فصل الصيف واستعماله لوظائف اخرى كنشر الملابس وتخفيف الخضر واللحم ويوجد به دورة المياه³.

¹ - Meriem chabou, Espace ksourien et sosiete Les Cas de tementit, les cahiers de jepau, 1996 – Alger, p09.

² - مبارك جعفري، جوانب من الحياة الاجتماعية بمنطقة توات من خلال المصادر المحلية (ق 12هـ، 18م)، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12هـ-13هـ/18-19م، من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، الجزائر، 2012، ص 124.

³ - محمد الصالح حوتية، آل كنتة، المرجع السابق، ص 133

وكانت القصور تشبه إلى حد ما القلاع حيث يطلق القصر على التجمعات السكانية الجماعية مكونة من مساكن فردية متلاصقة مع بعضها البعض وكأنها بناية واحدة يحيط بها خندق للدفاع عنها بها مدخل واحد يتم الدخول والخرج منه بواسطة فنطرة تعبر الخندق¹، توجد بالقصر أزقة ضيقة بعرض تسعين مترا وتوجد في زواياها الأربعة أبراجا بغرض المراقبة مربعة الشكل تتسع للأسفل وتضيق في الأعلى يبلغ متوسط ضلعها مترين وستين سنتمرا وارتفاعها حوالي ثمانية أمتار وداخل المسكن يوجد اسطبل صغير للماشية كما أن المباني المحاذية للجدار الخارجي بها طابقين تستعمل في غرض الدفاع².

وكانت هذه العمارة هي عمارة إسلامية حققت الكثير من الغايات:

- البعد الأمني: بناء القصر فوق مكان مرتفع يحيط به خندق لإخافة الغزاة.
- البعد الاقتصادي: تدل البيوت المتصقة ببعضها البعض على التماسك الاجتماعي القوي.
- البعد الديني: اتخاذ المسجد وسط القصر ليكون قريب من كل البيوت.
- البعد الأخلاقي: تخصيص غرفة داخل البيت للضيف وتكون منفصلة عن البيت الرئيسي راحة للضيف ورفعاً للحرع.
- البعد البيئي: اعتماد سور خارجي سميك لعزل الحرارة الخارجية ووضع ثقب في سقف البيت ضماناً لتوفير عنصري التهوية والإضاءة الطبيعية³.

فوجود مدخل واحد وبناء الخنادق بدل على البعد الأمني مثل الهجوم الذي يشنه بعض المسلحون على قصر بودة السفلانية واجتماعهم بسكان قصر ملوكة ووجود جميع المرافق داخل القصر من بئر للشرب ومسجد وكتاب صغير وبساطة المباني وعدم وجود الزخرفة يدل على بساطة السكان وكثرة الأزقة وتسقيفها كان لغرض مواجهة الحرارة الشديدة والرياح العاتية⁴.

¹ - قالون الجيلالي، عياد صالح، المرجع السابق، ص 30.

² - مبارك جعفري، جوانب الحياة الاجتماعية في منطقة توات من خلال المصادر المحلية، المرجع السابق، ص 124.

³ - قالون جيلالي، عياد صالح، المرجع السابق، ص 32.

⁴ - مبارك جعفري، أعمال الملتقى الوطني الثاني، المرجع السابق، ص 125

فوجود البيوت متلاصقة ببعضها البعض في وضع من التلاحم بأدوات محلية تحافظ على الطابع العمراني للمنطقة والذي يستجيب للعديد من المتطلبات المحلية¹.

يتبين لنا مما سبق أن الإنسان التواتي كان ابن البيئة الصحراوية بحق اثر وتأثر بها عاش فيها وسخرها لتوفير متطلبات حياته، كيف حياته على حسب ما توفر له من إمكانات طبيعية سخرها بطريقة عجيبة لتلبية حاجاته وبناء سكنه واستمرار حياته وحفظ أمنه فكانت المنازل والقصور بنايات هندسية مصممة لتتماشى وشخصية الفرد التواتي القائمة على توفير الامن وإكرام الضيف والوقاية من الحرارة والبرودة الشديدة التي كانت تتميز بها المنطقة.

الوضعية الصحية

أثرت الظروف المعيشية المزرية التي كان يعيشها سكان منطقة توات وطبيعة المنطقة التي تفتقد إلى الوفرة في جميع النواحي نظرا لطبيعة المنطقة والمناخ والطبيعة القاسية الحارة جدا في الصيف والباردة جدا في الشتاء القليلة الأمطار وقليلة الغطاء النباتي إلى الانعكاس سلبا على بنية الانسان الطبيعية في المنطقة والتي جعلته في غالب الأحيان عرضة للعديد من الأمراض.

ونظرا لهذه الأوضاع المزرية التي كان يعيشها سكان المنطقة في ظل الاحتلال الفرنسي وانتشار الأمراض والأوبئة جعل من الحكومة تتدخل للإحاطة بهذا الموضوع فأنشأت مراكز صحية على شكل مساعدات طبية ونظافة عمومية تشمل الأوروبيين والأهالي وكانت هذه المراكز تقدم خدمات طبية من طرف أطباء فرنسيين وضعوا تحت تصرف الحاكم العام وتشمل على:

1- الفحوصات اليومية والمجانبة التي تجري في قاعة مهياً لهذا الأمر مع منح الأدوية مجانا للأهالي.

2- المعالجة في العيادات الأهلية أو في المستوصفات أو المستشفيات العسكرية إذا تطلبت حالة المريض ذلك.

¹ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 30.

3- القيام بجولات ميدانية من أجل التحسيس والتنبيه¹ والوقاية من الأمراض والتلقيح والمعالجة من الأوبئة المختلفة.

أما عن الأمراض الموجودة في الإقليم فهي نتيجة التأخر الصحي الذي عرفه الإقليم أو الحالة الطبيعية التي تميز الإقليم والاجتماعية والمعيشية ويأتي في مقدمة هذه الأمراض مرض السل (Tuberculose) الذي يسمى السعلة يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة واصفرار العينين وداء البرث (Seciatique) وهو عرق يصيب الانسان في ساقه أو فخذه ويقولون ان مصدره من السودان وأكثر اوقاته شهر يناير أو فبراير ومرض الشقيقة (Migraine) يصيب الانسان في وجهه فيعجز عن الحركة بالإضافة إلى الحمى (Fierre) وتسمى النوجاط وتظهر في فصل الخريف إضافة إلى مرض الجنكور بمسى في المنطقة بمرض بوبجق (Varicelle) يظهر في المناطق التي أكثر طعام اناسها بالحليب ومرض اشراي (Vitiligo) وهو حب يصيب الجلد فعند دخول جيرار رولف (Gerared Rohlfs) إلى قصر زاوية كنتة وجد الطبيب مولاي اسماعيل له معرفو طبية يداوي بها المرض ويعود أسبابها إلى انتشار العدوى من الاقاليم المجاورة وضعف الرعاية الصحية والظروف المعيشية الهشة².

بالإضافة إلى امراض العيون المنتشرة بكثرة في المنطقة والتي تؤدي مع التقدم في العمر إلى العمى الكلي وهذا بسبب طبيعة المنطقة الحارة والأترية مما يؤدي إلى تراكم الاوساخ في المنازل وقلة نظافة الجسم مما أدى إلى انتشار مرض يسمى التراخوما الذي يصيب مختلف الفئات وهذا ما تبين من خلال فحص أجراه الاطباء على 452 طفل اكتشف أن 218 طفل مصاب في عرش تامست ومع التلوث مياه الفقارة ومياه الاحواض الزراعية والمياه الراكدة والأحواض المائية التي تستغل في البساتين والتي تسمى الماجن أدى إلى انتشار مرض الملاريا بسبب حشرة البعوض³.

وفي سنة 1941م ظهر مرض التيفوس الذي لم يكن معروف بهذا الاسم من قبل والذي جاء من قافلة قادمة من بشار فانتشر في البداية بين طلبة المدارس القرآنية خاصة مدرسة الشيخ الجيلالي

¹ - Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 - 31 décembre 1921 - 1922, op cit, p p 137-138.

² - محمد الصالح حوتية، توات الازواد، المرجع السابق، الجزء 2، ص 389.

³ - Devors, p: Le Touat étude géographique et médicale, institue pasteur, d'alger, Tom xxv, n°3-4 sept, dec1947.

بادرار وقبل معرفة المرض حيث بلغ معدل الوفيات نسبة 55% من المصابين واستمر من 1941م إلى 1943م وتزامن ظهوره مع انتشاره في شمال الجزائر حيث بعد فحص 74 حالة ظهرت عليهم اعراض المرض تماثل للشفاء 44 حالة وقد تم اكتشاف الملاريا بقصر تيلولين سنة 1913م نتيجة للحملات الطبية التي كانت تبرمجها المصالح الطبية في قصور توات¹، كما انتشرت بالمنطقة مرض الجدري وجاء بنسبة عدد كبير من السكان بين 1917م_1919م².

ومن الامراض المنتشرة ايضا في المنطقة نزلات البرد حيث شهد السداسي الأول سنة 1919م انتشار واسع للزكام الموسمي والذي عرف انتشارا واسعا في المناطق الصحراوية وخلف ضحايا كثيرة وأيضا حمى التيفوس الطفيلية دائم الانتشار في وسط الاهالي بالإضافة إلى مرض الجدري الذي ظهرت له حالة خطيرة في 1920م وبدأ انتشاره في فصل الخريف وانتهي في فصل الربيع وهذا المرض هو مرض موسمي خاص بفصل الشتاء (الزكام) الذي ظهر مكانه مرض التيفوس الذي يكون اكثر حدة خلال اشهر التاء الباردة إلا انه قد يستمر لفصل الصيف³.

في هذه المرحلة من الصعب إعطاء أرقام دقيقة لهذه الوفيات الناجمة عن هذه الأمراض نتيجة لضعف التشخيص، وأيضا للحالة المزرية للسكان وضعف التغطية الصحية ونقص التلقيح والرعاية الصحية مما جعل السكان فريسة للعديد من الأمراض التي كانت تحصد العديد من الأرواح.

سارعت الحكومة الفرنسية باستدراك الوضع لتشخيص مختلف الأمراض والإحاطة بما فقد حدد المنشور الصادر عن الحاكم العام بتاريخ 15 جويلية 1921 القواعد المتعلقة بتقييم الحالات الأولى للمرض مركزا على دور رؤساء وأعيان الأهالي بضرورة التبليغ عن الأمراض الفتاكة التي تصيب المناطق البعيدة عن الدوائر الإدارية كما أكد المنشور على ضرورة التركيز على جمع المعلومات الصحية كما أكد هذا المنشور على دور الأطباء المحليين والسلطات المحلية التصريح بقائمة الأمراض المحددة في هذا المنشور

¹- E.S.G.T.S.A, presente par cl lutaud Government general, Année 1913, I;p, libraira editeur, Alger, 1914, pp 28-29.

²- محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 2، ص 275.

³- Situation General des territoire du sud de A'algerie, pendant ies années 1616-1917 et 1918, rapport d'ensemble 1919, op.cit, p30-90.

والقواعد الواجب اتخاذها للحد من هذه الأمراض والحد من انتشارها خاصة في المناطق الجنوبية المحاذية للمناطق الشمالية¹.

كما صدر في 25 أكتوبر 1921م المتضمن استغلال رئيس المرضين لتعويض نقص الاطباء في العيادات المتخصصة للاهالي وفي وجود الطبيب يعتبر مساعدا للطبيب من بين المرضين الذين امضوا سنوات في الخدمة في منصب ممرض طوال مدة خدمتهم العسكرية ويسهرون على تنظيم العتاد الخاص بمكافحة الأمراض وتزود بملابس التغيير التي تعتبر ضرورة لضمان عمل مراكز التطهير وتوفير غرف العزل الصحي بالقرب من عيادات الأهالي في حالات انتشار الأمراض المعدية بالإضافة إلى مؤسسات الأهالي للاحسان والإعانة والقرض التعاضدي التي زاد عددها من مؤسستين في 1906 بكل من عين الصفراء ومشربية لتصل إلى خمسة عشرة (15) سنة 1908 بما فيها مؤسسات منطقة توات².

قامت فرنسا بهذه الإجراءات في إطار السياسة الاستعمارية في منطقة الجنوب التي كانت مناطق حكم عسكرية من أجل التقرب من المواطنين وبسط سلطتها ونفوذها والتقرب من الأهالي من أجل تحسين مستواهم المعيشي والصحي وزيادة المرضين من الأهالي لتغطية النقص بهذه المراكز الصحية من اجل إطلاق العنان لإدارتها العسكرية وتوقيع خلل في البنية الثقافية والاجتماعية للمنطقة لاستغلال موقعها وخيراتها.

الطب الشعبي والتدواي بالأعشاب: اشتهرت المنطقة بهذا النوع من العلاج نظرا لنقص وانعدام المستشفيات والعيادات فانتشرا بذلك مهنة التطبيب فلا يخلو قصر من القصور إلا وتجد الحجام والعشاب والراقي وهذا النوع من التطبيب يعتمد على أعشاب من المنطقة يتم تحضيرها بوسائل بسيطة تقدم للمريض في شكل مرهم أو وسائل بعد تشخيص نوعية مرضه وأصبحت في بعض الأحيان مهن متوارثة من الآباء إلى الأبناء تصف الدواء بعد تشخيص المرض هل هو عضوي أو نفسي.

¹ - Situation General des territoire du sud de A'algerie, pendant ies années 1616-1917 et 1918, rapport d'ensemble 1919, op.cit, p 39.

² - Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921 -1922, op cit, p p 148-149.

وكان الدواء من الأعشاب التي تجمع من المنطقة وطريقة ذلك تكون من شيخ لآخر ومن العادات في الطب أن دواء العين هو قطرات من حليب الأم المرضعة كما كانوا يتداوون بالكفي والحجامة والقطران وغيره¹.

أما الكسر فقد استعمل له سكان المنطقة الربط عن طريق معجون الدقيق والبيض والخرق.

عملية الحقنة: الجراحة واستخراج الأمراض من البطن وخياطة الجرح بعد شق البطن وكانت تتم في زاوية الشيخ البكري وأنزجير لكنها قليلة جدا.

الدفن في التراب للمصابين بالروماتيزم، والحجامة للدغ العقرب، الكي، قطع العين بأنبوبة من القصبة، كي الضرس بالنار اللدد في الأنف².

ومن الأطباء الذين اشتهروا بمهنة التطبيب الشيخ البكري بن عبد الرحمان بن الطيب الذي سجل في ديوانه بعض الأمراض وكيفية الوقاية منها ومنه أن مرض المعدة تخرج بالقيء لأنها نتيجة فضلات رديئة علقّت بالبطن وذلك بتسخين الماء وأن يجعل اصبعه في أقصى لسانه وأن يتقيأ حتى لا يبقى شيء في بطنه وألا يأكل الا على الجوع وأن لا يشرب إلا على عطش ولا يشبع شبعة كبيرة وأن يرفع يده من الطعام وهو يشتهي³.

يتضح لنا مما سبق أن الطبيب التواتي كان يلتزم في الدواء تطبيق الشريعة الإسلامية في قوله ﷺ «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا فلا نشبع» وقوله ﷺ «المعدة بيت الداء» فكانت توجيهات نبوية حاضرة في الطب الشعبي وحتى قوله (ص) «آخر الدواء الكي» والتداوي بالقرآن (الرقية) للأمراض الحسية والمعنوية واستعمال العسل وغيره من الأدوية المذكورة في القرآن الكريم وهنا نلاحظ ذلك التأثير الكبير للجانب الديني على الإنسان التواتي.

وعن اللحوم وأضرارها وتناولها يقول الشيخ البكري: «أن لحم البقر بالنسبة لأهل توات لا يتلاءم مع بيئتهم الحارة وإنما يناسب أهل الاقاليم الحارة الرطبة من السودان لأنه بارد يابس رديء وثقيل،

¹ - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 29.

² - محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية، المرجع السابق، ج 2، ص 254.

³ - البكري بن عبد الرحمان، منظومة أوصاف الخير شفاء القلب العليل لتحقيق منظومة البكري على أوصاف الخيل، تح: محمد سالم بن عبد الكريم، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2006، ص 253.

وهو داء بالنسبة لهم من أراد إزالة ضرره فعليه أن يطبخه بالثوم والزنجبيل والفلفل الاحمر، اما عن أفضل اللحوم فهو لحم الضأن والمعز ثم الابل ولحم ذكورها خير من إناثها ولحم صغارها أفضل من كبار واما لحوم الطير فأفضلها لحم الدجاج ولحم الفراخ منها وهي الصغار منها سواء ذكورا أو اناثا قبل أن تبيض الدجاجة، ومن الاطعمة الضارة بالجسم في توات هي الكسرة (الخبز القطير)، فان المداومة عليها تضر بالمعدة لأنها غذاء ثقيل بطيء الهضم فان اجتمعت الكسرة ولحم البقرة والماء الثقيل اجتمع الضرر بالجسم»¹.

ويعتبر الشاي من المشروبات المفضلة لأهل المنطقة وله فوائد صحية جمة ويكثر استعماله في المناسبات كالأعراس والأعراس وقد استرسل الشعراء في وصفه بأجمل الصفات ومنها قصيدة للشاي محمد بن البكري يقول في مطلعها:

الحمد لله الذي منى على عباده بالشاي جل وعلا

ثم تطرق إلى الطرف الذي ظهر فيه والمنافع التي يستفاد منها متناوله من مناعة ضد بعض الامراض التي تصيب الانسان فيقول:

ظهر في الصين ببعض الوزراء ملوكه بسبب انجيرا

وينفع الشاي من الاحزان والتخم والعفنة في الابدان

أما في كيفية استعماله:

وعاود صبك مثنى وثلاث وكن به على الدوام ذا الثبات

كما عرج على الجماعة التي تشارك شربه فقال:

واختر له الصند من الاخوان اهل الثناء والفضل والإحسان²

¹ - المصدر نفسه، ج 3، ص ص 253-254

² - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، المرجع السابق، 382.

ويعتبر الشاي منه يحتوي على الكافين أو الشايين الموجودة في القهوة ومادة عطرية ذات رائحة زكية منعشة كما يقوم بتنشيط الدورة الدموية ويستعمل في علاج الصداع وضربات الشمس ويساعد في دفع العطش ويساعد الجسم على مقاومة الحرارة غير أن الإفراط في شربه يؤدي إلى ازدياد ضربات القلب وفقدان والإصابة بالأرق وضعف في التنفس¹.

كما حذر الشيخ البكري من الجمع بين شريتين في اليوم أو الليلة كما انه يمتص الرطوبة من الجسم وأما الشباب فيجب ألا يكثر منه على عكس الشيخ الكير ولا يتم شربه على الريق إلا أن يأت صاحبه على طعام دسم أو عى تمر فلا بأس بذلك².

ولعلاج أمراض العيون والوقاية منها يقول الشيخ البكري هو الاثمد كما جاء في قوله ﷺ «اكتحلوا بالاثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر» وله فوائد متعددة حيث يستعمل للتداوي من امراض العين ويستعمل للطفل الرضيع ويرطب ويرد العين ويشترط لاستعماله نظافة الوسائل والمكان وأحسن وقت لاستعماله هو فالليل³.

أما الأدوية التقليدية المستعملة في المنطقة فمنها: الشيخ - الشونير - الحلبة - الكمون - أم دريقة - الوزوازة - العرعار - اليزير - الفيجل - القزبرة - البسباس - كرمة الذيب - الكضم - السدر - الزعتر - الحناء - حب الرشاد - الحرمل - الحبق - عسل النخلة، ومن الادوية التي كانت تستورد من تومبكتو الزينية _ بو فتاش - بصوصو - عرق السوس - الكست - الاثمد - حجار أم الناس.

ومن هذه الادوية تعالج بها أمراض كثيرة مختلفة كالأذن والبطن ووجع الرأس والعسر ولسع العقرب⁴.

¹ - عبد العزيز الماطي، التداوي بالاعشاب والنباتات الطبيعية، دار الهدى عين ميله، الجزائر، ص 103.

² - تقييد حول الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن مخطوط بيد الحاج عبد الله بكراري غوزي أدرار الجزائر، ص 256 _ 272.

³ - المصدر نفسه، ج 2، ص 275 _ 178.

⁴ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج 2، المرجع السابق، ص 254 _ 255.

ومن الأدوية التي كانت تستعمل للكثير من الأمراض هي الحجامة والكلي، والحجامة هي استخراج الدم من الجسم وهي ثلاث مراتب أدناها الرعاف ومتوسطها الحجامة وأعلىها الصقذ وهي افيد للصبيان وتستحب في وسط الشهر وفي الربع الثالث من الشهر أي بين اليوم السادس عشر والرابع والعشرين من الشهر ومنها الحجامة تحت الأذن وهي تنفع لوجع الاسنان والوجه والحلقوم، والحجامة في ظهر القدمين تنفع قروح الفخذين وانقطاع الطمث والحكة العارضة والحجامة أسفل الصدر تنفع دمايل الفخذ وحره وبتوره والبواسير حكة الظهر أما شروطها فلا تكون على شبع ولا تكون أول الشهر ولا تتكلم أثناء الحجامة ولا تنام في النهار ولا تكثر المشى وان تغسل موضع الحجامة¹.

ومن الحجامين المعروفين في المنطقة السيد مولاي العباس من تيطاف وبأنزجير أدغا وغيرهم كثير ويجبر المكسور بالحنة والطين والكلي بالنار وبعود الرتم وعود التين ويدفن في الرمل الحارة المصاب بأمراض البرد وتستعمل الحجامة للدم الفاسد².

قال الإمام ابن القيم في كتابه الطب النبوي في صحيح البخاري الجبير عن ابن عباس عن النبي (ص): «الشفاء وأنا أنهي امتي عن الكلي» وفي رواية لا أحب أن أكتوى³.

وكان في قصر سموطة طبيبتان مختصتان في طب الاطفال والنساء وهما السيدة مبروكة نواري والسيدة فاطمة كرمي، وكان التداوي في المنطقة يتم بالحشائش الطبيعية والليمون وزيت الزيتون والحبة السوداء والرمان والشيخ وتوجد محلات خاصة في المنطقة لبيع مختلف العقاقير⁴.

الطب الفرنسي الحديث: بعد اخضاع الاقليم للإدارة الاستعمارية تأسيس إدارة الخدمات

الصحية في المناطق الجنوبية بموجب مرسوم 15 فبراير 1918م ومرسوم 18 أكتوبر 1920م من أجل احصاء السكان في المناطق الجنوبية والشمالية لتحرير كشف رقمي حسب القصور والاعراش أو المراكز

¹ - مبارك جعفري، الحياة الاجتماعية والاقتصادية، منطقة الازواد خلال القرن 12هـ/19م (اطروحة أعدت لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ، غير منشورة)، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، السنة 2013 _ 2014، ص 165.

² - غيتاوي التهامي، سلسلة الرواة، سلسلة الرواة في ابراز شخصيات من علمي وصالحي اقليم توات ولاية ادرار، الجزائر، ج3، ط2005، منشورات ANEP، ص84.

³ - ابن القيم الجوزي، الطب النبوي من زاد المعاد في هذي خير العباد، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط1، 1461هـ-2000م، ص30.

⁴ - غيتاوي التهامي، الرواة، المرجع السابق، ص 84.

المهمة ويتضمن معدل القوائم المقدمة من طرف الاعيان يتم مراقبتها من طرف السلطات المحلية وانشاء البطاقات الفردية وأوراق الاهالي.

وتنظيم فحوصات طبية للأطفال والأمهات وانشاء مستشفى لاستقبال المرضى ومعالجتهم لكن يبقى السؤال مطروح هو: هل هذه العناية وسيلة للتقرب من السكان وتسهيل عملية التغلغل الاستعماري؟ أم هي وسيلة لمعرفة الامراض الآتية من منطقة السودان حتى تتم الوقاية منها في الشمال؟ أم هل هي لحماية الجنود الفرنسيين واستغلال سكان المنطقة لخدمة اقتصاديات فرنسا؟.

تم إنشاء مستشفى في عاصمة توات أدرار سنة 1905م وتمت اعادة ترميمه سنة 1918م وكانت الخدمات الصحية المقدمة لهذه المراكز تتمثل في الاستشارات الطبية المجانية من طرف طبيب عسكري وحملات تطعيم السكان ضد الاوبئة مثل الملاريا والجذري وأمراض العيون، بالإضافة إلى المساعدات المقدمة للمسنين والعجزة ولضمان الخدمات الصحية اشترطت في الطبيب أن يكون ملما بالخصائص الطبيعية والاجتماعية للمنطقة وأن يتوفر على الاقل طبيب في كل مستوصف يكون مسؤولا عن صحة الاهالي من خلال التفتيش الصحي للمدارس وتقديم اللقاحات وامتدت هذه الرعاية لتشمل الامومة والطفولة¹.

وضع الأطباء العسكريون المندوبون في الاقاليم الجنوبية تحت السلطة الفعلية للحاكم العام فكانوا يعينون من طرف وزير الحربية إلى غاية 1918م. وكانوا يلحقون بالمديريات الفرعية للصحة التي لم يكن لديها عليهم سلطة لإقرار تحويلهم كما أنهم كانوا يتمتعون بالاستقلالية التامة من حيث مراقبة عملهم واعتبار الطبيب العسكري من اهم مساعدي الحاكم العام في الاقاليم الجنوبية وذلك ضمن السياسة العامة المتعلقة بالاهالي فكان عملهم يتطلب تفانيا ونشاط كبيرا والعمل في مختلف الظروف أما من الناحية الادارية لم يكن لديهم ارتباط سوى بالدوائر الادارية التي وجهوا اليها فكان الطبيب بحكم عمله يستقطب الزبائن بسرعة اما في حالة تماونه فكان ينفر منه السكان المحليون².

¹ - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 133.

² - Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921 – 1922, op cit, p p 137-138.

ويشير الجدول التالي إلى الخدمات الصحية المقدمة في مستشفى ادرار.

الجدول رقم (15): الخدمات الصحية المقدمة في مستشفى ادرار 1925_1926.

1926				1925				عدد الاسرة	موقع مستوصف الأهالي		
عدد ايام المكوث في المستشفى	عدد المرضى في المستشفى			عدد ايام المكوث في المستشفى	عدد المرضى في المستشفى						
	اطفال	نساء	رجال		اطفال	نساء	رجال				
396	6	3	26	2594	994	21	3	30	3336	20	مركز توات

C.G.A, Les territoire du sud de L'Algérie année 1903_1929, op-cit, p 176_177.

حيث كان الطبيب يقوم بزيارات ميدانية إلى القصور البعيدة اما القصور القريبة فكانت تأتي إلى المستشفى وهذا من خلال المراسلات بين السلطات الاستعمارية والقياد ومن هذه المراسلات: من سعادة السيد الطبيب حاكم المستشفى بتيمي إلى السيد عبد القادر قايد القياد بتيمي السلام عليك وبعد نعلمك أن تبعث للمستشفى صبيحة الخميس الآتي 4 نوفمبر 1954 المرزعات وأبنائهن من قصر ميمون وينة، ملوكة، كوسان، برقع، اوقديم، تنلان¹.

وعليه يتبين مما سبق أن الاطفال والأمهات كن يتمتعن بالرعاية الصحية بالدرجة اولى من طرف الإدارة الاستعمارية.

وفي رسالة من قائد عرش تسايت من طرف حاكم برج بن طلحة بتاريخ 19 جوان 1956م تخبره بأن الطبيب قادم إلى تسايت لفحص المرزعات وأبنائهن² وفي رسالة بعث بها حاكم ملحقة توات إلى قياد المنطقة يعلمهم بقدم مجموعة من الأطباء قادمة من الشمال لإجراء فحوصات طبية تتعلق بمريض السل تجرى في مستشفى ادرار في شهر جانفي 1954³ وكان يوجد بمستشفى تيمي طبيب

¹ - رئيس مستشفى أدرار رسالة إلى قياد تيمي (بخصوص المرزعات)، د ر، 1954/11/4م، وثائق خزنة بن الوليد.

² - الحاج أحمد بن الحاج عبد العزيز (قايد عرش تسايت): رسالة إلى كبير المهيلة ولعياد ولعيز وجلان وحامد (زيارة طبيب المستشفى)، د ر، 1958/10/12 وثائق بيد احمد بن حسان.

³ - حاكم ملحقة توات: رسالة إلى كافة القياد، (بعثة طبية)، ع1، 1953/12/18 م، وثائق خزنة بن الوليد.

مختص في أمراض العيون¹. ويدخل الاهتمام الفرنسي بالاهتمام بالصحة العامة في المناطق الجنوبية في إطار حماية المناطق الأخرى من الأمراض المعدية القادمة من السودان وحماية جنودها من مختلف الأمراض والتقرب من السكان المحليين من أجل توطيد السيطرة الاستعمارية.

وقد قامت فرنسا في هذا المجال بعدة مراسيم ومناشير وأوامر لتنظيم الجانب الصحي في الأقاليم الجنوبية للجزائر.

فقد تم وضع منشور لإعادة التنظيم في هذا الصدد عام 1915م حيث تم تعيين الطبيب تحت سلطة الحاكم العام وممارسة الحاكم العام السلطة الفعلية على كامل المستخدمين الطبيين في أقاليم الجنوب وبعد اطلاعها على مشروع إعادة التنظيم اقترحت قيادة أركان الفيلق التاسع عشر للجيش مع الطبيب المفتش العام مدير مصلحة الصحة بشمال إفريقيا إنشاء مديرية الخدمات الصحية بأقاليم الجنوب بحيث يكو مرتبطا مباشرة بالحاكم العام فيما يتعلق بالخدمة الطبية الموجهة للقوات الموجودة بأقاليم توات ودخل هذا التنظيم حيز التنفيذ بموجب المرسوم المؤرخ في 15 فيفري 1918 م، وأصبح تابعا إلى المدير المعين خصيصا لهذا الغرض ومن جهة أخرى يرتبط بمديرية أقاليم الجنوب في كل ماله علاقة بالتنظيم العام للصحة فهو يمتلك الاستقلالية التي تقف مع المسؤولية².

يوضح المنشور المؤرخ في 6 مارس 1918م أن هذا المدير مكلف بالتفتيش والمراقبة ودراسة الوضعية المتعلقة بالنظافة والأوبئة وفحص مشاريع بناء المساعدة الطبية وتنظيم مخابر المجاهر الملحقة بعيادات الأهالي فهو من يعين ويسير الأطباء المختصين ويتكفلون بالمراقبة الصحية للمدارس وجولات التلقيح فأشتمل برنامج التحسين لعام 1915م الزيادة في عدد الأطباء إلا أن ضرورة تلبية حاجيات قوات الجيش أولا لم يسمح للحكومة بتحقيق نتائج جيدة في هذا الصدد وفي سنة 1918م تم إرسال 26 طبيبا إلى الأهالي من بينهم 21 طبيبا كانوا مكلفين بالمساعدة الطبية للأهالي³.

¹ - حاكم ملحقة توات، رسالة إلى كافة القياد (زيارة طبيب العيون)، ع47، 1955/03/20، وثائق خزنة بن الوليد

² - Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921 – 1922, op cit, p p 144.

³ - Ibid, pp135_143.

وتشير كذلك عقود المحكمة إلى وجود مستشفى بتميمي يقدم خدمات صحية لسكان المنطقة كما جاء في عقد قسمه لهالك: "لما صار إلى عفو الله وسعة رحمته عبد الرحمان بن عبد الله من بلد تيطاف عرض تامست في مستشفى تيمي وفي عقد مؤرخ في 10/03/1944 ورد فيه لما صار إلى عفو الله وسعة رحمته المجدد بن علي بن الحاج مسعود الشعبي العسكري من كيانه توات المتوفي بمستشفى تيمي في 13/03/1938م حيث يبين العقد أن المستشفى تيمي كان يقدم خدمات صحية للسكان¹.

ولذلك كانت المساعدات الطبية في الأقاليم الجنوبية حكرا على الأطباء العسكريين الذين واكبو الحملة الاستعمارية والتي كانت لها مزايا عديدة للاستعمار فهم من جهة يحاولون كسب ود الأهالي وتحسين الوضعية الاجتماعية وحماية وتطهير الأهالي بالإضافة إلى توفير الرعاية الصحية للمعمرين والعسكريين الأوربيين بفضل هؤلاء الأطباء الذين كانوا مكونين تكويننا جيدا بالرغم من أنهم مبتدئين وليست لهم خبرة طبية كبيرة إلا أنهم قدموا مساعدة كبيرة للمساعدة الطبية في أقاليم الجنوبية².

الطاقم الطبي: نظرا لظروف الحرب العالمية الأولى فقد شهد الأطباء نقصا كبيرا بسبب استدعائهم للحرب وهذا ما بدا جليا سنة 1919م. حيث تناقص الطاقم الطبي إلى النصف وتم زيادة عدد من طلبة الطب ورفقا إلى رتبة طبيب إلى غاية 1921م، حيث تم إصدار مرسوم وزاري مؤرخ في 2 مارس 1921م وأصبح الأطباء يعينون مباشرة من وزير الحرب بحيث يتعين قضاء مدة لا تقل عن سنتين في الأقاليم الجنوبية يثبتوا مدى تأقلمهم وإمكانية إطالة مدة بقائهم هناك³.

كان عدد الأطباء قليل وبالحد الكافي لتغطية حاجيات الأقاليم الجنوبية حيث أدت العطل الطويلة للأطباء وقلة العدد إلى تفاقم الأزمة لذلك كان تعيينهم من طريق وزير الحرب من الأساليب المتخذة لتحسين الخدمة وكان الأطباء الأخصائيين يتلقون دورة تكوينية في معهد باستور يتعرفن على

¹ - بابا عبد الله، المرجع السابق، ص 134.

² - Les territoire du sud de L'Algerie année 1907 _ 1908, op-cit, p37_38.

³ - Exposé de la situation general des territoire du sud de L'Algerie année 1905_1906, op, cit, p 38.

مختلف الأمراض المنتشر وسط الأهالي والتقنيات المخبرية حيث يلعب المخبر دورا هاما في مساعدة الطبيب للقيام بعمله وإنقاذ الموقف بالوسائل الموضوعية تحت تصرفه¹.

شهد إقليم توات انتشارا واسعا لنزلات البرد (الزكام الموسمي) خلال السداسي الأول سنة 1919م، والذي خلف وراءه عدة ضحايا وعرف انتشارا واسعا في المناطق الصحراوية والذي خلف العديد من الوفيات واستمر إلى غاية شهر جويلية بالإضافة إلى حمى التيفويس الدائم الانتشار بين الأهالي وداء الجدري وهو مرض مستوطن في الأقاليم الجنوبية، ويعتبر من الصعب إحصاء عدد الوفيات الناتجة عن هذه الأمراض نظرا للبنية الجسدية الضعيفة للأهالي مما يبين مدى هشاشة الرعاية الصحية الفرنسية للأهالي وضعف التلقيح ضد هذه الأمراض حيث أكد المرسوم الصادر في 15 جويلية 1921م على دور الأعيان في المناطق البعيدة على ضرورة التبليغ عن هذه الأمراض وأكد المنشور على جمع المعلومات الصحية².

العيادات المختصة للأهالي: منها ما يتواجد بالمراكز الهامة ومنها ما هو مخصص مجهز بشكل جيد من الناحية التقنية تتشكل من قاعات مخصصة للفحوصات اليومية للمرضى وقاعات الاستشفاء بلغ عددها 16 عيادة سنة 1918م، وأخرى عادية موجودة بالمراكز الإدارية والمراكز العسكرية ولعبت دورا هاما في الرعاية الصحية للأهالي في الأقاليم الجنوبية حيث قامت الإدارة الاستعمارية على تقريب المستشفيات للأهالي وجعلهم يعتادون على هذا الوسط حيث وضعت لهم قاعات بها أسرة ذات طابع استشفائي وقامت بانجاز قاعات خاصة بالتطهير ومخبر للطبيب وغرفة مخصصة لتخزين الأدوية والعتاد الغير مستعملين، بالإضافة إلى عيادات الأهالي المتنقلة والتي كانت مخصصة للبدو الرحل والتي استوحيت من جولات البريطانيين في مصر حيث يخرجون في مهمة طبية متجولة إلا أن هذه الاستشارات الطبية لم تكن تبلغ إلى عدد محدود من البدو الرحل المنتشرين³.

¹- Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921 – 1922, op cit, p p 143-144.

²- Situation general de territoire du sud de L'agerie, pendant ies années 1916 – 1917, et 1918, rapport d'ensemble, 1919, op-cit, p39.

³- Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921 – 1922, op cit, p p48.

مؤسسات الأهالي للاحسان والقرض التعاضدي التعاوني:

من خلالها حاولت السلطات الفرنسية تكوين ممرضين من الاهالي وتقريب التواصل بينهم وبين الأطباء والممرضين الفرنسيين لتغطية النقص المسجل وقد سجلت هذه المؤسسات 06 مؤسسات لتزايد تدريجيا فيما بعد ذلك سنة 1906م وزودت بأجهزة تطهير بواسطة الكيريب وذلك لكسب ود الأهالي وقد عملت السلطات الاستعمارية على تقديم الخدمات الطبية من شراء الأدوية والأدوات الصحية ونفقات مختلف العمليات وترميم المستشفيات¹.

من خلال ما سبق يتبين لنا:

- أن الإدارة الاستعمارية قدمت خدمات صحية متواضعة للأهالي بغرض كسب ثقتهم وتسهيل عملية التوسع الاستعماري.
- أن المناطق الجنوبية كانت تدخل ضمن الحكم العسكري لذلك كانت الرعاية الصحية تحت إشراف وزارة الحربية وكانت تقدم خدمات صحية حفاظا على حياة جنودها وخوفا من انتشار العدوى بينهم.
- العدد القليل لسكان منطقة توات لم يكن ليشكل تحديا حقيقيا لفرنسا لتوفير لهم الرعاية الصحية مقابل نجاح سياستها الاستعمارية في المناطق الجنوبية والتي كانت تختلف اختلافا جذريا عما كانت عنه في الشمال.
- وأن مختلف الامراض التي كانت منتشرة في هذه المنطقة كانت ناتجة عن الحالة الاجتماعية والمعيشية المتدهورة للمنطقة باعتبارها منطقة نادرة صعبة المناخ قليلة الإنتاج لذلك اعتمد سكان المنطقة التداوي بالأعشاب والذي عواقبه كثيرا تحت قاعدة الحاجة أم الاختراع فقد برع التواتيون في البحث عن شفاءهم من القران والسنة وما تجود به أرضهم من أعشاب مختلفة.

¹ - Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921 – 1922, p39.

رابعا: في المجال الثقافي

التعليم: استهدفت السلطات الفرنسية احتلالها للجزائر نحو الشخصية الوطنية التي كانت ركيزتها اللغة العربية والدين الإسلامي وانتمائها الحضاري للثقافة الإسلامية باعتبار هذه المقومات روح الأمة وعرقها النابض فقامت فرنسا بمحاربة هذه المقومات لقطع الصلة بين الشعب وأصالته وماضيه وتاريخه وذلك من خلال محاربة التعليم الديني في الزوايا وممارسة سياسة التجهيل.

كانت الحياة الثقافية في منطقة توات منذ تاريخها المبكر منارة للعلم وسط الصحراء الشاسعة وفد إليها العلماء والفقهاء وازدهر فيها التأليف وساهمت مساهمة جبارة في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء بفعل نشاط الطرق الصوفية ورغم بعد الإقليم عن الحواضر العلمية الثقافية في المغرب والمشرق إلا أن هذا لم يكن عقبة أمام أهل توات في التأثر والتأثر بالعالم الإسلامي.

شنت الإدارة الفرنسية الاستعمارية حربا على الزوايا والمدارس فقد عمل الفرنسيون إلى جر الجزائريين لإدخال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية وانشئوا المدارس الابتدائية إلى جانب الزوايا ووضيقوا على هذه الزوايا مجال النشاط ويهدف وضع الزوايا في المدارس الابتدائية الفرنسية وإخضاعها للمراقبة والتفتيش من طرف السلطات المدنية والعسكرية¹.

انتهجت فرنسا سياسة تقوم على التجهيل والأمية حي يمكنها من إحكام سيطرتها التامة ولم تسمح لهم بالتعليم إلا في حدود ضيقة حيث كان نصيب الجزائريين في مقاعد الدراسة يمثل واحد على خمسة عشر طفل أوروبي خارج مقاعد الدراسة².

كما حاربت اللغة العربية في إطار سياستها الاستعمارية القائمة على هدم مقومات الشخصية الوطنية، وخلقت مضادات لها كتعليم اللغة الدارجة واللهجة القبائلية في المدارس على حسابها³ كما

¹ - حدة بولاقة، واقع المجتمع المدني الجزائري إبان الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص السياسات العامة والحكومات المقارنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم السياسة، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2010_2011، ص35.

² - الهادي درواز، المرجع السابق، ص27.

³ - جمال قنان، المرجع السابق، ص132.

فرضت قيود على تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية فكانت لا تمنح رخص للتدريس إلا نادرا كما كانت لا ترخص فتح الكتاتيب القرآنية إلا في حدود ضيقة¹.

كما عملت الإدارة الفرنسية على تأسيس مدارس فرنسية لنشر وتشجيع اللغة الفرنسية ومقاومة الثقافة العربية الإسلامية باعتبارها العوامل المساعدة على أحكام السيطرة على البلاد كما يشير M.ch Lutaud في كتابه Exposé de la situation General des territoires du sud de L'Algerie (année 1913) إلى وجود مدارس فرنسية في الجنوب تقدم تعليما جيدا ومرد ذلك حسب قوله إلى المؤطرين الجنوبيين (المعلمون الفرنسيون) وذلك بسبب محبتهم للجنوب وتمسكهم به².

شهد الوضع التعليمي في مناطق الجنوب خلال سنتي 1906م_1907م تحسنا ملحوظا فبعدها كانت عدد المدارس 43 سنة 1906م تضم 66 قسما اصبحت المدارس الابتدائية في سنة 1907م تشمل 45 مدرسة بها 71 قسما فعدد تلاميذ المدرسة بالنسبة للأوروبيين الأولاد ثلاثة والبنات سبعة أما بالنسبة للأهالي فالأولاد 42 والبنات ثلاثة زاد عدد التلاميذ في هذه السنة ب 340 تلميذ مسلم وقد اظهر هذا التعليم نتائج ايجابية بالنسبة للتلاميذ الأولاد وتعلموا الفلاحة بينما البنات تعلموا الخياطة³.

وحسب التقرير الصادر عن الحكومة العامة سنة 1903م_1922م فقد انشأت مدرسة بتميمون وفق تنظيم تدرسي نوعي لصالح 15000 من الأولاد من أبناء الاهالي والذين يمكنهم مزاوله المدارس النظامية فقد قدرت نسبة الاطفال الذكور الذين زاولوا دراستهم النظامية فعليا ب 3000 طفل أي ما يساوي 1/5 من الاطفال الاوروبيين كما فتحت مدرسة ابوابها بتميمون سنة 1908م فكان القسم يضم خمسة وثلاثون تلميذ منهم ثلاثة عشر تمكنوا من القراءة والكتابة باللغة الفرنسية واثان منهم كانوا يستخدمون من طرف تجار القرية لكتابة رسائلهم وتسيير حساباتهم كما فتحت مدرسة بأدرار

¹ - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية، 1830_1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص34.

² - M.CH Lutaud: Exposé de la situation General des territoires du sud de L'Algérie (année 1913), p03.

³ - Exposé de la situation General des territoires du sud de L'Algérie année 1907 _ 1908, op.cit, p 125 _126.

وكانت الدروس الفرنسية تتابع بقوة من طرف عدد كبير من تلاميذ الاهالي مما تطلب فتح مدرسة منتظمة في هذه المناطق وورشات للتعليم التي بدأت باعطاء ثمارها وكانت تضم بنائين وحدادين وممرضين وحسب المرسوم الصادر سنة 1907م فإن مصاريف الموظفين بلغت سنة 1905م ب 128657 فرنك وسنة 1906م كانت 150700 فرنك أما سنة 1907م كانت 171945 فرنك¹.

بدأت المرحلة الابتدائية لسنة 1911م، 1912م ب 54 مدرسة عمومية في الجنوب الجزائري تحتوي على 85 قسم² ليرتفع سنة 1912 ل ستة وخمسون قسم تتضمن ثمانية وثمانون قسم وهذه المدارس الجديدة فتحت ابوابها سنة 1912م وكان عدد المتدربين في مناطق الجنوب في هذه السنة 91 استاذ وقد بلغ عدد التلاميذ 4052 تلميذ وقد شهدت المدارس الأوربية على 17 مدرس فرنسي منهم اربعة معلمين فرنسيين وثلاثة عشر معلمات أما بالنسبة لمدارس الاهالي فكان ثلاث وثلثين معلم فرنسي وثمانية معلمات وثلاثة وثلثين معلم من الأهالي³.

أما في سنة 1912م_1913م فقد بلغ عدد المدارس 56 مدرسة تضم اثنان وتسعون قسم اضافة إلى اربعة مدارس خاصة ضمنت 05 اقسام اما المدارس الاوربية في هذه السنة فهي احدى عشر مدرسة وفي سنة 1914م، بلغ عدد التلاميذ في المناطق الجنوبية 4229 تلميذ وكان عدد الاساتذة للمدارس الأوربية اربعة اساتذة أما المدارس العمومية فكان عددهم 13 وبلغ عدد المدرسين خمسة وسبعون معلما⁴.

¹- Exposé de la situation General des territoires du sud de L'Algérie année 1907 _ 1908, op -cit, p 130.

²- Exposé de la situation General des territoires du sud de L' Algérie présente par M-CH -Lutaud gouverneur General année typographique Adolphe Jourdan imprimeur - libraire - éditeur, place du gouvernement 1912, p 105.

³- Exposé de la situation General des territoires du sud de L'Algérie année 1912 _ 1913, op. cit, p126.

⁴- Exposé de la situation General des territoires du sud de L' Algérie présente par M-CH -Lutaud gouverneur General année 1913, Alger, Imp, libraire éditeur 1914, pp109 - 110.

كما عملت فرنسا على الاهتمام بتدريس البنات من خلال برنامج تربوي خاص يتم فيه ترسيخ الأفكار الفرنسية فخصصت مدارس خاصة للبنات وكان هذا النظام التربوي يقوم على نشر المفاهيم الخاصة بالنظافة التي تؤدي إلى تحسين حياة الأهالي، إضافة إلى تعليمهم مهنة الخياطة وغيرها إلا أن هذه المدارس كانت تعاني من قلة العتاد ونقص الأساتذة وسؤ تعيين المعلمات التي وجه بعضهن إلى مدارس الذكور وقد اشادت التقارير الفرنسية بالدور الذي لعبته هذه المدارس في نشر التعليم وتعميمه¹.

وفي سنة 1914م-1915 تناقص عدد المدارس من 60 مدرسة إلى ثمانية وخمسون مدرية وتناقص عدد الاقسام من ثمانية وتسعون قسم إلى ستة وتسعون قسم².

وقد توفرت الأقاليم الجنوبية سنة 1929م على 47 مدرسة ابتدائية منها قسمين فتح بتيميمون للأولاد³.

الجدول رقم 16: يبين احصائيات عدد المتدربين والاقسام والتلاميذ في المناطق الجنوبية سنة

1900 إلى سنة 1914.

السنوات	عدد المدارس	عدد الاقسام	عدد التلاميذ
1906	43	66	/
1907	45	71	340
1911	54	85	3852
1912	56	88	4094
1913	56	92	4094
1914	60	/	98
1915	58	/	96

¹ - Les territoires du sud de L Algérie, Expose de leur situation deuxième partie: Loeuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921 -1922, op cit, p 369.

² - Gouvernement General de l'Algérien, direction des territoire du sud la situation General de territoire de sud de l'Algérie, pendant les année 1914 et 1915 rapport d'ensemble M-CH-Lutaud gouverneur General, Alger, ipm, libraire –éditeur, 1916, p p104-105.

³ - Gouvernement General de l'Algérien, direction des territoire du sud la situation General de territoire de sud de l'Algérie, de 1930-1946, p 152.

تبين لنا مما سبق أن السلطات الاستعمارية الفرنسية أعطت أهمية للتعليم الفرنسي في المناطق الجنوبية من أجل القضاء على التعليم الموازي للزوايا والمدارس القرآنية الذي ضيقت عليه من أجل نشر الثقافة الفرنسية والقضاء على مقومات الشخصية الوطنية الإسلامية، وتحقيق أهداف السياسة الاستعمارية الفرنسية لكن هذه المدارس شهدت تراجعاً كبيراً في المناطق الجنوبية نظراً لقلة الإمكانيات المرصودة لها وانسحب عدد كبير من الأهالي منها نظراً لإدراكهم للأهداف الفرنسية من ورائها وكان التعليم الأصلي في الزوايا بديلاً في أكثر الحالات عن التعليم الفرنسي.

أدركت الإدارة الاستعمارية أن عملية التوسع الاستعماري لن تتم إلا عن طريق إخضاع الأهالي والطريقة المثلى لذلك هي عملية التعليم¹.

وقد راعت السلطات للاستعمارية في عملية التعليم التمييز بين المناطق العربية والبربرية حتى لا تسهم في تعريب البربر²، كما راعت في ذلك بين المدينة والريف بالإضافة إلى مراعاة استعدادات ورغبات المتدربين وذلك كله في إطار تحقيقها لأهدافها الاستعمارية من خلال شعار الجنرال بيجو الذي كان يرفع شعار السيف والمحرث والقلم لذلك قاموا بفتح مدارس لتعليم اللغة الفرنسية للقضاء على ما أسموه بالتعصب الديني وغرس الوطنية الفرنسية لتسهيل الاندماج مع الأوربيين وتغيير أذهان الأجيال الصاعدة للقضاء على مقومات الشخصية الوطنية³.

في الوقت الذي أهملت فيه السلطات الاستعمارية تدريس الأهالي اهتموا بتدريس أبناءهم بينما ظل تعليم الأهالي محل احتقار وتهاون⁴.

¹ - R.goude frouy, demenbynes, L-ceuvre français en matière d'enseignement au maroc " RA. oaris Ed gethner n 69 années 1928, p 464.

² - RG, op.it, p 465.

³ - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص ص 91-92.

⁴ - سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1998، ص 296.

تثبت إحصائية رسمية بتاريخ 15 أكتوبر 196م أن عدد الأطفال المتدربين لم يتجاوز 32931 طفل وهو ما يمثل الـ 25% من مجموع الأطفال في سن التعلم والذين يمثلون بدورهم خمس السكان على الأقل أي حوالي 130000 طفل في سن التمدريس¹.

وكعينة على قصور الإدارة الاستعمارية في هذا المجال نأخذ مقاطعة ادرار التي كان تعداد سكانها سنة 1960م يقدر بـ 83589 نسمة حسب إحصاء رسمي بتاريخ 05 نوفمبر 1960م كان عدد الأطفال المتدربين بها كالاتي من أصل 3736 طفل في سن التعلم أي بين السادسة والرابعة عشر لم يكن هناك إلا 436 طفل متمدريس وهو مالا يمثل إلا 11.67% فقط من مجموع الأطفال الذين هم في سن الدراسة².

تمثل المدرسة احد الجبهات الخطيرة التي فتحتها الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري مستفيدا من تفوقه الحضاري والمادي فالمدرسة كما تقول المؤرخة "ايفون توران": «التعليم من اجل غزو عقل الانسان الجزائري وإخضاعه»³.

كما تلقى أبناء توات الذين درسوا بالابتدائيات الفرنسية برنامج شارل ديما الذي كان مديرا للمدرسة العليا في بوزريعة والذي عنوانه بـ (Petite histoire de Ecole normal Algérie) وهو كتاب في ثمانية وأربعين صفحة صادر عن دار نشر هاشيت عام 1931م واعتمد كمقرر التاريخ في المدارس الجزائرية، وهذا الكتاب اعد بطريقة دقيقة وذكية وواضحة وبسيطة مصحوب بمختصر وصور مختارة بدقة.

الوسائل والأهداف

أثر الاستعمار الفرنسي في معالم السياسية الثقافية لمنطقة توات عبر سياسة تعليمية لها ثلاث

ابعاد نسبة

¹ - مُجّد بن دارة، المرجع السابق، ص 12.

² - نفسه، ص 13.

³ - ايفون توران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830م_1880م ترجمة: مُجّد عبد الكريم اوزغلة، مصطفى ماضي، دار القصة-الجزائر، 2005، ص 44.

I- سياسة الدمج: سعت فرنسا إلى اتباع سياسة تعليمية تخلص في النهاية إلى دمج الشعب الجزائري ضمن الثقافة الفرنسية الغربية لتحقيق عملية السيطرة الاستعمارية، ومن أهم هذه الوسائل هي اللغة باعتبارها أهم العوامل المكتملة للاحتلال والهيمنة الثقافية وهي اشد تأثيرا وأعمق اثرا¹ وخلق جيل مثقف ثقافة غربية يكون القاطرة الأمامية لجر السكان نحو سياسة استعمارية تذيب المجتمع ضمن فرنسا والإسهام في التغلغل الاستعماري واختراق جدار النظام الاجتماعي القبلي للسكان وتفتيته لصالح الأهداف الاستعمارية².

حيث يذكر "روفيقوا" احد الضباط الفرنسيين في رسالة نشرها في كتابه المترجمون في الجيش الفرنسي حيث يقول: «إن ايلة الجزائر والتي تدخل في نطاقها منطقة توات انما لن تكون من الممتلكات الفرنسية إلا بعد أن تصبح لغتنا قومية فيها، وحتى تتأقلم فيها الفنون والعلوم التي يقوم عليها مجد بلادنا.... والهجرة التي ينبغي تحقيقها هي احلال اللغة الفرنسية لغة السلطة محل اللغة العربية تدريجيا ومتى كانت اللغة الفرنسية لغة السلطة والإدارة فإنها سوف لا تلبث أن تنتشر بين الاهالي ولا سيما إن وجدت مدارسنا اقبالا من الجيل الجديد»³.

وكانت تهدف هذه السياسة إلى أمرين أساسين:

- العمل على نشر النفوذ الفرنسي في هدوء واجتناب المواجهة المسلحة.
- ادماج السكان في الحضارة الفرنسية وتنصيرهم.

في هذا الصدد ارسل الحاكم العام للجزائر جيل كاميون 1891م_1897م نازلة عام 1993م إلى شيوخ المنطقة يستفتيهم حول شرعية وجودهم بديار المسلمين اذا كانت السلطات الفرنسية لا تتدخل في شؤونهم الإسلامية فهل يبيح الشرع إقامة مسلم تحت سلطة كافر⁴. وما تجدر به الإشارة إلى

¹ - سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، بيروت، دار العرب الاسلامي 1998، ص 280.

² - عبد القادر حلوش، الكولون الفرنسيون والتعليم الاهلي، مجلة عصور، ع2، مخبر البحث التاريخي، مصادر وتراجم، جامعة وهران، السنة الأولى، ديسمبر 2002، ص 56.

³ - بوعلام بالسايح، الثقافة الافريقية، طموحات ومتطلبات مجلة الثقافة، ع 96، ديسمبر 1986، ص 25.

⁴ - محمد الامين بلعيت، سياسة التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي من خلال فتوى قورارة، مجلة المصادر، ع3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، ص135.

أن هذه النازلة نشرها الاستعمار وراح البرجوازيون يجوبون الأسواق وهم يقولون: «لا للهجرة الجماعية للمسلمين، لا لحمل السلاح في وجه الكفار ما لم يتعرضوا للدين الإسلامي مدام المسلمون عاجزون على إخراجهم من المنطقة بالقوة»¹.

II- على مستوى المجال التربوي:

كانت السياسة الاستعمارية تهدف من خلال التعليم إلى ربط المجتمع الجزائري بفرنسا ثقافيا من أجل تحقيق أهدافها وذلك من خلال:

1- محاوية اللغة العربية: تعتبر اللغة رابطا قويا يجمع المجتمع بثقافته وتاريخه وانتمائه لذلك سعت فرنسا سعيا حثيثا للقضاء عليها حيث يذكر روفيقو أن الشيء العجيب الذي يمكن القيام به هو تعويض اللغة العربية باللغة الفرنسية من خلال ربط الأجيال الجديدة بهذه اللغة من خلال المدرسة². وبالتالي كرست السلطات الاستعمارية مكانة لغة الفرنسية لأنها كانت ترى في اللغة العربية مصدر خطر وتهديد لها ولم تتمكن للغة العربية إلا نصيب ضئيل جدا³.

2- محاوية تشويه تاريخ الجزائر: حاولت فرنسا تشويه تاريخ الجزائر من خلال اهتمامها بالتعليم الفرنسي الذي زودته بمناهج تعليمية تمجد التاريخ الروماني بالجزائر وان وجودها هو امتداد لهذا التواجد محاولة ان تغرس في أذهان الأطفال أن أجدادهم هم الغوليين كما حاولت ان تشوه التاريخ العربي الإسلامي واعتبر الغزوات الهلالية ماهي الا موجات لقبائل بربرية وان السكان الاصليين هم الغالبيين الرومان⁴.

3- العزوف عن تدريس الجغرافيا: صورت فرنسا ان الجزائر جزء من فرنسا وأنها تمثل ثلاث مقاطعات فرنسية فيما وراء البحار، البحر المتوسط الذي يقطع فرنسا والجزائر، كما يقطع نهر السن باريس وان فرنسا تمتد من دانكارك في شمال فرنسا إلى مدينة تمنراست في أقصى جنوب الجزائر و:

¹ - سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص 365.

² - ايفون توران، المرجع السابق، ص 46.

³ - حسان صبحي، النظام التربوي الاستعماري في الجزائر، 1930-1962، ط1، الجزائر، رياض العلوم للنشر والتوزيع 2005م، ص106.

⁴ - الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، الجزائر المؤسسة الجزائرية للفنون المطبعية، 1994م، ص 20.

كد القانون الفرنسي ذلك وألحت على عدم اعطاء تاريخ وجغرافيا الجزائر أهمية بالإضافة إلى اللغة العربية والاهتمام بتدريس الرياضيات والعلوم والنشاطات الأخرى¹.

III- على المستوى الديني:

قاد المبشرين أمثال لافيغيري ودي فوكو الحملات التبشيرية التنصيرية في الجزائر التي تغلغت في مناطق الجنوب بمؤسساتها التعليمية والخيرية والصحية والحرفية ومن بين الكنائس كنيسة ادرار التي تأسست في 1945م، وقد ساعد هذه الحملة التبشيرية بمنطقة توات الأوضاع الاجتماعية والمعيشية المزرية للسكان وتمهيدا لهذه المرحلة أدخل المستعمر المحرمات كشراب الخمر وزراعة الكيف والأفيون وللمس بالدين وتشويه العقيدة حرموا تفسير القرآن ورفعوا بعض الشعارات أن الإسلام دين الآخرة وان الدنيا هي جنة النصارى واقتصر النشاط البشري في منطقة توات في المجال الخيري والتطبيبي لكسب فئمة من الناس.²

ويمكن القول أن النشاط التبشيري في منطقة توات لم يكتب له النجاح نظرا لتمسك الكبير للسكان بدينهم، الإسلامى ودور الزوايا والكتاتيب والمساجد وطبيعة المجتمع التواتي المحافظ وللسياسة الاستعمارية التي كانت مطبقة في الجنوب والتي كانت تختلف عن مثلتها في الشمال حيث كانت المنطقة تحت الحكم العسكري أرادت فرنسا من خلال التقرب من الأهالي وترك مسائل معتقداتهم بأيديهم حتى يسمح لها بالتوسع المرن دون مقاومات نظرا لتمسك الإنسان التواتي الكبير بالدين الإسلامى وطبيعة المجتمع الذي كان يقوم على الكفاف والذي تمكنت منه الطرق الصوفية وإعراض الناس على المغريات مما أدى إلى صعوبة تنصيرهم.

¹ - عبد القادر حلوش، أهمية التاريخ والجغرافيا بالبرامج التعليمية الفرنسية في الجزائر، مجلة الرؤيا، السنة الاولى، ع ح، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، ثورة اول نوفمبر 1954، ماي- جوان 1996، ص 22.

² - محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر، 1830-1904م، الجزائر، منشورات دحلب، ص 65.

الفصل الثاني: المقاومة الفكرية وسائلها وأبعادها

المبحث الأول: دور الطرق الصوفية في ترسيخ الثقافة الإسلامية.

المبحث الثاني: دور الزوايا والمدارس القرآنية.

المبحث الثالث: مقاومة الاعلام والأعيان والعلماء.

المبحث الرابع: مقاومة الشعراء والأدباء.

أولاً: دور الطرق الصوفية في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية

قامت فرنسا من خلال سياستها التعليمية بمحاولة هدم مقومات الشخصية الوطنية من محاربة الدين الإسلامي واللغة العربية والانتماء الحضاري وتطبيق سياسة التجهيل من خلال الحرب التي شنتها على الزوايا والمدارس والمساجد.

على الرغم من أن الدور التركي الثقافي في الجزائر كان متدهورا نظرا لعدم اهتمام العثمانيون ودعمهم لهذا الجانب وعدم فاعلية الجانب التعليمي من خل المؤسسات الرسمية خلال العهد العثماني 1518م_1830م إلا أن المستوى التعليمي للجزائريين كان جيدا ولم تشكل الأمية سوى 10% من مجموع السكان وهذا حسب اعتراف الفرنسيون أنفسهم إذ ينقل اندري نوشي عن احد الشهود رأيه عن الشعب الجزائري قائلاً «ربما كان يملك من التعليم أكثر من ما يملك الشعب الفرنسي نفسه إذ أن كل فرد من افراده يعرف القراءة والكتابة والحساب»¹. ويقول عثمان بن حمدان خوجة² وهو من احد الاعيان الذين عاصرو الاحتلال الفرنسي في نفس الموضوع في كتابة المرأة قائلاً: «أما من حيث الطاقات الفكرية فإن خيال الجزائريين خصب وأفكارهم منظمة، إنهم يدركون الامور بكيفية عجيبة ولا يصعب عليهم أي عمل يدوي أم آلي، أو له علاقة بالعبرية»³.

ويرجع السبب وراء ذلك إلى الجزائريين أنفسهم الذين لم تكن تخلو قرية أو حي من أحياءهم من مسجد ومدرسة لتعليم القراءة والكتابة والحساب وكانوا يتفوقون عليها ويخصصون لها جزء من أموالهم ويوقفون عليها أملاك خاصة بما فازدهرت الحياة العلمية والتربوية والثقافية وحركة التأليف وظهرت

¹ - اندري نوشي وآخرون، الجزائريين بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح اسطمبولي ومنصف عاشور، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م، ص 211.

² - حمدان بن عثمان خوجة (1773-1840-1845) ولد حمدان بن عثمان خوجة بمدينة الجزائر سنة 1774 وهو من الكراغلة وترعرع في أسرة عريقة المنبت كان ابوه فقيها وأميناً عاماً للإدارة (مكتابجي) أما خاله فقد تقلد أمين السكة وزير المالية آنذاك أهله ذلك لتلقى ثقافة عالية ومن خلال رحلاته إلى بلدان إسلامية عديدة واستفادة من الحركة الفكرية في العالم الإسلامي التي كانت في صراع مع النظم المحافظة والنظم الليبرالية وكان يحسن إلى جانب اللغة العربية والتركية اللغتين الفرنسية والانجليزية قام بمجهودات جبارة مع الداى لتجنب الجزائر كوارث وبعث المحاولات لإنقاذ حصار الجزائر وفي عهد الاحتلال عينه كلوزيل عضواً في بلدية الجزائر لا انه عزل منها لمواقفه الجريئة وجرده من جميع أملاكه وظل ينادى باحترام ما جاء في وثيقة الاستسلام التي وقع عليها يوم 05 جويلية 1830 وحارب سياسة الإبادة والاستتصال. ألف كتاب الرآة، ومقدمة قدمها للجنة الافريقية عام 1833 وغيرها كثيرا اختلفت الروايات في تاريخ وفاته وحددها جورج ايفار ما بين سنتي 1840م_1845م انظر مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، السنة الأولى، العدد الأول جانفي فيفري 1996، ص 66.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة تقديم وتعريب وتحقيق مُجد العربي، الزيري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للعنوان المطبعية، 2006م، ص 66.

الحواضر العلمية الثقافية والزوايا والطرق الصوفية وتصدرت عائلات لهذا العمل توارثته الأجيال هذه الجهودات وقفة شامخة بسواعد الجزائريين أنفسهم.

شكلت منطقة توات حاضرة علمية وثقافية منذ القرن 9هـ-15م لها إشعاع ديني اثر على الأقاليم المجاورة وساعد في نشر الإسلام والتصوف في منطقة السودان الغربي باعتبار أن المغرب الأوسط شكل في هذه المرحلة مركز إشعاع فكري وعلمي وتأثرت منطقة توات بحاضرة تلمسان حيث التبادل الثقافي وتوافد العلماء والمحدثين والمقرئين والشعراء.¹

تعريف التصوف

للطرق الصوفية أهمية بالغة في الإسلام لأنها تمثل الجانب العلمي للتصوف وهو جانب ارتبط بحياة المجتمعات الإسلامية وشكلت الطرق الصوفية بمختلف أنواعها خلال القرن التاسع عشر وعاء ثقافيا احتفى به الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي الذي حشد كل طاقاته للقضاء على مقومات الشعب الجزائري وضرب مؤسساته الفكرية والثقافية لما تمثله من عمق تاريخي وحضاري وعنوان للهوية الجزائرية والتي كانت في مقدمتها الطرق الصوفية والزوايا التي شكلت جدارا صلبا أمام محاولات التوسع الاستعماري باعتبارها الطاقة التي كانت تحرك المقاومات الشعبية في القرن 19م.

التصوف: لغة: هي الممر والسييل والصراط إلى غير ذلك من الأسماء وهي حسية يمشي عليها الناس ووسائل تنقلهم المختلفة.²

وجاء في المعجم الوسيط³: من الناس من يتبع طريقة التصوف والعارف سمي به كذلك نسبة للباس الصوف نقشفا.

وفي قاموس الوافي⁴ تشتق كلمة تصوف من فعل صوف جعله صوفيا وتصوف صار صوفيا اي تخلق بأخلاق الصوفية والصوفية فئة من المتعبدين واحدهم الصوفي.

¹ - احمد الحمدي، المرجع السابق، ص56.

² - حسن العكرمي، حقيقة التصوف والطريقة في الإسلام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص21.

³ - ابراهيم ابو انيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج 1- 2، ط2، د - د ت، 1972، ص 554.

⁴ - شهاب الدين ابوعمرو، القاموس الوافي، تر، يوسف البقاعي، ط1، دار الفكر بيروت، 2003، ص 708.

وقد اختلف أهل اللغة في ضبط اشتقاقها فقليل أن الصوفي يكون منسوباً إلى صوفة والثاني أن يكون منسوباً إلى الصوف والثالث أن يكون مشتقاً من الصفاء والرابع أن يكون منسوباً إلى كلمة سوفيا اليونانية¹.

ويقال أن التصوف لغة هو طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكوا النفس وتسمو الروح².

وقد نسبها البعض الكلمة إلى أنها نسبة إلى أهل الصفة³ وقيل أنه مشتق من صوفه واسمه الغوث بن مرصوفه أحد سدنة الكعبة في الجاهلية⁴، وهناك من قال أنها أخذت من صفاء القلب ظاهره وباطنه وهناك من يقول أنها مشتقة من الصوف لأن القوم كانوا يفضلون لباسه لمناسبته لحياة الزهد التي كانوا عليها وأن كلمة تصوف هي نفسها جمعت عدة كلمات وهي مختزلة فالتاء تشير إلى التقوى، والصاد تشير إلى المصافاة، والواو إلى الوفاء والفاء تشير إلى الفناء⁵.

اصطلاحاً: التصوف يعني عزوف النفس عن الدنيا والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة وجاه ومال والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة⁶.

أما سهل التشيري البصري فيعرفه بقوله: « الصوفية سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله والاعتداء بسنة رسول الله ﷺ، واكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق»⁷.

¹ - زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج1، دار الجيل بيروت، لبنان، ص 40.

² - ابو قاسم بن هوزان القشيري، تحقيق خليل المنصور، ط3، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ص311.

³ - أهل الصفة هم فقراء المهاجرين الذين كانوا يخيمون في صفة بناها لهم الرسول (ص) في مؤخرة المسجد الشريف للذكر والعبادة ولا شك أن مواظبتهم على الحياة التعبدية اتخذت كقدوة حسنة للصوفية من بعدهم يعيشون على صدقات المحسنين، ولما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحالة وخرجوا منها، انظر: غيتاوي التهامي، الدورة النفيسة، المرجع السابق، ص 19-22.

⁴ - ابي الفرج عبد الرحمان (ابن الجوزي)، تبتليس ابليس، دار التقوى، القاهرة، ص 179.

⁵ - حسن العكرمي، المرجع السابق، ص 06.

⁶ - عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 391.

⁷ - قبلالي المختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية واثريهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن للطباعة، باتنة، 1976، ص11.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد سعى إلى إبراز التصوف كمدرسة هدفها الأساسي تهذيب النفس وتطهيرها من أخلاقها، الذميمة ولذلك عارض كل انحراف طرأ على التصوف بقوله: «والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أجل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه»¹.

ويعرف بعض رؤساء التصوف كما يلي:

يقول الإمام الجنيد: التصوف تصفية القلوب والنصح الخالص لجميع الأمة والوفاء لله في الحقيقة، وإتباع النبي في الشريعة.

الكناني: التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف.

الاصبهاني: التصوف الجد في السلوك، إلى ملك الملوك وابتغاء الوسيلة إلى منتهى الفضيلة وتطهير الأركان وتنوير البيان.

الغزالي: التصوف شيطان، صدق مع الحق، أو حسن المعاملة مع الخلق.

الشاذلي: التصوف تدريب النفس على العبودية، وردّها لأحكام الربوبية².

السيوطي: التصوف الدؤوب في الطاعات وترك المخالفات وفطم النفس عن المألوفات، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس من الأموال المباحات، فضلا عن الشبهات، وترك التوصل بالخلق، والاعتماد على الله في كل الحالات³.

¹ - صلاح مؤيد العقي، الطرق الصوفية، والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت لبنان، 2002، ص 40.

² - محمد عبد الحق، المرجع السابق، ص 153.

³ - Kalabadh, Traite de soufis me, Editions sindbad, paris, 1981, p 29.

ويؤكد ابو القاسم الجنيد الذي اعلن الحرب على الانحراف الخلقى وقاد حملات المتصوفة المجاهدين ضد الفتنة المادية الهوجاء التي طغت على المجتمع الإسلامي يومئذ فقد عرف التصوف على أنه: «تجنب الخلق الدنيء والتحلي بخلق سني وأن تعمل بغير غاية إلى رضاه»¹.

ويرى الشيخ عبد القادر الجيلالي صاحب الطريقة القادرية في التصوف والصوفي: «فيقال لهما متصوف وصوفي، إذا أتصف بهذا المعنى فهو في الأصل صوفي على وزن فوعل مأخوذة من المصافاة يعني عبداً أصفاه الحق جل وعلا وهكذا فإن الصوفي من كان صافياً من افاة النفس خالياً من مذموماتها، سالكا لحميم مذاهبه ملازماً للحقائق غير ساكن لاحد من الخلايق».

إما مفتي الديار الشيخ محمد عبده فيقول: الصوفي نسبة إلى الصوفية وهم طائفة من المسلمين همهم من العمل إصلاح القلوب وتصفية السرائر².

وعليه فإن التصوف في مجمله هو الطريق إلى الله وهو إخلاص التبعيد لله عز وجل وعدم الانحراف إلى تغليب الجوانب المادية للحياة الإنسانية على الجوانب الروحية وهو تصفية القلب مع الله جل وعلا وترك ما سواه.

نشأته: يرى البعض أن التصوف في أصله يعود للنشأة الإسلامية حيث نجد أن الرسول (ص) كان يتعبد في غار حراء بعيداً عن الناس وكان الخلفاء الراشدون يميلون إلى الزهد والبساطة في العباد إلا أنهم ليسوا صوفيين بالمعنى الذي بلغت إليه الصوفية فيما بعد، وقد بدأت نزعة التصوف في القرن 2هـ فكان طالعها الورع والزهد إلا أنها كانت احتجاجاً على الانحراف عن المبادئ الاسمية ثم تطورت مع مرور الزمن لتصبح نظاماً معيناً في العبادة واتجاهاً نفسياً وعقلياً معيناً³.

¹ - صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 45.

² - صلاح مؤيد العقبي، المرجع نفسه، ص 41.

³ - قبلالي المختار الطاهر، المرجع السابق، ص 5_6.

وفي هذا الإطار هناك من يرى أن الزهد قد وردت فيه آيات وأحاديث نبوية تدعوا إلى الزهد والتصوف ومنها قوله تعالى ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾¹ وقوله ﷺ «ازهد في الدنيا بحبك لله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك»².

ونرجع إلى أهل الصفة وما كانوا فيه من بداية الدعوة وكان أهل الصفة سبعون رجلا ليس لواحد منهم رداء وقيل انه نزلت فيهم الآية الكريمة ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾³، وقيل فيهم أنهم قوم استوطنوا الصفة صفو من الاكدار ونقو من الاغبار ومن حالهم واسمهم كان اشتقاق اسم التصوف وكان الرسول (ص) يحضرهم ويجعل مثل الحلقة ويقراً عليهم القرآن ويقول لهم «الحمد لله الذي جعل في امي من امرت أن اصبر نفسي معهم» ومنهم بلال بن رباح، البراء بن مالك ثقيف بن عمر، جعيل بن سراقه، حارثة بن النعمان، حنظلة بن ابي عامر، خباب بن الارث وابي هريرة، وكانوا يقطعون اياما وأكلهم التمر⁴.

ومن الأسباب التي أدت إلى ظهور الزهد والتصوف خلال القرن الثاني الهجري نذكر ما يلي:

1- الفتوحات الإسلامية وما جادت به من اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم والشعوب والأديان فاقبلوا على الحياة الجديدة وما زخرت به من البذخ والترف وقد أكد ذلك بن خلدون في مقدمته بقوله «فلما فشي الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة»⁵.

2- انشغال المسلمين واهتمامهم بالكسب والامتلاك فغفلوا عن أعمال القلوب وهكذا بدأ الانحراف عن تعاليم الإسلام دين الوسطية والاعتدال سمح بالتمتع بطيبات هذه الحياة لكن دون إسراف

¹ - سورة السجدة، الآية 16.

² - اسعد السحمراني، التصوف منشؤه ومصطلحاته، ط1، دار النفائس، بيروت، 1987، ص 42.

³ - سورة الشورى، الآية 25.

⁴ - التهامي غيتاوي، الدرر النفيسة في ذكر حملة من حياة الشيخ سيدي احمد بن موسى، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2014، ص 17، 23.

⁵ - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 391.

لقله تعالى ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾¹.

3- الاستبداد السياسي وعجز الكثيرين التصدي له دفع البعض إلى العزلة والانزواء والتفرغ لإصلاح النفس والتركيز على التأمل والملاحظة حتى تشق النفس وتصل إلى درجة الإشراق.

فهذه العوامل وغيرها جعلت جيل من الصحابة والتابعين يدعون إلى مراجعة الذات والعودة إلى ما كان عليه سلفهم الصالح والتحذير من الانغماس في الدنيا انطلاقاً من قوله (ص): « ما لفقرا أخشى عليكم ولكن أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم وقد عرف هؤلاء الدعاة بالزهاد»².

وإذا كان هناك ارتباط للتصوف بالإسلام باعتباره منبع ومصدر للتوحيد الإلهي والالتزام بالشرع الرياني، فإنه تأثر بعد ذلك بالأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية لتطور العالم الإسلامي «فالتصوفية بدأت زهداً وورعاً ثم تطورت فأصبحت نظاماً شديداً في العبادة ثم اسفرت اتجاهها نفسياً وعقلياً بعيداً عن مجراها الأول، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة»³.

والسالك في طريق التصوف لا بد له من مجموعة من الصفات التي يتصف بها فأولها التوبة إلى الله وغض البصر وتجنب الغيبة والنميمة وشهادة الزور والكذب وحفظ البطن من الحرام والابتعاد عن الكبر والعجب والرياء والحسد ويداوم على ذكر الله ويزهد في الدنيا ويتوكل على الله⁴.

كما يحتاج السالك في هذا الطريق إلى الشيخ ولا بد له من تجاوز مراحل عديدة تسمى بالمقامات، التوبة، الزهد، الورع، الفقر، الصبر، الرضى، التوكل، ومن الأحوال القرب، المحبة، الخوف، الرجاء، الشوق ويعتمد في ذلك على التلقين والمصافحة ولبس الخرقة⁵.

¹ - سورة الشورى، الآية 20.

² - صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 42.

³ - اسعد السحمراني، المرجع السابق، ص 42.

⁴ - الشيخ سيد البكري بن عمر التتلاقي، ديوان شعر، ج 1، خزنة سليمان بقصر أدغا.

⁵ - أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط 1، دار صادر، بيروت، 2001، ص 7.

ومن هنا يتبين لنا أن الصوفي يجب عليه أن يكون ربانيا متجردا من زخارف الدنيا ومتاعها منقطعاً إلى الله على طريق السلف الصالح، ومن هنا يتبين لنا أن الصوفي له طريق إلى الله وهذا ما يعرف بالطريقة.

تعريف الطريقة

لغة: هي الممر أو السبيل أو الصراط إلى غير ذلك من الأسماء وقد تذكر وقد تؤنث وهي حسية بمشي عليها الناس والوسائل نقلهم المختلفة (الحيوانية والالوية)¹.

وهي سيرة الرجل وطريقه ومذهبه يقال مازال فلان على طريقة واحدة أي على حالة واحدة وقد ورد ذلك في قوله تعالى: (تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا)²، وفلان حسن الطريقة والطريقة الحال يقال هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة³ واستنادا لقوله تعالى: (وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا)⁴.

وهي مفرد طرائق وتعني السيرة والحالة والمذهب، ويقال هو طريقة قومه وهم طرائق قومهم، والطرائق يقصد بها النهج والمسلك ويقال سلك مسلكا إذا اتخذ طريقا (عبره) وفي معنى آخر يقصد به الدرب، ويقال سلك درب الصالحين إذا عبره ويقال أيضا انتهج طريقهم⁵.

اصطلاحا: تعني المذهب أو الملة الدينية التي يسير عليها المومنون وفق منهاج شرعي، وتكون معنوية والسير في هذا الطريق المعنوي قد يكون مختلف الشاكلة لقوله تعالى (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُكُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا)⁶.

¹ - حسن العكرمي، المرجع السابق، ص21.

² - سورة طه، الاية 104.

³ - ابن منظور، لسان العرب، مج 08، تح: ياسر سليمان بوشادي (د-ط)، (د ن س)، ص 176.

⁴ - سورة الجن، الاية 16.

⁵ - ادريس بن خويا، واقع الطرق الصوفية بإقليم توات، بين المرجعية المعرفية والممارسة العلمية، الملتقى الدولي الحادي عشر - التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة، جامعة أحمد دراية أدرار، أيام 9_10_11 نوفمبر 2008، ص 461.

⁶ - سورة الاسراء، الاية 84.

وعليه فإن الطريقة في الإسلام ذلك المنهج الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لخلقه للتعاش في قوله تعالى (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)¹.

أما الطريقة وفق المنظور الصوفي نشأت منذ عهد النبي ﷺ حيث يترقى فيها المسلم عبر منهاج التقوى والمعرفة بمقاماتها الثلاثة (الإسلام الإيمان والإحسان).

وعليه فإن الطريقة هي السلوك في هذه المعارج والتعمق فيها ومعرفتها وبمعنى آخر هي ترقى المسلم من وراثة الرسول (ص) إلى وراثة احواله ومنازلاته ومعاملاته مع الخلق ومع الحق تعالى: (إِنَّ هُدًى تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا)².

ف نجد الصوفي الحق هو المتحقق بمقام الإحسان الذي عرفه الرسول (ص) بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

ومما سبق يمكن القول: أن الطريقة هي مجموعة من الأسس والمبادئ التي يسطرها شيخ الطريقة لإتباعه ومريديه كطريق يسرون اليها للوصول إلى معرفة الله ورضاه ويجد مبررها في الفلسفة الصوفية التي تقسم العقيدة الإسلامية إلى ظاهر وباطن أي الشريعة والحقيقة، فالأولى هي الباب الذي يدخل منه الجميع والثانية هي التي لا يصل اليها الا المصطفون الأخيار وكثيرا ما يشبهون الشريعة والحقيقة بالدائرة ومركزها، فالطريقة إذا هي الخط الذهاب من محيط الدائرة إلى المركز وكل نقطة على محيط الدائرة هي مبدأ الخط وهذه الخطوط تنتمي كلها إلى المركز ومهما اختلفت فالهدف واحد لأنه لا وجود إلا لمركز واحد وحقيقة واحدة.

والطريقة بهذا المفهوم هي طريق خاص بنوع من الناس يتميزون عن غيرهم برؤية معينة في المنهج اللازم إتباعه للوصول إلى الحقيقة عبر مراحل محددة تجتهد كل طريقة في استيفائها من منابع ومصادر تعتقد أنها يقينية.

¹ - الفاتحة، الاية 6 - 7.

² - سورة الانسان، الاية 29.

أنواع التصوف

التصوف السني: مرجعيته القرآن والسنة ولهذا التزم المسلمون في القرن الاول والثاني للهجرة بأوامر الله ونواهيه والافتداء بحياة النبي (ص) عبادة وترهدا في الدنيا وأعراضا عن مباحجها وعلى هذا الاساس تخلصت وجهتهم الصوفية في مظهرين:

- **مظهر ظاهري:** يتمثل في ترك مظاهر الدنيا «المال وجاه وعيشة رغدة» انطلاقا من قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ۗ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۗ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۗ¹ وقوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ²، ومثال على ذلك الإمام احمد بن حنبل اکتفى بدخل فيل ولما أرسل إليه الخليفة المتوكل بعشرة آلاف درهم فرقاها على المحتاجين

- **مظهر باطني:** يتمثل في مراقبة افعال القلب وسميت بمرحلة مجاهدة التقوى³ وقد تطور التصوف السني في القرنين الثالث والرابع الهجريين الموافقين للقرن التاسع والعاشر الميلاديين حيث سعى فيه الصوفية للوصول إلى نفس لا يصدر عنها سوى افعال الخير مادية بأداب القرآن والسنة عن طريق الإدارة والرياضة⁴.

أما **التصوف الفلسفي:** هو الذي ينتجه بالقول بنظرية الحلول ووحدة الوجود والفناء وتزعم هذا الاتجاه الحسن بن المنصور الحلاج وقد رفضها الكثير من المتصوفة والفلاسفة وقد ظهر الاتجاه في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

وقد ثار الفقهاء ضد المتصوفين وحكموا على بعضهم بالكفر والقتل وجعلوا الحكم الظاهر هو المنهج القويم لحكم الإنسان لانه المنهج الذي سار عليه الأولون وهو وحده الطريق والنجاة ويرى بعض

¹ - سورة النساء، الاية 77.

² - سورة الاعلى، الاية 17.

³ - الطاهر يوناوي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجري، الموافق ل 12-13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص39.

⁴ - الرياضة هي تدريب النفس عن رفض زينة الحياة الدنيا من مال وجاه وشهوات ومقاومتها عن طريق الصيام المتواصل وقيام الليل والتهجد للوصول إلى مراتب الانبياء والشهداء واطلق على هذا النوع مجاهدة الاستقامة.

المعاصرين ان التصوف والمبالغة في الزهد نزعاً رجعية قديمة ليس من الإسلام في شئ ومما سبق نلاحظ ان التصوف قد عرف أوج ازدهاره في القرن الثالث والرابع والخامس الهجري.

الطرق الصوفية:

1- الطريقة الشاذلية: تنتسب الطريقة الشاذلية إلى ابي الحسن علي الشاذلي ولد في المغرب الاقصى سنة 593هـ-1196م دخلت الجزائر في القرن 19م حيث كان يمثلها الشيخ مُجَّد الموسوم بن مُجَّد بن رقية المولود حوالي 1236م-1820م ومنه انتشرت في المغرب كثر اتباعها فخرجت منها فروع عديدة يعود كل فرع منها إلى شيخ مؤسس ينتسب إليها¹.

ويرجع تأسيسها إلى ابي القاسم الجنيد² الذي تأثر به الشيخ شعيب ابي مدين الاندلسي الذي تتلمذ على يده الشيخ عبد السلام بن مشيش³ له شهرة فائقة والشاذلية تعود إلى المشيشية والمشيشية إلى المدينة وهذه ترجع إلى الفادرية ويعتبر ابن مشيش هو شيخ زعيم الطائفة الشاذلية ابو الحسن الشاذلي⁴.

أخذ ابي الحسن الشاذلي تعاليم شيخه بن مشيش ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين توجه إلى قرية شاذلة خارج العاصمة تونس واختلى في جبل جلاس فجاءه المريدون من كل حذب وصوب فتخوف منه الحاكم، فخرج إلى مصر ونصره سلطان العلماء آنذاك العز بن عبد السلام بعدما رأوا كراماته وغزارة علمه. ومن اهم إتياعه ابو العباس أحمد المرسي الذي طور الفكر الصوفي لشيخه وقد ألف مُجَّد بن عباد

¹ - عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، 2007، ص 106.

² - ابو القاسم الجنيد: اصله من نھاوند همذان ونشأته في العراق كان فقيهاً يفقه على ابي ثور واكن يفتي في حلقاته من أئمة القوم وسادتهم مقبول على جميع الالسنة توفي سنة 297هـ من قوله في التصوف: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المؤلفات والمستحسنات لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى واصله التعرف عن الدنيا. انظر سلسلة المرأة الصافية في ذكر بعض الصوفية الصافية ل غيتاوي التهامي، ج1، منشورات ANEP، 2006، ص 42.

³ - يعتبر شعيب بن حسين الاندلسي المعروف ابو مدين دفين تلمسان هو مؤسس مدرسة التصوف السني نقلا عن الشيخين عبد القادر الجيلالي وأبي القاسم الجنيد وهو الذي نشرها بين الطريقتين في بلاد المغرب والاندلس وقد ولد باشبيلية سنة 500هـ وعاش 94 عاما بعضها في الاندلس وبعضها في فاس وتلمسان وبجاية كما عاش في المشرق توفي بتلمسان سنة 594هـ وحياته حياة المتقطع للعلم والصلاح والتوحيد. أنظر: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة 2011، ص ص 64 _ 65.

⁴ - غيتاوي التهامي، سلسلة المرأة الصافية في ذكر بعض الصوفية الصافية، المرجع السابق، ص ص 100_101.

الشافعي كتابا سماه: (المفاخر العلية في المآثر الشاذلية) وكذلك الادعية والاذكار المعروفة ب «حزب البحر» وهي تضم تعاليم الشاذلي وطريقته¹.

أما فروعها كثيرة كالجاذولية والزورقية واليوسفية واليسوية والاحمدية (الكرزانية) والشيخية والناصرية حيث أشتهر في الجزائر الفرع الذي تولاه الشيخ مُجَّد الموسوم الذي أسس زاوية للشاذلية في قصر البخاري، وكان وقت دخوله إلى الجزائر وقت نشوب الثورات فكان تحت الرقابة الاستعمارية (ت1833م) ومن بين ايراد هذه الطريقة الصلاة على النبي (ص) 100 مرة والشهادة مائة مرة (لا اله الا الله) (اللهم صل على سيدنا مُجَّد النبي الأمي) وذلك مع كل صباح ومساء بالإضافة إلى حضور الحضرة مرة واحدة على الأقل².

ومن شيوخها كذلك الذين حملو رايتها عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر وعبد الرحمان الاخضري ببسكرة ومُجَّد الهواري بوهراة ومُجَّد السنوسي بتلمسان واحمد بن يوسف الملياني في الجنوب الغربي الجزائري³.

2- الطريقة القادرية: تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ محي الدين عبد القادر بن ابي صالح المولود بمدينة جيلان في مارس 740هـ_1077م، والذي جاء إلى بغداد عام 488هـ_1095م ودرس مذهب الامام احمد بن حنبل وقضى 25 عاما يتجول في صحراء العراق حتى صار من اشهر العلماء في بغداد اشتهر بورعه وتقواه ولم ينضم احد إلى طريقته طوال حياته وبعد وفاته بدأ الناس يسيرون على نهجه⁴.

ووضع لطريقته سبع دعائم هي المجاهدة، التوكل، حسن الخلق، الشكر، الصبر، الرضى، الصدق. وأوصى ابنه عبد الرزاق بما يلي: «أوصيك يا ولدي بتقوى الله وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده، واعلم ان طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدر وسخاء البذل وبذل الندى وكف

¹ - ابو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 66 _ 67.

² - عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 106.

³ - عبد الرحمان تركي، نشأة الطرق الصوفية بالجزائر الملتقى الدولي 11 بعنوان: التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة، ايام 9 - 10 - 11 نوفمبر 2008، جامعة ادراة، ص 594.

⁴ - مُجَّد الصالح حوتية، توات والازواد، ج1، المرجع السابق، ص 178.

الجفا وحمل الاذى والصفح عن عثرات الاخوان وأوصيك يا ولدي بالفقراء وحفظ حرمة المشايخ وحسن المعاشرة والنصيحة للأصاغر والأكابر وترك الخصومة إلا في الأمور الدين.....»¹.

وانتشرت في العديد من الأماكن خاصة شمال افريقيا وبلاد المغرب والسودان ولها مجموعة من الاوراد والأذكار يتم قضاءها وجوبا لأنها مأخوذة على وجه النذر أو العهد وهي:

- الحسبلة: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإن تولو فقل (حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) و(حسبك الله ونعم الوكيل) 200 مرة.

- الاستغفار: (بسم الله الرحمن الرحيم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ان ربي رحيم ودود) 200 مرة.

- الهيللة: «أعلم انه لا إله إلا الله» 100 مرة.

- التصلية: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، «اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا» 100 مرة².

ويتشكل الورد القادري من مجموعة من الركعات يقرأ في أولها سورة الفاتحة وسورة محددة وبعد التسليم من الصلاة يقرأ آيات معينة من القرآن ويصلي على النبي (ص) ويدعوا دعاء عامًا، ويعتبر الورد القادري من أورد الطرق الصوفية التي يتبع مريدوها الكيفية التالية يقرأون في الركعة الأولى سورة الكوثر ستا والثانية الكافرون ستا والثالثة الاخلاص ستا والرابعة المعوذتين مرة وفي الخامسة آية الكرسي وفي السادسة قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا.... إلى آخر السورة﴾ مرة، ويذكر في السجود قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ثم يقولون: «اللهم اني استودعك ديني وإيماني فاحفظهما علي في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي»، رحمة أنت الأول للأولين والثاني للوسطيين والثالث للآخرين³.

¹ - ابراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر 2012، ص13.

² - عمر الطوبوني الفونجلي، مجموعة الجواهر في طريق سلطان الأولياء الشيخ عبد القادر الجيلالي، مخطوط بمكتبة الحاج محمد السلام المغيلي، الحي الغربي-ادرار.

³ - محمد الصالح حوتية، آل كوننة، المرجع السابق، ص 242-243.

3- الطريقة الرحمانية: تعتبر من أقوى الطرق في الجزائر ومن حيث المنتسبين لها سنة 1930 ب 156214 مريدا و 177 زاوية و 23 شيخا، ومنذ تأسيسها كانت تقدر الجهاد والثورة وللطريقة الرحمانية جهاد لالة فاطمة نسومر ومُجد أمزيان الحداد تحت إمارة المقراني 1871م وأصبح هذا الهمم الجهادي أكثر خطورة في ادبيات الطريقة¹ وقد اهتم الشيخ مُجد عبد الرحمان بنشر العلم والتربية الدينية وانتهاج الصوفية على طريقة علماء السلف وتخوفت منه السلطات الفرنسية وأتهم بالزندقة وعقدت مناظرة وأبطلت التهمة ضده وكان عبد القادر بن الامين الذي تولى الفتوى مرات عديدة ودرس في الازهر مثل الشيخ عبد الرحمان نفسه².

4- الطريقة العيسوية: هي أحد فروع الشاذلية ومؤسسها هو الشيخ مُجد بن عيسى (ت 931هـ، 1524م) واخذت العيسوية طابعا يختلط فيه الجد والهزل بين الدين والشعوذة، وهو طابع شعبي في الجزائر والمغرب اضافة إلى نوع من الانفجار الداخلي وتعبير عن المكبوتات، إلا أن اتباع العيسوية كانوا يقومون بأعمال اعتبرها بعضهم مفيدة كمداواة المرضى ولها اذكار وأوراد وهم صلوات وادعية ومن الأعمال الوطنية التي قامت بها زاوية وزرة التي تمثل مشيخة العيسوية هي أنها قاومت الاستعمار الفرنسي إلى سنة 1258هـ-1842م حين احتلوا المدينة وبعد ذلك ظل الاستعمار يخشون اتباع العيسوية لشعبيتهم³.

5- الطريقة الشيخية: ترجع الطريقة الشيخية إلى عبد القادر بن مُجد بن سليمان المولود سنة 940هـ/1533م بضواحي الشلالة الطهرانية بقيق، درس على يد والده الشيخ مُجد بن سليمان وعلى يد عمه الشيخ احمد المجدوب حفظ القرآن واتجه إلى تينجوارين ثم إلى فقيق التي درس بها على يد مُجد بن عبد الجبار والتقى مع مُجد بن عبد الرحمان بن ابي بكر السكوتي، ثم توجه إلى فاس ودرس على يد عبد القادر الفاسي، وعن ابي عبد الله مُجد بن عبد الرحمان السهيلي الذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية⁴.

¹ - عبد القادر بوعرفة: جهاد شعبي ام مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي، قسم الفلسفة، جامعة وهران، ص100.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص140.

³ - عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص106.

⁴ - مُجد الصالح حوتية، الطرق الصوفية في إقليم توات، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص35.

أسس الشيخ عبد القادر بن مُجد زاوية ببلاد فيقيق سماها العباد وزاوية سماها السهلي بالاضافة إلى زاوية اخرى كانت مكان يأوى اليه الفقراء والزائرين والضيوف ومكان للتربية والتعليم وتتلخص اصول الطريقة الشيخية في النقاط الخمس:

1- تقوى الله في السر والعلانية، 2- اتباع السنة في الأقوال والأفعال، 3- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، 4- الرضى بما أعطاه الله لك سواء أكان قليلا ام كثيرا، 5- الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء¹.

واذكار الشيخية هي اذكار القادرية والشاذلية التي يتلقاها الأتباع ويرددونها في أوقات معينة وهم يضيفون إلى ذلك قراءة الفاتحة ثلاث مرات بعد كل صلاة من الصلوات الخمس، أما الأوراد التي تتخذها الشيخية هي قراءة الفاتحة ثلاث مرات التشهد 300 مرة الصلاة على النبي وذكر فضائله 100 مرة ذكر كلمة الله الواحد الف مرة وتؤكد الشيخية على الزهد والخلو والذكر والدعاء بالرحمة والمغفرة والف كذلك الشيخ الياقوتة تتألف من ثمانية وسبعين بيتا يحث فيها على الجهاد ويلخص فيها طريقته الشيخية².

6- الطريقة الطيبية: تأسست سنة (1089هـ_1678م) على يد مولاي عبد الله بن ابراهيم الوزاني، مغربية الاصل ومقر زاويتها موجود في وزان، ويستمد اسمها من اسم حفيد مؤسسها المنحدر من اسرة آل البيت (شريف) الذي كان قد قام بتنظيمها من بداية القرن ال 12 عشر هجري حيث انها تمثل مناطق شاسعة من مرتفعات المنطقة الوهرانية ونظرا إلى تعود الاشراف في هذه الزاوية على التدخل في القرارات، وفي نزاعات القصر فإنهم كانوا يدركون أهمية العمل السياسي، وعلى هذا الأساس قاموا بدعم السلطان المغربي بفاس في نزاعه مع الأتراك حيث كان لها في الجزائر 234 مقدا و 8 زوايا وواحد وعشرون وكيلا حيث انتشرت في العديد من اقاليم الجزائر في القطاع الغربي واما عن شروطه الانخراط في الطريقة تنصح بالطاعة³ والطريقة الطيبية لها تدخل في السياسة وأذكارها عبارة عن كلمات مترابطة ومتزادفة يمكن أن تكون كلمات سرية في أي وقت والدخول عندهم سهل فعندما يقصدهم الاخ ليطلب

¹ - ابراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص14.

² - ابراهيم مياسي، قبسات من تاريخ الجزائر، المرجع نفسه، ص14.

³ - نور الدين بولحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط2، دار الأنوار 1437هـ/2016م، ص88.

الورد من المقدم يحاول هذا أن يثنيه وإن اصر الاخ يفتح له المقدم باب الطريقة ويقراً الفاتحة وهم يتفقدون زواياهم كل عام حيث يأتي الخليفة من الزاوية الام ليراقب ويعين المقدمين اما أورادهم تسبيح الله وحمده (سبحان الله وبحمده) مائة مرة صباحا ومساء والصلاة على الرسول (ص) وأزواجه وذريته خمسين مرة صباحا وعبارة (اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم) مائة مرة صباحا ومساء، والشهادة (لا إله إلا الله) مائة مرة صباحا ومساء وعقب الصلوات الخمس يقول الاخ عشر مرات "لا اله إلا الله مُحَمَّد رسول الله ﷺ وفي المرة الحادية عشر يقول لا إله إلا الله شفيعنا رسول الله ﷺ وعلى آله"¹.

7- الطريقة الدرقاوية: هي احد فروع الشاذلية تنتسب إلى مؤسسها ابي حامد مولاي مُحَمَّد

العربي بن احمد الدرقاوي من قبيلة بني زروال يقاس حيث توفي سنة 1239هـ/1823م وقد دخلت الدرقاوية إلى الجزائر بواسطة عبد القادر بن الشريف ولما تعرضت الجزائر إلى الاحتلال كانت الدرقاوية ما تزال حديثة الوجود بالبلاد وأعلنوا عن معارضتهم للاحتلال وأرعبت فرنسا².

8- الطريقة الموساوية: يعتبر الشيخ سيدي احمد بن موسى هو أول مؤسس للزاوية الكرزازية عام

953هـ وبالمكان المعروف بالزاوية الكبيرة وهي قرية تتوسط قصر سيدي موسى وقصر غليون وكان أهل كرزاز مولوعين بالشعر بمختلف اغراضه ولذلك خاطبهم الشيخ بأسلوبهم الشعري حتى تصل دعوته³.

أخذ من المشايخ عدة أصناف من العلوم وتوجه إلى سلجماسه فدرس التصوف عن الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمان السهلي وأخذ عنه الطريقة، وانتقل إلى مراكش وسوس بالونشريس ثم بني حماد بتلمسان ليحقق الجمع بين علمي الحقيقة والشريعة عملا بقول الامام مالك بن انس: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق"⁴.

واما تلقين الذكر فهو أن تكون السبحة في يد الشيخ اليسرى ويحني بركبته اليمنى ويقف اليسرى ويكون مستقبلا القبلة في مكان الطاهر ويكون المرید أمام الشيخ مولى وجهه للشيخ وظهره

¹ - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 96.

² - مُحَمَّد الطاهر عدواقي، المرجع السابق، ص 241.

³ - غيتاوي التهامي، الدرر النفيسة، المرجع السابق، ص 50.

⁴ - ادريس بن خويا، المرجع السابق، ص 471.

للقلبة ويشابك الشيخ بيمين المرید ويتوبون إلى الله جميعا توبة يصوت واحد مرفوع ويستغفرون الله جميعا
ويأخذ الشيخ المرید العهود على عدم الرجوع إلى المعصية¹.

وإدخال الاخ في الطريقة امام الحضرة ولكن فرديا كما أن اجازاتها تعطي لمن يبلغ قدرا من العلم
والذكاء والدبلوماسية ورغم فقرها لكنهم لا يقبلون الطعام من احد وتحمي الزاوية ضحايا الاعتداءات في
الطرف التجارية وكما يقال انهم كانت لهم علاقة طيبة مع سلاطين المغرب والسلطات الاستعمارية لكن
حسب المعلومات الفرنسية لاحظوا أن أولاد سيدي الشيخ كانوا دائما يجدون الملجأ في زاوية كرزاز رغم
الموقف الحيادي لها ولها أتباع من بني سناسن في الشمال إلى توات جنوبا².

وقد بلغ عدد اتباعها المليون وفي بعض التقديرات ثلاثة ملايين وكانت واحه جعبوب مركز
الزاوية كأنها ثكنة عسكرية بها 400 بندقية و20 سيف وحوالي 15 مدفعا بها مخازن للبارود والرصاص
وطلبتها عزاب يخضعون لنظام قاس بها طلبة من مختلف الجنسيات³.

9- الطريقة السنوسية: بالرغم من كونها جزائرية الشيخ، لكنها ليست المركز، تأسست على
يد الشيخ بن علي السنوسي بن العربي الحظري، وشكل من ليبيا اجنحة جهادية ضد المستعمر الفرنسي
في الجزائر وكان المحافظ العام بقسنطينة يتابع تحركاتها ويتخوف منها اشد التخوف لكون مركزها خارج
الجزائر، لذلك كان بإمكانها اضعاف الغزاة حيث يقول الرحالة الفرنسي وقرير في ذلك: "إن السنوسية
هي المسؤولة عن جميع اعمال المقاومة ضد فرنسا في الجزائر"⁴.

كما أن هذه الطريقة هي فرع عن القادرية على يد مُجدد بن علي السنوسي بن العربي المستغامي
1798م الذي توجه إلى فاس ثم إلى مصر والحجاز التي أسس بها أول زاوية بجبل ابي قبيس قرب مكة
المكرمة⁵.

¹ - غيتاوي التهامي، الدرر النفيسة، المرجع السابق، ص 105.

² - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 89.

³ - أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص 261.

⁴ - مُجدد الامين بلغيث، الإسلام الطرقي وصدمة الظاهرة الاستعمارية بالجزائر، مجلة عصور، العدد 3، مخبر البحث التاريخي، وهران، جوان
2003، ص 131.

⁵ - عبد الرحمان تركي، المرجع السابق، ص 554.

10- الطريقة التيجانية: ترجع التيجانية إلى مؤسسها الاول وهو العباس بن مُجَّد بن المختار ابن سالم التيجاني¹ ولد في قرية عين ماضي عام 1150هـ-1737م وهو الخليفة الأول للطريقة وواضع أسسها التي تقوم على مبايعة الخليفة من ابناء التيجانية عملاً بمبدأ الأكبر سناً ويقال أنه مال التصوف وعمره 20 عاماً وجمع من خلال رحلاته آراء وأفكار الطرق الصوفية في العالم الإسلامي وشكل من ذلك كله مذهب صوفي.

وقد أعلن أمام مردييه في بوسمغون عام 1196هـ أنه رأى النبي ﷺ الذي أمره بترك جميع الطرق الصوفية الأخرى وأمام نشاطه المتزايد وجولاته المتعددة عبر الصحراء الجزائرية وحتى خارج الجزائر كالسودان وتونس وإنشاءه مجموعة كبيرة من الزوايا أثار قلق الأتراك فاستولى باي وهران على مدينة عين ماضي مقر الطريقة سنة 1784م وفرض عليها اتاوة فقرر الهجرة مع أتباعه وأهله إلى المغرب واستقر بمدينة فاس حيث أسس بها زاوية بحي البليدة ظل بها حتى أدركته الوفاة 1230هـ/1814م²، وقد قام ولده مُجَّد الكبير ومُجَّد الصغير بثورة ضد الاتراك سنة 1826م/1827م كرد فعل على ظلمهم لكنهما فشلا.

وقد انتشرت هذه الطريقة في المغرب الاقصى وأفريقيا السوداء وتركيا والسنغال ونيجيريا واليابون والكونغو ومصر وبلدان عربية اخرى وجزء من اسيا بالإضافة إلى الجزائر وقد بلغ عدد زوايا هذه الطريقة سنة 1882م: 17 زاوية، 100 مقدم، 11082 مرید³، ومن أهم زوايا هذه الطريقة عين ماضي بها 15000 مرید وزاوية تماسين قرب توقرت 40000 مرید وزاوية عمار بواد سوف وزاوية ورقلة.

وتقوم التيجانية على ايراد محددة تشمل الوظيفة والورد المعلوم والهيلة:

الوظيفة: تقرأ فيها فاتحة الكتاب ثم صلاة الفاتح: "اللهم صل على سيدنا مُجَّد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم" بعده يشرع في ذكر الوظيفة "استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين" مائة مرة ثم

¹ - عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 137.

² - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 518.

³ - Louis Rinn: Les marabouts et khowans, etude sur L' Islam en Algerie - Alger, Adolphe Jordan, 1984, p 451.

ذكر الجوهرية وهي مدح النبي (ص) مائة مرة ومن لم يحفظها يأتي بها ليلا عشرين مرة تحتم الوظيفة بالآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

والورد المعلوم: أن تستغفر الله مائة مرة ثم تصلي على النبي (ص) وتذكر لا إله إلا الله مائة مرة وتحتم ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾¹.

بدأ الشيخ التيجاني رحلته إلى الحج سنة 1186هـ-1773م التي واصل فيها متابعتها للطرق الصوفية حيث توقف ودرس بقرية آيت اسماعيل في بلاد القبائل وزار فيها الشيخ ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الازهري واخذ عنه الطريقة الرحمانية وقضى عاما في تونس حيث درس كتاب ابن عطاء الله السكندري (كتاب الحكم) وحقق نجاحا في تدريسه حتى أن حاكم تونس طلب منه البقاء للتدريس في جامع الزيتونة والتقى شيخ الطريقة الخلواتية بالقاهرة واتصل بمكة بعالم هندي يدعى احمد بن عبد الله وفي عام 1777م اتجه إلى تلمسان وانتقل إلى جبال قصور ببوسمغون جنوب البيض سنة 1781م وظهرت مبادئ الطريقة التيجانية من خلال مؤلفات بعض الاتباع وعلى رأسهم بن العربي في كتاب "جوهرة المعاني وبلوغ الاماني في في سيدي ابي العباس التيجاني" وانتشرت الطريقة التيجانية في غرب افريقيا بفضل جهود الحاج عمر الفوتي التكروري (ت 1864 م)².

وقد احصى "ديبون وكوبولاتي" 23 طريقة كما احصى لويس رين سنة 1884م 16 طريقة.

الجدول رقم 17: احصاء لويس رين سنة 1884 في الجزائر³.

16 طريقة	الطريقة الصوفية بالجزائر
355 زاوية هامة	الزوايا
169000 اخواني	الاخوان
2.842.000 نسمة	عدد السكان المسلمين الاجمالي

¹ - محمد الصالح حوتية، آل كتنة، المرجع السابق، ص 248.

² - محمد الصالح حوتية، الطرق الصوفية في توات، المرجع السابق، ص 42 - 43.

³ - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، المرجع السابق، ص 292 _ 293.

تفصيل اتباع كل طريقة في الجزائر حسب لويس رين 1884م

الجدول رقم 18: يبين اتباع كل طريقة في الجزائر حسب لويس رين 1884م

الطريقة	عدد الاخوان	الطريقة	عدد الاخوان
الرحمانية	96.915 اخواني	الكرزازية	2986 اخواني
الطبية	16045 اخواني	الشيخية	2819 اخواني
القادرية	14842 اخواني	الزيانية	3400 اخواني
التيجانية	11182 اخواني	المدنية	1601 اخواني
الشاذلية	10252 اخواني	السنوسية	511 اخواني
الحضالية	3648 اخواني	اليوسفية	413 اخواني
العيساوية	3116 اخواني	الناصرية	1000 اخواني
الحبيبية	0040 اخواني	الدردورية	204 اخواني

مما سبق يتضح لنا أن الطرق الصوفية لعبت دورا مهما في الجزائر من خلال ما يلي:

- 1- حافظة على عناصر الهوية الوطنية الجزائرية من لغة عربية ودين إسلامي وانتماء من خلال ربط المجتمع بأصالته.
- 2- اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة وبذلك ساهمت في محاربة الامية بالجهل.
- 3- لعبت ادورا اجتماعية متميزة حيث ان الزاوية كانت ملجأ للفقير والغني وحافظت على الدين الإسلامي.
- 4- الطرق الصوفية لعبت دورا مهما في نشر الإسلام في أصفاع الأرض المختلفة خاصة في افريقيا جنوب الصحراء حيث حاربت الوثنية والمسخية عن طريق الدعاة.
- 5- أن هذه الطرق الصوفية كان لاغلبها ظهور وتطور في الجزائر ومنها انتقلت إلى العديد من بلدان المغرب العربي والعالم الإسلامي.

6- الطرق الصوفية كان لها امتداد عبر العالم الإسلامي حتى وإن كان مصدرها هو المشرق إلا أنها وجدت نفسها والاهتمام اللازم في المغرب العربي وخاصة الجزائر.

الـدور الـديني للطرق الصوفية في منطقة توات

انتقال التصوف إلى المنطقة:

أ- انتقال التصوف من المشرق إلى المغرب: ظهر التصوف وحياة الزهد في بلدان المشرق الإسلامي منذ القرن 2هـ/8م على يد رابعة العدوية (714هـ/801م) وابي يزيد طيفور البسطامي الفارسي توفى عام (160هـ/874م) وابي قاسم الجنيد الخراز أو الزجاج العراقي (ت 297هـ/910م) وابي المغيث الحسن الحلاج البضاوي (ت 858هـ/922م) وابي حامد الغزالي (ت 1059هـ/1111م) وعبد القادر الجيلاتي (ت 1087هـ/1167م) وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر ميلادي) محي الدين بن العربي الاندلسي وعمر بن الفارض وجلال الدين الرومي اعتنقوا حياة الزهد والتقشف¹.

انتشر التصوف في المغرب الإسلامي مع نهاية حكم الموحيدين وعرف انتشارا وتوسعا بفعل التجار والاحتكاك الثقافي بين حواضر المغرب العربي وخاصة تلمسان وفاس كما عرف انتشارا في عهد الزيانيين والمرينيين والسعديين وحكام الجزائر في العهد العثماني وقد اخذ لواءها في البداية الكنتيون الذين تأثروا بحركة التصوف الآتية من الشمال والطرق الدينية المنتشرة في الجنوب مما طبعها بطابع خاص ووصلت إلى إفريقيا الغربية في القرن والخامس عشر ميلادي وقام بالدعوة لها بمنطقة الازواد سيدي المختار الكبير وادخلها إلى السنغال سيدي احمد البكاي².

فخلال العهود الأولى للتصوف كان التصوف لا يخرج عن إطار الورع والتقوى والزهد في ملذات الدنيا والانقطاع للتعبد والطاعة والذكر غير أنه في مراحل أخرى وخاصة العهد العباسي المتأخر والعهد

¹ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص 348.

² - محمد الصالح حوتية، آل كنتة، المرجع السابق ص 236، 237.

العثماني ادخل على التصوف بعض البدع والخرافات والباطيل التي حاربها العلماء ومنهم الشيخ بن باديس في الجزائر ومُجد بن عبد الوهاب في الحجاز واعتبروها غير مستمدة من الدين¹.

فكان إنتشار الطرق الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرن السادس عشر ميلادي دليل على ضعف الحكومة المركزية والتساهل في بسط نفوذها على الامة مباشرة وعلى تقصير علماء في احباء كتاب الله².

ومن بلاد المغرب ازدهرت الرباطات والزوايا والمساجد والزوايا وبرز اقطاب التصوف حمل اغلبهم لقب الغوث، من أبرزهم ابو مدين شعيب بن الحسين دفين تلمسان عام 595هـ/1198م وابو الحسين الشاذلي (ت 1258م) 686هـ وعبد السلام مشيش³، المتوفى 626هـ/1228م واحمد زروق البرنوسي المتوفى عام (899هـ/1493م) وورث التصوف في الدزائر شيوخ عديدون أصبح الكثير منهم أقطابا وزعماء مدارس صوفية من أبرزهم أحمد بن يوسف الراشدي دفين مليانه عام 927هـ 1620م ومُجد افغول ومُجد بن شباة ومُجد التواتي التجاني ومُجد بن عمر الهواري وتلميذه ابراهيم اللتي النازي، واحمد بن عبد الله ومُجد بن يوسف شعيب السوسني وعبد الرحمان الثعالبي⁴.

ويعود انتشار الصوفية بالجزائر إلى عدة عوامل أهمها:

1- اهمال الحكم العثمانيين الفكر والثقافة في الجزائر والهجمات التي كانت تتعرض لها الجزائر

من طرف الأوروبيين.

2- النسب الشريف لزعماء الطرق الصوفية مما زاد التمسك بهم ومريديهم.

¹ -عبد القادر زيايدية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء، في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية 2010، ص 224.

² - بوداوية مبخوت، المرجع السابق، ص ص 254، 256

³ - عبد السلام بن مشيش: ولد عام 569هـ وقبل 563هـ وعاش 63 سنة حفظ القرآن الكريم وله من العمر 12 سنة على شيخه الولي سيدي سليم المدفون بقبيلة بني يوسف وقبل ادركه الجذب وهو ابن سبع سنين في مغارة ودخل عليه رجل عليه علامات الصلح وقال له: أنا شيخك الذي كنت امدك وتلقى العلم عن الولي العالم سيدي الحاج احمد اقطرات الذي عرف بالامام العسقلاني دفين الاخماسي بقبيلة أبراج دفن بعمارة على شاطئ البحر - انظر غيتاوي التهامي، الدرر النفيسة، المرجع السابق، ص 55.

⁴ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص 349.

3- نشاط الطرق الصوفية في الارياف واطهار الكرمات¹ والحوارق على شيوخها ساعد على كسب الاتباع والمريدين.

وصول التصوف إلى منطقة توات

تميز أهل منطقة توات بصفاء السريرة ونقاء الاخلاق وحسن الطباع واصالة التقاليد وعندما تمنع النظر في سلوكهم فتجده يرجع إلى القرون الأولى للإسلام فكانوا يجلون العلماء واهل الفضل والتواضع لهم واکرامهم وبر الوالدين.

ومن عاداتهم نحو الصالحين الاحباء أنهم يكرمونهم ويزورونهم ويلتمسون منهم الدعاء والبركة ويسمعون لقولهم ويعملون بأرائهم أما الأموات من الصالحين فإنهم يفون لهم بالإحسان إلى أولادهم وأهلهم وأحبائهم وقد يقيمون على غالب أضرحة الأولياء زيارات معلومة كل سنة قصد التعريف بمخصلهم والتنوية بأعمالهم ومقاماتهم مع ما قد يتبع ذلك من عادات السيئة النابعة عن الجهل².

وما زاد إقليم توات تشكليه أرض حضيت لهذا التأثير الحضاري أنه لم يخضع للدولة العثمانية مثلما خضعت لها معظم البلدان العربية، مما جعل اللغة العربية تسلم من مزاحمة اللغة التركية كما تأثر بالتيارات الفكرية والثقافية التي كان يمر بها العالم الإسلامي³.

وجد التصوف في الحياة الثقافية والاجتماعية للمجتمع التواتي ارضا خصبة ساعدت على انتشاره وتوسيعه نظرا لبعدها عن المنطقة وانعزالها وقلة مواردها وبيئتها التي تعتمد على الكفاف وبعدها عن المنطقة وانتشارها في إفريقيا جنوب الصحراء.

يمكن القول أن أول زاوية بتوات أسست بالمعنى الحقيقي هي زاوية مولاي سليمان بن علي على الرغم من أن هناك بعض الوثائق التي تدل على وجود بعض الزوايا قبل ذلك مثل زاوية عيسى، وزاوية العربية وزاوية سيدي الحاج بادغا.... الخ لكن لا تعرف عن هذه الزوايا إلا الأسماء وبالتالي فإن أول شريف ادريسي جاء إلى توات هو السيد مولاي سليمان بن علي وانه عاش في زمن اشتهر فيه علماء

¹ - عبد الرحمان تركي، المرجع السابق، ص 553

² - احمد الطاهري الإدريسي، المصدر السابق، ص 52.

³ - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 97_98.

كبار اشتهروا بهذا المجال منه السيد علي بن حرزهم ومعاصرة السيد يعزي وكبير تلميذهما ابي مدين شعيب في التحصيل العلمي والمعرفي وهذا ماجاء في مطلع قصيدة الشاعر التواتي الكبير البكري بن عبد الرحمان التناطي في قصيدة يمدح فيها الشيخ مولاي سليمان بن علي يقول:

سيدي سليمان نجل علي وفسيل بن حرزهم في الطريقة
فقت مجدا وسؤددا وكمالا وسلوكا شريعة وحقيقية
قد حللت توات كالبدر يسري تهزم منه الظلمات الشريفة¹

وقد لعب التواتيون دورا مهما في نشر الطرق الصوفية من خلال الطلبة السودانيين الذين تشبعوا بالعلم والمعرفة واصول الطرق الصوفية وعودتهم إلى بلدانهم لنشر تعاليم الدين الإسلامي التي تدعو الحب والتسامح والإرشاد وغيرهم من الصفات التي تتسم بها المسلم المتصوف².

وكان أول ما نزل به مولاي سليمان بن علي هو منطقة سبع وكانت له طريقته وأوراده الخاصة وبما ان زاوية مولاي سليمان بن علي هي اول زاوية بمنطقة توات فيمكن القول ان اول طريقة صوفية دخلت منطقة توات هي الطريقة الشاذلية³.

أما الطريقة القادرية: نقلها إلى المنطقة (توات) الشيخ عبد الكريم المغيلي الذي تتلمذ على يد الفقيه عبد الرحمان الثعالبي ثم على يد اصحاب ابي العباس الوغليسي وتصوفه يلتزم بالكتاب والسنة وينتقد من يدعون الولاية بالعلم واعتبرهم يضللون العامة، وألف كتاب لذلك سماه «تنبية الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين» ويدعو لنشر التصوف الذي يجمع بين العلم والعمل لهذا اسس زاويته في المنطقة⁴.

¹ - ادريس بن خويا، المرجع السابق، ص ص 466،464

² - بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 257.

³ - ادريس بن خويا، المرجع السابق، ص 467.

⁴ - احمد الحمدي، المرجع السابق، ص 190.

وللقادرية أيضا زوايا أخرى في المنطقة مثل زاوية كنتة القادرية ومن أهم شيوخها الشيخ المختار الكنتي المتوفى سنة 1826م¹.

وانتشرت كذلك الطريقة الموساوية بمنطقة توات من واد الساورة التي نزل بها الشيخ سيدي احمد بن موسى بأمر من ابيه سيدي موسى سنة 946هـ فانتقل له المريدون من كل حذب وصب لماله من العلم والصلاح والبركة والانوار والمعارف، وانكب عليه اهل توات من كل نواحيها حتى لا تكاد تجد قرية أو بلدة الا وجدت له فيها ذكرا وانتقل إلى أرض قورارة قاصدا زيارة الشيخ سيدي موسى والمسعود وكان من أكبر العارفين والمشايخ المعروفين وهو من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلالي وكان شيخه في الوصول وهو آخر الأشياخ له².

وللزاوية الكرزانية بمنطقة توات يعينهم شيخ الزاوية وكان مقدم الزاوية سنة 1830م بوجلان تسابيت سيدي حمو بن ابا حيدة الوجلافي عينه الولي الصالح سيدي محمد بن سيد حمد بن موسى ثم خلفه ابنه من بعده ثم حفيده وفي بودة عين سيدي البوداوي ومن بعده اخيه سيدي محمد عبد الكريم وفي قصر ادغا كان مقدم الزاوية هو محمد بن محمد ثم الصافي ثم لحبيب وللطريقة الكرزانية بتوات نفوذ كبير مكنها من مقاومة الفرنسيين ومؤيديهم وتؤكد الإحصائيات أن لهذه الطريقة الفين وتسعمائة وأربعة وعشرون من الإخوان³.

* **الطريقة التيجانية:** انتقلت هذه الطريقة إلى منطقة توات عن طريق سيدي علي العين صالح الذي اخذ الطريقة وسار بها إلى تيديكلت وانشأ زاوية هناك تعرف بالزاوية التيجانية والتي ترجع تعاليمها إلى كتاب سيدي احمد التيجاني: جوهره المعاني وبلوغ الاماني في فيض الشيخ التيجاني والتي ضمنها تاريخه وعقيدته الصوفية ووصاياه إلى اتباعه⁴.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص48.

² - غيتاوي التهامي، الدرر النفيسة في جملة من حياة الشيخ سيدي احمد بن موسى، المرجع السابق، ص88.

³ - زهرة مسعودي، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب افريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ غير منشورة، قسم التاريخ) كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة ادرار، ص39.

⁴ - عبد القادر بقادر: انتشار الزوايا والطرق الصوفية ودورها التعليمي في توات وافريقيا، ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية، ج1، المرجع السابق، ص155.

مما سبق يتبين لنا أن منطقة توات لم تكن بعيدة عن الحركة الثقافية والاجتماعية التي كان يمر بها العالم الإسلامي ومختلف الحواضر الإسلامية باعتبارها كانت نقطة التقاء الطرق التجارية فكانت مقرا وممرا لانتشار الطرق الصوفية التي استقرت بها وانشأت بها زاويا مكنها من الاستمرار ونشر الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء التي لعبت فيها الزوايا دورا مهما لنشر الإسلام.

دور إقليم توات في نشر الإسلام في غرب إفريقيا

يقصد بغرب افريقيا المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربا حتى حدود السودان الأوسط الغربية شرقا ومن المناطق الصحراوية في الشمال إلى نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب¹.

وتنتشر بغرب افريقيا سلالات بشرية تعرف بالزنج ينقسمون إلى عدة قبائل وشعوب تختلف عن بعضها البعض في اللغة والدين والحرف وهي:

1- الوالوف waloff: يتواجدون في السنغال معظمهم يدين بالإسلام يمتنون الزراعة وصناعة المنسوجات وخاصة القطنية والصناعات اليدوية البسيطة التي تعتمد على المعادن.

2- السيرير والتكرو: ينتشرون بالمنطقة الساحلية جنوب الوالوف يشبهونهم في الصفات والحروف.

3- السنغاي: هم عشائر من الزراع وصيادي الاسماك ينتشرون على الضفة اليسرى لنهر النيجر في المنطقة الممتدة بين ثنية نهر النيجر إلى جنوب مدينة توميكتو أكثرهم يدين الاسلام.

4- المانتكة والسونتكة: وهم فرع من شعب الماندي يتواجدون في المنطقة الواسعة الممتدة بين اعالي السنغال في الغرب وبحيرات النيجر في الشرق ونطاق الغابات في الجنوب وتشمل هذه المنطقة مالي، غينيا، السنغال، غمبيا يمتازون بطول القامة يمارسون الزراعة وبعض الصناعات اليدوية.

5- الموسى والداجومبا وسنوفر واليويو: يشكلون شعب الفولتا العليا لا يزالون وثنيون يمجدون الشمس والأرض والاجداد يمارسون الزراعة².

¹ - حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006، ص 169.

² - زهرة مسعودي، المرجع السابق، ص 64.

كانت منطقة توات مركزا تجاريا وطريقا واصلا نحو افريقيا وبعدها وصل الإسلام إلى منطقة حمل النجار وفقهاء الدين الحنيف إلى اوسط افريقيا من بينهم الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي الذي كان مقيما عند السلطان كاغو والشيخ سيدي عبد الحميد بن احمد الذي كان يبعث كل سنة مصحفا لأحد سلاطين السودان والشيخ سيدي مُحَمَّد بن ابي مُحَمَّد وابنه الشيخ سيدي عبد الكريم وقد تأثر التوارق بالعلامة الفقيه الشيخ عبد الكريم مؤسس الطريقة البكرية وصاحب كتاب الرحلة والذي بني العديد من الزوايا التي امها الكثير من التوارق واقروا بافضال تتلمذهم فيها¹.

ثم إن اتباع الطرق الصوفية هم من حملوا لواء نشر الإسلام في افريقيا وهم الذين اوقدوا الحمية الدينية بعدما كادت تفتت وادخلوا معظم بلاد السودان في الإسلام بطريقة الارشاد والتعليم والمصاهرات مع ملوك الزنج وانتشر الإسلام بفضل أعمال المتقنة التي قام بها الصوفية، ويقول أحد الانجليز متأثرا بما قامت به الطرق الصوفية من عمل عظيم على نشر الدعوة الإسلامية في افريقيا: إن الإسلام ليفوز في إفريقيا فوزا عظيما، حيث تحتفي الوثنية امامه اختفاء الظلام في فلق الصبح وحيث الدعوة النصرانية باتت كأنها خرافة من الخرافات².

وقد لعبت الطرق الصوفية دورا هاما في نقل الإسلام في هذه الاصفاغ حتى لا يكاد يرتبط الدين بالتصوف ومن أهم الطرق الصوفية التي لعبت دورا كبيرا الطريقة القادرية التي اخذ لواءها الكنتيون وطبعوها بطابع خاص من حيث الاوراد والذكر والحلقات القادرية وكان على راسهم سيدي المختار الكبير والذي ادخلها إلى السنغال الشيخ سيدي احمد البكاي³.

مما أدى هذا إلى حدوث اصطدام المنطقة بين الثقافتين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية التي كانت تقودها فرنسا خلال القرن التاسع عشر في نشر التعاليم الصوفية⁴.

¹ - عبد الكريم البكري، المرجع السابق، ص 65.

² - غيتاوي التهامي، الدرر النفيسة، المرجع السابق، ص ص 32 - 35.

³ - مُحَمَّد الصالح حوتية، ال كتننة، المرجع السابق، ص ص 236 - 237.

⁴ - مُحَمَّد الصالح حوتية، توات والازواد، ج 2، المرجع السابق، ص 222.

بالإضافة إلى الطريقة القادرية كانت التيجانية التي جاءت بعد القادرية وبدأت تنتشر في السنغال وقام الحاج عمر الفوتي¹ بحركته الجهادية لنشرها وإقامة دولة مركزية في السودان الغربي دخلت في مواجهة مع القدرية اتخذت أسلوبا فكريا حضريا في جانب وآخر مسلحا في جانب آخر فانحصرت التيجانية في الجزء الغربي بينما سيطرت القادرية على الجزء الأوسط والشرقي²، وعن الطريقة السنوسية تصرح الرحالة الانجليزية: "روزيتا فويس" بما قامت به الطريقة السنوسية في افريقيا تقوم وتقع لها كل دولة مستعمرة هناك³.

وهكذا فإن للطرق الصوفية دور كبير في نشر الدين الإسلامي في السودان الغربي والقضاء على المعتقدات الشائعة كعادة وأد الاطفال والكهانة والسحر والشعوذة وقراءة الاثر وضرب الرمل فقد عملت هذه الطرق على تعليم مبادئ الدين الإسلامي القائم على التوحيد والمبادئ السمحة⁴.

يتبين لنا مما سبق أن الطرق الصوفية لعبت دورا مهما في نشر الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء حتى أن الكثير من الدول أصبحت مسلمة أو بها نسبة كبيرة من المسلمين مثلا: جمهورية التشاد الإسلام 85%، جيبوتي 94%، ساحل العاج 60%، السنغال 94%، سيراليون 62%، الطوغو 60%، غامبيا 90%، غينيا 85%، جزر القمر 98%، الكامرون 65%، ملاوي 55%، مالي 90%، موزمبيق 50%، النيجر 90%، نيجيريا 60% وغيرها من الدول الإفريقية في أغلبها تفوق نسبة الإسلام 50% من المسلمين تانزانيا 55%⁵.

¹ - الحاج عمر الفوتي: ولد الحاج عمر الفوتي نسبة إلى منطقة فوتا في السنغال الحالي في عام 1791م على الأرجح في قرية هالورا وكان ابوه متعلما فاستفاد من ذلك في البداية وحفظ القرآن الكريم في الثانية عشر من عمره ثم انتقل إلى موريتانيا وفي عام 1822م التقى بالشيخ عبد الكريم الناقلي مقدم الطريقة التيجانية في تلك المنطقة وتلقى منه دروسا في الصوفي وتلقى على يده ايراد التيجانية وادكارها وذهب إلى الحج عام 1824م، فمر اولا بماسينا ثم مر بسوكوتو قبل أن يذهب إلى مصر مارا بفران وهو يراقب انظمة الحكم القائمة (السنية القارية) وبقي في المدينة ثلاث سنوات إلى جانب الشيخ محمد الغالي ممثل التيجانية في الحجاز وتعمق في الطريقة ليصبح ممثل الطريقة في بلاد التكره وقام بنشر الطريقة في المنطقة، واتخذ من ناميا في التشاد قاعدة عسكرية له ولأتباعه نظم فيها نفسه وبدأ حركته الجهادية 1854م وتوسع في غرب افريقيا حتى وافته المنية سنة 1864 - انظر: عبد القادر زيايدية، المرجع السابق، ص 95-96.

² - عبد القادر زيايدية، المرجع نفسه، ص 94.

³ - غيتاوي التهامي، الدرر النفيسة، المرجع السابق، ص 36.

⁴ - بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 255.

⁵ - الهادي فطش وآخرون، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2009، صص 48_100.

مما يوضح لنا الجهود الكبيرة التي لعبتها الطرق الصوفية في القارة الافريقية والتي دخلت في صراع مع الوثنية والديانات المحلية ومع المسيحية والنشاط الذي كانت تلعبه الكنيسة في المنطقة وبالرغم من القوة المادية والعسكرية الهائلة للقوى الاستعمارية في القرن 19م إلا أن الإسلام حافظ على مكانته ووجوده وتأثيره في المنطقة وخرج الاستعمار وبقي الدين الإسلامي، ويتضح لنا كذلك الانتشار الكبير خاصة للطريقة التيجانية في غرب افريقيا من خلال نسبة المسلمين في هذه المناطق على غرار القادرية في وسط وشرق القارة.

موقف الطرق الصوفية من الاستعمار الفرنسي

كانت الطرق الصوفية الخزان الذي كانت تستمد منه المقاومات الشعبية قوتها والوقود الذي كان يشعل الثورات في وجه المستعمر واخرت الطرق الصوفية وعرقلت عملية التوسع الاستعماري في الجزائر عامة ولعبت دورا في منطقة توات في تنظيم المقاومة ضده ورفضه ودعم مختلف المقاومات على المستوى الوطني.

شاركت الطرق الصوفية مشاركة فعالة في محاربة النظم الطاغية والمستبدة سواء المحلية او الاجنبية أو الاستعمارية.

فالدراوية والشاذلية والتيجانية قاومت الولاة العثمانيين المستبدين والرحمانية والسنوسية والقادرية حاربت الاستعمار الفرنسي والانجليزي في الجزائر وتونس وليبيا ومعظم دول غرب افريقيا طوال القرن التاسع عشر والعشرين¹.

موقف الطريقة الرحمانية من الاستعمار الفرنسي

يذكر حمدان خوجه في كتابه المرأة أن شيوخ الطرق الصوفية هم الذين امرو المواطنين الجزائريين بالتعبئة ضد المستعمر الفرنسي والدفاع عن العاصمة بعد تخلي الاتراك عنها كما كشف الضابط الفرنسي "دي نوفوا" في كتابه الاخوان الصادر سنة 1845م، عن الدور الرئيسي الذي أدته الطرق الصوفية في مقارعة الاحتلال، وتحدث النقيب "ريتشارد" عن ثورة الظهرة التي قامت سنة 1845م، والدور المهم

¹ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص 356.

للطرق الصوفية فيها كما يؤكد المؤرخ الفرنسي "مارسيل إمري" أن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر كانت قد نظمت ونفذت ووجهت بوحى من الطرق الصوفية وعلى رأسها الطريقة الرحمانية¹.

ومن الثورات الرحمانية ضد المستعمر الفرنسي زاوية المُجَّد بن عبد الرحمان في ذراع الميزان التي نزعها الحاج عمر سنة 1851م وكان صهر الشيخ علي بن عيسى المؤسس الاول للزاوية ودعم مقاومة الشريف بوبغلة وربط صلوات بالشيخ واعراب في آث ايراثن ولالا فاطمة نسومر بقربة جرجرة، ولعبت الطريقة الرحمانية دورا بارزا في ذلك وثورة مُجَّد امزيان من قرية جار الله نواحي تكوت وهو من اخوان زاوية الشيخ المصمودي وكان اماما ومدرسا مع سيدي عيسى بوقبرين وكان وثيق الصلة بالطريقة الرحمانية بتيرمانيس وقد حدد "لويس رين" في كتابه: "مرابطون اخوان" سنة 1884م عد سكان باتنة المدينة ب 2394 ومجموع مؤيدي الطرق 93 مريدا منهم 760 تابعين للرحمانية وفي مدينة نقاوس وأولاد سلطان عددهم 20816 والمريدين 2393 مريدا منهم 2371 رحمانيا².

وكذلك ثورة الهاشمي بن علي دردور من زعماء الجهاد في الجزائر وكبار رجال الرحمانية شارك في انتفاضة الأوراس سنة 1897م باخوانه ومريديه مما أدى بفرنسا إلى نفيه إلى جزيرة كورسيكا سنة 1880م وكذلك انتفاضة أولاد جلال جانفي 1847م وثورة الزعاطشة 1849م وسي الصادق بلحاج 1858م، 1859³.

فالضابط "دي نوفوا" في كتابه الاخوان الصادر سنة 1845م يبين الدور الذي لعبته الزوايا والطرق في مقاومة الاحتلال خلال القرن 19م وخاصة في منطقة الأوراس التي اعدت ونظمت ونفذت بوحى من الصوفية وهذا ما يؤكد كذلك اوكناف ديون المفتش العام للبلديات الممتزجة بالجزائر في كتابه الطرق الدينية في الجزائر الصادر سنة 1897م في تقرير بعث به إلى لجنة الشيوخ المكلفة بالجيش بأن

¹ - مُجَّد العربي: مؤسسة الزاوية، مجلة اعمال الملتقى الاول والثاني لدور الطرق الصوفية أبان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 52.

² - Louis Rim, op.cit, p 435.

³ - Louis Rim. Ibid p 460.

وراء كل ثورة مرابط وخاصة الطريقة الرحمانية وهذا ما ادى بلويس رين إلى وضع خطة للزوايا ضمنها في كتابه 1884م لتستخدمه مكاتب الشوؤن الاهلية وقيادة الجيش من اجل التجسس والتغلغل¹.

بالإضافة إلى ثورة القراني والشيخ الحداد فعندما بدأ المقراني في الثورة كان إلى جانبه الشيخ الحداد شيخ الطريقة الرحمانية وقد تولى الشيخ الحداد بنفسه اعلان الجهاد وانضم إلى المقراني هذه الثورة التي شملت مناطق واسعة من مجال نفوذ الاخوان الرحمانيين².

بالإضافة إلى الشريف بن مُحمَّد عبد الله السنوسي في ورقلة وتوقرت 1852م، 1861م وثورة أولاد سيدي الشيخ الطبيين بالغرب الوهراني 1864م، 1881م وثورة سي الازرق بلحاج الطبي في فليته عام 1864م وثورة الشيخ بوعمامة الطبي في الجنوب الوهراني عام 1881م³.

موقف الطريقة التيجانية: قام التيجانيون بثورات ضد الوجود العثماني بالجزائر مثل ثورة الشيخ احمد بن المختار التيجاني ضد الداوي حسين وباي الغرب الوهراني مُحمَّد بن عثمان الكبير اواخر القرن 18م وثورة مُحمَّد الكبير التيجاني ضد باي الغرب حسين بن موسى عام 1827م/1242هـ ومقتله في معركة عين عواجة بعين البيضاء بمدينة معسكر⁴.

لكن بقية الطريقة التيجانية على الحياد كما كانت تظن بعد دخول المستعمر الفرنسي ودخلت عين ما ضي سنة 1844م وفي سنة 1854م احتلت تماسين لأن فرنسا كانت تجد في تفرقة الصف الوطني سبيلها لإتمام الاحتلال، فأو أن الشيخ موسى الدرقاوي قد خرج عن تعاليم الدرقاوية والشاذلية بإعلانه الجهاد ضد فرنسا وقالوا عن الرحمانيين الذين لم يؤيدو ثورة 1871م أنهم استمعوا إلى نصيحة التيجانية أن الوقت لم يحن لإعلان الثورة ويرى "رين" أن الامير عبد القادر حاول أن يستميل التيجانية إلى جانبه في محاربة فرنسا لكنه فشل ورغم المراسلات التي أرسلها الامير إلا أن التيجاني والحاج علي

1- Octare dupont et exarier coplanie Les confréries religieuse musulmans, Alger a Jordan 1984, p412.

2- سلسلة المشاريع الوطنية للبحث منطلقات واسس الحركة الوطنية والثورة التحريرية الجزائرية 1830 _ 1954 مقررات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، صنعة خاصة، وزارة المجاهدين، ص 38.

3- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص 358.

4- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص 357.

التماسي اصرا على عدم الانضمام إلى حركة الامير عن منطق وقناعة لانهما كانا على يقين على أن الأمير سيفشل في محاربة فرنسا وانهما لن يجنيا منه شيئا حتى ولو نجح¹.

فرغم دور التيجانية في المغرب وغرب إفريقيا في مقاومة الاستعمار ونشر الدين الاسلامي، فانها قد اعتبرت في الجزائر كطريقة مستترة على الاستعمار في الجانب السياسي، اما في الجانب العقائدي فقد تعرض لنقد العديد من اذكار التيجانية وما نسب اليهم في تفسير العديد من الايات وما نسب إلى شيخها من فتوحات وكشوفات ومنها ماكتبه محمد المجوي المغربي في مجلة الرسالة ضد التيجانية وهو ما تبناه بن باديس ولم يكن ابن باديس ضد الطريقة في حد ذاتها ولكنه كان ضد بعض الأمور التي اعتبرها الحادية وضالة ومنومة لأتباعها².

موقف الطريقة القادرية: وقف الطريقة القادرية في وجه الاستعمار الفرنسي من خلال

المقاومات التي رفعتها ضده وفي مقدمتها:

- **مقاومة الأمير عبد القادر:** حيث أن زاوية القيطنة التي نشأ بها الأمير والتي تشيع منها بالروحيات فنجد اسمه واسم ابنه عبد القادر نسبة إلى عبد القادر الجيلالي والزاوية تجمع بين العبادة والجهاد في سبيل الله لصد اخطار الاعتداء³.

وهذا ما يفسر إسراع والده الأمير محي الدين لحمل لواء الجهاد ضد المستعمر الفرنسي والإقبال الكبير على المبايعة والتجنيد في جيشه انطلاقا من سمعة محي الدين التي لعبت دورا في تجمع المقاومة حول شخصه باعتباره زعيما روحيا للطريقة القادرية وهذا ما جعل القضية تخرج من إطار الطريقة إلى النطاق الوطني وتفويضه إبنه لهذه المهمة كان من أجل هذه القضية⁴.

والجهاد كما يراه الأمير في كتابه المقرض الحاد: «ليس المقصود من الجهاد والقتال إتلاف العباد ولا تخريب البلاد ولا الرغبة في الاموال وانما المقصود دفع الفرد والملا إلى كلمة الحق ولو أمكن ذلك من

¹ - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 193 - 199.

² - ابو القاسم سعد الله، ج4 نفسه، ص 339 - 340.

³ - عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، ج 1، 2003، ص 350.

⁴ - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ج3، المرجع السابق، ص 44.

غير قتال حرم القتال» ويرى أن الحكمة من القتال والجهاد ليس إلا دفع الضرر ونشر العدل وهذه القناعات هي التي رسمت المنحى البياني للجهاد¹.

وبعد نهاية ثورة الامير عبد القادر تواصلت بشكل آخر في ثورة الزعاطشة بمنطقة الزيبان الظهر اوي التي تبعد 25 كلم جنوب غرب بسكرة وكان على رأسها الشيخ المتصوف احمد بوزيان مقدم الطريقة الدرقاوية بالمنطقة الذي كان يعمل تحت إمارة الامير عبد القادر واغتنم فرصة غياب الجنرال سال حاكم مقاطعة قسنطينة إلى منطقة بجاية للقضاء على ثورة بني سليمان واخلائه من القوات الفرنسية فأعلن حركة الثورة بنت سكان الصحراء وقدم نفسه زعيما عليها² وحقق انتصارات مهمة حيث جند 800 فارس و400 خيل وانتشرت الثورة بفضل بوزيان ورغم الخسائر الفادحة إلا أن المقاومة رفضت الاستسلام³.

بالإضافة إلى مقاومة الشيخ بوعمامة في 1881م/1908م والتي دامت 25 سنة وكان مقدمي الطريقة القادرية من يقومون بجمع السلاح وتجنيد المجاهدين ووجدت الثورة صداها لدى قبائل لعمورة وحميان والشعابنة وتمكن بوعمامة من جمع حوالي 2300 جندي بين فرسان ومشاة وحدثت عدة اصطدامات بالعدو منها موقعة سفيسفة جنوب عين الصفراء 27 أبريل 1881 ومعاركة مولاق وتنظيم مسيرة قطعت 730 كلم خلال 23 يوم 30 ماي إلى 21 جوان 1881م إنطلقت من جفرار إلى البيض إلى تيارت عائدا إلى بوسمغون اثبت من خلالها مهارة وسرعة فائقة⁴.

حاولت فرنسا بث التفرقة والنزاعات بين الطرق الصوفية وحاولت تصوير القادرية عدوة للتيجانية، فأوحت للتيجانين بقطع علاقاتهم مع الشيخية لأنها تتبع القادرية ونفس الموقف وقفه الفرنسيون من الطيبة والزانية والكرزازية فقد أوحو للتيجانين أن هذه الطرق مغربية الاصل وتريد أن تضعف التيجانين وأن فرع التيجاني في فاس عميل للسلطان المغربي وأن نفوذهم في الرقيبات والساورة

¹ - الاميرة بديعة الحسني الجزائري، وما بدلو تبديلا، تفاصيل دقيقة عن جهاد الامير عبد القادر ودولته، ط1، توزيع دار الفكر، دمشق، 1423 هـ/2002م، ص 6.

² - يحي بوعزيز، تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 89.

³ - عبد الله مقلاني، المرجع السابق، ص 64.

⁴ - عبد الحميد زوزو: ثورة بوعمامة 1881 - 1908م، ط1، ج1، ش ون ت، 1981م، ص 23.

والساقية الحمراء سيضيع وأن نفوذهم في السودان وإفريقيا الوسطى سنة 1884م أقل مما كان عليه من قبل عشرين سنة لأن السنوسية هناك أخذت منكم المبادرة¹.

ويتضح لنا مما سبق الدور الكبير الذي لعبته الطرق الصوفية في مقاومة الاستعمار الأخير الذي لم يدخر جهدا في اضعافها وتفريقها وتدجينها خدمة لأطماعه الاستعمارية عن طريق بث التفرقة والخلاف بينهما لتشتيت صفوفها والقضاء عليها، فكيف كان امتداد هذه الطرق الصوفية لتنظيم المقاومة في منطقة توات.

دور الطرق الصوفية في تنيم المقاومة في منطقة توات

استعمل الاستعمار الفرنسي الطرق السلمية المهادنة وذلك بإنشاء المؤسسات الاقتصادية والمراكز التجارية في كل من توات وتيديكلت كما أنها لم تتخل عن أسلوبها العنيف في التوسع فأنشأت مراكز عسكرية دائمة سنة 1891م بالمنيعا استعدادا للسطو على عين صالح ووحدات توات كما عملت على استمالة سي قدور بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ إليها ليساعدها على احتلال وحدات توات وتم احتلال الابيض سيدي الشيخ وجنان بورزق في الجنوب الوهراني سنة 1897م وما إن وصل العدو إلى عين صالح حتى استعدوا للمقاومة بقيادة الحاج المهدي باجودة² رئيس قبيلة باجودة ومقدم الزاوية السنوسية بعين صالح الذي ولد حوالي 1854م بعين صالح وينتمي إلى الاسرة السنوسية بنواحي مستغانم والتي تنحدر من أصول عربية، اشتهر بحركته الإصلاحية في المجال الديني والسياسي وقام بعدة رحلات إلى كل من تونس والمغرب وليبيا وموريتانيا ثم قصد الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج انطلاقا من بيت المقدس بفلسطين إلى البيت الحرام بالمدينة المنورة أين التقى بمؤسس الطريقة السنوسية محمد الشريف السنوسي الذي أعطاه الورد وكلفه ببناء زاوية سنوسية بعين صالح بعد رجوعه من الحج وأن يعمل على مقاومة التواجد الأوربي بالصحراء وأصبح مقدم الزاوية السنوسية بالصحراء³.

¹ - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج4، المرجع السابق، ص 237.

² - ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص ص....

³ - ابراهيم مياسي، المرجع نفسه، ص 460.

وبعد المضايقات التي تعرض لها الشيخ بوعمامة ركز الشيخ على النشاط السياسي واستقر بمسقط رأسه في الحمام الفوقاني 1883م غر أنه كان يشهد مضايقات من طرف السلطات المغربية فلجأ إلى منطقة توات وبالضبط منطقة دلدول بإقليم قورارة ليستقر هناك إلى غاية 1894م وقد اسس هناك زاوية لتعليم العلوم الشرعية واكسب بها مزيدا من الانصار والاتباع¹.

وراسل مختلف القبائل والقياد والتقرب من السلطان المغربي ليقدم له الدعم وامتد نفوذه إلى مختلف مناطق الجنوب الغربي².

وعندما قصد منطقة دلدول في النهاية وجد الاستضافة من أهلها، ومارس عمله الديني وسعى لنشر نفوذه بالجنوب الغربي، وازدادت القبائل الملتفة حوله، وكثرة الجموع وهذا ما أقلق السلطات الاستعمارية التي لم يبق لها إلا السلطان المغربي الذي رفض دعم الشيخ خوفا من فرنسا واستمر الشيخ يحارب الفرنسيين ويهاجم القبائل الموالية لهم فعمل على عرقلة مشاريعهم التوسيعية وتشيتت قوافلهم التجارية وبقي صامدا يتحدى الجنرالات الفرنسيين³.

ومن بين المجهودات الجهادية للزاوية الرقانية برقان ما قام به مولاي عبد الله بن مولاي العباس الذي كان يحمل سر الجهاد الذي كان يسميه سر المكاحلية وكان رجلا صوفيا فاتصل بالشرفاء من قبيلة أولاد سي حمو بالحاج فاستجابوا له وذهب إلى تيديكلت لنصرة مولاي عبد الله من رقان وسالي وزاوية كنتة وعرش انجزمير وشرفاء تساييت وغيرهم من القبائل التي استجابت لنداء مولاي عبد الله وتقدم بجيشه نحو عين صالح في 01 جانفي 1900 وتجمع بقرية البركة يوم 04 جانفي 1900م بقيادة مولاي عبد الله الرقاني وكان عدد المجاهدين يفوق 1300 مجاهد من مختلف مناطق توات وارتقى شهيدا

¹ - ادريس بن خويا، الروايا الجزائرية ودورها في مكافحة الاستعمار، اعمال الندوة السنوية السابعة تخليدا لاحياء مآثر الشيخ، 14 ماي 2012، جامعة ادرار، ص 142.

² - عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 15 _ 19.

³ - سليمة كبير: الشيخ بوعمامة الزعيم الديني والقائد العربي المحنك، د- ط، المكتبة الخضراء، الجزائر، د- س، ص 22.

في هذه المعركة يوم 05 جانفي 1900 في الدعامشة واستشهد اخوه مولاي امبارك بن مولاي العباس في معركة اينغر في 10 مارس 1900م والتي استشهد فيها كثير من المجاهدين¹.

ومن مظاهر المقاومة للطرق الصوفية في المنطقة كذلك وقوف الشيخ سيدي بوفلجة بن محمد ضد المرسوم الفرنسي الذي يطالب العرب بالانضمام إلى صفوف الجيش الفرنسي عام 1903م وعارض اقامة الكتبية على أرض كرزاز ومعارضة الشيخ سيدي محمد بن احمد انضمام المواطنين للجيش الفرنسي أثناء الح ع أ 1914م كما عارض الشيخ فكرة فصل الصحراء عن الوطن الام عام 1941م كما عارض اقامة محكمة فرنسية في منطقة كرزاز سنة 1942م، كما أن الشيخ سيدي محمد بل كبير قدم دعما للثورة التحريرية حيث حفر الآبار وتوفير المخابىء للثوار ورفض فكرة فصل الصحراء مما جعل الشيخ تحت المراقبة وهدد ونهبت مكتبته ووضع الشيخ تحت الإقامة الجبرية بعدما نهبت المكتبة من الكتب والوثائق².

وكذلك معارضة الشيخ مولاي احمد الطاهري الادريسي بمنطقة سالي دائرة رقان لفصل الصحراء عن الجزائر وتكوين منطقة صحراوية تحت راية فرنسا فحذر منها الشيخ وعمل جاهدا على افشالها وتبين مخاطرها هذه الفكرة التي كلف بها محمد محمود بن الشيخ قاضي تنبكتو.

وعند وصول إلى مسامع فرنسا أن الشيخ مولاي احمد الطاهري هو من يحرص على رفضها اقتيد إلى المعتقل وقامت السلطات بتفتيش مدرسته ووضع في الإقامة الجبرية وبعد علم السلطات الاستعمارية تعاونه مع الثورة وجمع المال لها فر الشيخ من تضيق السلطات الاستعمارية الفرنسية بعدما وقف وقفه شجاعة ضد تقسيم الوطن ودعم الثورة الجزائرية.

وكما رأينا أن الطريقة الشيخية التي وقفت مع الشيخ بوعمامة ضد الاستعمار الفرنسي وساندت مقاومته في منطقة توات كما ساند اتباع الطرق الصوفية قادة المقاومات الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي فقد وقف أنصار الطريقة الشيخية إلى جانب الامير عبد القادر ثم إلى جانب بوشوشة والسي قدور.

¹ - مولاي عبد الله اسماعيلي، دور الزاوية الرقانية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح، الملتقى الوطني البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال 15-16 ديسمبر 2012، تنظيم ولاية ادرار، ص ص 111 - 113.

² - غيتوي التهامي، الدرر النفيسة، المرجع السابق، ص ص 45 - 46.

كما حاول الشيخ سيدي احمد البكاي بعث صلاة ديبلوماسية مع بريطانيا لثني فرنسا عن احتلال المنطقة فتقرب من "بارث" مندوب بريطانيا للحيلولة دون احتلال المنطقة.

ومنه يتضح لنا أن الطرق الصوفية قد لعبت دورا مهما في مقاومة الاحتلال الفرنسي وتسخير وتنظيم طاقات المجتمع من اجل التصدي له ومقاومته لما كان لها من احترام وتقدير بين عموم المجتمع فكانت لها القيادة في هذا المجال.

وقفت الطرق الصوفية سدا منيعا أمام محاولات السلخ والمسح التي جند لها الاستعمار الفرنسي كل طاقاته المادية والعسكرية للقضاء على مقومات الشعب الجزائري وبقيت الطرق الصوفية تنشيء الزوايا وتربط الصلاة مع مختلف الطرق الصوفية على مستوى العالم الإسلامي.

ساهمت الزوايا مساهمة فعالة في تربية النشأة ومحاربة الأمية والجهل وربط المجتمع بأصالته وحرابت البدع والخرافات وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفقه وسائر العلوم الشرعية.

ساهمت الطرق الصوفية في نشر الإسلام في بلاد افريقيا الواسعة حتى أنك تجد الإسلام في بعض المناطق البعيدة والنائية التي لا تكاد تتصور أن الإسلام قد وصلها وهذا بفعل التجار والدعاة والمريدين ومجهودات الطرق الصوفية.

لكن يبقى الأشكال المطروح دائما هل لا زالت هذه الزوايا الناتجة عن هذه الطرق الصوفية تلعب نفس الدور خاصة إذا علمنا أن التصوف كما رأينا هو الابتعاد عن حطام الدنيا وملذاتها وما تشاهده اليوم من تسابق بعضها إلى برزخ الحياة وزخرفها مما قد يحيلها عن المكانة السامية لهذه الزوايا المرتبطة بأذهان العامة بأن قوتها تكمن في قوتها الروحية وسلطتها على عامة الناس من ابتعادها عن الماديات ودورها الإصلاحية التوعوية التعاضدية بين أفراد المجتمع إذ أن بعضها ربما يكون قد حاد عن هذه الأسس والقواعد والمعايير.

ثانيا: مقاومة المؤسسات

كما رأينا في السابق الدور الفعال للطرق الصوفية التي انتقلت من المشرق الإسلامي إلى المغرب الإسلامي والتي بعضها نشأ في بلاد المغرب الإسلامي والأدوار الكثيرة التي لعبتها الطرق الصوفية في نشر

الإسلام في مناطق واسعة من العالم والتي انتشرت في الجزائر وكان لها تأثير كبير في منطقة توات فإذا كانت هذه الطرق هي العامل النظري للتصوف فإن المدارس القرآنية والزوايا هي الجانب التطبيقي له لذلك عرفت انتشارا في كامل التراب الوطني والتي كانت غالبا امتدادا للطرق الصوفية المختلفة وكان لها وجود خاص في منطقة توات فكأنك لا تجد قصرا أو تجمعا صغيرا أو كبيرا إلا وكانت فيه مدرسة لتعليم القرآن ولا ينحصر مد بصرك عن زاوية حتى نجد الأخرى، هذه الزوايا والمدارس التي لعبت دورا كبيرا في عملية التعليم والإطعام وغيرها من الأدوار المهمة التي لعبتها حتى في مقاومة الاستعمار، فكيف كانت هذه المدارس والزوايا في منطقة توات.

المدارس والكتاتيب

كان التعليم في منطقة توات يبدأ من نعومة الأظافر مجرد أن يصبح الفرد يعرف الكلام وهي شبه أقسام دراسية تكون تابعة اما للزاوية أو المسجد تقدم فيها مبادئ الحروف وقصارى السور ونحوها وتعتبر بمثابة مدارس التعليم الابتدائي في المدارس الرسمية الحالية، فهي تعلم المبادئ القراءة والكتابة والانضباط.¹

وكان الكتاب أقل وحدة للتعليم الابتدائي أو المكتب كما يسمى احيانا ولاسيما في العاصمة اسم مسيد وهو تصغير لكلمة مسجد يخصص عادة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال وكان بعض الواقفين يكفي فتح غرفة في منزله ويصنع منها كتاب.²

وكان يقوم ببنائها الخواص عادة لبساطتها أو يقوم بعض المعلمين باستئجار بيوت تتخذ مكان للتعليم أو تقوم جماعة ببناء منازل أو غرف قرب المسجد احتسابا لله وطلب الاجر للآخرة.³

¹ - محمد عبد الحق، المرجع السابق، ص 125.

² - احمد الازرق، الكتاتيب القرآنية في الجزائر، دار الغرب، 2002، ص 27.

³ - الونشريسي احمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقيا والاندلس والمغرب، ج2، نشر الاوقاف والشؤون الدينية بالمغرب، 1981، ص156.

إن التعليم في الكتاتيب كان في معظمه بدائيا يقوم على التحفيظ الالي للقرآن الكريم من أوله إلى آخره دون تفسير ولا تحليل وربما تضاف اليه حفظ بعض المتون الفقهية بعد التحكم في القراءة والكتابة.¹

وقد تقدم لهذه المهمة افرادا كانوا على قدر من حفظ كتاب الله وإلماما بالقراءة والكتابة والخط وعلما بالفرائض والواجبات وكان التعليم في الكتاب بمثابة المدرسة الابتدائية للتحضر للانتقال إلى مستوى آخر.²

ويكون التحاق الصبي بالكتاب على حسب ملكته الذهنية ويكون عادة في سن الرابعة من العمر وهذه الكتاتيب توجد في كل قصر وفي بعض الأحيان نجد أكثر من كتاب (اقربيش) في القصر الواحد ويقام للطفل حفل للدخول إلى الكتاب يشمل التمر واللبن والحريرة والخبز الرقيق المحلى المأدوم بالسمن اللذيذ يدعى لهذه الوليمة رجال الحي وفي مقدمتهم تلاميذ المدرسة ويقدم لوح الصبي للمعلم ويكتب فيه البسملة والآيات الأخيرة من سورة الاسراء ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾، "الاسراء 110"، وتكتب بعدها الحروف الهجائية في جو احتفالي مهيب وفرحة عارمة.³

ويحضر الطلبة بعد صلاة الصبح ويجلسون أمام الطالب حتى يحفظوه فإذا حفظوه يعرضونه على الطالب ويقومون بمحبه وكتابة آيات وسورة جديدة ويكون عادة ذلك ايضا في المساء وفي الصباح يتم صرفهم لبيوتهم عند الضحى ليتناولون شيئا في بيوتهم ثم يعودون للأقربيش حتى منتصف النهار وبعد صلاة الظهر يكونون في الكتاب حتى غروب الشمس يحفظون ألواحهم ثم يشرعون في التكرار وهو مدارس وحفظ السور التي كتبوها وحفظوها قبلا في الواحهم وبعد صلاة المغرب إلى قرب صلاة العشاء قراءة الحزب الراتب وبعض المتون الفقهية جماعة مثل البردة وابن عاشر والعبقري والأوجلي وغيره.⁴

¹ - وهيبه العايب: التربية التحضيرية في المدرسة القرآنية وتأثيرها على مهارات القراءة والكتابة (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الدراسات اللغوية التطبيقية) اشرف شريفة عطاس، كلية الاداب واللغات، جامعة الجزائر، 2004-2005، غير منشورة، ص26.

² - صالح بوسليم، الروايا باقليم توات خلال القرنين 12-13هـ، 18-19م بين الاشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة الواحات، غرداية، العدد 69، 2010، ص ص 149-150.

³ - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج1، ص ص 292 - 293.

⁴ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص30.

وما نلاحظه من هذا الأسلوب أن الصبية يدرسون من طلوع الشمس إلى غروبها وهم في المسجد يقرؤون ويحفظون ويتعلمون كتاب الله والآداب والأخلاق العامة ويؤدون الصلوات في المسجد وللمعلم أو الطالب قدسية كبيرة لديهم فيتعلمون احترام المعلم أو الطالب الذي يتلقى احتراماً كبيراً باعتبار أن كبار البلدة اليوم هم صغارها بالأمس وهم تلامذته أو أن الأباء هو معلم أبناءهم فهكذا يبدأ الفرد بصقل أخلاقه وسلوكه على مبادئ صارمة وانضباط تام يتبعه طيلة حياته.

أما المساجد فهي محلات للعلم والتعلم منذ عهد النبي ﷺ وهذه الجوامع تنقسم إلى قسمين مساجد للصلوات الخمس، ومساجد للصلوات الخمس والجمعة فتجد في القرية مسجداً واحداً للجمعة ولو تعددت فيه مساجد الصلوات الخمس فكان العلماء يعقدون فيه دروس العلم والفقهاء والقرآن فيعلمون العامة والخاصة من الناس أمور دينهم فضلاً عن الوعظ والإرشاد كما تعقد فيه حلقات التدريس ومتابعة الحفظ واستعراض الدروس والمحفوظات وغيرها.¹

وعادة ما يقوم المتعلم بجلب شيء من الهدايا في أغلبها تكون مأكولات من خبز وغيره لزملائه عند ما يكمل حفظ حزب ويتواصل حتى يختم القرآن فهناك احتفال كبير يلبس فيه المتعلم أحسن ثيابه وتقدم له الهدايا والأموال، الأموال يسلمها للمعلم وربما يحتفظ ببعض الهدايا التي قد تكون مادية أو عقار مثل الفضة أو الذهب أو كمية من ماء الفقارة أو بستان لما كان حافظ القرآن في منطقة توات من تعظيم وتبجيل في المجتمع وتكريم له على حفظه ويؤخذ لبيته في احتفال منقطع النظر تقوم به كل الأسرة بما فرح.²

أما الأدوات فهي اللوح الذي يمحي كل يوم بعد الحفظ ويكون المحي بمكان طاهر والدواء أو الحبرة وهي مصنوعة من صوف الغنم وحبرها أسود من أثر النار على أدوات الطهي أما أداة الكتابة فهي القلم المصنوع من القصب والطين الأبيض الذي يطلى به اللوح بعدما تمحي حتى تكون الكتابة واضحة وهذه الأدوات البسيطة تلازم المتعلم حتى اتمامه حفظ القرآن وأيام الراحة عند الطلبة مساء يوم الأربعاء ويوم الخميس واثناء المناسبات الدينية كعيد الأضحى والفطر وعاشوراء وغيرها. أما مرتبات المعلمين

¹ - محمد عبد الحق، المرجع السابق، ص 126.

² - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 30.

هي من هدايا المتعلمين مع الهدايا الموسمية كموسم جني التمور اما الجماعة التواتية فهي تضع بستانا تحت تصرف المعلم يستفيد منه في حياته اليومية.¹

وأما المقدار الذي يكتبه الطالب في اللوح فهو يتناسب مع مقدار ما يحفظه وهذا في السلكتة الأولى أما في السلكتة الثانية فيكتب ثمنا أو ربع وفي الغالب الربع وفي اخر اللوح يكتبون ابياتا من ابن عاشر أو الفية بن مالك أو مختصر خليل أو العبقري أو البردة أو الهمزية..... الخ من المتون.²

مراحل التعليم في الكتاب: وهي مراحل التعلم وتمثل في مايلي:

1- المرحلة الأولى: وتسمى بمرحلة المحاكاة: حيث يكتب المعلم بقلم الرصاص على لوحة الطفل ويأمر الطفل بتتبع كتابته وهكذا يتعلم الطفل كيفية تشكل الحروف ويتعود كيفية امساك القلم وتتمرن يده وأصابعها على القلم والكتابة والخط.

2- المرحلة الثانية: وتسمى مرحلة النقل والإيضاح ويؤتى بطبق من التراب الطاهر ويكتب عليه المعلم الايات لينقلها الطفل على لوحته.³

3- المرحلة الثالثة: تسمى مرحلة الاملاء والتكرار فالإملاء يسمى محليا الفتوى وهي أن يجلس الصبي بالقرب من شيخه ويملي عليه الثمن أو الربع اما التكرار فهو حفظ الصبي الحزب أو حزبين أو أكثر.

وفي الكتابيب يجتمع المعلم في كل يوم بعد صلاة المغرب والانتهاء من قراءة الحزب اليومي طلبته في حلقة ويقراً لهم الخمس الاخيرة من القرآن وبعض المتون الفقهية.⁴

¹ - محمد الصالح حوتية، آل كنتنة، المرجع السابق، ص198.

² - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 31.

³ - سرير ميلود، دور الزوايا الثقائي والعلمي في منطقة توات، جامعة ادرار، 2، ص 146، 147.

⁴ - عبد المؤمن بھية، المرجع السابق، ص131.

الزوايا:

لغة: الزوايا جمع زاوية مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل وسميت بذلك لأن الذين فكروا ببنائها أول مرة من المتصوفين والمرابطين¹ اختاروا الانزواء بمكان والابتعاد عن صحب العمران وضجيجه بحثا عن الهدوء والسكون لأنهما يساعدن على التأمل والرياضة الروحية ويناسبان جو الذكر والعبادة²، وتعني عادة الركن من البيت وتولدت لها معاني كثيرة مثل قولهم انزوى الناس بعضهم لبعض أي تضامنوا وتألفوا.³

ويشتق لفظ الزوايا من زوى ينزوي بمعنى صار في ركن البيت أو المسجد أو نحو ذلك ومنه قول لوط عليه السلام لقومه كما جاء في محكم التنزيل ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾⁴، ويقال زوى الشيء يزويه زيا أي جمعه وقبضه وجاء في الحديث الشريف: "...إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها..."⁵، والزوايا من البناء ركنه وتطلق الزاوية على الجامع غير السجد الذي ليس به منبر وايضا على مأوى المتصوفين والفقراء.⁶

¹ - المرابطون: جمع مرابط وهي لفظة مأخوذة من الرباط وهو مكان ينفرد فيه المسلمون للعبادة والتأهب للجهاد فهو بذلك بيت دين وحرب يقول تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. الانفال الآية 61 وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران الآية 200 والرباط من فعل ربط أي لازم وفي الوقت نفسه له علاقة وطيدة بالدولة المرابطية التي تنحدر من قبيلة لمتونة من بربر صنهاجة في المغرب حكموا بلاد المغرب زهاء 120 سنة وكانوا مثالا في الشجاعة والشهامة ومنهم يوسف بن تاشفين الذي استنجد به ملوك الطوائف في الأندلس ضد...السادس حاكم قشتالة عام (484هـ_1091م) وقد سمي المرابطون بهذا الاسم لقصة حدثت لزعيمهم الروحي الأول يحيى بن ابراهيم الذي عاد من تونس بفضله وهو عبد الله بن ياسين لكن الموت داهم يحيى بن ابراهيم واعتزل الناس في رباط ولذلك سمي كل من يلتحق به مرابطا: انظر مقال في جريدة الاخبار لصحابه شقوفة بعنوان المرابطون في الجزائر، 17 افريل 2004، ص17.

² - صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص301.

³ - اعمرراوي احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية ط2، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 25.

⁴ - سورة هود: الآية 80.

⁵ - ابو داود سليمان بن الاشعث: سنن ابي داود، تحقيق شعيب الارنؤوط ومجد كامل قرة بللي، ج6، دار الرسالة العالمية لبنان 2009، رقم 4252، ص ص 305 - 306.

⁶ - شعبان عبد العاطي عطيه وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر 2004، ص 408.

ويعرفها الشيخ محمد باي بلعالم على أنها جمع زاوية مشتقة من الفعل زوى أي جمع لأن فيها تجمع الضيوف والفقراء وطلبة العلم ويجمع المال لها بالطرق المشروعة لتمويلها وتسيير نظمها.¹

والزوايا تطلق على فئة معينة من الطلبة التي تنعت نفسها بكلمة ازوى التي يرجعها الشيخ محمد الماضي إلى الكلمة العربية الفصحى زاوية التي جمعها الزوايا ويسمون هكذا كما يرى صاحب كتاب البادية لأنهم انزلوا في التدريس وبقوا في زاوية على الهامش فهم انزوا إلى ركن أو زاوية،² وفي ذلك للتزود بتقوى الله قال تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٣﴾.

فكلمة زاوية مشتقة من الفعل إزوى ينزوي بمعنى اتخذ ركنًا من أركان المسجد للاعتكاف والعبادة والكلمة مأخوذة من الفعل زوى عنه شره طواه⁴ وزاوية البيت ركنه والجمع زوايا ونقول زوى فلان المال عن ورائه زيا وزوى عني الله الشر اي صرفه عني وجاء في الحديث النبوي الشريف عن ابي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صل الله عليه وسلم كان إذا أراد السفر أمال براحلته ومد اصبعه وقال: "اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصبحنا بنصح واقبلنا بدمه اللهم زو لنا الأرض وهون علينا السفر اللهم اني اعوذ بك من وعناء السفر وكآبة المنقلب".⁵

والزوايا من البيت والزوايا: الركن.⁶

أما اصطلاحاً: اختلفت التعاريف والمفاهيم للزاوية باختلاف اهدافها ومهامها وأماكن انتشارها لكنها لا تعدو أن تكون مؤسسة دينية اجتماعية تعليمية لها أدوار مختلفة، فقد عرفها المغاربة على أنها مؤسسة دينية اجتماعية علمية تحتوي مجموعة من البيوت على مكان مخصص للصلاة وضريح لأحد الاولياء ومكان لإيواء الطلبة وعابري السبيل.⁷

¹ - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج1، ص315.

² - محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، الرباط، 2006، ص 127.

³ - سورة البقرة، الآية 197.

⁴ - العقي مؤيد صلاح، المرجع السابق، ص 301.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب 730 - 811، ج6، المكتبة التوقيفية، ص130.

⁶ - معجم المنجد في اللغة والاعلام، ط43، دار المشرق 2008، ص312.

⁷ - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص 35.

وهي تعني ناحية أو ركن في المسجد كان يجلس عندها احد الشيوخ عند إلقاء الدروس على طلبته ومريديه فعرف المكان بالزوايا مثل مكان دروس الامام الشافعي بالزاوية التي كان يدرس فيها الفقه،¹ والزاوية تعرف باسم مؤسسها كما أنها تخصص لاستقبال الطلبة والمريدين لتحفيظ القرآن وتعليم العلوم الشرعية كالفقه والتفسير والحديث كما يجتمع بها المريدون للذكر وقراءة الأوراد²، ويشار إلى مصطلح الزاوية تلك الصدقات الجارية التي تقدم لشخص في حياته وبعد وفاته من خلال نص موثوق ومحدد ليتنفع بها عامة الناس ويجبس لها مجموعة من الأملاك ويشرف عليها الشخص المؤسس ذاته في حياته وبعد وفاته يتعاقب عليها مقدمين على التوالي.³

والزاوية هي مركز اشعاع حضاري ومكان تنظيم وتربية فالزاوية هي الرافد العلمي والثقافي في منطقة توات وهي مركز اشعاع للحياة الدينية والفكرية والعلمية،⁴ وسميت الزاوية في كتب اللغة لأن مؤسسها الزوايا هم الصوفيين والمرابطون الذين اختاروا الانزواء والانعزال عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكينة من أجل التأمل والتدبر والرياضة الروحية.⁵

وفي مفهوم الزوايا هناك ابيات شعرية فالها الشيخ مُجَّد باي بلعلم حيث يقول:

كدير أو صومعة في المبنى	أما الزوايا فهي ركن يبنى
ينمى لما خص بالاولياء	وفي شمال القارة السمراء
مدرسة وغرفا لها تبع	وقيل اسم لبناء قد جمع
وهي للضيوف ايضا مأوى	فيجد الطالب فيها مثوى
ومنزل للضيف دون مين	فهي على الجملة دار الدين

¹ - بن سويسي مُجَّد، أسس التخطيط العمراني كإحدى مقومات الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص111.

² - من تنظيم ولاية ادرار: البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، ملتقى وطني ادرار يومي 15-16 ديسمبر 2012، الموافق ل 1-2 صفر 1434، ص 1.

³ - العيد شبيتي، مدن وثقافة ادرار جوهرة الجنوب، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ادرار، 2007، ص4.

⁴ - مُجَّد الصالح حوتية، توات والازواد، ج1، المرجع السابق، ص233.

⁵ - العقي مؤيد صلاح، المرجع السابق، ص 301.

وهي في الشرق تسمى بالرباط	وكل منشأ يعد للنشاط
وعرفت في صدر ثامن القرون	بأنها المسجد والحرز المصون
فيها المرافق لكل طالب	وهي الحماية لكل هارب
فهي دار الصلح والملائمة	وهي دار الخير والمسالمة ¹

فالزاوية أو المدرسة أو الرباط أو الخانقاه أو النكية..... أسماء ومصطلحات لمنازة العلم ومعاقله التي انتشرت في العالم الإسلامي في مراحل مختلفة وكان لها دور كبير في نشر العلوم على مختلف أنواعها وأخذت ادوارا عسكرية وعلمية واجتماعية فالرباط كان في الأصل بيتا للمجاهدين ولكن الصوفيين استعملوه بمعنى الخانقاه على اساس انهم كانوا يخوضون جهادا روحيا فاربطت القدس على سبيل المثال لم تكن تخوض جهادا عسكريا بعد رحيل الصليبيين بل كانت توفر اماكن اقامة الحجاج والزوار كما انها توفر لهم التعليم الديني والغذاء الروحي ويتحولون إلى جنودا مجاهدين اذا دعت الضرورة وكذلك في مكة والمدينة وبلاد الشام وكانت لأتباع مذهب فقهي معين كرباط المالكية أو الحنابلة.... يأوون اليها ويتعلمون فيها ويؤمن لهم فيها المأكل والمشرب والمأوى وغير ذلك من حاجياتهم.²

فالزاوية مما سبق يتضح انها ركن ركين ومهم في الحياة الثقافية في منطقة توات فهي لا تخلوا منها قرية صغيرة كانت أو كبيرة انتدب لها سكان قري توات معلمون يعلمون صبيانهم اجديات القراءة والكتابة حتى إذا ما اتقنوها تحولوا للزاوية وهي مراكز علمية أكبر يتعلم فيها الفرد مزيدا من العلوم الدينية والفقهية، حافظت هذه الزوايا على هوية الامة والمجتمع ووقفت صامدة امام الترسانة الهائلة المادية والثقافية الفرنسية الهادفة إلى مسح مكونات الشخصية الوطنية من خلال الوقوف في وجه التعليم الفرنسي الغربي والحملة التنصيرية الهمجية على الشعب الجزائري.

¹ - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 340.

² - ابراهيم باحيس عبد الحميد، الزوايا والمدارس القرآنية واثرها في هوية الأمة، أعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، 6-7 جمادى الأولى 1434/17-18 ابريل 2018، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2013، ص 194.

نشأة الزوايا: قام بعض الخلفاء ببناء بيوت ملاصقة للجوامع خصصت للذكر والعبادة والتأمل والخلوة الروحية وأطلقوا على تلك البيوت الخانقاه¹ وهي التي تعرف عندنا بالغرب الإسلامي بالزاوية وقد سميت بالرباط² وسمية كذلك عند السلاجقة ب النكية والدركاه والاستانة وجميعها الفاظ كانت تطلق على التعريف الديني للمصطلح.³

وقد كثر اقبال الناس على تلك البيوت وعرفت بمرور الوقت تطورا كبيرا فانفصلت عن المساجد وأصبحت قائمة بذاتها تستقبل الطلاب وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتدرّس العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث والتوحيد والعلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة كما تقدم الطعام للطلبة وتوفر لهم الإقامة مجانا وما إن حل القرن الثامن عشر حتى عرفت الزوايا انتشارا أكثر وأصبحت مؤسسات تعليمية وتربوية شهر على تربية المریدین وتعليمهم كما تعمل على نشر وتعليم مبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي الصحيح بين افراد المجتمع وبث مكارم الاخلاق ومحاربة الجهل والأمية والفساد التي أدت إلى تدهور المسلمين وانحطاطهم وتخلفهم مما أدى إلى اختلال التوازن بين الشرق والغرب.⁴

الزوايا في المغرب الإسلامي: نشأ نظام الزوايا بالمغرب الإسلامي بين القرن الخامس الهجري كدار الكرامة في عهد يعقوب المنصور الموحيدي (1184-1199م) ودار الضيوف في عهد أبي عنان المريني الذي أطلقها على الزاوية التي بناها خارج مدينة فاس في القرن 14 وزاوية ابن مرزوق التلمساني والزاوية الثعالبية في الجزائر والزاوية المالارية في قسنطينة والسنوسية بتلمسان.⁵

وبمجيء الأتراك العثمانيين إلى الجزائر عرفت الزوايا انتشارا كبيرا في كل مناطق التراب الوطني شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حيث عاش معظم المتصوفة يثبتون عقائدهم ويلقنون اتباعهم الاذكار والأوردة

¹ - يطلق الخانقاه على الزاوية في المشرق الإسلامي وهو لفظ اعجمي جمعه خانقاه او خانقوات او خواق وقيل لفظ خانكة مأخوذة من الكلمة الفارسية خانكاه وهي لفظة مركبة من مقطعين (خانة+ كاه) والتي عربت إلى خانقاه بما محل اجتماع الدواوين او تعني البيت، انظر عاصم مُجّد رزق، خانقوات الصوفية في مصر، العصرين الايوبي والمملوكي ج1، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة 1998، ص 22.

² - رباط، يربط بمعنى اقام ولازم المكان ويقال ربط الشيء وشده ويشمل معنى الاحاطة به وكذلك الإقامة المستمرة، انظر ك جلول ناجي: الرباطات البحرية السلسلة التاريخية، عدد 09، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1999، ص 15.

³ - مُجّد حمدان، النكايا والزوايا في تركيا، الطبعة الاولى مكتبة الثقافية الدينية القاهرة، 2012، ص 47.

⁴ - صلاح مؤيد العقي، المرجع السابق، ص 301 - 302.

⁵ - نجاح المقاسبي، المعاهدة والمؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي، المؤرخ الغربي، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد 19، بغداد، 1981، ص 185.

مثل زاوية عبد الرحمان الثعالبي وزاوية الشيخ ابي عامر في البويرة وزاوية الحملاوي بميلة وزاوية الشيخ الحفناوي بقلمة وزاوية الهامل ببوسعادة وزاوية الاخضري ببسكرة وفي منطقة توات زاوية بوعلي وزاوية الشيخ بلكبير وزاوية سيدي عبد القادر وزاوية البكري وزاوية مولاي هيبة.....الخ.¹

وأما في العصر المريني اشتهر امراء الدولة بحبهم للعلم والتعلم فبنو الزوايا وشيدوها كما لقيت اهتماما كبيرا من طرف الحفصيين والزيايين خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري الموافق ل الثالث عشر ميلادي مثل زاوية يعقوب بن عمران اليوسفي (717هـ-1317م) والزوايا الحسناوية بتلمسان التي بناها السلطان ابو سعيد عثمان الزباني (1282م-1305م).²

وكانت تعرف الزوايا في بلاد المغرب الإسلامي بدار الكرامة ثم دار الضيوف ثم تكاثرت الزوايا مما أدى بأمراء بني مرين إلى بناء المؤسسات التعليمية بجانب هذه المؤسسات كما عرف نوع آخر بالجزائر لا هي بزوايا ولا هي برباط تعرف ب (العمرة) وهي عبارة عن معاهد لها احباس وقوانين داخلية تعمل على تعليم القرآن والعلوم الاخرى ساهمت في تأسيسها الجاليات الاندلسية التي لجأت إلى منطقة بني يعلي وبني وغليس بالقبائل الكبرى بعد سقوط غرناطة.³

وقد اشتهر المغرب الاوسط بزواياه ولاسيما عاصمة الزيايين التي اشتهرت بزواياها وأضرحتها ومشاهدها مثل زاوية سيدي ابي مدين بالعباد التي كانت تهتم بالتعليم واستقبال الضيوف ولها احباس من بساتين وضياع وزاوية سيدي السنوسي وزاوية سيدي الحلوى وزاوية احمد الغماري وزاوية عين الحوت.⁴

الزوايا في الجزائر: انتشرت الزوايا في الجزائر ووجدت اقبالا وتجاوبا كمؤسسات روحية دينية اجتماعية من المجتمع ما وجده الفتح إسلامي للمنطقة واقدم رباط انشأته الطرق الصوفية في الجزائر هو رباط بوتة المعروف برباط مروان البوني الذي اسسه الفقيه ابو عبد الملك الأندلسي (ت 440هـ-

¹ - أحمد لعربي، بلبالي عبد الكريم، الزوايا والتصوف ودورها في معركتي التحرير والتعمير، اعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية، المرجع السابق، ص 311 - 312.

² - احمد مولود ولديده، الصحراء الكبرى مدن وقصور، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 51.

³ - عبد الله بابا، المرجع السابق (ماجستير)، ص 37.

⁴ - بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 77.

1048م) وزاوية عبد السلام التونسي (ت 589هـ/1193م) في تلمسان وزاوية الفقيه الولي الصالح أبي زكرياء الزواوي (ت 611هـ) خارج مدينة بجاية وزاوية أبي بيكي البجائي وزاوية ملارة بقسنطينة وزاوية سيدي الحلوى بتلمسان.¹

وقد كانت هذه الزوايا في البداية رباطات للجهاد سرعان ما تحولت إلى مراكز للتعليم والعبادة ثم مقاما أو ضريحا أو مزارا لاحد المرابطين مثل الشيخ مُجَّد بن أبي القاسم الهاملي والشيخ مُجَّد المرسوم وكانت الزاوية مؤسسة للعبادة ومدرسة للتعليم وملجأ للهاربين ومأوى للغرباء ومركزا للفقراء وقد فقدت الزاوية بعض بريقها في المدن نظرا لوضع الاستعمار ايديه على الاوقاف التي كانت تتغذى منها وجعل بعضها ثكنات أو مخازن مثل زاوية القشقاش والجامع الكبير وزاوية الشرفة وزاوية الاندلس وهي زوايا للتعلم واقامة الطلبة وتضم مكاتب للكتب وزوايا الارياف التي كانت رباطات للجهاد سيما الناحية الغربية والجنوبية ومنطقة الاوراس واخرى تواصل رسالة التعليم في طولقة وزواوة والهامل وقصر البخاري وأولاد جلال وأولاد الاكراد والوادي ومنها ايضا زاوية قرومة بالاخضرية وزاوية البراكنة في شرشال وزاوية القيطنة بمعسكر وزاوية مجاجة في الشلف.²

وبقي التعليم منتشرا بجميع مستوياته في المساجد والزوايا والمدارس التي اخذت تنتشر فيها حلق الدرس يؤطرها شيوخ مشهودون وهو المنبع الذي ظل يغذي اجيال المتعلمين المسلمين بثقافة تقليدية ولكنها تحتوي على شرارات كامنة في انتظار الفرصة.³

وقد كانت الزوايا هي المؤسسات القائمة بالتعليم والتربية في الجزائر لذلك عمل الاستعمار على تدجينها أو هدمها أو محاربتها ومع تقادم الزمن وبتعاون من المخلصين لهذا الوطن ادرك الشعب أنه لاغنى له عن هذه المؤسسات فأرسل ابناؤه للنهل من زادها والتربية على اسس ومفاهيم الهوية الوطنية الجزائرية.⁴

¹ - بن سويسي مُجَّد، المرجع السابق، ص 119.

² - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص ص 170، 172.

³ - مُجَّد باي بلعالم، المرجع السابق، ج2، ص 204.

⁴ - عطية شطة، دور الزوايا والمدارس القرآنية في المحافظة على مقومات الهوية الوطنية اعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية، المرجع السابق، ج1، ص ص 3889-390.

وكانت بعض المصادر القديمة قد ارجعت ظهور الزوايا في الجزائر إلى اواخر القرن السادس هجري مثل زاوية ابي زكرياء يحيى الزاوي (611هـ-1215م) وزاوية ابي حجلة عبد الواحد في تلمسان التي تميزت من الناحية المعمارية ببساطة بنائها بالإضافة إلى انها كانت ملحقة بمسجد يقوم صاحبها بالتعبد والحلوة بمفرده ويبدو انها كانت اقرب إلى الرابطة منها إلى الزاوية.¹

الزوايا في منطقة توات: كاد يكون هذا المصطلح وهذا الصرح العلمي الديني مرتبط باسم منطقة توات وهو جزء لا يتجزأ منها كما يقول الشيخ محمد باي بلعالم أن توات هي الزاوية والزاوية هي توات حتى انك تجد اسم الزاوية قد اطلق على الكثير من البلدات والقرى في منطقة توات ففي بلدية اولف زاوية حينون وفي تمقطن زاوية ابي الانوار وفي رقان زاوية الشيخ مولاي عبد الله الرقاني وبلدية سالي زاوية الحشف وزاوية بلال في انجزمير وزاوية كنتة في بلدية زاوية كنتة وزاوية محمد بن عبد الكريم المغيلي وزاوية سيدي علي بن حنيني في زاجلو وزاوية سيدي عبد القادر في فنوغيل وزاوية الشيخ البكري في تيمي وزاوية مهدي في ادرار زاوية سيدي سليمان بن علي وزاوية سيدي احمد بن يوسف وزاوية الشيخ بن عومر في بودة وزاوية سيدي حيدة وزاوية سيدي بلقاسم في جرامة وزاوية الدباغ فهذه كلها عبارة عن قرى اطلق عليها وتعرف باسم الزاوية وبالجملة فان توات كلها زاوية تفيض بالجود والكرم والعلم ومقابر العلماء والصالحين.²

نشأة الزوايا في منطقة توات: تؤكد أغلب الروايات إلى أن الظهور الأول للزوايا في منطقة توات يعود إلى الزاوية التي أسسها الشيخ مولاي سليمان بن علي الادريسي³ (ت 670هـ/1271م) الذي نزل بقصر أولاد وشن سنة 595هـ/1199م، حيث اسس زاويته التي اصبحت مقصدا للطلاب

¹ - بن سويسي محمد، المرجع السابق، ص 120.

² - محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص ص 343، 344.

³ - مولاي سليمان بن علي: هو الشيخ سيدي سليمان بن مولاي علي الشريف دفن أولاد وشن اتى إلى المنطقة بامر من شيخه سيدي علي بن حزمه دفن فاس الذي امره أن انطلق إلى بلدة أهلها كلهم عباد الله وهو قطر توات وخرج من غزوان سنة 580هـ ووصل إلى عريان الراس واستقبله اهل توات وضيّفوه ونزل في بن طلحة ومنها لقصر الملح ومنها لقصر العوينات ومنه اطلق سبع كان معه فاصبحت تسمى هذا المنطقة باسم ومنه إلى قصر مقصود ومنه إلى تينلان في 581هـ ومنها إلى تيمي في منطقة توات وأولاد عمور وبقي بأولاد عمور إلى سنة 593هـ وتزوج بنت الشيخ عمر وبقي مولاي سليمان بأولاد وشن تاتيه الوفود من كل الجهات إلى أن جاءه اهل تمنطيط وتوسط لأهل توات في قضية العشور من المخزن وتوفي سنة 670هـ وله كرامات كثيرة. انظر: التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ص 89-93.

من كل مكان وملجأ للفقراء وعابري السبيل ومنذ ذلك الوقت بدأت الزوايا في الانتشار في هذا القطر مثل زاوية الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي¹ وهناك بعض الروايات من تقول أن الزوايا دخلت المنطقة في وقت مبكر من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ويستندون في ذلك إلى زاوية حينون في أولف² والتي شيد مسجدها سنة 164هـ/780م.³

وزاوية الشيخ مولاي سليمان بن علي الادريسي كان مقرها بأولاد ونقال احدى قصور تيمي ويعتبر مؤسس الزاوية من العلماء العاملين الذين اثروا الدعوة والتعليم في الصحراء الشاسعة بالرغم من رغد العيش الذي كان يتمتع به اهتم بالتعليم والدعوة والتف الناس حوله ضمت هذه الزاوية مكتبة ضمت عديد الكتب من المواد العقلية والنقلية واشتهرت أكثر بعد وفاة مؤسسها نظرا لفضاءات مريديها ولأنها كانت وسط الصحراء طريق الحجيج وتحول دورها من التعليمي إلى الدور الاجتماعي نظرا لوجود زوايا اخرى كانت تهتم بهذا المجال⁴ وبها خزانة توجد بها مخطوطات قديمة وبها اقدم مخطوط للقرآن الكريم واقدم نسخة منه ترجع إلى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وتزيد مخطوطاتها عن 200 مخطوط اشتملت على مجموعة متنوعة من الميادين من بين هذه المخطوطات: ادوية: لعبد الرحمان بن مُجَّد بن مسعود الفارسي، تحفة الأحاباب في هيئات النبات والاعشاب، الطرائف والتلائد: سيدي المختار الكنتي، غاية الاماني في اجوبة ابي زيد التنلاقي، نقل الروات في من ابداع فصور توات: مُجَّد بن عومر بن مُجَّد البوداوي، شرح العبقري: مُجَّد بن اب المزمرى، نقل المراد في كيفية عقد الوان المزاد: ل الصافي بن البركة، قصيدة في مدح الرسول (ص) ل مُجَّد البكري. وهذه الزاوية متواجدة لحد الآن في قصر أولاد وشن وتقام لها الزيارة في 16 ماي من كل سنة.⁵

¹ - مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي: هو مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي من قرية المغيلة بتلمسان ويرجع نسب اجداده إلى الحسن المثنى سبط الرسول (ص) واختلف المؤرخون في ميلاده غير ان ارجح الروايات ما ذكره العلامة ابن القاضي في تاريخ الوفيات وهو (820هـ/1417م) واتفق على وفاته فقد كانت سنة (909هـ/1503م). انظر: عبد الحميد البكري: المرجع السابق، ص ص 70-71.

² - زاوية حينون: هي قرية من قرى بلدية أولف. انظر: مُجَّد باي بلعالم، المرجع السابق، ج 1، ص 66.

³ - مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، المرجع السابق، ص 235.

⁴ - احمد الحمدي، المرجع السابق، ص ص 60-61.

⁵ - ادريس بن خويا، البعد العلمي والاجتماعي بزاوية الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي بأدرار، أعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، 06-07 جمادي الثاني 1434 الموافق ل 17-18 افريل 2013 بالبيزي، ج 1، دار الكتاب العربي الجزائر، 2013، ص ص 326 - 344.

أنواعها: لا تكاد تخلوا منطقة من مناطق توات الكبرى إلا وتجذب بها زاوية نتيجة وصول نخبة من العلماء والشيوخ والأولياء الصالحين الذين كان لهم الفضل في تنشيط الحركة الثقافية بالمنطقة، ارتبط بعضها بأسماء شيوخها وبقي اشعاعها حاضرا لفترات زمنية طويلة جدا اختلفت مهامها وأدوارها من التعليم والتربية إلى لعب ادوار اجتماعية وحتى جهادية ضد المستعمر الغازي.

- **الوظيفة الدينية:** تعتبر من أهم المهام للزوايا التي لعبت دورا محوريا في حفظ ونشر الدين الإسلامي وربط المجتمع بدينه بأحكام كشكل من أشكال القيم المنهجية.¹

- **الوظائف الاجتماعية:** تعدى دور الزوايا إلى القيام بوظائف اجتماعية متنوعة اضافة إلى دورها التعليمي التربوي مثل إكرام الضيف والزوار، مساعدة الفقراء والمساكين، مساعدة المنكوبين وأبناء السبيل، تنمية روح الاتحاد والمحبة والإخوة والتعاون والصلح بين الناس.²

- **الوظيفة التعليمية والتربوية:** كانت الزوايا دورها الأول المجال التربوي التعليمي: ساهمت الزوايا في نشر العلم والمعرفة ونشر ثقافة التسامح والتعايش السلمي وأسهمت في نشر المعرفة فأسست في كل منطقة زاوية عرفت باسم شيخها وذلك بغرض تعديل السلوك وتهذيب المجتمع بالقيم القرآنية مما ينعكس على تصرفهم اليومي كما أن التربية اخذت حلقها في النظام الداخلي الذي يسير الزوايا فالطالب في الزاوية يلتزم بالآداب والأخلاق الواجبة في طالب العلم مضبوطة بمجموعة من القوانين الصارمة كاحترام الوقت وأداء الفروض في اوقاتها وغرس قيم العمل الجماعي والتطوعي.³

- **الوظيفة الجهادية:** اخذت الزوايا على عاتقها تزعم المقاومة الثقافية والفكرية في وجه السياسة الاستعمارية الفرنسية ومن امثلة ذلك ممن قدموا إلى توات ووجدوا الترحيب: مُحَمَّد بن عبد الله خلفية الامير عبد القادر على تلمسان كما ان الشيخ بوعمامة عندما حوَصر في منطقة الجنوب الوهراني وجد السند والدعم في منطقة توات واحتمى بسكان واحة دلدول وأسس زاوية له كما أن الحاج مهدي باجودة مقدم الطريقة السنوسية كان على اتصال بالشيخ بوعمامة كما ان سكان اولف لما علموا

¹ - أسماء بن شيخي: لعلي توميش، الزوايا والطرق الصوفية ودورها في ارساء معالم التربية الروحية، اعمال الملتقى الزوايا والطرق الصوفية والمدارس القرآنية، ج1، ط1، دار الكتاب العربية، 2013، ص 12.

² - ادريس بن خويا، البعد العلمي والاجتماعي بزاوية الشيخ سيدي مولاى سليمان بن علي بأدرار، المرجع السابق، ص 337.

³ - عبد القادر بقادر، انتشار الزوايا والطرق الصوفية ودورها التعليمي في توات وافريقيا، اعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية، المرجع السابق، ص ص 149 - 163.

بسقوط عين صالح اعدو العدة بقيادة الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس احد أبناء الزاوية الرقانية والأمثلة كثيرة على الدور الجهادي للزوايا.¹

اختلفت وظائف الزوايا لكنها كانت واحدة في الهدف تتنوع الادوار بتنوع اهتمامات ونشاطات المجتمع التواتي عن الادوار التعليمية التربوية الاجتماعية الجهادية لكن دائما وظيفة الزاوية ظلت محورا تدور حوله كل اهتمامات الانسان التواتي الذي وجد فيها كل ما يحتاجه سواء كان ماديا أو معنويا وعموما يمكن حصر الزوايا في منطقة توات في نوعين من الزوايا:

أنواعها: هناك عدة تصنيفات للزوايا هناك من صنفها من حيث الدور أو الوظيفة، ومن حيث التأسيس ويصنف مُجد نسيب الزوايا في الجزائر إلى ثلاث أنواع هي:

1- **زوايا المشايخ:** وهي ملكية خاصة للشيخ وعائلته وعادة ما يكون الشيخ صاحب طريقة صوفية يعطي الاوراد للمريدين وتمول من قبل المريدين ومن اشهرها زاوية الهامل ببوسعادة وزاوية الحملاوي بثلاغمة.

2- **زوايا المرابطين:** وتكون هذه الزوايا ملكية جماعية تسير من قبل عائلات المرابطين المنتمين إلى المؤسس الأول وهي محبوسة على طلبة العلم وانباء السبيل ولا يحق لأصحاب الزاوية أن يأخذوا شيئا من أموال الزاوية كما أن هذا النوع من الزوايا لا يتبع طريقة صوفية وليس له مريدين مثال زاوية مُجد واعلي بتيزي وزو.

3- **زوايا الطلبة:** يتمتع طلبتها بالاستقلال في تسيير شؤون الزاوية داخليا وخارجيا ولا ترتبط بشيخ أو طريقة وهذا النوع قليل الانتشار مثل زاوية سيدي عبد الرحمان البلولي بتيزي وزو.²

أما الزوايا في منطقة توات فقد قسمت إلى نوعين حسب وظيفتها وهي:

زوايا مخصصة الاطعام: اهتم كثير من الزوايا بالأعمال الخيرية والاعتناء بعابري السبيل فاعتبرت بذلك مرفأ للراحة والأمان ومطلبا للسلامة³ فكان يقصدها الغرباء والتجار والحجيج للراحة وتناول

¹ - مبارك صغيري، المرجع السابق، ص 237 - 239.

² - مُجد شيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، ب- س، ص 31.

³ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 61.

الطعام وفد فرضت طبيعة المنطقة هذا النوع من الزوايا بسبب انتشار القصور وبعد المسافات وازدهار التجارة كما أن بعض القصور التواتية في بداية نشأتها كانت زوايا للإطعام وتطورت إلى قصر بجميع مرافقة اما القصور التي لم تكن بها زوايا فقد كان فيها نظام اطعام الضيوف.¹ وكما يقول الشيخ احمد الطاهري الادريسي: "ولها احباس على اطعام الطعام للاضياف فإن المسافر يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج اليه حتى علف الدابة فإن لم تكن به زاوية فإن عادة اهل القصر كل واحدة له نوبة ولو اقام الضيف بالزاوية الأيام الكثيرة فإن ضيافته تبقى مستمرة إلى حين ترحاله.... وما أكثر الأوقاف في ذلك القطر العزيز المبارك وما أكثر الأوقاف على المساجد والأئمة والمؤذنين معلمي القرآن الكريم وطلبة العلم والقرآن".²

ومن الأمثلة على زوايا الضيافة: زاوية الشيخ عبد القادر بن عومر ببنوغيل وزاوية الشيخ علي بن حنيني بزاجلو وزاوية سيدي عبد الله بن طمطم بمنطقة اوقروت التي ذكرها العياشي في رحلته بقوله " وقد اثنى أصحابنا عنه كثيرا وإنه من اهل الخير والدين يطعم الواردين عليه في بلاد كاد أن يكون الطعام فيها دواء " كما كانت ملاذا للفقراء واليتامى يشغلون في اوقافها ويتنفعون من حبوسها.³

زوايا العلم والتدريس: عملت الزوايا على تحفيظ القرآن الكريم للطلبة الصغار والكبار في المدن والارياف، وتدريس دروس اللغة العربية ونشر الثقافة العربية الإسلامية⁴ وخير مثال على ذلك الدور الذي واصلت عليه الزاوية البكرية في تمنطيط التي واصلت دورها التعليمي التربوي بالرغم من الرقابة الاستعمارية ومن بين الشيوخ الذين تخرجوا منها الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير الذي فتح مدرسة وزاوية جديدة في منطقة ادرار سنة 1950م والتي توافد الطلبة عليها من كل حذب وصبوب.⁵

¹ - مريم بخدا، اعلام العائلة الثنلانية ودورهم العلمي باقليم توات خلال القرنين 11-12هـ (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، غير منشورة) جامعة احمد دراية أدرار كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2012، 2013، ص 56.

² - احمد الطاهري الإدريسي، المصدر السابق، ص 60.

³ - مبارك جعفري، مقالات وأبحاث، المرجع السابق، ص 122.

⁴ - بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 261.

⁵ - مبارك جعفري، الزوايا في منطقة توات ودورها في المحافظة على الهوية الوطنية ومقاومة الاستعمار الفرنسي، ملتقى حول البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، المرجع السابق، ص 124.

هذه الزوايا التي كان لها دور كبير في الحركة العلمية بتوات وساهمت في تنشيطها خلال القرن الثاني عشر حيث ولدت مراكز اشعاع علمي وحضاري، كان يقصدها الطلبة من كل مكان لتلقي العلم إلى جانب توفر الاطعام والمبيت للوافدين وذلك بفضل الاوقاف والحبوس التي حازت عليها ولقد تم تأسيس العديد منها خلال هذه الفترة والتي كانت موجودة فقد واصلت دورها التعليمي والتربوي.¹

وللزوايا دور كبير في المجتمع حيث تعمل على تخريج العلماء والفقهاء والدعاة والمجاهدين من أجل تحرير الأرض وصيانة القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة ونشر الحب والسلام ومقاومة الظلم والعداوة ولقد قال فيها الاستاذ مُجَّد المامون مصطفى القاسمي الحسيني: « ان رسالة الزوايا انها رسالة حضارية ارتبط بها تاريخ الجزائر العلمي والثقافي ارتباطا وثيقا فلم يقتصر دورها على التربية والتعليم بل كانت وظائفها اشمل وأعمالها اعم وأوسع فهي معقل تربية وجهاد ومعهد علم وعمل وموطن تلاوة وذكر ومجلس اصلاح وقضاء ومكان رأي ومشورة وملتقى تعاون وتضامن وتكافل.....»².

ويقول الأستاذ مُجَّد الطاهر فضلاء: «إن جذور النهضة الوطنية وبعدها الحركات الوطنية تضرب في اعماق هذا الوطن من خلال هذا التعليم الديني في الزوايا والمدارس والمساجد ولولا هذا التعليم ورجاله وطلابه ولولا الهالات التي كانت تخيم في سماء هذا الوطن من هذا التعليم الديني ومعاهده لزادت غربة هذا الدين وحشية بين ابنائهم وكان بعد أهله عنه أكثر ذوبانا وانحيارا وهو يجابه تلك الظروف القاسية المسلحة بروح الصليبية الحاقدة والعلمانية المتهافئة والمتبرجة في ثياب الاغراء والفتنة وحفظوا لهذا الوطن دينه ولغته»³.

ويقول الأستاذ مُجَّد: تسبب في مقال نشر في جريدة العصر حول زاوية الهامل يقول: «فلو بقيت الزوايا العلمية والمعاهد الإسلامية تؤدي رسالتها التعليمية والتربوية والدينية والاجتماعية لما رأينا الأفكار الهدامة التي تدعو لفصل الدين عن الدولة ومن يدعو إلى حصد الإسلام بين جدران المساجد وإغلاق أبوابها عليها وسد نوافذها حتى لا يسمع صوتها ولما عشعشت هذه الأفكار في عقول ابنائنا»⁴.

¹ - مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، المرجع السابق.

² - عبد الله رزقي، واقع الزوايا في إقليم توات بين مقتضيات الاصلاح ومتطلبات الرسالة، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 11، منشورات كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، مكتبة رشاد للطباعة والنشر، الجزائر، ص 213.

³ - التهامي غيتاوي، الدرر النفيسة، المرجع السابق، ص 41.

⁴ - التهامي غيتاوي، نفسه، ص 43.

وهكذا فإن الزوايا في منطقة توات كانت التعليم يعد الوظيفة الأساسية للزاوية اي يلتحق بها الطلبة لتلقى العلم بشكل مجاني إلى جانب توفير المأكل والمأوى وهكذا دوما كانت تتفرع زوايا فرعية من الزاوية الام ومناهجهم في التدريس الكتاب والسنة وحافظت على وحدة الطريقة والمذهب المالكي والعقيدة الاشعرية وطريقة الجنيد السالك.¹

ومن الأدوار الجليلة الايجابية التي اضطلعت بها الزوايا انما ملأت الفراغ الروحي والثقافي وحتى السياسي وشكلت سلطة لها ايدولوجية معينة اصبحت تخشاه السلطة القائمة فبالإضافة إلى التربية والتوجيه الديني والتعليم والإرشاد اصبحت الزوايا تشكل سلطة حقيقية وتقوم بمهمة الحاكم والقاضي وتقدم المعونة للفقراء والمساكين والمحترجين والعجزة وتوفير الحماية للمضطهدين وتأوي اللاجئين.²

اضطرت الزوايا السكان للحفاظ على مصالحها ضد الاترك ثم الفرنسيين وترعمت الجهاد فصيحة جهاد واحدة تكفي جماع السكان حول مرابط كما قاومت التنصير وحصنت المجتمع امام الحملة الصليبية الائمة ضد الإسلام الذي استعلت فيه فقر الشعب الجزائري فكان المبشر يحمل الصليب في يد ويمنح الخبز بيد أخرى.³

زاوية الشيخ أبي يحيى المتباري: تأسست في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. مركزها بتمنيط، لها دور كبير في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي، ودعت إلى التسامح والرأفة بين مختلف شرائح المجتمع وحتى مع اهل الذمة، ويعتبر مقدم الزاوية في وقته عبد الله بن ابي بكر العصنوتي أكثر يمثلون هذا الاتجاه ونشرت افكارها داخل منطقة توات وخارجها.

وفي عهد ابي بكر العصنوتي اصبحت هذه الزاوية نفوذا قويا على الجهات الغربية من منطقة توات وتمكنت بذلك من السيطرة على اهم المدن التواتية غير انما جنحت للعزلة في عهد الشيخ سالم بن محمد بن ابي بكر العصنوتي كما ان لها مكتبة كبيرة من الكتب المتنوعة وواقف عديدة.⁴

¹ - مبارك جعفري، مقالات وابحاث، المرجع السابق، ص 116.

² - ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، 2000م، ص 131.

³ - ناصر الدين سعيدوني، نفسه، ص 114.

⁴ - احمد الحمدي، المرجع السابق، ص 62.

زاوية الشيخ سيدي مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي: أسس زاويته المشهورة بقصر بوعلي سنة 855هـ-1480م وشهرته وعمله توافذ عليه الطلبة من كل حذب وصوب وجمعت هذه الزاوية بين المهمتين التعليمية والحربية حيث تزعمت هذه الزاوية الحرب على اليهود في توات وذاع صيتها خارج الوطن في السودان والمغرب والمشرق الإسلامي وكان الشيخ المغيلي يحرص على الاخوة الإسلامية واقامة نظام إسلامي موجد منبعه الشريعة الإسلامية.¹

وكانت هذه الطريقة على النهج الطريقة القادرية فكان لها نفوذها كبير على التكرور والسودان الغربي وكان لها العديد من الأحباس والافاق والبساتين كما تمتلك نصيبا كبيرا من مياه الفقافير عمل على يدى هذه الزاوية على تنمية املاكها ونشر افكارها وتعاليمها.²

زاوية سيدي البكري بن عبد الكريم هو الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن المُجَّد المنتهي نسبه إلى سيدنا علي كرم الله وجهه ولد بتمنيط في 12 رمضان 1042هـ الموافق ل 23 مارس 1633 توفي والده بعد 40 يوما من ولادته سماه والده البكري نسبه إلى احد اقطاب الصوفية بمصر يقال له مُجَّد البكري وهذا ما يؤكد الشيخ بن عبد الرحمان التناقي في ارجوزة خطها بيده: «ان الاصل في اسمي واصل كل من يقال له البكري بياء النسب مُجَّد، وسبب ذلك كل من انتسب إلى الدوحة الصديقة البكرية ينسب إلى الدوحة العلية يقال له فلان البكري..... الخ وكان قطب منهم بمصر يقال له سيدي مُجَّد البكري، فتبرك الناس بهذه التسمية وكان الشيخ سيدي عبد الكريم بن المُجَّد والد الشيخ سيدي مُجَّد البكري قد طاف الافطار في طلب العلم ولاسيما قطر مصر فسمي ابنه سيدي مُجَّد البكري....»³، وكان شيخا عالما عارفا مثقفا في علوم شتى قاضي الصحراء وحامل لواء المحجة الغراء اخذ عن شيخه سيدي مُجَّد بن علي النحوي الوجورقي التواتي وعن الشيخ سيدي سعيد قدورة بن ابراهيم الجزائري وعن اخيه الحاج مُجَّد القاضي وله اجازة من شيخ شيوخ الديار المصرية الامام الخرشني واخذ طريقة التقويم عن شيخه الوالي الصالح سيدي مُجَّد بن عمر البداوي.⁴

¹ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 61.

² - احمد الحمدي، المرجع السابق، ص 63.

³ - بابا عبد الله، مرجع السابق، ص 49

⁴ - مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق، ص 119.

وعن سبب سفر سيدي البكري إلى العاصمة هي رسالة بعث بها الشيخ لتلميذه عبد الكريم بن المُجد يطلب فيه ارسال احد ابناءه يطلب العلم عنده قائلا: «ان البحر قد فاض من اراد ان يغترف فليحضر الينا» فتوجه اليه ابنه الاصغر سيدي البكري مع صديقه وعندما وصل العاصمة ارسل إلى الشيخ بوصوله فطلب منه ان يعطيه تسمية اباءه فبعثها اليه فخرج اليه الشيخ ينشد ابياتا شعرية قال فيها:

لو تعلم الدار من قد جاءها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدم

وانشأت بلسان الحال قائلة أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم¹

وقد أسس الشيخ عدة زوايا منها ما هو خارج الوطن كالتي هي بالعراق وتونس وطرابلس الغرب وفي داخل الوطن اسس زاوية بمدينة توقرت والتي اقام بها مدة 30 سنة مشرفا عليها بنفسه ثم عاد بعد ذلك إلى تمنطيط وأسس بها زاويته المشهورة لنشر العلم وإيواء الفقراء والمحافظة على القيم والأخلاق والدعوة إلى التسامح والرحمة بين المسلمين.²

زاوية سيدي عبد القادر: مقر هذه الزاوية فنوغيل كان مقدمها في سنة 1113هـ-1705م

هو الشيخ عبد القادر بن عمر رئيس ركب الحجيج التواتي الذي كان ينضم في الغالب إلى الركب السجلماسي المار بتوات والزاوية تابعة للشيخ سيدي عمر بن عبد القادر بن احمد بن يوسف التلاتي.³

زاوية الشيخ علي بن حنيني⁴: توجد هذه الزاوية بقصر زاجلو المرابطين أسسها الشيخ سيدي

علي بن حنيني الذي كان ورعا في العلم ذاع صيته واشتهر شهرة كبيرة كان منكبا على العلم مخلصا لا يهتمه شيء سوى نشر الثقافة بين طلابه والمحيطين به وقد تتلمذ على يده الكثير من أبناء توات واستمرت هذه الزاوية في البذل والعطاء تؤدي رسالتها العلمية الرائدة⁵، حيث يقول صاحب درة الافلام

¹ - البكري بن عبد الكريم البكري، اعلام الاخوان باخبار بعض السادة الاعيان، خزنة أولاد القاضي البكرية تمنطيط، ادرار، الجزائر.

² - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 62.

³ - تقييد في بعض اخبار توات اعلاما وفوائد، مخطوط خزنة كوسام، مخطوط بدون رقم تصنيف، خزنة الشيخ عبد الله البلبالي، ورقة 24.

⁴ - سيدي علي بن حنيني: كان رحمه الله من تلاميذ الشيخ مُجد بن علي النحوي الوقروي فقد اخذ عنه في الفقه وفنونه واللغة والنحو والصرف وذلك بصحبة صديقه سيد البكري الذي كان تربطه به علاقة وطيدة اسس الشيخ زاويته المشهورة بزاقلوا وتوفي عام 1118هـ انظر:

عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 102.

⁵ - صالح بوسليم، المرجع السابق، ص 106.

«كانت زاوية الشيخ علي بن حنيني في ذلك الوقت من أعظم الزوايا له تسعمائة بعير تنجر له في السودان»¹.

زاوية مولاي هيبية: ويعود تأسيسها إلى ابي الانوار عبد الكريم التناطي² بعد عودته من بلاد التكرور إلى توات بأرض تيديكلت بنى زاويته التي تعرف اليوم بزاوية مولاي هيبية بعد ما اشترى أرض وبساتين من النخيل حبسها وأوقفها مداخلها على الزاوية وكانت زاوية مولاي هيبية مركز اشعاع علمي وثقافي وروحي وكان دورها المحافظة وترسيخ العقيدة الإسلامية وفك النزاعات بين المتخاصمين كما اشتهرت بتقوى شيوخها وورعهم وتقويهم ولكن دورهم اختصر في النهاية على الصلح والضيافة حتى بعد استرجاع السيادة الوطنية.³

وقد عمل ابي الانوار طيلة حياته على وقف امواله للزوايا كزاوية الشيخ عبد القادر الجيلالي في تينلان ومُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي ويقوم باقتناء الكتب ويعيرها للطلاب والفقهاء والقضاة وكان له العديد من الفتاوى في النوازل التواتية بأمواله التي جناها من اشتغاله بتجارة التمر كما اشتغل بمنطقة الازواد إلى جانب تسيير ماله من الماشية والغنم والعييد والابل اشتغل بالتعليم كما أنه اتبع الطريقة القادرية التي تدعو إلى العلم والعمل واهتم بالحياة العلمية وتقرب إلى آل البيت رسول الله (ص) وبعد وفاته اصبح زوج ابنته مولاي هيبية بن مُحَمَّد سنة 1168هـ/1754م وصيا على املاكه ووسع زاوية جده وعمل على تحفيظ القرآن والسنة النبوية وتدريس اللغة العربية ولعبت أدورا اجتماعية مختلفة وعملت على إزالة الفوارق بين الناس.⁴

الزاوية الكنتية: يعود تأسيسها إلى احمد بن مُحَمَّد الرقادي الذي نزل بها بعدما مر على وادي الساورة وقابل بها الشيخ احمد بن موسى سنة 999هـ/1590م وقد اختط زاويته التي اشتراها من أولاد

¹ - مُحَمَّد بن عبد الكريم، درة الاقلام في أخبار الغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة تخطيط، ادار، الجزائر، الورقة 2.

² - سيدي ابي الانوار بن عبد الكريم التناطي: هو الشيخ الفقيه العلامة المفتي كان شديد الشكيمة على اهل البدع صلبا في نسب الحق اخذ طريق السلف مع كثرة ذات اليد وبسط الارزاق اخذ عن السيد مُحَمَّد دين الله التيطافي ثم انتقل لبلاد التكرور فدرس هناك مدة ثم انتقل إلى الصحراء وبنى زاويته بتيديكلت وهي الآن مشهورة باسم زاوية ولد ابنته هيبية الله، انظر غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج 1، المرجع السابق، ص ص 100 - 101.

³ - صالح بوسليم، المرجع السابق، ص ص 167 - 168.

⁴ - مُحَمَّد الصالح حوتية، توات والازواد، ج 1، المرجع السابق، ص ص 239 - 240.

جرير ومن أهل عزي ومن المقاطبة أما وادي مسعود وشمالا وادي عربة وقد اسس مسجدها سنة 1034هـ/1624م.¹

وهي بذلك في موقع تتوسط قصور توات الوسطى حيث كان يجري البحث بين طلبتها في بعض المسائل الفقهية واللغوية المثارة ويحصل التنافس فيما بينهم حولها بل انهم كانوا يألفون فيها التأليف والتصانيف كما كان بهذه الزاوية كتب قيمة جلبت لها من جهات شتى خاصة من المغرب الأقصى.²

زاوية سيدي عمر بن صالح بأقروت: مؤسسها هو الشيخ سيدي عومر بن صالح³ كان من اعلام القرن العاشر الهجري حيث برزت زاويته كمركز اشعاع ثقافي وعلمي كبير بمنطقة اقروت كانت تستقبل الضيوف والطلبة فحاءوا اليها من مختلف الجهات ونزل بها العياشي سنة 1072هـ/1661م ووقع نقاش كبير بين شيخ الزاوية والعياشي في مسائل فقهية من أشهر شيوخها الشيخ مُجَّد بن علي النحوي القروتي⁴، كما تخرج منها الكثير من العلماء منهم الشيخ البكري والشيخ سيدي علي بن حنيني وكان يدرس بها طلبة من خارج الاقليم مثل الاديب عبد الكريم السجلماسي ومُجَّد بن عبد الله ابن عبد الكريم الوطاسي.⁵

الزاوية التينلاتية: أسسها احمد بن يوسف⁶ في القرن 10هـ وكان يسكن بأولاد ونقال ثم انتقل إلى تينلان وعن موقعها جاء في وثيقة جبوس تينلات: «هي طريق المسلك من بلد تينلات القديمة التي

¹ - مُجَّد صالح حوتية، نفسه، ص 242.

² - احمد صالح بوسعيد، المرجع السابق، ص 120، وانظر كذلك احمد الطاهري الادريسي، المصدر السابق، ص 95 - 96.

³ - سيدي عومر بن صالح: هو الفقيه الجليل الشيخ سيدي عومر بن مُجَّد بن صالح مولده ونشأته ووفاته في بلد اقروت تثبت بطلب العلم فمنحه الله العلم والمال اخذ عن سيد مُجَّد بن ابي بكر الودغاني عن سيد موسى بن المسعودي عن سيد احمد بن يوسف الملياني عن سيد عبد الله الخياط له زاوية كبيرة مهيئة للضيوف والطلبة توفي رحمه الله عام 1008هـ، انظر: مُجَّد عبد العزيز سيدي عومر، المرجع السابق، ص 141.

⁴ - مُجَّد بن علي: القاطن باقروت من اود سيدي الحاج ابي سعد اخذ عن الشيخ سيدي عبد الكريم بن احمد التمنطيظ اشتهر بالعلم والورع والتقوى واخذ عنه سيدي علي بن حنيني الزجلوي وكانت زاويته لها صيت كبير في وقتها وكان له تسعمائة بعير تتجر له في بلاد السودان، انظر التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ج 2، المرجع السابق، ص 27.

⁵ - مبارك جعفري، مقالات وأبحاث، المرجع السابق، ص 59.

⁶ - احمد بن يوسف: هو الشيخ احمد بن يوسف بن مُجَّد بن علي ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان ولد سنة 1002هـ بأولاد ونقال ونشأ بها ثم انتقل إلى تيليلان سنة 1058هـ بعدما تم بناء مسجد تينلان المذكور نحت الفقائير وعمر البساتين وجعل ذلك لوجه الله توفي بتينيلان بعد عشرين سنة من دخولها سنة 1078هـ وعمره 76 سنة ودفن بها كان شيخا عالما عاملا ماهرا في علم الحديث وغيره له تأليف عديدة واشعار جيدة، انظر: مُجَّد عبد العزيز سيد عمر، المرجع السابق، ص 79.

منها السبيل إلى بلد تيمي إلى جبل باغبول طولاً وعرضاً من فقارة أهل بلد تينلان إلى حدود فقارة اجدلون»¹، وشرع في بناء زاويته سماها رزق الله الواسع لعباده النافع ونحت الفقاقير وعمر البساتين وهذا الاسم المسماة به الآن إنما سرى لها من قصر قديم كان قربها يسمى تينلات اندثر وتفرقت أهله²، وحول هذه الأرض إلى أراضٍ استقرار وأجرى فيها الحياة ليطعم بها الجائع ويروي بها العطشان وبذلك أصبحت زاوية اطعام يأوي إليها عابر السبيل حيث جاء في وثيقة حبوس تينيلات: «إن الأرض المذكورة ومأوها محرر من جميع الوظائف وصوف المغارم وضروب اللوازم من سلطان وقائد للعرب أو العجم إنما لله تعالى وللدار الآخرة»³.

وأصبحت هذه الزاوية من أهم المراكز العلمية التي ساهمت في نشر العلم والمعرفة في الأراضي التواتية وقد عرفت نشاطاً كثيراً بعد عودة الشيخ عمر بن عبد القادر من فاس حيث عملت هذه الزاوية على الجمع بين وظيفتي العلم والإطعام والإيواء وكان مركزاً للقضاء خلال القرن الحادي عشر الهجري مما جعل الناس يترددون عليها طلباً للفتوى، فقد زارها محمد بن مصطفى الرقادي الكنتي لخصومة بينه وبين رجل وكان التدريس يتم بها عن طريق الحلقات العلمية والشيخ يكون مركزاً لها والطلبة ينقسمون حسب فئاتهم العمرية فالصغار يقومون بحفظ القرآن الكريم والمتون الفقهية وفرائض الوضوء أما الكبار فيدرسون الفقه والحديث.

كان محافظاً على الصلوات الخمس والأوراد ومما أعطى زخماً لهذه الزاوية أن الشيخ كان زواج بين التجارة والعلم وفي آخر حياته تفرغ للعبادة والاعتزال توفي سنة 1168هـ/1754م ومن أهم مؤلفات الشيخ فتاوي كثيرة وبعضها موجود في غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل المعروفة بالغنية البلبالية، كما أنه كان يعود إليه العلماء في الفتوى ومنها رسالة من العلامة بن اب المزمرى وهي عبارة عن أبيات يستفسر فيها عن مدى مشروعية دفع الناس مهماً بعدت بهم المسافة إلى الحلف في المسجد الذي يوجد به مصحف "تينغ بوا" بأقبلي جاء فيها:

الحمد لله الذي قد الهما أول التعظيم شأن العلماء

¹ - احمد بن يوسف، وثيقة حبوس تينيلات، خزنة تينلات ادرار

² - محمد عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 80.

³ - احمد بن يوسف التينلاقي، وثيقة حبوس تينلان، خزنة تينلان، ادرار.

ثم صلاة الله على محمد وءاله وكل من به اهتدى

هذا سؤال ال جاهل فقير لله جان مذنب حقير

للشيخ سيدي ابي الانوار العالم الولي ذوي الاسرار

نص السؤال أن ذا البلدا عادة اهـلها إذا أرادا

احدهم تحليق خصم بليا يجلب الخصم إلى تنغ بويا

طوعا واكرها ولا ييالي وإن تما منه على اميال

فبعث له الشيخ أبي الانوار الاجابة نثرا نظمها الشيخ شعرا فقال:

وبعد فالجواب أن الخصما يمنع أن يجلب خصما رغما

إلى سوى ثلاثة المساجد فتلك ذكر غير واحد

أن لها يجلب ف المقاسمة وغيرها من قائم ذا وإقامة

منها على عشرة من الأيام فدون لا غير بلا ملام

وهناك زوايا أخرى بالاقليم:

- زاوية بودة: لصاحبها الشيخ الجعفري الملقب بصاحب سبع حجرات بقصر بودة السفلانية

في القرن الثاني عشر للهجرة 1161هـ-1748م.¹

- زاوية بدریان: التي أسسها الشيخ محمد بن عبد الله الصوفي بمنطقة قورارة في القرن الحادي عشر

لهجرة (1008هـ-1599) التي حظيت باحترام الجميع ونحتت لاسمها مكانا خالدا في التاريخ² وهي

¹ - مبارك جعفري: الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في اقليم توات بالجنوب الجزائري خلال القرن 12هـ -18م، مجلة الواحات، العدد 154، 2011، ص403.

² - كاتب مجهول، الزوايا ودورها في اقليم توات، مجلة الحقيقة، العدد 17، جانفي 2011، جامعة ادرار 2003، ص15.

احدى القلاع الإسلامية الحصينة¹ والفصل يعود لمؤسسها الاول الشيخ الحاج ابو محمد بن احمد الجذولي، وحسب ماجاء في وثائق زاوية تمصلوحت وزاوية السيد الحاج بلقاسم أن نسبه يرجع إلى الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت الرسول (ص)² والذي أسس عدة زوايا في قصور أولاد سعيد وتبلكوزه³ وكذا زاويته المشهورة ببدران من (1004هـ/1583م) وذلك بنص وصته المشهورة والمعلومة.⁴

- زاوية سيدي باسيدي: بقصر فاتيس لمؤسسها الشيخ سيدي عومر بن احمد بن الصالح ف القرن الحادي عشر للهجرة (1008هـ/1599م).

- زاوة مهدية: أسسها الشيخ سيدي اعمر المهداوي في القرن الثاني عشر للهجرة (1119هـ- 1707م).

- زاوية سيد زايد: أسسها سيدي زايد بقصر تبرغمين بمنطقة قورارة وتعود إلى القرن الحادي عشر للهجرة.⁵

يتبين لنا مما سبق أن مؤسسات الزاوية ظهرت في منطقة توات في وقت مبكر كانت نواة لزوايا منتشرة في كامل القطر التواتي بمقاطعاته الثلاث توات وتيديكلت وقورارة استطاعت الظهور والصمود في هذه المنطقة الملائمة للعبادة والتصوف لعبت أدواراً مختلفة علمية واجتماعية واجتهادية حافظت على النسق التربوي والسلوكي للمنطقة المتمثل في المذهب المالكي والعقيدة الاشعرية وطريقة الجنيد السالك فجعلت للأقاليم هوية وكيانا وشخصية وجعلت من المنطقة حاضرة علمية وثقافية تشهد عليها خزائنها المملوءة بالمخطوطات الغزيرة.

¹ - عبد الله رزوقي، واقع الزوايا في اقليم توات، مجلة الحقيقة، العدد 17، جانفي 2011، جامعة أدرار، 2002، ص15.

² - التهامي غيتاوي، الفتح الميمون في اخبار قورارة وعلماء تيميمون اقليم توات ولاية ادرار، منشورات المطبعة العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2013، ص 309.

³ - التهامي غيتاوي، الفتح الميمون في اخبار قورارة وعلماء تيميمون اقليم توات ولاية ادرار، المرجع السابق، ص 319.

⁴ - بحوث الملتقى الوطني، الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدريسا، أدرار 23-24 جوان 2010، ص186.

⁵ - صالح بوسليم، المرجع السابق، ص 102.

الجدول رقم 19: يبين زوايا توات الوسطى¹

الرقم	اسم الزاوية	مكاتها	مؤسسها	تاريخ التأسيس
01	زاوية تليلان	تليلان بلدية ادرار	احمد بن يوسف	ربيع الثاني 1058 هـ
02	زاوية مهدية	مهدية بلدية تيمي	الشيخ عمر الاصغر	1207هـ/1787م
03	الزاوية البكرية	زاوية سيدي البكري بلدية تمنطيط	الشيخ سيد البكري عبد الكرم التمنطيبي	1109هـ/1689م
04	زاوية مولاي عبد الله الرقاني	زاوية الرقاني بلدية رقان	الشيخ مولاي عبد الله الرقاني	القرن 11 هـ
05	زاوية سيدي المختار	الجديد بلدية تامت	الشيخ سيد المختار الكنتي	القرن 12 هـ
06	زاوية سيد باحمو	زاجلو ز. كنتة	سيدي باحمو بن حنيني	القرن 12 هـ
07	سيدي احمد بن سيدي باحمو	زاجلو ز. كنتة	سيدي احمد بن يدي باحمو	القرن 12 هـ
08	زاوية الشيخ المغيلي	ز. الشيخ. زاوية كنتة	الشيخ احمد الرقاد	القرن 11 هـ
09	زاوية سيدي احمد الرقاد	زاوية كنتة	الشيخ احمد الرقاد	القرن 11 هـ
10	زاوية سيدي احمادو	زاجلو المرابطين ز كنتة	الشيخ سيدي احمادو	القرن 12 هـ
11	زاوية سيدي مولاي الخنسات	مكيد. ز كنتة	الشيخ مولاي الحسان	1200هـ
12	زاوية سيدي علي بن حبسي	زاقلو مرابطين ز. كنتة	الشيخ سيدي علي بن حنيني	القرن 10 هـ
13	زاوية بن عمر	بودة ادرار	الشيخ بن عومر	القرن 11 هـ
14	زاوية مراقن	بودة ادرار	بوسبع حججات	القرن 11 هـ
15	زاوية مراقن	مراقن ادرار	سيدي مُجد السالم	/
16	الزاوية الميمونة	تيمي. تيمي	سيدي مُجد الصالح	1015 هـ

¹ - مُجد باي بلعالم، الرحلة العلمية ج1، ص ص 437_438.

الجدول رقم 20: يبين زوايا منطقة قورارة¹

الرقم	اسم الزاوية	مكاتها	مؤسسها	تاريخ التأسيس
01	زاوية بدریان	بادريا تيميمون	مُجد عبد الله الصوفي	1004هـ
02	زاوية سيدي ع الرحمان بن مُجد بن علي	اغزر. أولاد سعيد	عبد الرحمان بن مُجد بن علي	القرن 11 هـ
03	زاوية مولاي عبد الحكم	كالي أولاد سعيد	أبناء مولاي عبد الحكم	1308 هـ
04	زاوية سيدي المُجد بن احمد	اومراد أولاد سعيد	سيدي المُجد بن احمد	1085هـ
05	زاوية سيدي اعمر	تبنكرام - شروين	سيدي احمد الغريب	القرن 09 هـ
06	زاوية سيدي الحاج لحسن الشريف	قتور	أولاد عيسى الحاج لحسن الشريف	القرن 08 هـ
07	زاوية سيدي موسى والمسعود	تاسفاوت	أولاد عيسى سيدي موسى والمسعود	القرن 09 هـ
08	زاوية سيدي عباد أولاد عيسى	شروين	سيدي عباد	القرن 09 هـ
09	زاوية الحاج بلقاسم	ز. سيد الحاج بلقاسم	سيدي الحاج بلقاسم	القرن 10 هـ
10	زاوية سيدي عومر	ز. سيدي عومر اوقروت	سيدي عومر بن احمد بن صالح	القرن 10 هـ
11	زاوية الواجدة	الواجدة بتيميمون	سيدي ابراهيم بن احمد	القرن 09 هـ
12	الزاوية التيجانية	تنقلين اوقروت	سيدي عبد الجبار التيجاني	1900م
13	زاوية الحاج بو المُجد	تبلكوزة. تينركوك	سيدي الحاج بو المُجد	القرن 10 هـ

¹ - مُجد باي بلعالم، الرحلة العلمية ج1، ص ص 439 - 440.

الجدول رقم 21: بين زوايا اقليم تيديكلت¹

الرقم	اسم الزاوية	مكاتها	مؤسسها	تاريخ التأسيس
01	زاوية شيخ الركب المقوي	بلدة أقبلي	سيدي مُجَّد بن عبد الرحمان بن ابي نعامة	1137 هـ
02	زاوية مولاي هيبه	بلدية تيمقطن	سيدي ابي الانوار مولاي هيبه	القرن 10 هـ
03	زاوية ذي النورين	القصر الجديد	/	القرن 20 م
04	زاوية ابو الحسن الشاذلي	اينغر	/	القرن 20 م
05	زاوية الشيخ باي الكنتي	اقبور	/	القرن 20 م
06	زاوية العماري الحاج	بلدية اينغر	العماري الحاج	القرن 20 م
07	زاوية الشيخ عبد اللطيف	حي السلام اينغر	/	2005
08	زاوية ابي ذر الغفاري	قصر الرابطين عين صالح	/	القرن 20
09	الزاوية الاحمدية	قصر المرابطين عين صالح	/	القرن 20
10	زاوية مولاي اليزيد الرقاني	حي تراقه	مولاي اليزيد الرقاني	القرن 20
11	زاوية سيدي بوسماحة	الساهلة الغربية	بوسماحة احمد	2000 م
12	زاوية سيدي الشيخ	القصبه فقارة الزوى	الشيخ مُجَّد الزوى بوحفص	1975
13	زاوية سيدي سليمان بوداود	فقارة الزوى	سيدي سليمان بوداود	القرن 20
14	زاوية مولاي احمد الادريسي	الساهلة الشرقية	/	القرن 20
15	الزاوية الفقهية	قصر المرابطين عين صالح	سيدي احمد بن مالك	/
16	الزاوية البوحامدية	قصر المرابطين عين صالح	الشيخ بوحامدي احمد	1970

¹ - مُجَّد تختوخ، الزوايا في اقليم توات (تيميمون، توات الوسطى، تيديكلت) (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم علم الاجتماع، غير منشورة) كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012-2013، ص ص 127-128.

كما عرفت منطقة توات في القرن العشرين وجود زاويتين كان لهما دور كبير في عملية التعليم والتربية والجهاد ضد المستعمر الفرنسي تفرعت عنهما العديد من الزوايا التي تضم حالياً الكثير من طلبة العلم وهما:

1- الزاوية الطاهرية: تأسست على يد الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي السباعي وهو الشيخ العلامة النحرير الحاج الطاهر بن عبد المعطي السباعي بن أحمد بن مُجَّد بن عبد المعطي بن علي بن ابراهيم بن يحيى بن مُجَّد بن عبد المولى بن عبد الرحمان الغازي بن عمرو بن اعمر بن مولاي عامر المعروف بأبي السباعي ينتهي نسبه إلى الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه وبنته فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص).¹ ولد يقربه أولاد عبد المولى التابعة لمحافظة مراكش بالمغرب الأقصى خلال 1907م الموافق ل 1325هـ نشأ بمسقط رأسه وحفظ به القرآن على يد اخيه مولاي عبد الله واجاد حفظه واتقن مجموعة من العلوم وهو دون الرابعة عشر من عمره غادر بلاده إلى شنقيط ليعلم بها خلال سنة 1923م-1342هـ ومنها إلى مالي ثم إلى تومبكتو ثم دخل توات عن طريق تاوريرت التي اقام فيها اياما وكان ذلك في 1940م-1359هـ ثم إلى سالي حيث بدأ مسيرته التعليمية في منطقة توات.²

خرج الشيخ من تومبكتو مع مجموعة متوجهة إلى توات في شهر ربيع الأول وهذا حسب رواية مترجمة وتلميذه سيد الحبيب بن عبد الرحمان في الكتاب الذي الفه مولاي أحمد " الدر المنظوم في شرح مقدمة ابن أجزوم" حيث يرى أن دخول الشيخ إلى توات كان سنة 1356هـ.³

واستقر الشيخ بمنطقة سالي وتوافد إليه الطلبة من كل حذب وصبوب يتغذى فيها الطلبة بالعلم والمعرفة ومفتوحة لعابري السبيل.⁴

تخرج من هذه المدرسة علماء لا بأس بهم أسسوا زوايا ومدارس كالشيخ سيدي لحبيب شيخ زاوية تسفاوت بفنوغيل وللشيخ سيدي مولاي احمد الطاهر مصنفات عديدة وعاصر علماء اجلاء كالشيخ

¹ - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج2، المرجع السابق، ص 548.

² - مُجَّد تحتوخ، المرجع السابق، ص 161.

³ - الشيخ مولاي احمد الطاهري الإدريسي، كتاب الدر المنظوم في شرح مقدمة ابن اجزوم، ترجمة للشيخ عن طريق تلميذه السيد الحبيب بن عبد الرحمان، مطبعة الواحات، غرداية، ط1، ص 6-7.

⁴ - احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المرجع السابق، ص.

احمد بن ديدي والشيخ سيدي مُجَّد بلكبير¹، وقد لعب دورا كبيرا في دعم الثورة التحريرية ومحاربة فكرة فصل الصحراء عن الشمال.²

2- زاوية الشيخ مُجَّد بلكبير: ولد الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير ببلدة الغمارة قرية من قرى بودة الواقعة في الجنوب الغربي من ولاية أدرار على بعد 25 كلم خلال عام 1330هـ حوالي 1911م، ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه نشأ في أسرة علمية انتقل إلى بلدة تمنطيط حيث واصل تعليمه على يد الشيخ سيدي احمد بن ديدي وكانت له في هذه المرحلة اتصالات مع العديد من علماء المنطقة مثل القاضي سيدي عبد الكريم الفقيه البلبالي³، والشيخ بوعلام بملوكة والشيخ القاضي سيدي مُجَّد بن عبد الكريم البكري ابن عم الشيخ سيدي احمد ديدي وغيرهم من العلماء للمذاكرة معهم والاستفادة منهم.⁴

كانت له مدرسة كبيرة قصدها الطلاب من كل الجهات من الداخل والخارج وصل عدد طلابه في بعض الاحيان 1200 طالب كلهم يغترفون من علمه⁵ كان رحمة الله عليه عالما متضلعا في شتى العلوم في الادب والبلاغة والمنطق وغيرها من العلوم.⁶

3- زاوية الشيخ احمد ديدي: هو شيخ المشايخ في عصره وهو شيخ الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير خلفه ابنه الشيخ سيد الحاج عبد القادر وخلفه الحاج احمد بن عبد القادر.⁷

¹ - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج3، المرجع السابق، ص39.

² - أحمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المرجع السابق، ص54.

³ - الشيخ عبد الكريم بن مُجَّد بن عبد المالك البلبالي: أخذ عن الشيخ مُجَّد بن عبد الرحمان سيد الحاج البلبال وابنه الشيخ عبد العزيز برع في الفقه والأصول جمع فتاوى الشيخ عبد الرحمان التتلاقي وولده مُجَّد في كتاب أسماء: غاة الاماني من اجوبة ابي زيد التتلاقي - رتب أبوابه على نسق ترتيب ابواب مختصر خليل جمع فيه العديد من النوازل منها العبادات والبيوع والقرض والرهن والدين... الخ توفي رحمه الله سنة 1288هـ انظر: بلعالم عبد السلام الاسمر: اعلام فقه النوازل بمنطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، الملتقى الوطني الرابع: اسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث (1500-2000م)، أيام 19-20 افريل 2010.

⁴ - غيتاوي التهامي، الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار 2002، ص11-12.

⁵ - مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق، ص12.

⁶ - غيتاوي التهامي، الضوء المستنير، مرجع سابق، ص21.

⁷ - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج3، مرجع سابق، ص38.

تخرج على يديه الكثير من العلماء والفقهاء مثل الشيخ محمد بلكبير والحاج التنلاني والشيخ سيد الحاج احمد بن عبد الرحمان نومناس البكراوي والشيخ احمد الدلدول والشيخ مولاي سالم ومولاي اسماعيل¹ وكان الشيخ احمد ديدي متفرغا للعلم والمعرفة لا يشغله عنها شاغل وقد تخرج على يده الكثير من نشروا العلم في اصقاع مختلفة.²

الهيكل التنظيمي للزاوية

1- تنظيم وتسيير الزاوية

أ- شيخ الزاوية: يمثل شيخ الزاوية رمزها وعنوانها فهو جوهر الزاوية وقيمتها ويرجع له الفضل في تأسيسها وإنشائها فهو يتحمل رسالتها والمحافظة عليها فقيها حافظا للقرآن الكريم وهو محور نشاطات الزاوية فشيوخ الزاوية يقوم بأعباء تسيير الزاوية والإشراف على كل نشاطات الزاوية العلمية والاجتماعية وحتى الاقتصادية إذا كان للزاوية من وقف أو حبوس وجميع النشاطات التي تقوم بها الزاوية وصيانتها من الانحراف أو التوجيه الغير السليم.³

ومن مهام شيخ الزاوية التدريس والسهر على حسن سير الزاوية وإيواء الطلبة والضيوف والإمامة في الصلوات واستقبال الضيوف وقبول التحاق التلاميذ الجدد.⁴

ب- هيئة التدريس: ويقصد بها سلك المدرسين الذين يعينون من طرف شيخ الزاوية يساعدونه في عملية التدريس ويمنحون اجازة مكتوبة لمساعدة الشيخ في تحفيظ القرآن والإشراف على التلاميذ وتتوسع هذه الهيئة مع الزيادة المضطردة لعدد التلاميذ وتكون هذه الهيئة عادة من الطلبة الاوائل للزاوية الذين وصلوا إلى درجة من التعليم وبالتالي فمهمتهم ليس التدريس بدل الشيخ وإنما مساعدته وإيصال الطلبة إلى درجة من التعلم لتلقي العلم من الشيخ مباشرة.⁵

¹ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج2، المرجع السابق،

² - احمد الطاهر الادريسي، المرجع السابق، ص103.

³ - ادريس بن خويا، البعد العلمي والاجتماعي بزاوية الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي بأدرار، المرجع السابق، ص333.

⁴ - نفسه، ص ص334-336.

⁵ - احميدة بن زبطة، الهيكل التنظيمي والوظيف للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية أدرار، أيام 1-2-3 ماي 2000م، ص5.

ج- لجنة المسجد: وهي اللجنة المهتمة بتأثيث المسجد وجمع التبرعات، وهي ضمن التنظيم الجديد للمساجد بحكم نشاطها القانون الخاص بتنظيم المساجد وينحصر نشاطها أساساً للنظر في الأمور المادية للمسجد أو الزاوية من حيث الصيانة وغيرها وتنبثق عن جمعية عامة للمصلين في المسجد وتكون عادة في المساجد التي يؤمها مصلون آخرون غير التلاميذ النظاميين في المسجد.¹

لكن بالرغم من الصلاحيات القانونية لهذه المساجد إلا أنها ظلت تعمل تحت توجيه وإرشاد الائمة وشيوخ الزوايا وجعلت من اعضائها عمالاً لاعلاء كلمة كدور مكمل ومساعد لتوفير الظروف المادية والمعنوية الملائمة لتمدرس الطلبة.

المكونات المعمارية للزاوية

إن الملاحظ لتخطيط القصور التواتية يجد المسجد يتوسط القرية تصب فيه جميع الأزقة والشوارع والمسالك فهو شكل مركز الدائرة ومحورها الأساس وذلك للدور الثقافي والديني والاجتماعي الذي يقوم به المسجد أو الزاوية ولذلك كانت هياكل الزوايا على النحو التالي:

أ- املاك الزاوية: هي كل ما يتم شراؤه من طرف شيخ الزاوية من بساتين وفقاير وديار تسجل كحبوس للزاوية ليستفيد منها طلبة الزاوية.

ب- قصبه الزاوية: وهو عبارة عن بناء يتوسط الحقول والبساتين وترتبط القصبه بالخارج عن طريق ممر ضيق بين البيوت المتواجدة خارج القصبه.²

ج- دار الفقيه: وهي من أولى المرافق التي تشيد بالزاوية لها احترام وتقديس كبير باعتبارها دار الامام والفقيه الذي يسير الزاوية ويختار موقعها بطريقة دقيقة وتشغل مساحة واسعة مقارنة بالبيوت الأخرى وتتكون عادة من المدخل ما بين اثنين إلى أربعة والمخزن وخلوة الشيخ بالإضافة إلى السلم الذي يؤدي إلى السطح.³

¹ - زهرة مسعودي، المرجع السابق، ص 14.

² - عبد الله بابا، المرجع السابق، ص ص 62-63.

³ - محمد بن سويسي، المرجع السابق، ص 133.

د- مسجد الزاوية: يعد من المنشآت المهمة ولا يقتصر دوره على الصلاة فقط، بل يكون مكاناً للتدريس والقضاء كما يحتضن الطلبة ويساير تطور الزاوية وإقامة الشعائر الدينية التي تتطلب حضور جمع كبير من الناس.

ن- حجرات الدراسة: تضم الزوايا حجرات للدراسة حسب المستويات بداية من تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم والمتون الفقهية والأحاديث النبوية الشريفة يتكفل بهم مدرسون ويتولى شيخ الزاوية بتحديد الحجر التي يلقي فيها الدرس وهي حجرات عادية غير مجهزة بوسائل التعليم المعروفة حالياً.¹

هـ- المرافق الداخلية: تحتوي الزوايا على مرافق داخلية باعتبارها مركزاً للتعليم وإقامة الطلبة وأكلهم ومشربهم ومبيتهم لذلك اهتمت الزوايا في منطقة توات بتوفير الظروف الملائمة للطلبة من أجل التحصيل العلمي من مرقد الذي يراعى فيه التنظيم والترتيب في استخدام الاسرة ومنع فيها استعمال المواقد كيما كان وتحديد وقت اطفاء الانارة ولا يسمح بالبقاء في المرقد اوقات الدراسة وكذلك المطعم يراعى فيه التنظيم الغذائي للوجبة الذي يحدد اسبوعياً لمراعاة الاسس الغذائية الصحيحة أو تناول الوجبات في قاعة الاطعام ولا يسمح بالخروج بالأكل للخارج والمحافظة والتحكم في وسائل استعمال المطبخ تفادياً للحوادث.²

و- العقارات والبساتين والفقارات المحبوسة على الزاوية: تعد الاملاك مصدر مهم تعتمد عليه الزاوية في تمويل نفسها وللإنفاق على المساكين وعابري السبيل والطلبة المقيمين وقد وضعت هذه الاملاك حسب على الزاوية ووقفها عليها للزوايا من وظائف علمية واجتماعية متعددة استطاعت الزوايا المحافظة عليها واستمراريتها والاستعانة بها للقيام بوظائفها المختلفة انطلاقاً من قوله تعالى: "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ"³، وقوله ﷺ: "إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو عمل ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"⁴ واستطاعت الزوايا عبر التاريخ الاستفادة من الوقت بطرقها الخاصة وبكل يسر وسهولة والتحكم فيه بما يخدم اهداف الزوايا المتمثلة في التربية والتعليم والأدوار الاجتماعية المختلفة.⁵

¹ - محمد تحتوخ، المرجع السابق، ص 132.

² - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج 2، المرجع السابق، ص 348.

³ - آل عمران، الآية 91.

⁴ - رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته، رقم 1631.

⁵ - دباغ محمد، دور الاوقاف والزوايا والمدارس القرآنية، تاريخاً وواقعاً، أعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية، ج 2، المرجع السابق، ص 470.

وقد وجد فيها العلماء والطلبة ما يعينهم على أعباء الحياة والتفرغ لطلب العلم وعدم الاشتغال بأمر أخرى فلا تكاد تجد قصراً أو بلدة ألا وتجد بها بساتين أو مياه أو أوقاف على المسجد لذلك لم يتوانى العلماء والشيخوخ في إقامة الزوايا لما كانوا يجدونه من أهل الخير والإحسان لمساعدة الزوايا في التعليم والقيام بالأدوار الاجتماعية المختلفة.¹

ي- المكتبات: تعتبر المكتبة هي نتاج الزاوية وتاريخها وإنتاجها الحقيقي بالإضافة إلى التعليم ولذلك اهتمت الزوايا أغلبها بالتأليف والكتب باعتبارها الثروة العلمية والفكرية للزوايا لما تضمنته بين ثناياها من مواضع تنوعت بين الوصايا والأوقاف والفقهاء والتاريخ اعتمد عليها الشيخوخ في برامج التعليم وعملوا على نسخ الكثير من تلك المخطوطات والحفاظ عليها في أماكن خاصة تسمى الخزائن، والتي تقع في الغالب وسط قسبة الزاوية في خزائن على شكل رفوف جدارية شيدت من الطوب وباب من الخشب ومسقوفة بخشب النخيل.²

- بيوت الضيافة: وتعتبر من الأدوار المهمة للزاوية وهي استقبال الضيوف، وقد تطورت بتطور الزوايا فبعد ما كان الشيخ يستقبل الضيوف في بيته فمع توسع الزوايا وزيادة عدد الضيوف فتحت أماكن خاصة وبيوت خاصة للضيافة، توفر فيها أسباب الراحة للضيف بعد ضيق منزل الشيخ على الضيوف وتوفر فيه جميع الإمكانيات المتوفرة للزاوية.³

كانت الزوايا في منطقة توات كثيرة وبها طلبة كثيرون فلا يخلو حيي أو قصر أو جهة من زاوية ومدرسة قرآنية، فكانت الزوايا والمساجد والكتاتيب هي من المكونات الأساسية والمميزات والهياكل الضرورية في أي قصر كونها كون البساتين والفقاقير والبيوت كالأكل والشرب ولقد تنوعت مضامينها التربوية حسب الأعمار والمستويات كما اسلفنا. كما تنوعت مناهجها التعليمية لتشمل مختلف العلوم العلمية والعقلية باعتبارها مؤسسات تنشأ الفرد الصالح للمجتمع وكان من أهم العلوم التي تدرس نذكر منها:

1- الفقه: أساسه المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية وطريقة الجنيد السالك، فتحققت وحدة المنهج فكان الطالب يجب عليه أن يعرف كل ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية وفق المذهب المالكي. وكانت

¹ - مبارك جعفري، مقالات وأبحاث، المرجع السابق، ص 210.

² - محمد بن سويس، المرجع السابق، ص 135.

³ - محمد تختوخ، المرجع السابق، ص 133.

الكتب المستعملة لذلك متن ابن عاشر ورسالة أبي زيد القيرواني ومختصر خليل والعاصمية لابن عاصم وكانت لهم في نفس الوقت إطلاقات على المذاهب الأخرى. أما الحديث فقد ألف الشيخ سيدي عبد الكريم بن مُجَّد كتباً في الفقه منها كتاب: حاشية على مختصر اللفاني عن ابن الحاجب وشرح على مختصر خليل والف سيدي مُجَّد بلعالم الزجلأوي كتابه المعروف بـ نوازل الزجلأوي،¹ ويرجع سبب الارتباط الوثيق بين التواتيين والمذهب المالكي إلى ما يلي:

- أن المذهب المالكي مأخوذ من عمل أهل المدينة وهو أقرب للسنة القولية والفعلية لأن المدينة هي الوسط الذي عاش فيه الرسول ﷺ يتميز بـ سعة أصوله وقواعده.

- ارتباطه المباشر بحياة الناس ومعاملاتهم دون تعقيد أو تكلف، فهو بسيط وواضح يأخذ بأعراف الناس وعاداتهم.

- كثرة المؤلفات الفقهية وتنوعها وشروحاتها تعطي جميع مناحي الحياة الإنسانية.²

وقد قال فيه الشافعي: «مالك أستاذي وعنه اخذنا العلم، وما أحد أمن علي من مالك وجعلت مالك حجة بيني وبين الله تعالى، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب».³

ولما كان فقه مالك هو الفقه الغالب على أهل توات في القرن 12 هـ. فقد ظهرت الكثير من المؤلفات اخذت النوازل⁴ الحيز الكبير منها مثل: نوازل العالم الزجلأوي وهي مجموعة من الاجابات التي جمعها من اجابات شيخه عبد الرحمان بن عمر التواتي⁵ أو شيخه عمر بن عبد القادر

¹ - البكري عبد الحميد، المرجع السابق، ص51.

² - مُجَّد الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1993، صص36-37.

³ - ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ط1، بيروت، دار الكتاب العلمية، ج1، ص35.

⁴ - النوازل: لغة: جمع نازلة وهي المصيبة الشديدة من شدائد الدهر تنزل على الناس والنزول هو الحلول ونزل بهم الامر: حل: انظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج11، ص656.

اصطلاحاً: هي القضايا والوقائع التي يفصل فيها الفقهاء طبقاً للفقه الإسلامي، انظر: عبد العزيز بن عبد الله: معلمة الفقه المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى (1403هـ/1983م)، ص18.

⁵ - أبو زيد عبد الرحمان التتلاقي والسيد عبد الرحمان الجنتوري والسيد مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي وسيد عبد الكريم بن عبد الحق البكري والشيخ سيد مُجَّد بن المبروك البداوي وغيرهم احيا العلوم بتوات وأصلح الغفلات توفي رحمة الله في الاخير من صفر عام 1189هـ وعمره نيف وسبعون ودفن بالقرافة الصغرى من مصر عند رجوعه من أداء فريضة الحج، انظر مُجَّد عبد العزيز بن سيدي عمر، المرجع السابق، ص99.

التواتي¹ وسلط الضوء على مجموعة من القضايا الاجتماعية والاقتصادية وتعطينا صورة على أوضاع توات في المرحلة المذكورة بالإضافة إلى الوجيز في شرح مقتصد خليل.²

2- نوازل الزجلالوي: نسبة إلى العالم الشيخ محمد بن العالم الزجلالوي (ت 1212هـ- 1797م) وجمع في نوازل اجوبة والده العلامة سيدي محمد بن حميدان الزجلالوي وأجوبة الشيخ عمر بن عبد القادر التتلاطي وكان معاصرا لوالده وشيخه عمر بن عبد القادر التتلاطي والكتاب ضخيم محبوب على حسب كتب التوحيد مقدا مسائل التوحيد ثم الطهارة فالصلاة ثم الزكاة والاضاحي والعقيقة ثم النكاح والطلاق ثم البيوع والريا والسلم والصلح والضمان والوديعه والشرك والغصب والجعل والمسافات واحياء الموارث والاحباس والهبات والصدقات ثم مسائل الشهادات والقضاء.³

وعلى رأس الكتب التي درست في منطقة توات إلى حد الآن هو مختصر خليل⁴ وسبب مجيء هذا المؤلف الذي لقي قبولا وانتشارا واسعا في منطقة توات حتى غدا كتابهم الفقهي الأول أن الشيخ ميمون وقعت بينه وبين طيلة الصحراء مراجعة فقهية في مسألة اليمين وهي: إذا قال البائع ابيعك أمة ثيبا فلما اشتراها وجدها بكرًا، فأفتى عليه طلبة الصحراء بعدم الرد إذا البكر أحسن من الثيب قالوا: إنما يقع الرد على أنها ثيب فوجدت ثيبا فوافقهم قاضي الوقت وأفتى بالرد ورواية عن شيخه بن غازي وجاهروه بالتكذيب لأنه لم يستند إلى رواية كتاب معلوم، فحمله ذلك على أن يسافر إلى فاس من أجل ذلك ووجد المسألة مبسوسة في خليل وهي قوله: ورد بعدم مشروط فيه عرض كتيب ليمن فيجدها بكرًا

¹ - عمر بن عبد القادر الغواتي: هو أحد الأعلام في المذهب المالكي كان فقهيا ونحويا ولغويا وعروضيا من حفاظ المذهب المقتدى بهم كبير القدر وافر المهمة عظيم الحرمة اولي التدريس بمدينة فاس وانتقل من فاس سنة تسع وعشرين ومائة بعد الالف 1129هـ واستقر بزواية تينلان وفي آخر عمره تولى خطة القضاء اخذ عن الشيخ سيدي محمد بن أحمد المسناوي والشيخ ابي علي سيد الحسن بن رحال والشيخ سيدي محمد بن عبد الله السجلماسي وعنه اخذ شيوخ أجلاء منهم السيد ابو زيد الجنتوري والشيخ ابو زيد التتلاطي، مال في آخر عمره للتصوف والاحتجاب عن الناس.

² - محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي، المرجع السابق، ص 19.

³ - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 73.

⁴ - مختصر خليل: أهم المختصرات الفقهية المالكية على الاطلاق في منطقة توات انشغل به التواتيون وانقطعوا له أما انقطاع وهو المرجع الأساسي في العقيدة المالكية وصاحبه هو ضياء الدين ابو المودة خليل بن اسحاق المصري أحد شيوخ الاسلام والأئمة الأعلام أخذ عنه التاج الاسحاقي وشمس الدين محمد الغماري من تاليفه شرح مختصري ابن الحاجب ومختصره المشهور المذهب المالكي أقبل عليه الطلبة من كل الاقطار وأقبلوا على شرحه وحفظه وتدرسه توفي سنة 776هـ / 1374م أنظر: محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، المطبعة السلفية، 1930م، ص 223.

وإن بمنادة ودعا له شيخه ابن غازي بالبركة واشترى الكتاب (خليل) بأربعين ذهبا ودخل به إلى الصحراء فهو أول من ادخل مختصر خليل لبلاد الصحراء.¹

بالإضافة إلى كتاب الجامع لأجوبة أبي زيد التينلاني، وغابة الأمان في أجوبة أبي زيد التينلاني للشيخ عبد الرحمان بن عمر التواتي، وغنية المقتصد السائل لما حل بتوات من النوازل² التي جمعها الحاج مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي، ومتمن العبقرى محمد بن اب المزمري³، والألفية في التفسير لمحمد بن العالم الزجلاني ورسالة افهام المقتبس في ثبوت التحبب للشيخ مُجَّد بن عبد الرحمان.⁴

3- علوم القرآن والتفسير: كانت الروايات التواتية تهتم أيضا اهتمام بتحفيظ القرآن الكريم

وتجويده وأسباب النزول، والقراءات ولا يمكنه الانتقال إلى مرحلة أخرى دون حفظه ووعيه، واهم الكتب التي يدرسونها: تفسير الشاطبي على الدرر اللوامع في قراءة الامام نافع لابي الحسن بن يري، والتأويل في معان التنزيل للشاطبي، وتفسير ابن جوزي بالانتقان في علوم القرآن للسيوطي، والخزنية لأبي يحيى زكرياء الانصاري⁵، وكذلك كتاب: الفتح المبين في شرح القرآن الكريم للشيخ عبد الكريم المغيلي، والمنظومة في

¹ - مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق آل البكري، درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الاسلام، تحقيق ابو أنس عبد القادر نعيوي، المرجع السابق، ص ص 53-54.

² - غنية المقتصد السائل لما حل بتوات من النوازل: اشتهر هذا الكتاب في الاوساط التواتية باختصار عنوانه غنية الشورى او غنية المقتصد أو الغنية البلبالية لتدواله بين تلاميذ مُجَّد بن عبد العزيز وعلماء توات واصحاب زواياها ويعتبر مصدره الاساس ديوان الشورى للقاضي عبد الحق بن عبد الكريم الذي اعتكف عليه الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي فجمع مباحث مشاوراته وأحكامه وشاركه في ذلك والده مُجَّد بن عبد العزيز واختلف في تسميته من الجوهرة وسماه بالغنية وكتب في بداية مخطوط نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية في تقييد النوازل اسم غنية المقتصد السائل في جمع بعض ما نزل بتوات من القضايا والمسائل، انظر فاطمة حموني، غنية المقتصد فيما وقع في توات من قضايا ومسائل لمحمد عبد العزيز البلبالي ت 1261هـ، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاسلامية، (غير منشورة) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة احمد دراية، أدرار، السنة الجامعية 2014، 2015، ص 101.

³ - مُجَّد بن أب المزمري: نشأ مُجَّد بن أب المزمري (توفي سنة 1160هـ في مسقط رأسه بقصر أولاد الحاج ضواحي مدينة اولف (ادرار) وبها تلقى مبادئ علومه الاولى ثم اتصل بعد ذلك بالشيخ مُجَّد الصالح بن المقداد (ت. ف 12 هـ) وبعدها إنتقل إلى قصر زاوة كنتة واتصل بالشيخ الفقيه سيدي عمر بن المصطفى بن سيدي عمر الرقادي (ت 1157 هـ) ومكث بالزاوية طويلا دارسا ومدرسا ثم توجه إلى تمطيط التي درس بها طويلا وانتقل إلى عدة مدن وأقطار اسلامية واستقر به المطاف اخيرا في تميمون شمالا ولاية أدرار وبها توفي، عاش الشيخ في وقت وجود الحكم العثماني وسياسته الثقافية وفي الجهة المقابلة العواصم الثقافية الكبرى كتيميمون وشنقيط واراوان وكانت اللغة السائدة أذاك لغة المال والتجارة، أنظر أحمد أبا الصافي جعفري: رجال في الذاكرة التواتية: مُجَّد بن أب المزمري (1160هـ) حياته وأثاره، الطبعة الثالثة، يناير 2008، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر ص ص 41-44.

⁴ - مُجَّد بن عمر بن الحبيب البوداوي، المرجع السابق، ص 19، 20.

⁵ - مبارك جعفري، مقالات وابحاث، المرجع السابق، ص ص 118-119.

تفسير غريب القرآن للزجلاوي، والدر المصون في اعراب القرآن الكريم لسيدى عبد الرحمان بن عمر التتلاقي.¹

4- اللغة العربية: اعتبرت اللغة العربية مرادفة للقرآن الكريم فيها نزل وبها كتب. لذلك اخذت اللغة العربية مكانتها في التدريس في الزوايا التواتية وعلى رأسها المقدمة الاجرومية التي نظمها مُجد بن أب، والملحمة للحريري، وقطر الندى ووبل الصدى لألفية بن مالك، ولامية الافعال². ويتعلم الطلاب التحكم في النحو والصرف وفقه اللغة كما عملت الزوايا على تكوين الطلاب اخلاقيا من خلال غرس القيم الفاضلة والنبيلة والتي تساعد على اكساب العلم وهذا اقتداء بالسلف الصالح مثل الامام الشافعي الذي يقول: «قال لي الامام مالك: يا مُجد اجعل عملك دقيقا وعلمك ملحا فأنظر رحمك الله ماذا يصلح الدقيق من الملح على اكوام من الدقيق فاعمل». فكان الطلبة يدرسون في الزوايا التواتية بعض المتون مثل هدية الالباب في جواهر الآداب للشيوخ حسين الجسر المصري (ت 1327 هـ-1909م) والتي يحفظها الطلاب عن ظهر قلب في بعض ما جاء فيها:

حمدا لمن قد زين الانسان	بالعلم والاداب حيث كانا
وبعد فالتهديب للأولاد	سعادة للشعب والبلاد
والولد المهذب المؤدب	هو الذي للخير دوما يكسب
والولد الخالي من الاداب	يعد في جماعة الدواب

والنصيحة الهلالية "لامية ابن الوردي" كما أن عبد الرحمان بن القاسم المصري الفقيه المالكي (ت191هـ/807م) قال مقولته المشهورة: «خدمة الامام مالك عشرين سنة كان منها ثماني عشرة سنة في تعلم الاداب واخذت منه العلم في سنتين».³

¹ - عبد الحمد بكري، المرجع السابق، ص 52.

² - مُجدباي بلعام، الرحلة العلمية، ج1، المرجع السابق، ص309.

³ - مبارك جعفري، مقالات وأبحاث، المرجع السابق، 120.

5- التاريخ والسير والتراجم: أخذت الكتابات التاريخية حظها الوافر من الدراسة والتدريس في الزوايا التواتية، وعلى رأسها السيرة النبوية العطرة لما كانت تلقاه من تعظيم وتبجيل في نفوس الناس حتى أنه تقام احتفالات كبيرة للمولد النبوي الشريف تستعرض فيها السيرة النبوية وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم ومختلف جوانب التاريخ الاسلامي، ومن أهم هذه الدراسات في منطقة توات ما يلي:

تاريخ توات لمحمد بن عبد الكريم بن مُجَّد بن ابي مُجَّد فيه سرد لدخول العلماء إلى توات، وحديث عن صراع المغيلي مع اليهود، وفتاوى العلماء حول هذه المسألة وقد عد مصدرا لعدة كتابات أرخت للمنطقة كدرة الاقلام: الذي ينقل عنه فقرات مطولة مغطيا الفترة من القرن الثامن الهجري إلى الحادي عشر للهجرة بالإضافة إلى كتاب "درة الاقلام في أخبار المغرب بعد الاسلام": لمحمد بن عبد الكريم التمنيطي، وقد ألف المؤرخ في التاريخ والانساب والتراجم واعتمد مؤرخي توات على مصنفه كثيرا، والقول البسيط في اخبار تمنيط لمؤلفه مُجَّد الطيب بن الحاج الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور باسم ابن بابا حيدة (والمؤلف من فقهاء تمنيط في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث يكتب عن مجد تمنيط بعد انتقال الرياسة منها إلى مدينة ادرار وتغلب قبيلة أولاد أحمد على قبيلة أولاد يحيى في الرئاسة ويتحدث عن مكانة تمنيط السياسية والثقافية وكذلك كتاب نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات للشيخ احمد الطاهري الادريسي وشقائق النعمان فيمن جاوز المائة بالزمان والطرائق والتلائد في معرفة الوالدة والوالد لسيدى مُجَّد بن المختار الكنتي.¹

بالإضافة إلى الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية سيدس مُجَّد بن عمر المهدواي وجوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الالف الثاني للقاضي سيدي الحاج مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري، والكواكب البرية في المناقب البكرية للقاضي سيدي الحاج مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري،

¹ - مقالتي عبد الله، المصادر المخطوطة والمطبوعة وأهميتها في كتابة التاريخ الحضاري للجنوب الجزائري، اقليم توات أمودجا - أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 13-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية يومي 29 صفر 01 ربيع الأول 1433هـ/24-25 جانفي 2012، المركز الجامعي الوادي، تم طبع الكتاب بمساهمة الوكالة الوطنية لتطوير البحث الجامعي ANDRN، مطبعة منصور، 2012، ص ص 43-45.

وإعلام الاخوان بمناقب بعض الاخوان للشيخ سيدي لحسن بن سعيد البكراوي، والضوء المستنير في تعريف من جهل فضل الشيخ سيدي محمد بلكبير للشيخ سيدي مولاي التهامي¹.

الفلك: اهتم التواتيون بعلم الفلك لارتباطها بدوران الايام والشهور ومواقيت العبادات والاعياد والمناسبات، ولارتباطها بمعرفتها بالنجوم كدليلا للمسافر في الصحراء لمعرفة المسالك والتنقل في الصحراء الشاسعة لمختلف الاغراض الحياتية والاقتصادية مثل التجارة مع بلاد السودان، فللشيخ محمد بلعالم الزجاجاوي اجتهادات في هذا المجال وللشيخ أحمد بن عمرو مؤلفا "كمال فتح المقيت في شرح المواقيت" قصيدتين في علم الفلك في مواقيت الصلاة وتغيرها حسب الشهور والمواسم الاخرى في الحساب بعنوان: "حمارة الحساب وتناول جدول الضرب والعد بالتقسيم العشري"²، وقصيدة في علم الفلك من نظم سيد البكري بن عبد الرحمان³، بالإضافة إلى مختصر أبي مرقع في الفلك وهو نظم لابن سعيد به تسعة وتسعون بيتا حاول فيه اختصار علم أبي مرقع في علم الفلك، متوسط القامة مقروء ونظم الدرعي وهو مخطوط متوسط الحجم وهو في الطب وكتابة عناوينه مكتوبة بالميداد الاحمر ويرتبط به مخطوط في الفلك وهما عبارة عن مخطوطين لمجامع بعض مؤلف واحد هو سيدي أحمد الدرعي، ومخطوط كتاب الديباج المرقوم في أصول علم النجوم لصاحبه علي بن محمد علي القرشي⁴.

6- المنطق: نجد في المنطقة كتب مؤلفة في المنطق من بينها ما ألفه عبد الكريم المغيلي الذي ألف كتابه المسمى منهج الوهاب في رد الفكر للصواب⁵ ورسالة في الرد على المعتزلة⁶ فإذا كاتب المعتزلة⁷ جاءت بالفلسفة لصرف نصوص الكتاب والسنة عن طريق ظاهرها وذلك لاعتقادهم الفاسدة، فعلماء السنة تصدوا للرد عليهم سدا لذريعة افساد الشريعة قال المغيلي: «فالانتيان بالباطل لإبطاله ليس كالإتيان بالباطل لإثباته» وهو في رده يبين أن المعتزلة لم تتبع أثر النبي (ص) عند تناولها لنصوص الكتاب والسنة

¹ - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 53.

² - مخطوط بخزانة شاري الطيب، كوسام، ادرار.

³ - عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، المرجع السابق، ص 19.

⁴ - الشيخ محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي، المرجع السابق، ص 36.

⁵ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 54.

⁶ - عبد الكريم المغيلي، مخطوط بدون رقم التصنيف، مكتبة الغيلي، بوعلي، زاوية كنتة، ادرار.

⁷ - المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والعدلية يقولون بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته، ونفوا الصفات القديمة، فقالوا أن الله عالم وقادر لذاته، لا يعلم وهي صفات قديمة ومعالم قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم لشاركته في الألوهية، واتفقوا أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها يستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة، أنظر: أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهري الساني، الملل والنحل، دار الفكر ط 1، 1999، بيروت-لبنان، ص 34-35.

غير أن المعتزلة ترى بأن كون مذهبهم لم يكن معروفا في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد أصحابه لا يفتح آراءهم ولا يثبت بدعهم لأن المذاهب الأخرى لم تعترف إلا بعذر زمن أصحاب النبي (ص) لأن الأصول لم يقع فيها الاختلاف والمذاهب التي ظهرت بعد الرسول (ص) هي مذاهب فرعية.¹

- **التصوف:** شهد الإقليم انتشارا واسعا للزوايا والطرق الصوفية مما أدى بالتواتيون للاهتمام بعلم التصوف فقد ألف المغيلي كتابا سماه: "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين" ومؤلفا للحاج بلقاسم الأولسي في كتابه الذي سماه: "منهاج السالكين".²

7- المخطوطات: إن الواقف على حالة المخطوطات في منطقة توات يدرك ما للمنطقة من أهمية ثقافية وحضارية مهمة في قرون ماضية إن هذا التراث الضخم من المخطوطات المتنوعة والمتعددة يبين بوضوح أن منطقة توات كانت تعد بحق حاضرة علمية وثقافية تضاهي كبريات الحواضر العلمية والثقافية في العالم الإسلامي وأن هذا الاهتمام في الوقت الحالي بالعلم والزوايا والمدارس القرآنية هو امتداد طبيعي للأدوار المختلفة التي كانت تلعبها منطقة توات يشهد لها بذلك عدد الخزائن والمخطوطات وكذلك عدد الزوايا وما تخرجه من أئمة وحفظة قرآن كان لهم دور بارز في المحافظة على عناصر الهوية الوطنية ومحاربة الاستعمار ودعم الثورات الشعبية ونشر الإسلام في مختلف بقاع القارة الأفريقية.

ففي آخر احصاء لجمعية الدراسات والبحوث التاريخية لولاية ادرار والذي شمل 29 خزانة فقط أحصت ما يزيد عن ثلاثة آلاف مخطوط مفهرسة من بين اثني عشر مخطوط التي تم احصاؤها وتبين الدراسات أن منطقة توات كانت تحصي سبعة وعشرون ألف مخطوط قبل القرن السابع عشر الميلادي قبل عملية النهب والاتلاف والاهمال التي تعرض لها المخطوط في هذه المنطقة.³

وبهذا فإن المخطوطات شكلت الثروة العلمية والمعرفية للزوايا وإنتاجها الفكري والثقافي الذي ظل شاهدا على حركيتها العلمية والتي تنوعت مواضعها بين الوصايا والاقواف والفقهاء والتاريخ

¹ - احمد الحمدي، المرجع السابق، ص ص 69-70.

² - زينب سالمي، الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرن 8-9هـ، (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، لم تنشر) تخصص تاريخ المغرب الاسلامي اشراف الدكتور بودواية مبخوت، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2011-2012، ص72.

³ - دليل ولاية ادرار، 1999م، دار الثقافة، ص 17.

واللغة... الخ لذلك عمل الشيوخ على الاستئناس بها في التعليم والتدريس وحافظوا عليها في أماكن خاصة تسمى بالخزنة، وقاموا بنسخ العديد منها وهذه الخزائن تقع في قلب الزاوية مهيئة على شكل رفوف جدارية تعلق بباب من الخشب شيدت غالباً من الطوب والطين ومسقوفة بخشب النخيل.¹

وقد شهدت هذه الخزائن حركية كبيرة نظراً لتنافس شيوخ الزوايا وأرباب الخزائن على تنميتها فكان همهم الكبير زيادة أعداد الكتب سواء بالشرء أو النسخ والتأليف فكان هذا همهم في حلهم وترحالهم يبحثون عن الجديد في العلم والتأليف فلذلك شهدت انتشاراً وتوسعا كبيرا في المنطقة.²

لذلك لا تكاد تجد زاوية من زوايا منطقة ادرار أسرة علمية أو كان لها اهتمام بالعلم إلا ونجد لها خزنة سواء كانت صغيرة أو كبيرة أو مجموعة محدودة من المخطوطات يتوارثها أبناء العائلة كإبراهيم عن كابر كشاهدا على تاريخ هذه الأسرة العلمي والديني ولذلك نجد عدة خزائن في المنطقة تشمل امهات الكتب منها:

* - خزنة كوسام: يشرف عليها الحاج الطيب شاريبي الذي يمارس إلى اليوم نسخ المخطوط، ويرجع تأسيسها إلى القرن الثالث هجري بها اليوم ما يزيد عن أربعمئة مخطوط في حالة جيدة أما المؤسس الأول لهذه الخزنة هو: العالم الجليل سيدي عبد اله بن أحمد الحبيب البلبالي³. وأغلب مخطوطاتها تنزع نحو العلوم الدينية من أبرز مخطوطاتها: "غنية المقتصد السائل في ما حل بتوات من القضايا والمسائل"، وهو من تأليف علماء الخزنة ويصنف في فقه النوازل وهو مخطوط ضخيم يربو عن ستمائة صفحة، و"السراج في علم الفلك" للشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر، و"أرجوزة علم الفلك" للشيخ عبد الرحمان بن عومر وغيره من المخطوطات النفيسة.⁴

¹ - محمد بن سويسي، المرجع السابق، ص 135.

² - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 54.

³ - سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي: توفي سنة 1329هـ ودفن بكوسام قرية من قرى تيمي، اهتم بالفقه والنحو والصرف وعلوم اللغة حمل راية العلم بمنطقة توات وقصده الطلبة من كل حذب وصبوب كان ملازماً للدراسة لا يسأم من بذل العلم والافادة تولى القضاء والتدريس ومن تلامذته سيدي محمد عبد الكريم والشيخ سيدي احمد ديدي التمنيطي والسيد محمد الحاج الراشدي قال عنه تلامذته القاضي محمد بن عبد الكريم عبد الله بن احمد البلبالي: «استاذي وملاذي شيخ الشيوخ بالديار الصحراوية وحامل لواء الامة المحمدية قطب الشورى وقاضي الورى شيخنا شيخ الجماعة..»، انظر: محمد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق، ص ص 43-44.

⁴ - محمد بن عمر بن الحبيب البوداوي، المرجع السابق، ص ص 23-24.

*- الخزانة البكرية بتمنيط: مؤسسها الأول هو الشيخ سيدي ميمون بن عمر، وذلك في أواخر القرن التاسع هجري بلغ عدد مخطوطاتها في القرن الحادي عشر ثلاث الاف مخطوط وذلك في عهد مؤسسها الثاني الشيخ سيد البكري، وظلت هذه الخزانة، وظلت هذه الخزانة لمدة ثلاث قرون مجموعة حتى سنة 1244هـ قسمت المكتبة بين أفراد العائلة، فكانت في تمنطط خزانة سيدي أحمد ديدي، وخزانة الشيخ سيدي الحاج مُجَّد القاضي، وخزانة الشيخ سيدي مُجَّد الصالح.¹

*- خزانة الزاوية الكنتية: في زاوية أبي نعامة وترجع إلى شيوخ الزوايا التي ورثوها أو جمعوها بواسطة الاقتناء وهي متفاوتة في عددها مختلفة في عناوينها وأشهر خزائن المخطوطات بتيدكلت هي:

- خزانة أبا الشيخ بتقراف.
- خزانة الشيخ عبد الرحمان بن مُجَّد البرمكي بأولف.
- خزانة عائلة عقباوي بزاوية بونعامة.
- خزانة عرق شاش بأقبلي.
- خزانة الشيخ مالك بالساهل.
- خزانة المنصور بأقبلي.
- خزانة الطالب دادة بأولف.

وتكاد تنحصر هذه التأليف في الشؤون والدراسات العلمية كالتصوف، ومن بين المخطوطات مخطوط التشوف إلى رجال التصوف للشيخ ابي العباس بن ابي القاسم التادلي وشرح ابن عامر المسمى "الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، نسخ من طرف أحنيني بن مُجَّد الحسن بن عبد الرحمان الزجاجاوي، وارجوزة في المنازل الخاصة بأوقات الصلاة لمحمد عبد الله بن مُجَّد بن عومر.²

¹ - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص55.

² - مُجَّد الصالح حوتية، توات والازواد، ج1، المرجع السابق، ص ص 300-302.

*- **خزانة ملوكة:** للشيخ مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي الذي ولد سنة 1152هـ وتوفي سنة 1244هـ تقع الخزانة في قصر ملوكة التابع لبلدية تيمي ويوجد بها أزيد من ثلاثمائة مخطوط من بينها: وفيات الأعيان لابن خلكان، و"نوازل المعيار للونشريسي، ورحلة ضيف الله بن اب المزمري.

*- **خزانة الشيخ أبي الانوار:** في زاوية مولاي هيبة بتديكلت مؤسسها الشيخ ابي الانوار التينلاني خلال القرن الثاني عشر الهجري الذي عمل على ائرائها وضم لها الكثير من المخطوطات أثناء زيارته لمنطقة الأزواد وغدامس، وتيكدة.¹

*- **خزانة مولاي سلمان بن علي:** تقع بقصر آدغا والمخطوطات الموجودة بها جمعت من طرف احفاده مولاي سليمان بن علي عن طريق الوراثة بما أقدم مخطوط للقرآن الكريم وأقدم نسخة منه ترجع إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث تصل المخطوطات بها إلى ازيد من 200 مخطوط متنوعة من علوم اللغة إلى الفقه وعلوم القرآن والسير والتراجم والطب وعلم الفلك من بينها:

- أوبة لعبد الرحمان بن مُجَّد بن مسعود الفارسي.
- تحفة الاحباب في هيات النبات والاعشاب للإمام ابي الحسن.
- الطرائف والتلائد ل: سيدي المختار الكنتي.
- المحن والشدائد بتوات لعبد الرحمان الادغاغي.
- شرح العبقري لمحمد بن أب المزمري.
- مرثية الغرناطي بعد سقوط الأندلس، الشريف الغرناطي وغيرها من المخطوطات النفيسة المتنوعة.²

*- **خزانة الطالب مُجَّد بن الطيب بن أمَّجَّد العزاوي:** توجد بقصر غرميانو تضم الخزانة اليوم أكثر من خمسين مخطوطا في أغراض شتى من بينها مخطوط الغنية في العقود لمؤلف مجهول وقسم اليمين للثورة الجزائرية وتقاييد الفقارات.

¹ - مبارك جعفري، مقالات وابحاث، المرجع السابق، ص 218.

² - ادريس بن خويا، البعد العلمي والاجتماعي لزاوية الشيخ سيدي سلمان بن علي بادرار، اعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرانية، ج1، المرجع السابق، ص 340-344.

* - خزنة المطارفة: تقع الخزنة ببلدية المطارفة ولاية ادرار، تم تاسيس هذه الخزنة في نهاية القرن العاشر الهجري بداية القرن الحادي عشر على يد الشيخ مُجَّد العالم بن عبد الكبير الذي سميت الخزنة باسمه، تضم حاليا حوالي خمسمائة مخطوط في مواضع متنوعة، منها الرحلة العياشية ومخطوط تحلية القرطاس في الكلام على مسالة تضمين الخماس، كتاب المفقع في علم ابو المقري، مخطوط في الفلك، منظومة ابن سينا، مخطوط في الطب¹.

الجدول رقم 22: يبين أهم الخزائن في منطقة توات²

خزائن اقليم توات	خزائن اقليم قورارة	خزان اقليم تيديكلت
خزنة الشيخ بن عبدالقادر بن عبدالكريم.	خزنة الشيخ حكيمي مولاي احمد	خزنة شيخ الركب النبوي سيدي ابي نعامة
خزنة باعبدالله	خزنة الشيخ ال الجوزي	خزنة سيدي احمد العالم
خزنة مولاي سليمان ن علي	خزنة الشيخ عراب مُجَّد	خزنة الطالب مبارك حدالله
خزنة أولاد الشيخ سيد اعمر	خزنة الشيخ إبراهيم	خزنة بن مالك
خزنة الشيخ سيدي مُجَّد بن المبروك الجعفري	خزنة الشيخ مُجَّد العالم بن عبد الكبير المطارفي	خزنة احفاد الطالب المختر
خزنة زاوية سيدي البكري	خزنة الشيخ الهاشمي معمر	خزنة الشيخ باي بالعالم
خزنة سيدي بوعلام البلبالي	خزنة الشيخ بولغيتي مُجَّد	خزنة الطالب احمد بوكادي
خزنة ملوكة	خزنة الشيخ بلفضل العربي	خزنة احمد محمود ابي لحية
خزنة سيدي عبدالله البلبالي	خزنة الحاج عبدالقادر مهداوي	خزنة سيدي احمد الدولة
خزنة سيدي بومدين تمنطيط	خزنة الشيخ أولاد موسى	خزنة سيدي المُجَّد ابالحاج
الخزنة البكرية	خزنة الشيخ مولاي عبد الحي	خزنة زاوية سيدي ملوك
خزنة البلباليين	خزنة الشيخ مُجَّد بشيري	خزنة ابناء بن بية
خزنة بعزي عبدالقادر	خزنة الشيخ عبد القادر خالدي	خزنة الانصارين

¹ - مبارك جعفري، مقالات وابحاث، المرجع السابق، ص ص 216، 219.

² - الفرقة التقنية للمركز، دليل خزائن المخطوطات لولاية ادرار، المركز الوطني للمخطوطات ادرار ص ص 4-5.

مما سبق يتبين لنا ان: منطقة توات بحكم موقعها الجغرافي الذي يتوسط الطرق التجارية من الشرق نحو الغرب ومن الشمال نحو الجنوب باعتبارها بوابة للوصول إلى دول الساحل الصحراوي وطريقا تجاريا مهما فقد لعبت دورا كبير في التواصل الثقافي ايضا فكانت طريقا لعبور التيارات الفكرية والمد الحضاري إلى منطقة السودان الغربي.

إن العامل الاقتصادي كان له تأثير ودافع للعامل الثقافي من خلال الدور الذي لعبته الزوايا في نشر العلم والمعرفة.

وحدة الزاوية في منطقة توات المجتمع ووحدة مذاهبه الفكرية من خلال وحدة المذهب المالكي والعقيدة الاشعرية وطريقة الجنيد السالك مما جعل المجتمع يعيش في امن فكري بعيد عن كل أشكال الاختلاف والتطرف متماسكا فكريا ساهم في استقراره اجتماعيا.

شكلت الزوايا جدارا دفاعيا سميكا أمام كل محاولات المسخ والتجهيل وظلت تحارب الأمية والجهل باعتبار الزاوية جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع وسلوكه.

الأدوار الاجتماعية الأخرى التي لعبتها الزوايا جعلت منها سلطة فوق السلطة باعتبارها سلطة روحية دينية إسلامية لم تترك مجالات أمام أي فرقة أو نزاع أحاطت بالمجتمع كما يحيط السور بالقصور التواتية وأذابت كل أشكال التفاوت الطبقي والاجتماعي والاقتصادي بين المجتمع من خلال التكافل.

III- اعلام توات ودورهم في المقاومة الفكرية

بحكم موقع منطقة توات الذي يشرف على أهم الطرق التجارية من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب وممر القوافل الحجاج من سجلماسة وشنقيط عبر صحراء ليبيا نحو منطقة الحجاز جعل المنطقة استراحة الزامية وسط الصحراء المترامية الأطراف فكان يمر به العلماء ويجتمع حولهم الناس للاستفادة من حلقاتهم العلمية كما يمر به التجار فيقضون كذلك حاجيتهم مما أهلها لأن تكون محطة رئيسية لعبت دورا اقتصاديا وحضاريا بعد دخول الإسلام إليها ونشره في افريقيا جنوب الصحراء.

عرفت منطقة توات الاستقرار في مراحل متقدمة مثلما نرى في بعض الروايات فمنهم من يرجعها إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد في عهد الاقباط وتذكر بعض المصادر والآثار إن الفنيقيين والرومان استخدموا طريق توات لتبادل التجاري مع افريقيا جنوب الصحراء.¹

وقد ساهم وضع منطقة توات الجغرافي والاقتصادي والسياسي بجذب عدد كبير من المجموعات البشرية إلى منطقة توات لما توفره من أمن وطمأنينة وحرية مثل اليهود الذين نزحوا إلى المنطقة في وقت مبكر واستقروا بها.²

وقد وصفها ابن خلدون انها بلد مستبحر في العمران وأنها الممر الحتمي الذي تسلكه القوافل إلى بلاد السودان الغربي.³

ومن أهم الطرق التجارية التي كانت تمثل نقاط عبور للقوافل التجارية نذكر:

__ الطريق المتجه من تلمسان نحو بودة مروراً بمنطقة وادي الساورة.

__ الطريق المتجه من الشمال (الوسط) نحو توات من بجاية إلى ورجلان إلى أولاد سعيد بقورارة

__ الطريق المتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب يربط تونس بتوات مروراً ببغدامس إلى عين

صالح إلى اقبلي فأولف وادرار

__ الطريق الذي يربط طرابلس الغرب بتوات مروراً ببغدامس

وأهم الطرق التي تربطها بغرب إفريقيا:

__ طريق رقان إلى تمبوكتو مروراً بتاودي واورات

¹- Camps.G, Les cirilisation prenstouriques de L'Afrique du nord et du sahara-doin, paris, 1974, p 219.

²- Benrard Safforoy, ehronique de tout-centre saharien, Ghardaia, Qlgerie 1994-p01.

أنظر كذلك: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 240.

³- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر السابق، ص 76.

— طريق اقبلي باولف إلى قاو وتمبوكتو مروراً بعين زيرة.¹

لذلك شهدت منطقة توات نهضة علمية وفكرية كبيرة تضاهي آنذاك الحواضر العلمية الكبيرة آنذاك كفاس ومراكش والقاهرة وغيرها وكانت على اتصال وثيق بها، كما ساهمت في نشر الثقافة والدين الإسلامي في أرجاء واسعة من إفريقيا.

ولقد لعبت حاضرة تمنطيط دوراً ريادياً كبيراً في وقت مبكر من هذه النهضة العلمية نظراً لموقعها المميز فقد وصفها ابن بابا حيدة في كتابة القول البسيط في اخبار تمنطيط: «اعلم ان تمنطيط اسم لمدينة في توات اجتمع فيها العلم والولاية والعمارة والرياسة ونصبت بها الأسواق والبضائع وكان لا يستغني عنها غني ولا زاهد».²

وازدادت أهمية المنطقة بعد دخول الإسلام فنشطت حركة التعليم والتعلم وانصرف الناس لطلب العلم والمعرفة فصار منهم العلماء والقضاة والفقهاء واثروا مكتباتهم بالعديد من الكتب في مختلف المجالات الفقه والتفسير واللغة والنحو والصرف وادى استقرار المنطقة إلى توافد العلماء والصالحين ونشروا العلم في اصفاع إفريقيا.³

وحسب احصائيات 1319 هـ الموافق لـ 1901م، فان عدد سكان منطقة توات بلغ حوالي (52099 نسمة) وتضم ثلاثة مائة وتسعة عشر قصراً و1450185 نخلة.⁴

ومن الأسباب التي جعلت المنطقة تشهد هذه الحركة العلمية والثقافية في هذه المرحلة هي:

— بعد المنطقة عن الصراع السياسي وتوفير الامن والاستقرار كان سبباً في قدوم العلماء إلى المنطقة من مختلف الجهات.

— انتشار الزوايا في سائر المناطق الصحراوية والتي جمع شيوخها بين العلم والعمل فساهموا في تبسيط المفاهيم العلمية ما يتماشى وطبيعة المنطقة.

¹ - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج1، المرجع السابق، ص10.

² - ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 14.

³ - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 46.

⁴ - Fillai as Achille, Dictionnaire des communes de L'Algérie, Alger, 1903, p 210.

__ مساهمة اهل المنطقة في دعم الطلبة والمدرسين والزوايا عن طريق الأوقاف والهبات والنفقات.¹

قدوم العلماء إلى منطقة توات:

عرفت منطقة توات خلال القرنين التاسع والعاشر الهجري الخامس عشر والسادس عشر الميلادي هجرة العديد من العلماء إلى المنطقة والذين كان لهم دور كبير في اثراء الحركة العلمية والثقافية بالمنطقة، في الوقت الذي كانت يعرف فيه العالم الإسلامي عموما والمغرب الإسلامي خاصة تقلبات واضطرابات سياسية مختلفة كانت منطقة توات تشهد استقرارا نوعا ما أدى إلى نزوح العلماء اليها طلبا للأمن واستئناسا بالعبادة لله لما كان للمنطقة من أسباب لذلك ويمكن ان نوجز هذه العوامل فيما يلي:

__ الاطماع الاسبانية في السواحل الشمالية المغربية كاستمرار للحروب الصليبية وطرده المسلمين من الأندلس.

__ سقوط دولة الموحيدين (541هـ/668هـ) وانقسامها إلى ثلاث دويلات متنازعة حول السلطة والزعامة، محاولة بسط نفوذها على الأخرى وهذه الدويلات هي دولة بنومرين بفاس ودولة بنو حفص في تونس والدولة الزيانية في تلمسان.²

__ الظروف السياسية المتردية التي كانت سائدة بالمنطقة خلال القرن 8هـ نتيجة النزاعات القبلية وقد شهدت أعنف الفتن التي عرفت بحرب "يحمد وسفيان"، ويرجع سبب هذه التسمية إلى الخطاب الذي ارسله عامل السلطان إلى الملك ومما جاء فيه: «إن أهل الصحراء اشتد الحرب بينهم مثل الحرب الواقع بين احمد صل الله عليه وسلم وبين ابي سفيان» ابي سفيان قبل اسلامه وذلك لإظهار درجة العداوة الواقعة بين هاتين القبيلتين العربيتين باعتبار أن أحمد ﷺ يمثل المسلمين وسفيان يمثل قريش وقيل أن يحمد تحريف لكلمة يحي وسفيان هي قبيلة من البربر حاربت يحمد فصارت عدواة بين يحمد وسفيان.³

¹ - فاطمة حموني، المرجع السابق، ص 42.

² - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، المرجع السابق، ص 39.

³ - زينب سالمي، المرجع السابق، ص 22.

ونتج عن ذلك انقسام توات إلى أحلاف تكن العداء لبعضها البعض وأصبحت القبائل التواتية مخيرة لأن تتبع حلف من الاحلاف كما سعت هذه الأحلاف ان تكسب مؤيدين لها من خارج الديار التواتية مثل تحالف قبيلة يحمد مع عرب ذوي منيع والتوارق بينما انضمت سفيان إلى عرب الغنائمة والشعانية.¹

ومن أمثلة هذا العداء الجنوبي أن قبيلة اكدوغ من رقان التي كانت في حلف سفيان اثناء مرورها على زاوية سيدي عبد القادر التي تنتمي إلى حلف يحمد حيث رفض قبيلة اكدوغ ضيافة هذا القصر وسلبوا السكان املاكهم واتجهوا بها نحو تمنطيط التي كانت مع حلفهم إلا أن الاخوان سيدي مُجَّد الصالح وسيد عبد الكريم أبناء عبد الحق التمنطيطي سعوا إلى محاولة الصلح بين الطرفين مع العلم أن ذلك الصراع ظل مستمر إلى غاية دخول الاستعمار الفرنسي الذي حاول الاستثمار فيه طبقا لسياسية فرق تسد.²

تدهور الأوضاع الداخلية وما نتج عنه من فساد الحكام أدى إلى هجرة العديد من العلماء من المناطق الشمالية إلى مناطق أخرى منها المناطق الصحراوية، حيث شهدت المنطقة في القرن الرابع عشر نزوح العديد من العلماء من مختلف الأقاليم المجاورة من تلمسان وفاس وهذا يعود للظروف التي كان يعيشها العلماء في بلدهم ومن العلماء الذين نزلوا في المنطقة تحم مولاي سليمان بن علي حيث ترجع الوثائق إلى سبب نزوحه إلى المنطقة بأمر من شيخه علي بن حرزهم³ والذي أمره بشد الرحال إلى توات فوصل إلى أرضها سنة 580هـ 1184م فدخل إلى قرية عربان الراس بتسايت⁴ بالإضافة إلى ذلك مُجَّد الرقاد الكنتي هو الاخر لما دعاه السلطان ليتولى القضاء امتنع وخرج فارا إلى توات التي أسس بها زاويته سنة 999هـ 1590م.⁵

¹ - احمد بوسعيد، المرجع السابق، ص 43.

² - مُجَّد الصالح حوتية، توات والازواد، ج 1، المرجع السابق، ص 50 - 51.

³ - علي بن حرزهم، هو دفين فاس بالمغرب الاقصى عاش في عهد المرابطين كما يعد من مجددتي التصوف بالمغرب. ينظر: سامي زينب، المرجع السابق السابق، ص 26.

⁴ - التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، ج 1، المرجع السابق، ص 89

⁵ - مبارك جعفري، مقالات وأبحاث، المرجع السابق، ص 93.

ضف إلى ذلك الاضطرابات السياسية التي شهدتها التاريخ ابان الدولة الزيانية، وخير دليل على ذلك لما اشتد ساعد أبو عبد الله الأمر الذي جعل المغيلي يشد رحاله من تلمسان إلى توات فكان أبو عبد الله يتضايق من وضعية عصره وينكر على الحكام المسلمين.¹

كما أن علماء توات كانت لهم مراسلات مع تلمسان، فنازلت اليهود في تمنطيط التي وقعت بين الشيخ المغيلي والعصنوني قد راسل فيها علماء توات علماء تلمسان حول هذه النازلة.²

ومن الأسباب التي أدت العلماء إلى الهجرة إلى المنطقة كونها منطقة استراتيجية عرفت على مر التاريخ بالأمان والاستقرار والاطمئنان³ وبلد ملائم للعلم والتعلم ومن أمثلة ذلك ما قاله الشيخ المغيلي: «دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقر اكابر واعلام فنتفعنا منهم وانتفعوا منا»⁴، كما أشار إلى ذلك صاحب درة الأفلام في قوله: «أما بالنسبة لمنطقة توات فهي لاتنكأ ظالما ولا تمنع غانما وهي اضعف بلاد المغرب قاطبة غالب أهلها ضعفاء مستضعفون ولضعف أهلها وهضم قوة النفوس كثر فيها الصالحون والزهاد وأرباب القلوب».⁵

وقال عنهم احمد الطاهري الادريسي: «يتميز اهل توات بنقاء الاخلاق وحسن الطباع وصفاء السرية وأصالة العادات والتقاليد فهم يعظمون اهل الفضل والصلاح من العلماء والفقهاء وحملة القران الكريم فكانت بذلك أرض علم وبركة».⁶

يتضح لنا مما سبق أن منطقة توات كانت رباطا منقطعا وملائما للعبادة والزهد والعلم فهي منطقة ندره انعكست على أخلاق ساكنيها قناعة ورضا وزهدا وكرما، فموقعها الجغرافي في أطراف الصحراء جعلنها منطقة بعيدة عن مراكز القرار السياسي كما أن أرضها الفقيرة أبعدت عنها عيون الطامعين والعاثين من الدول والممالك لما يأسو من فائدة منها ترجى فأخذ سكان توات القناعة والرضى

¹ - الصديق حاج أحمد، المرجع السابق، ص ص 63 - 64.

² - احمد بن يحيى الونشريسي، المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والاندلس والعرب، المصدر السابق، ص ص 3-4.

³ - احمد جعفري، الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين 12-13هـ أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب كلية العلوم الإنسانية إشراف محمد رمزي، جامعة ابي بكر للقايد 2006 - 2007، ص 14.

⁴ - احمد الحمدي، المرجع السابق، ص 65.

⁵ - محمد بن عبد الكريم البكري، المصدر السابق، ص 08.

⁶ - مولاي احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 52.

بالقليل والأخذ من العافية الكثير فكانت مكانا يستأنس فيه كل طالب للعلم والمعرفة والتعبد والبعد عن الدنيا لذلك وجد فيها العلماء والفقهاء اعتكافا لهم والتواصل مع غيرهم باعتبارهم منطقة عبور للتجار والحجيج مما أكسبها مكانة خاصة.³

أهم العلماء الذين توافدوا على منطقة توات

*- **مولاي سليمان بن علي**: هو الشيخ سيدي سليمان بن مولاي علي الشريف دفين أولاد وشن وكان سبب مجيئه لمنطقة توات وصية شيخه سيدي علي بن حرزهم دفين فاس، الذي امره بالانطلاق إلى بلدة أهلها كلهم عباد الله وهو قطب توات¹ توفي 1271/هـ 670م ينتهي نسبه إلى الامام حسن بن علي كرم الله وجهه ولد بفاس 1154/هـ 549م حيث هاجر إلى أرض غزوان وبعدها إلى توات² نزل بتينلان ثم انتقل بعدها إلى أولاد عيسى سنة 1197/هـ 593م ليستقرا أخيرا بأولاد وشن سنة 1199/هـ 595م وأسس زاويته التي أصبحت مقصدا للطلبة من كل مكان وعابري السبيل والفقراء³ وقد تميزت زاويته بكثرة الانفاق فكانت زاويته للعلم للفقراء وعابري السبيل ونقطة راحة لركب الحجيج كما أنها كانت تتميز بوجود مكتبة غنية بامهات الكتب المختلفة المشارب الفقهية والنحوية والطب والفلك والحساب وغيرها⁴، وبعد وفاته أقيم له ضريح وتقام له زيارة سنوية له يأتي السكان من مختلف المناطق التواتية حتى أصبح يعرف بسطان تيمي توفي سنة 1271_هـ 670م.⁵

*- **الشيخ سيدي عبد الله العصنوني**: (ت 914_هـ 1561م) دخل توات صحبه ابن أخيه سيدي سالم سنة 863هـ وتولى قضاء الجماعة التواتية بعد وفاة شخيه سيدي يحيى بن يدير سنة 877هـ، وتعتبر عائلته من بين العائلات التي ساهمت بشكل كبير في نشر الثقافة الإسلامية في توات كما نشروا الديانة الإسلامية في بلاد السودان الغربي.⁶

¹ - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج1، ص 89.

² - احمد بولعراف، مخطوط تقييد في نسب الولي الصالح مولاي سليمان بن علي، خزنة سيد عبد الله البلبالي، كوسام، ادرار، الجزائر، الورقة 04.

³ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 68 وانظر كذلك مبارك جعفري بن الصافي، مقالات وابعث، المرجع السابق، ص 186.

⁴ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 68.

⁵ - دليل ولاية ادرار، المرجع السابق، ص 19.

⁶ - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 70.

وعندما جاء الشيخ من تلمسان نزل في بادئ الامر في بني تامر احدى قصور تيمي، ومع مرور الزمن انتقل إلى تمنطيط، اشتهر بعلمه تولى منصب القضاء، خالف الشيخ المغيلي ونازعه في هدم كنائس اليهود بتوات وراسل في ذلك علماء فاس ومكناس¹، كان فقيها متمكنا مارس التدريس مدة طويلة حيث درس اللغة العربية والحديث والفقه والبيان وهو مفتي الديار التواتية في زمانه واشتهر بتغليب جانب المصلحة في فتواه فكان يراعى ظروف النازلة قبل الفتوى فيها، ويفتي من غير افساد للدين عرف بقوة ذاكرته التي ساعدته إلى جانب شيخه يحي بن يدير واكبر محنة واجهته هي نازلة اليهود.²

توفي رحمه الله عند صلاة العصر من يوم الثلاثاء 16 ذي القعدة عام 968هـ-1560م ترك مؤلفات كثيرة منها نظم في 300 بيت يشمل على أمور الاخرة من نشر وحشر وحساب وعقاب وجنة ونار وورد عنه انه عندما كان يعقد مجلسه للقضاء يأمر رجلين ان يقفا على رأسه ويتلوان قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ وكان لا يخاف في الله لومة لائم.³

*- عيسى ابن مُجَّد البيطوي: قدم إلى توات سنة 714هـ_1314م نزل بجي أولاد مُجَّد بمنطقة تمنطيط ام الناس للصلاة في المسجد الذي شيده، عرف بعلمه وأخلاقه وذاع صيته بين الناس، تولى القضاء وسار بذلك بالعدل والانصاف.⁴

*- أبو يحي المتباري: (توفي سنة 840هـ) والذي استقر بتمنطيط سنة 815هـ_1412م والتي أسس بها زاويته المشهورة التي عمل فيها على نشر العلم والمعرفة وتعليم أمور الدين ونظرا لسعة علمه تولى القضاء وقد وصفه ابن بابا حيدة قائلاً: «...ذكره علماء البلاد واغنى الاكابر والاولياء المشاهير اولهم على ما بلغنا ذكره جدنا سيدي أبو يحي ابن مُجَّد المتباري وأرى المتبار نسبة لابي منبار قبيلة معروفة بأرض تالول، وجدنا نزل تمنطيط خمسة وعشر وثمانمائة في القرن التاسع بعد الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وتقضى على توات كلها وكانت مؤونته عليهم فيما يحكى خمسمائة مثقال ويحكى عنه العدل والصلاح...»، ولقد شهد له اهل المنطقة بالعلم الواسع وقد سار في ذلك

¹ - مُجَّد بن عبد الكريم، درة الافلام، المخطوط السابق، ص 12.

² - احمد الحمدي، الفقيه المصلح، المرجع السابق، ص 57-58.

³ - مُجَّد بن عبد الكريم البكري، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الالف الثاني، مخطوط بخزانة مُجَّد باي بلعالم، اولف، ورقة 25.

⁴ - مبارك جعفري، مقالات وأبحاث، المرجع السابق، ص 87.

على قدر كبير من العدل والصلاح وتتضح مكانته كذلك في مجال القضاء من الأجر الوافر الذي كان يدفع له على توليته القضاء توفي رحمه الله سنة 840هـ_1430م وترك اثره العلمي في منطقة توات.¹

*- **عبد الكريم المغيلي:** هو مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي وكنيته أبو عبد الله يرجع نسبه إلى الحسن المتني ولد في مغيلة فلقب بالمغيلي نسبة لها يرجع مولده إلى عام 790هـ_1388م ورغم الاختلاف حول مولده إلا أنهم اتفقوا حول وفاته كانت سنة 909هـ_1503م يعتبر من ابرز وجوه الحركة الفكرية بتوات والغرب الإسلامي في نهاية القرن 9هـ إلى 15م.²

حيث ان المغيلي تلقى مبادئ دراسته الأولى بمسقط رأسه المغيلة وبعدها اتجها نحو تلمسان فحفظ كتاب الله عز وجل وبعض أمهات الفقه المالكي على يد الشيخ سيد مُجَّد بن احمد بن عيسى المغيلي واتصل بالشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي فاخذ عنه التفسير والقراءات والتصوف ثم ذهب بعد ذلك لبجاية ونهل من شيوخها ثم قفل راجعا إلى تلمسان، ثم خرج من تلمسان التي كان ناقما على سياستها وحكامها إلى توات فدخل تمنطيط ونزل بقصر سيدي يعقوب فأخذ من فقهاءها وجالس علمائها وناظر ادبائها فكان كما قال رحمه الله «انتفعت منهم وانتفعوا مني».³

ولقد قضى الشيخ المغيلي سنين عديدة ينتقل بين توات وإقليم السودان الغربي ويبدل جهودا إصلاحية جبارة في ميادين التعليم وتصحيح الأفكار والعقائد وتهذيب المجتمع وتنظيم الحركة وشؤون الأسرة ونشر الإسلام حتى انه سلب بعلمه وأسلوبه وتواضعه فكر الملوك ومحبة الشعوب، واهم اعماله سيطرته على اليهود الموجدين بالمنطقة وأعلن عليهم الحرب وأمر بهدم كنائسهم رغم معارضة بعض العلماء مثل عبد الله العصنوتي كما يعتبر اول من ادخل الطريق القادرية لتوات ومن هنا كانت له شهرة واسعة في توات وإفريقيا.⁴

¹ - زينب سالمي، المرجع السابق، ص 37.

² - احمد الحمدي، المرجع السابق، ص 18-20.

³ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 72.

⁴ - خير الدين شثرة، الفكر الإصلاحي والدعوي عند الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013، ص22.

له العديد من المؤلفات مثل: أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي، البدر المنير في علوم التفسير، تنبيه الغافلين عن المنكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين عن منكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين، الرد على المعتزلة، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المعروض من علم العروض، منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب (وهي منظومة عليها عدة شروح)¹، وله عدة تلاميذ اخذوا عنه العلم وكانوا منارات زمانهم منهم: عمر الشيخ بن احمد البكاي (ولد حوالي 865هـ_1440م) الذي ورث عنه رئاسة الطريقة القادرية وواصل نشر أفكاره الداعية التي تثبت العقيدة والدين الإسلامي، ومُجد عبد الجبار الفيحجي عالم متصوف له إمام كبير بعلوم الحديث ورواياته، وإبراهيم بن عبد الجبار الفيحجي وهو أكبر أبناء الشيخ عبد الجبار وأغزرهم علما وأدبا، الذي شاطر الشيخ المغيلي كلياً في آرائه حول طرد اليهود وهاجم كل من عارضه.²

أقام الشيخ المغيلي في منطقة توات للعبادة والتعليم وحارب اليهود الذين فشل في استئصالهم منها اثر عودتهم اليها بعد انشغاله عنها وتوفي بمنطقة بوعلي سنة 909هـ ووفيهما قبره قدس الله سره.³

*- الشيخ ميمون بن عمرو بن مُجد الباز: (ت 1901هـ_1496م) هو الشيخ ميمون بن عمرو الباز جاء مع ابيه وأخيه التهامي من فاس بالمغرب بعد ان تتلمذ على يد شيخه الإمام مُجد بن احمد بن غازي المكناسي وكان بمجيئه في نهاية القرن التاسع الهجري، نزل بتمنيط بأولاد محمود وتزوج السيدة فاطمة بنت الشيخ عبد الله العصنوتي، اشتهر بعلمه وورعه وهو الجد الأول للعائلة البكرية بتمنيط والتي كان لها دور كبير في النشاط بالمنطقة وخلف الشيخ ميمون العديد من الأبناء منهم ابنه الشيخ احمد وإبنة ابا مُجد المتوفى سنة 1000هـ_1592م والذي عاصر سالم بن محمود العصنوتي وصاهره توفي الشيخ ميمون بتوات في 901هـ_1592م، ومن مؤلفاته نوازل في العبادات والأحكام والعوائد الجارية بتوات تعرف بنوازل العالم والفية الغريب في اللغة القرآنية تشتمل على 10000 بيت.⁴

¹ - احمد بن بابا التمبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج2، حرف الميم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 151.

² - احمد الحمدي، الفقيه المصلح، المرجع السابق، ص ص 29 - 32.

³ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 72.

⁴ - زينب سالمى، المرجع السابق، ص 40.

*- الشيخ يحيى بن يذر بن عتيق التدلسي: هو أحد العلماء الفضلاء كان له اثر بارز في منطقة تمنطيط نزل بتوات عام 845 هـ_1444م اخذ عنه جمع غفير عرف باستقامته والزهد في متاع الدنيا ومن بين من اخذ عنه الشيخ سيدي عبد الكريم المغيلي.¹ توفي رحمه الله سنة 877هـ_1472م دفن بمقبرة أولاد سيدي علي بن موسى بتمنطيط.²

*- الشيخ سالم بن محمد بن ابي بكر العصنوتي: هو القاضي سالم بن محمد بن ابي بكر العصنوتي ولد سنة 882هـ_1477م من اسرة علمية³، وهو من الشيوخ المعتمد عليهم كان نحويا كما كان له سبق في علم الحديث وكان حسن السيرة على معرفة بالحدود تلقى علومه على عدد من الشيوخ في مقدمتهم والده رحمه الله هو الشيخ سالم السنهوري والسيد محمد النحواوي والشيخ يحيى الانبائي والشيخ سيد محمد والقطب سيدي محمد بن زين العابدين بن سيدي محمد البكري،⁴ ويذكر ان الشيخ ولد بتوات بعدما رحل ابوه الشيخ عبد الله العصنوتي مع أخيه محمد بن ابي بكر لأن الشيخ ابن بابا حيدة ارخ لميلاده بدخول الشيخ المغيلي لتوات حيث قال: «ولد عام اثنين وثمانين وثمانمائة وفي تلك السنة جاء الشيخ بن عبد الكريم المغيلي إلى تمنطيط ونزل بأولاد يعقوب»⁵، كما ذكر الشيخ محمد بن عبد الكريم بكر اوي في درة الأفلام فقال: «ولد سنة اثنين وثمانمائة وهي السنة التي جاء فيها محمد بن عبد الكريم المغيلي لتمنطيط»⁶ جلس للتدريس وانتفع به ناس كثيرون وكان عالما فقيها رحل إلى بلاد السودان واسلم على يده كثيرون.⁷

وقال عنه محمد بن عبد الكريم: «ثم ان قاضي الجماعة الشيخ سيدي سالم بن محمد بن ابي بكر العصنوتي سار بسيرة العدل بين المسلمين وورد عنه انه كان عند مجلسه للقضاء يأمر الرجلين ان يقفا على رأسه ويتلون قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ وكان

¹ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 68.

² - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم اعلام توات، منشورات دار الرياحين، الجزائر، 2013، ص 403.

³ - ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 206.

⁴ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص ص 75 - 76.

⁵ - ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 206.

⁶ - محمد بن عبد الكريم، المصدر السابق، الورقة 20.

⁷ - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 19.

لا يخاف في الله لومة لائم»¹ فناله من ذلك ضرر عظيم من قبل الجبابرة ثم لم يزالوا به حتى كمن له بعض الاوغاد من أولاد داوود فضربوه بالرصاص عمدا حتى وافاه الله عند صلاة العصر من يوم الثلاثاء 16 ذي القعدة عام 968هـ_1561م.²

*- احمد بن الشيخ مُجَدِّد الرقاد الكنتي: هو العالم احمد بن الشيخ مُجَدِّد المعروف بالقيوم ابن عمر الشيخ ابن الشيخ سيدي احمد البكاي ينتهي نسبه إلى عقبة بن نافع الفهري ولد سنة 968هـ_1561م بواد نون جنوب المغرب، حفظ القرآن الكريم على يد والده، أخذ الطريقة عن جده سيد المختار الشيخ بن أعمر كما اخذ عن ابيه رسالة ابن ابي زيد القيرواني ومختصر البرادعي وكتب ابن رشيد ومختصر الشيخ خليل وتحفة الحكام لابن عاصم وتبصره الحكام لابن فرحون المالكي ثم انتقل إلى فاس لطلب العلم وهناك أجازته كثير من العلماء وحاز على مكانة علمية مرموقة.³

وبعد عودته لواد نون طلب منه السلطان تولي القضاء فرفض وخرج فارا إلى توات وبها شيد زاويته سنة 999هـ_1590م⁴، وقد اختط زاويته من الأرض التي اشتراها من أولاد جرير ومن اهل عزي ومن اهل المقاطبة واما حدود الزاوية فيحدها شرقا قصر عزي وغربا القصبة وسبخة وادي مسعود وشمالا وادي عربي وقد أسس مسجدتها سنة 1034هـ_1624م.⁵

توفي بالزاوية الكنتية عام 1060هـ_1652م عن عمر ناهز مائة سنة تاركا وصية لابنه سيدي علي يقول فيها: «يا بني ان خلفتك من بعدي للتعلم والتدريس والتربية والدعوة إلى الله عز وجل فعليك بملازمة التقوى والاستقامة وحسن الجوار والمعاشرة لساداتنا الاشراف الذين حلوا بساحتنا وارعي لهم حرمتهم ولا تنظر إلى من شرد منهم ولوا ذاك فبمحبتهم يقوى ايمانك ويبغضهم والاساءة اليهم يضعف

¹ - مُجَدِّد بن عبد الكريم، درة الافلام، المصدر السابق، الورقة 19.

² - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 163.

³ - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 80.

⁴ - جعفري مبارك بن الصائي، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، المرجع السابق، ص 18.

⁵ - مُجَدِّد الصالح حوتية، توات والازواد، المرجع السابق، ص 242.

إيمانك واعلم انك واقف بين يدي الله ومسؤول عن محبة ال البيت الرسول (ص) بنص الكتاب والسنة»¹.

ومن ابناؤه كذلك: عمر، عبد الوهاب، عبد المومن، أمجد علي عبد القادر، محمد، مصطفى عبد الله، اما الاناث فهم ثلاثة عائشة، فاطمة، خديجة، وقد زوج احدى بناته إلى الشريف مولاي محمد الذي نزل بزواية الكنتي واختلط بالمصاهرة مع الكنتيين فكان لهؤلاء الاشراف مساهمة في الزاوية الكنتية وقد شاطروا الكنتي في زاويتهم وبساتينهم ومساكنهم.²

وضريحه موجود بزواية كنتة³ وقد تخرج على يده طائفة من العلماء نذكر منهم مولاي عبد المالك جد شرفاء بوعلي، ومولاي عبد القادر جد شرفاء قرية اطوى.⁴

* - محمد الأداوعللي: هو محمد بن إبراهيم بن سيدي محمد بك العلوي بن ثال بن يحيى بن علي بن لحر بن همكت بن علي بن يح بن كتبال بن عبد جابر بن عبد الرحمان بن عبد الله بن إبراهيم بن ادريس ينتهي نسبه إلى يحيى بن علي بن عبد الكريم الكامل بن الحسن المثنى بن علي كرم الله وجهه،⁵ وينتسب الشيخ سيدي محمد الاداوعللي لقبيلة دوعل الشنقيطية ولد بشنقيط ودرس بها ثم خرج منها على رأس وقد للحجيج من مختلف المناطق الإفريقية يريد البقاع المقدسة ولما وصل إلى منطقة عين صالح بتوات توقف عن المسير وترك القافلة وقصد زاوية الركب النبوي بأقبلي تتلمذ على يد الشيخ البكري والشيخ سيدي الغازي بالمغرب كان له باع طويل في اللغة والأدب، استقر بقصر اعباني بمنطقة فنوغيل حيث أسس هناك زاوية ومدرسة قرآنية.⁶

عرف شعره ومن بين اشعاره

زر من هويت ولا تصبوا لمن عدلا على هواه وسق لربعه الايلا

¹ - عبد الله مقلاتي، جعفري مبارك، المرجع السابق، ص ص 80 - 81.

² - محمد الصالح حوتية، توات والازواد، ج1، المرجع السابق، ص 243.

³ - محمد الصالح حوتية، آل كنتة، المرجع السابق، ص 241.

⁴ - مبارك جعفري، العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 114.

⁵ - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج1، المرجع السابق، ص 116.

⁶ - عبد الله مقلاتي، جعفري مبارك، المرجع السابق، ص 293.

وحط للسيد البكري ركاب منى	تجد من العلم عند بابه الاملا
واذكر كرميا قصاه للعلا خلق	عذب وفاز بسؤل من به نزلا
وحي متى حبيبا طال ما فتحت	مفتاح العلم فيه للنهى سبيلا
ومن تجلت له العلوم وانكشفت	له رموز علوم السادات الفضلاء
ومن به خائص بحر العلم نور حجي	ومن أجال في بحر المنطق المقلا
ومن حوى من فنون العلم مرتبة	ماجلها قبله في الفقه من دخلا ¹

عاش متنقلا بين أرض شنقيط وتوات وافته المنية في آخر القرن الثاني عشر² وله مؤلفات وقصائد وأشعار كثيرة منها نونية في مدح الرسول ﷺ وعدد أبياتها 133 بيتا وميمية عدد أبياتها 105 بيت.³

لقد أثمرت هذه الهجرات العلمية إلى منطقة توات حركة علمية ثقافية تربوية في منطقة توات خلال القرن 12هـ بفعل ظهور العديد من الزوايا التي اخذت على عاتقها أدورا مختلفة علمية واجتماعية وثقافية تغذت من موقع المنطقة الاستراتيجي كنقطة التقاء للعديد من الطرق التجارية خاصة المتجهة نحو الجنوب حيث جعلت من منطقة توات حاضرة علمية واجتماعية وثقافية تضاهي الحواضر العلمية الأخرى وانتشرت حركة التأليف والتدريس ولعبت أدورا مهمة في نشر الإسلام في ربوع القارة الافريقية كما وضعت الأساس المتين للوقوف في وجه كل حركة استعمارية تنصيرية تغريبية في المنطقة ووقفت في وجه العواصف الفكرية الغربية ونواة لمقاومة الاحتلال الفرنسي في المنطقة فكريا وعسكريا.

من علماء منطقة توات خلال القرن العشرين: شهدت منطقة توات هجرات بشرية ووفود

العلماء من مختلف المناطق وتأثر بحركة التصوف في المشرق والمغرب في القرن الثاني عشر الهجري مما افرز حركة علمية وثقافية كبيرة وذلك بفعل موقعة الاستراتيجي المهم في خطوط القوافل التجارية وركب

¹ - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج1، المرجع السابق، ص117.

² - احمد ابا الصافي جعفري، رجال في الذاكرة الشيخ سيدي ادواعلي، ف16هـ، حياته، شعره، ط2، مكتبة النهضة المصرية، 2000، ص ص 6 - 7.

³ - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 293 - 292.

الحجيج انتصب فيه الشيوخ والزوايا الذين وقفوا للتدريس والتعليم والمحافظة على عناصر الهوية الوطنية حتى مجيء الاستعمار الفرنسي وقفوا يحافظون ويدافعون عن الدين الإسلامي واللغة العربية ومقومات الشخصية الوطنية عامة من جهة ومن جهة أخرى يدعمون المقاومة ضد المستعمر بكافة الأشكال ومن بين هؤلاء الشيوخ في هذه الفترة نذكر ما يلي:

1- الشيخ سيدي احمد ديدي البكراوي: ولد رحمة الله عليه بتمنطيط سنة 1299هـ الموافق ل 1879م حيث اخذ مبادئ علومه الأولى بها فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ الطالب مُجَّد بن الطالب عبد الواحد واخذ مبادئ النحو والفقه على يد أخيه الشيخ سيدي البكري بن سيدي مُجَّد العالم الذي كان احد شيوخ الشورى في مجلس قضاء توات¹ ثم انتقل إلى كوسام واتصل بالشيخ سيدي عبد الله بن مُجَّد البلبالي وبعد خمس سنوات من التحصيل عاد إلى تمنطيط وتربع على عرش التدريس والافتاء.²

سميت مدرسته بالفتح المبين يعلم فيها الناس لا يشغله عنها شاغل³ تخرج على يديه الكثير من العلماء والفقهاء مثل الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير والحاج التتلاي والشيخ سيدي الحاج احمد بن عبد الرحمان نومناس البكراوي والشيخ احمد الدلدول، والشيخ مولاي سالم ومولاي إسماعيل.⁴

وقد ابتكر نظام دقيق في التدريس فهو يدرس إلا بالفصحى وكان يبدأ درسه بشرح متن بن عاشر ويقراً العبقري بعدها الأوجالي والأخضري وبعدها يشرح في النحو الأجرومية وملحة الاعراب وألفية بن مالك وبعدها رسالة ابي زيد القيرواني ومختصر خليل ثم تحفة الحكام لابن عاصم ثم يجتم درسه بالحكم العطائية توفي رحمه الله عام 1370هـ الموافق ل 1960م.⁵

2- الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير: ولد رحمة الله في قرية الغمارة بلدية بودة، تعلم مبادئ علومه وحفظ القرآن الكريم ثم انتقل إلى تمنطيط لدى الشيخ سيدي احمد ديدي بن سيدي مُجَّد العالم ابن أتم

¹ - عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 175.

² - دليل ولاية ادرار، واحات من الفن وقصور الامن الجزائر، ص 85.

³ - احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 103.

⁴ - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج2، المرجع السابق، ص 394.

⁵ - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 95.

حفظ كتاب الله وضبطه، وبعد ان اتم المتون الأولى انتقل إلى قراءة ابن أبي زيد والاجرومية وبعدها لألفية خليل بن عاصم وكان رحمه الله سريع الحفظ.¹

وقد ولد رحمه الله عام 1330هـ/1911م وينحدر من سلالة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه من ابوين كريمين وهما السيد عبد الله بن مُجَّد والسيدة المرحومة مباركة رحموني ببلدة بودة قصر الغمارة الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة ادرار على بعد 25 كلم وله اخوة وهم السيد الحاج عبد القادر وثلاث اخوة توفو وهم صغار وهم السيد المُجَّد والسيد عبد الرحمان والسيد احمد.²

رحلته في طلب العلم: كان لعائلته فضل السبق في تعليمه حيث حفظ القرآن الكريم ودراسة المبادئ الاولية في الفقه المالكي والنحو والتجويد، ولما ناهز البلوغ رحل به خاله الطالب المُجَّد إلى عاصمة العلم وملتقى العلماء انذاك بتمنيط على الشيخ سيدي احمد ديدي ونظرا لحبه الشديد لطلب العلم كان شيخه يجلسه إلى جانبه ويقربه اليه ويهتم به.³

وبعد أن درس عند شيخه سيد احمد ديدي كان للشيخ اتصال علمي وروحي بشيوخ كرزاز ال الشيخ سيدي احمد بن موسى دفين كرزاز كما اتصل بعلماء تلمسان مثل الشيخ علي بن البكري التردإلى والشيخ على البودلومي وكانت له رحلة إلى المغرب تعرف فيها على بعض العلماء القرويين وأولى مهماته أنه كان قائما على التعليم بناحية العريشة والمشرية ثم انتقل إلى تيميمون للقيام بتعليم الفقه وتدریس القرآن.⁴

وقد أخذ الشيخ الطريقة الموسوية عن الشيخ سيدي بوفلجة بن عبد الرحمان شيخ الطريقة في وقته⁵، واخذ عنه الطريقة الصوفية فكان صوفيا بطبعه وفكره وأخلاقه وسلوكه وتربيته وثقافته عنوانه

¹ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 106.

² - غيتاوي التهامي، الاشراف الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي مُجَّد بن الكبير رحمه الله، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار وحدة الروبية، الجزائر، 2007، ص 9.

³ - مُجَّد شاهدي: الشيخ مُجَّد بلكبیر ودوره الثقافي والاجتماعي في إقليم توات خلال القرن ال 20 (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم الإنسانية، لم تنشر) إشراف الدكتور مُجَّد الصالح حوتية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة احمد دراية ادرار، 2011-2012، ص 19.

⁴ - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج 1، المرجع السابق، ص 364.

⁵ - مُجَّد عبد الحق بكراوي، الشيخ مُجَّد بلكبیر، رسالة ادرار، مجلة تصدر عن ولاية ادرار، العدد 2، ص 32.

الكتاب والسنة كان خلقه القرآن، كانت مائدته مفتوحة للضعفاء والمساكين وعابري السبيل، وكان الشيخ رحمه الله من السالكين إلى الله تعالى على طريقة القوم في مجاهدة النفس والاجتهاد في الطاعات والأذكار وإعمار القلب بمحبة الله وقد أخذ نفسه بما أخذ به السلف الصالح انفسهم من أهل السنة والجماعة في لزوم الجادة والمحجة المحمدية والتي لا يزيغ عنها إلا هالك.¹

وفي وقت صعب هو وجود الاستعمار الفرنسي بالمنطقة كانت فكرة افتتاح المدرسة القرآنية بأدرار وذلك في سنة 1950م حيث تولى الخطابة والإمامة وتعليم القرآن الكريم حيث لم يكن يملك بساتين ولا أموال ولا ضياع، بل كان متوكلا على الله عز وجل في هذا العمل.²

وقد بذل الحاج احمد كأبويه جهدا في فتح هذه المدرسة بعدما اشترى القايد في ذلك الوقت، صاحب قصبه القائد أرض المدرسة وجهاز للشيخ مسكنه بين المدرسة والمسجد وابتدأ بمجموعة قليلة من الطلبة من بينهم الحاج سالم بن ابراهيم وبوحسي والحاج الدباغي والحاج عبد الله عزيزي وفي سنة 1951م توفي شيخ شيخنا سيدي محمد بلكبير وهو الشيخ احمد ديدي رحمة الله عليه وفي سنة 1952 بنيت المدرسة وفي سنة 1953م حج الشيخ إلى البقاع المقدسة وفي طريق رجوعه على مصر أختير الشيخ من علماء مصر في الفية بن مالك وكان المصريون يدعونه بعالم توات وكانت تلك حجته الاولى والأخيرة فكان يقول: «من أدى فرضه يقبض أرضه».³

أخلاقه: كان عارفا بالله عز وجل عالم بالكتاب والسنة والأقوال والأفعال والعبادات، يتجنب البدع ويكثر من الذكر والدعاء، كان زاهدا متجردا متحققا بعبوديته لله تعالى، مخالفا لهوى النفس تاركا كل ما يزرى بالرجل الكريم مقبلا على الحق معرضا عن الباطل مخلصا لله عز وجل، عبادته على منهج

¹ - غيتاوي التهامي، الاشراف الكبير، المرجع السابق، ص ص 22 - 23.

² - غيتاوي التهامي، نفسه، ص 31.

³ - محمد الطاهر بن التواتي الساجي، شيخنا الامام كما عرفناه سيدي محمد بلكبير رحمه الله، دار الطبع بن خلدون، تلمسان الجزائر، بدون سنة طبع، ص 62.

الشرع ولا رخصة عنده في مؤكد السنن والرغائب، المداومة على مراقبة الله عز وجل في السر والعلانية، مداوما على السكينة والوقار، أنس في مجلسه مرهف في احساسه متواضعا كريما.¹

وكانت مدرسته وعاء احتضن الطلبة من كل أنحاء الوطن وحتى من خارجه (ليبيا، مالي، النيجر، موريتانيا) وانتشر صيتها في كل الاصفاع وزارها الزوار من كل الاصفاع وتخرج منها العديد من الطلبة والفقهاء والعلماء والأئمة ومعلمي القرآن²، وقد وصلت في بعض الاوقات إلى 1200 طالب في نظام تربوي داخلي وخارجي.

قدمت للشيخ عدة شهادات تقديرية منها شهادة الليسانس من وزارة الاوقاف، شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة وهران في 1997م أسداه رئيس الجمهورية وسام الاستحقاق الوطني في سنة 1999م.³

توفي الشيخ يوم الجمعة 16 جمادي الثاني 1421هـ الموافق لـ 15 سبتمبر 2000م.⁴

وقد تفرعت عن المدرسة العديد من المدارس التي تعلم القرآن وتحفظه في ربوع الولاية مثل:

- مدرسة زاوية الدباغ وشيخها السيد مُجَّد الدباغي
- مدرسة نومناس وشيخها العلامة الحاج عبد القادر بكاروي
- مدرسة انجزمير وشيخها العلامة الشيخ الحسان
- مدرسة رقان وشيخها الشيخ عبد الكريم الدباغي
- مدرسة زاجلوا وشيخها الشيخ العالمي
- مدرسة ادغاغ وشيخها حماوي
- مدرسة تيميمون وشيخها احمد خليلي

¹ - بوبكر معزيز، الملامح الاصلاحية للشيخ سيدي مُجَّد بلكبير رحمته الله (حضور لقضايا الحياة والدين، حضور لعناصر الهوية العربية الإسلامية)، اعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية، ج2، المرجع السابق، ص 455 - 456.

² - احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 107.

³ - ادرار تاريخ وتراث، نشره بمناسبة الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي مُجَّد بلكبير، بعنوان المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة في ترسيخه ونشره، 21-23 جوان 2010، ص 27.

⁴ - غيتاوي التهامي، الضوء المستنير، المرجع السابق، ص 38.

● مدرسة البركاوي

● مدرسة تمنراست وشيخها مولاي التهامي

● مدرسة تسابيت وشيخها مُجَّد بوقندي¹

وهكذا فإن الشيخ قد ورث العلم في صدور الرجال يعلمونه للأجيال للمحافظة على هويتهم وانتمائهم ووطنيتهم أمام الهجمات الخارجية كالاستعمار أو الداخلية من خلال التيارات الفكرية الأخرى الدخيلة على أمتنا ووطننا والتي تهدف إلى تعريض وحدته الدينية والمذهبية والعقائدية من خلال المحافظة والالتزام بالمذهب الملكي والعقيدة الأشعرية وطريقة الجنيد السالك.

3- الشيخ عبد القادر بن مُجَّد ولد الصافي: ولد سنة 1942م ويتصل نسبه بالولي الصالح

سيدي الحاج بلقاسم، تلقى علومه الأولى بمسقط رأسه ثم تابع تعليمه لدى الشيخ مولاي احمد الطاهري سنة 1955م وبعد أن أجازته طلب منه نشر وتعليم العلم لأبناء المسلمين عام 1959م وقد مارس دوره التوعوي سرا خوفا من الاستعمار الفرنسي، وقد درس بتيميمون ما يزيد عن عشر سنوات وبشار ما يزيد عن سبع سنوات إلى أن وافاه الاجل في 08 أوت 1995م وقد خلف عدة مؤلفات منها: شرح المنظومة التوحيدية للشيخ سيدي الحاج بلقاسم، شرح رسالة الشيخ مولاي أحمد الطاهر لابنه عبد الله وشرح الاوجلي ونظم الاجرومية.²

4- الشيخ مولاي احمد الطاهيري: هو الشيخ بن عبد المعطي بن احمد بن مُجَّد بن عبد

المعطي بن علي بن ابراهيم بن يحيى ينته نسبه إلى إدريس الاكبر بن عبد الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء.³

مولده: قال الشيخ مولاي عبد الله وهو أخ الشيخ مولاي احمد ومدرسه: ولد اخي النبيل

والغظريف الاصيل بالقرية المعروفة بأولاد عبد المولى بنواحي بوحمادة في محافظة مراكش عام خمسة

¹ - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج1، ص 373.

² - التهامي غيتاوي، الفتح الميمون في تاريخ قورارة وعلماء تيميمون، المرجع السابق، ص 436 - 437.

³ - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج1، ص 377.

وعشرين وثلاثمائة والف من الهجرة النبوية بعد استقرار والده في قرية أولاد عبد المولى وكان ابوه مولاي عبد المعطي شيخ عصره وفريد دهره أنذاك.¹

توفي والده وهو في سن الخامسة من عمره وبعد ذلك كفله اخوه مولاي عبد الله بن عبد المعطي، الذي كان له درجة من العلم والمعرفة مما ساعد على تلقيه العديد من العلوم والمعارف في سن مبكرة وتفقه خصوصا في مذهب الامام مالك واطلع على اصوله وفروعه.²

نشأ على الاخلاق الكاملة والزكية ولما رأى عليه علامات النجابة وتوسم فيه الفطنة والحداقة واللبابة فحفظه القرآن الكريم وهو في سن العاشرة من العمر وعند بلوغه الرابعة عشر من العمر كان قد اتقن العديد من العلوم ارتوت نفسه للسلوك مسالك الصوفية الاعلام فأخذ الطريقة القادرية على أخيه الشيخ الامام وأجازه فيها ولما وصل السادسة والأربعين بعدما شكل خطرا على فرنسا من خلال حزب الاستقلال الذي ارتقى فيه مكانة مقبولة وسط الشعب طاردته أيادي الاحتلال فتوجه قاصدا أرض السودان ثم شنقيط ودرس بها سنتين تخرج على يده علماء أفذاذ واجتمع بأرض تومبكتو بعلماء اجلاء.³

وفي سنة ستة وخمسين وثلاثمائة والف من الهجرة خرج الشيخ من تومبكتو وأرتفق جماعة متوجهين إلى توات وكان ذلك في شهر ربيع الاول وهذا حسب مترجمه وتلميذه سيد الحبيب بن عبد الرحمان في الكتاب الذي ألفه الشيخ مولاي احمد الطاهري الادريسي: الدر المنظوم في شرح مقدمة ابن اجروم حيث يروي أن دخوله توات كان سنة الف وثلاثمائة وستة وخمسون.⁴

حط الرحال في بادئ الأمر بقرية تاويرت برقان حيث يقول الشيخ في كتابه نسيم النفحات: «بعدها طاب لنا المقام في أرض توات وفي سالي بالذات في أطيب عيش وأرغده وفي غاية الجد والاجتهاد في التدريس آناء الليل وأطراف النهار وتعليم أولاد المسلمين من كل الطبقات لأننا وجدنا بهذه البلدة الطيبة والتي توسمنا فيها الأرض التي يخرج نباتها بإذن ربها، وتوسموا فينا هم بدورهم نعم الزراع

¹ - مولاي احمد الطاهري الادريسي، ترجمة لتلميذه وخليفته الحبيب بن عبد الرحمان العلوي، فتوحات الاله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك، ج1، المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1994، ص 7.

² - دليل ولاية ادرار، المرجع السابق، ص 86.

³ - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج3، المرجع السابق، ص94.

⁴ - مولاي احمد الطاهري الإدريسي، كتاب الدر المنظوم، المصدر السابق، ص 6-7.

المعلم النافع والمجدد المصلح والطبيب الذي يعالج الأمراض بأنجع الدواء فاتفقت الإرادتان واجتمع الرأيان وجمعنا على ذلك الرحيم الرحمان»¹.

فانتهى الشيخ بقصر العلوشية عند شرفاء ال السي حمو سيدي مولاي المهدي وإخوته، والتي كان بها عالم جليل جعفري النسب وهو سيدي مُجَّد بن الحاج التيلوليني وبات ليلته مع سيدي مُجَّد بن لحاج فتجاوبا في بعض المسائل العلمية فوجده في العلم بحرا لا ساحل له، وفي الصباح قال لأولاد السي حمو: هذه ذخيرتكم النفيسة وبغيتكم المنيفة فها هو العالم الذي كنتم تتمنون ساقه الله هدية اليكم ونفحة اتم بها حيككم وفرحوا بذلك غاية الفرح.²

فاحتضنه أولاد السي حمو وأسسوا له مدرسته ذاع صيت الشيخ الطاهري في المنطقة ودرس طوال واحد وعشرين سنة فكان له فضل تخريج الكثير من الأعلام المعاصرين ومنهم الشيخ مُجَّد باي بلعالم³ حيث يقول الشيخ مُجَّد باي بلعالم: «وفي سنة 136هـ ورد عليه العبد الضعيف مُجَّد باي وفي بحر تلك السنة بنيت المدرسة الكبيرة التي بناها الشرفاء أولاد السي حمو وتكفلوا بجميع متعلقاتها وكان الذي وهب الارضية كما سمعنا أولاد السيد الحبيب مولاي مبارك بن مولاي عبد الرحمان وبعد تمام المدرسة فتحت ابوابها امام طلبة العلم وبدأ الطلبة يتوافدون من كل ناحية وكنت أول طالب فيها بعدما كنت في المدرسة القديمة التي داخل البلد»⁴.

وقد أسست مدرسته الدينية الطاهري سنة 1943م/1362هـ وبعد ذهابه لقضاء مناسك الحج عاد إلى مسقط رأسه بطلب من السفير المغربي بالسعودية ليواصل مسيرته التعليمية مع اخيه سنة 1959م-1379هـ تاركا خليفته سيد الحبيب خليفته في الزاوية والأهل وكل أملاكه ليعود إلى مدرسته سالي سنة 1971م-1391هـ بنية الاقامة والتدريس، لكن شاء الله ألا تدوم اقامته أكثر من شهرين فقد عاد لمراكش لمرض أخيه الذي توفي منه وخلفه على مدرسته، ليعود إلى توات سنة 1974م-1394هـ بنية التفقد والزيارة لمدارسه فامتدت زيارته إلى تمنراست واليزي وورقلة وغرداية وبشار ووهران

¹ - مولاي احمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 53.

² - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج3، المرجع السابق، ص 95.

³ - عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري، المرجع السابق، ص 74.

⁴ - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج1، المرجع السابق، 384.

وكانت هذه الزيارة بمثابة الوداع للمنطقة والجزائر فقد وافته المنية يوم 10 أكتوبر 1979م الموافق لـ 18 ذي القعدة 1399هـ.¹

ترك الشيخ عدة مؤلفات منها:

- فتوحات الاله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك وفيه 4 أجزاء
- العقد الجوهري في شرح العبقري
- النحلة في حلق اللحية
- عقد الجوهر اللثالي عن نصيحة الهلالي
- رسالة في الرد عن ابن الهادي
- نبذة في تحقيق الطلاق الثلاث في كلمة واحدة
- رفع الحجر واعلام على المال المشكوك بالحرام
- رسالة في طرق حديث عبد الرزاق
- فتاوى عديدة في نوازل سديدة²

وقد تخرج على يده الكثير من العلماء الجهابذة الذين واصلوا عملية التعليم والدراسة والإمامة وأسسوا مدارس وزوايا في جهات منطقة توات المختلفة والتي زواياهم باقية إلى حد اليوم تدرس القرآن وتحفظه ومن أشهر هؤلاء الطلبة:

- تلميذه الشيخ سيد بلحبيب خليفته الثاني في قصر سالي
- مولاي الذهبي التيلوليني وهو خليفه الشيخ الأول عن المدرسة
- السي مُجَّد الرقاني شيخ زاوية الرقاني وكان يلقب بالفقيه توفى عام 2006 رحمه الله.
- الشيخ مُجَّد باي بلعالم، صاحب التأليف الكثيرة والذي التحق بالمدرسة مبكرا
- الحاج المختار بن احمد البرمكي والذي وصفه الشيخ بالفقيه والعالم الاكبر والذي تولى امامة مسجد أولف توفى رحمه الله سنة 1971.

¹ - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج3، المرجع السابق، ص 97.

² - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج1، المرجع السابق، ص 384.

- الحاج الحسن بن الحاج الطيب التينيلاتي شيخ زاوية بالبيض
- الشيخ المُجَدِّد بن مُجَدِّد المختار بن حمزة بن مالك الذي قام الشيخ بتعيينه شيخا على منطقة تيديكلت الشرقية
- الشيخ الحاج مُجَدِّد بن الحاج احمد البوحامدي، الذي انتهج نهج شيخه في الرحلات العلمية
- المرحوم الشيخ العبادي إمام ومفتي ولاية تمنراست
- الشيخ حساني مولاي عبد الكريم صهر الشيخ والقائم على المدرسة الآن مع ابن الشيخ
- الشيخ مولاي عبد الله بن الشيخ الذي درس على يد أبيه فترة ثم ارسله ابوه بعد ذلك إلى الشيخ سيدي مُجَدِّد بلكبير بادرار وهو يحل الآن محل أبيه في المدرسة
- ابو سعيد المختار بن احمد امام أولاد عبد الواحد وكان فقيها ونحويا تضرع في العلم والمعرفة وابنه الحاج احمد بن الحاج المختار واخوانه.¹

الشيخ مولاي سالم بن مولاي اسماعيل بن سيدي مُجَدِّد (ت 1984): مات أبوه وهو صغير فكفله اخوه مولاي الشريف، درس القرآن اولا على يد الطالب سالم سرقمة في سيدي جلول ثم انتقل تمنطيط وهو في مقتبل العمر وبعد رجوعه من تمنطيط فتح مدرسة قرآنية بعد وفاة الشيخ مولاي اليزيد سنة 1381هـ.²

الشيخ مُجَدِّد باي بلعالم ت 1431هـ-2009م: ولد الشيخ باي بن مُجَدِّد عبد القادر بن مُجَدِّد بن المختار بن أحمد العالم عام 1930م المؤلف لـ 1349هـ بقرية ساهل بلدية اقبلي بدائرة اولف ولاية ادرار بجنوب الجزائر، ترعرع الشيخ في اسرة علمية، واتصل في سن مبكرة بالشيخين سيدي مُجَدِّد بن عبد الرحمان بم المكي الذي حفظ عنه القرآن الكريم ثم الشيخ مُجَدِّد بن عبد الكريم المغيلي، ليلتحق بعدها بركب الشيخ مولاي احمد الطاهري بسالي وظل هناك قرابة سبعة سنوات تشبع فيها بأصول المذهب المالكي إلى جانب من العلوم الأخرى.³

¹ - مُجَدِّد باي بلعالم الرحلة العلمية، ج1، المرجع السابق، ص ص 380 - 381.

² - احمد جعفري، رجال في الذاكرة التواتية: مُجَدِّد بن أب المزمري (1160هـ) حياته وأثاره، المرجع السابق، ص 45.

³ - دليل ولاية ادرار، المرجع السابق، ص 87.

إجازاته وشهاداته: اجيز الشيخ بعدة اجازات من داخل الوطن وخارجه منها:

- اجازة عامة من شيخه مولاي احمد الطاهري بن عبد المعطي عند انتهاء الدراسة
- اجازة عامة من السيد الحاج الحسن باسانيد متعددة
- اجازة من السيد علي البودليمي في الحديث وعلومه
- اجازة من العالم اللبناني الشيخ زهير الشاويش
- اجيز في مكة المكرمة من الشيخ العالم الشريف السيد مُجَّد العلوي المالكي
- اجيز في المدينة المنورة من الشيخ مُجَّد العربي السنوسي

كما تحصل على شهادة الامام الاستاذ من وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وشهادة الليسانس في العلوم الإسلامية.¹

وبعد أن تخرج من الزاوية الطاهرية انتقل إلى مدينة اولف وأسس بها مدرسته القرآنية التي سماها "مدرسة مصعب بن عمير" الدينية لنشر الثقافة الإسلامية العربية أبان الاحتلال الفرنسي وسياسته التدميرية، ولما تغلغت الثورة في الجزائر قرر إغلاق المدرسة خوفا على طلبته من من المعارك التي كانت تدور آنذاك ولما حصلت الجزائر على استغلالها أعاد فتح المدرسة من جديد وفتح بها داخلية سنة 1964م وتوافد اليها الطلبة من كل حذب وصبوب.²

وقد قام الشيخ بغلق المدرسة نظرا للمضايقات التي كان يتلقاها من المستعمر الفرنسي، لكنه كان مصمما على مواصلة نهجه التعليمي متأثرا بمنهج الشيخ عبد الحميد بن باديس وحركته الاصلاحية كما كانت له مساهمة في دعم الثورة التحريرية وواصل مجهوده بعد الاستقلال وانتقل إلى الجهاد الاكبر في نشر العلم والمعرفة بالإضافة إلى اهتماماته الشرعية اهتم بكتابة تاريخ المنطقة وله مايزيد عن ثلاثون تأليفا في الفقه المالكي.³

¹ - مُجَّد باي بلعلم: ارشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، 1433، ص 74.

² - مُجَّد باي بلعلم، الرحلة العلمية، ج2، المرجع السابق، ص 362 - 363.

³ - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 314 - 315.

مؤلفاته: من هذه المؤلفات:

- زاد السالك في شرح اسهل المسالك، فتح الرحيم المالك في مذهب الامام مالك، الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضرى.
- كشف الجلباب على جوهرة الطلاب ف علمي الفروض والحساب.
- فتح المحب في سيرة النبي الحبيب ﷺ
- الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الاعلام والآثار والمخطوطات والعادات، قبيلة غلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، وهكذا فقد تنوعت من علوم القرآن والحديث والفقه والفرائض والنحو والتاريخ وغيرها من فنون شتى مما يدل على غزارة علمه وكثرة مروياته، وقد بلغت بعض كتبه اجزاء ضخمة.¹

كما أن للشيخ طلبة كثيرون من داخل وخارج الوطن نذكر منهم: مُجَّد بن علي بلعروسي، بن مالك مُجَّد العايد ومُجَّد احمد عباس ومُجَّد بن عبد الصادق لكصاصي، عبد القادر بن حبيب لعروس، مُجَّد بن عبد القادر زنقي، عبد الرحمان بن ابراهيم يوسفى ومُجَّد بن عبد الرحمان كنتاوي وغيرهم كثير التحق معظمهم بمهام السلك الديني وغيره من الاسلاك ومنهم الفلاحون والتجار والعاملون في مختلف الخدمات والوظائف.²

توفي رحمه الله في سنة 2009م.³

عبد الرحمان بن عبد الله هيباوي (ت1416هـ-1995م): مولاي عبد الرحمان بن عبد الله بن سيد الوافي هيباوي من أعلام توات البارزين ولد عام 1325هـ-1904م عرف بعلمه وصلاحه كان يشرف على زاوية اجداده مولاي هيبية التي تخرج منها الكثير من الطلاب وكانت له مواقف وطنية مشرفة

¹ - مُجَّد باي بلعالم، قبيلة فلان، المصدر السابق، ص78.

² - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المرجع السابق، ص 370-371.

³ - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 315.

قلده رئيس الجمهورية وسام برتبة أثير جزيل خدماته، توفي رحمه الله تعالى في 26 جمادي الثاني 1416هـ/19 نوفمبر 1995م.¹

الحبيب بن عبد الرحمان (ت1426هـ-2005م): ولد الشيخ رحمه الله تعالى سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية بقصبة مولاي عبد الله، ابتداء طلب العلم بمسقط رأسه بسالي على يد المعلم المقرئ سيدي عبد القادر بن المهدي الجزولي الأنصاري رحمه الله، ثم التحق بالمدرسة الطاهرية بالعلوشية سالي وانتظم بطلب العلم على يد شيخها العلامة ابي عبد الله احمد الطاهري الادريسي رحمه الله تعالى إلى أن فارق الشيخ الديار فأوصى بالخلافة والقوامة على المدرسة وعلى بنيه وعقبه فلزم ذلك.²

أسس الشيخ لحبيب عبد الرحمان زاوية تسفاوت ببنوغيل وهو من تلامذة الشيخ مولاي احمد الطاهري الادريسي³، وهي مدرسة علمية قائمة بتعليم القرآن الكريم والدين الإسلامي وهي استمرار وفرع من فروع الزاوية الطاهرية لمولاي احمد الطاهري الإدريسي ولازال الشيخ يطبع العديد من مؤلفات شيخه وهو الخليفة الاول للشيخ ويساعده في ذلك صهره الشيخ مولاي الحاج بن مولاي احمد ومنها تخرج العديد من الائمة والعلماء وانتشروا في كامل القطر الوطني.⁴

ويقول عنه الشيخ مولاي احمد في نسيم النفحات: «ويوجد في هذا القصر مدرستنا التي يسيرها ويشرف عليها خليفتنا الثاني الصالح المصلح الشريف السيد مولاي الحبيب بن مولاي عبد الرحمان السالي فانعم به من فقيه وخليفة وابن فتح الله عليه وعلى يديه وعلى الطلبة أجمعين وأجرى الله على يديه النفع العام القريب والبعيد، وفتح على من أعانه أو اعتقد فيه الخير وجعل الله هذا المحل معمورا بالعلم والمعرفة والمتعلمين إلى يوم الدين آمين».⁵

وقد ورد في إجازة الشيخ ما نصه: «وقد درس علي في فنون شتى في الفقه والتوحيد والنحو والصرف واللغة والفرائض واللغة والحساب والبلاغة بفتونها والعروض والسيرة والتفسير والقراءة والتوحيد

¹ - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، نفسه، ص 45.

² - محمد عبد الحق، المرجع السابق، ص 199.

³ - عبد الله مقلاتي، امبارك جعفر، المرجع السابق، ص 145.

⁴ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية، المرجع السابق، ج 1، ص 393.

⁵ - مولاي احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 102.

وغير ذلك من الفنون...» وللشيخ عدة مؤلفات من بينها: "الفوز المبين على المرشد المعين" وقصائد في أغراض شتى ومدائح¹ توفي رحمه الله سنة 2005م.²

لقد أدى توافد العلماء في القرنين الثامن والتاسع هجري إلى منطقة توات من وضع أساس متين لنهضة عملية وفكرية بمنطقة توات خلال القرن الثاني عشر والثالث عشري الهجري تغذت من هؤلاء العلماء الذين انتقلوا إلى المنطقة إضافة إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي كحلقة وصل بين مختلف المناطق من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق نحو الغرب.

قامت هذه الشخصيات بتأسيس الزوايا ونشر العلم والمعرفة وظهرت عدة شخصيات علمية كان لها دور كبير في نشر العلم والمعرفة والمحافظة عليه ونشره في اجزاء واسعة من افريقيا، هذه الزوايا والشخصيات الدينية، وضعت حاجزا مناعيا امام أي غزو فكري للمنطقة كما انها كانت نواة تستمد منها كل الحركات والثوار ضد المستعمر قوتها وشعبيتها.

يشهد على ذلك الكم الهائل من الزوايا والمخطوطات في مختلف التصانيف الدينية واللغوية والعلمية وكذلك التواصل العلمي بينها وبين مختلف الحواضر الأخرى.

إسهامات شيوخ الزوايا في المقاومة ضد المستعمر الفرنسي

لعبت الزوايا في منطقة توات دورا محوريا في محاربة الجهل والامية ونشر العلم والمعرفة والمحافظة على منابع الإسلام الصافية، كما كانت لها ادوار اجتماعية واقتصادية مختلفة ساهمت في تماسك وقوة المجتمع كما انها كانت محور الرفض لكل سياسات الهيمنة والتبعية السياسية والثقافية لكل ما هو دخيل عن قيم وثوابت المجتمع، فأخذت على عاتقها مهمة التصدي للاستعمار الفرنسي عسكريا وثقافيا واجتماعيا، اخذ هذا الدور شيوخ هذه الزوايا وانخرط فيها مريدوها تارة بالسلام وأخرى بالتزام حلقات الذكر والزوايا والمساجد واقفين ضد كل الهجمات الفكرية والثقافية التي تهدف إلى تغريب المجتمع وحرفه عن اصوله وقيمه وثوابته، فكيف ساهمت هذه الزوايا في الوقوف ضد الهجمة الاستعمارية؟ وكيف قاومت المد الفكري الاستعماري المادي الهادف للقضاء على مقومات الشخصية الوطنية؟.

¹ - محمد عبد الحق، المرجع السابق، ص 200.

² - عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، المرجع السابق، ص 145.

لقد كان للطرق الصوفية سبب الريادة في مواجهة القوات الأجنبية ومن بينها وقوف شيوخ الطريقة التيجانية في وجه الوجود التركي ممثلة في ثورة احمد بن محمد بن المختار التيجاني ضد الداوي حسين باشا الجزائر وباي الغرب الوهراني محمد بن عثمان الكبير اواخر القرن 18م وثورة عبد القادر بن البشير التيجاني والفليتي الدرقاوي وثورة الحاج محمد بن الاحرش الدرقاوي ضد الأتراك، وفي عهد الاحتلال الفرنسي ثورة الامير عبد القادر والحاج موسى الاغواطي والشريف محمد بن عبد الله بومعزة بجبال الونشريس والشيخ احمد بوزايان القادري في الزعاطشة والحاج عمر الرحامي وثورة أولاد سيدي الشيخ الطيبين والشيخ الحداد والشيخ بوعمامة وغيرها من الثورات والانتفاضات تمثل الدور المحوري للطرق الصوفية والزوايا وقاعدتها الشعبية في محاربة كل ما هو أجنبي وقدرتها على اجبار السلطات للانقياد لآرائها.¹

فهذه الطرق بالإضافة إلى دورها التربوي التعليمي فقد تزعمت ادوار جهادية ضد الاستعمار في تعبئة الجماهير وتجنيدتها من اجل الدفاع عن الوطن وحمائته من الغزاة المعتدين فقادت المقاومات ضد المستعمر على كامل التراب الوطني بدأ بالشيخ محي الدين الغريسي مقدم الطريقة القادرية وابنه الامير عبد القادر مروراً ببومعزة وبوعمامة وأولاد سيدي الشيخ والحداد وفاطمة نسومر وبوزيان بالإضافة الطرق الدرقاوية والتيجانية والحنصالية ضد الاتراك وتربية جيل مؤمن بوطنه ودينه ساهم في تفجر ثورة اول نوفمبر المجيدة حيث تحولت فيها الزوايا إلى مراكز التدريب العسكري وملاجئ للمجاهدين واماكن للاجتماعات وتصدر منها الاوامر والتعليمات ومحاكم وطنية للفصل في النزاعات والخصومات مما جعلها متابعه من طرف الاستعمار.²

أخذت الطرق الصوفية والزوايا دور المقدمة في تنظيم المقاومة ضد المستعمر الفرنسي في منطقة توات، فقد لجأ إلى الاقليم محمد بن عبد الله خليفة الامير عبد القادر على تلمسان، وكان قاعدة خلفية لأولاد سيد الشيخ كالسي قدور وسي النعيمي والسي الدين والسي بوشوشة الذين نظموا ثورات مابين

¹ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ثورات القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 357 - 358.

² - غيتاوي التهامي، الدرر النفيسة، المرجع السابق، ص 36 - 37.

1855م-1974م كما حاول السي قدور ابرام تعاون مع ثورة المقراني سنة 1871م لكن فرنسا وقفت عائقا أمام هذا الالتحام بتطبيق سياسة التفرقة بين أولاد سيدي الشيخ.¹

كما اتخذ الشريف مُجَّد بن عبد الله السنوسي الذي قاد المقاومة بين (1851م-1861م) من إقليم توات قاعدة خلفية ونقطة ارتكاز وموقعا استراتيجيا ومخزنا للراحة والاستعداد للمعركة وقاعدة للتموين بالعتاد والمؤن والذي هزم فرنسا في معارك عديدة منها معركة المقرانيين في 29 نوفمبر 1853م والذي جعل من منطقة توات نقطة لإعادة بناء وتنظيم قواته إلى غاية 1859م عندما اضطر تحت ملاحقة القوات الفرنسية له إلى نقل قواته إلى تفرقت وتمكن من تحرير ورقلة سنة 1861م وواصل مقاومته وانضم إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ وثورة الصبايحية كما تحالف مع بوشوشة.²

كانت منطقة تيديكلت بإقليم توات مقرا لمقاومة احمد بن التومي بن ابراهيم المدعو بوشوشة الذي ولد بالمنية سنة 1827م وبويع زعيما للمقاومة في 1870م بعين صالح حيث هاجم القوات الفرنسية بمثليلي والرويسات ووادي سوف وورقلة التي عين عليها خليفة بن ناصر بن شهرة ثم ثفرت التي عين عليها خليفة مُجَّد العربي، هذا التنسيق الذي مكّنه من تحقيق انتصارات هامة لكن بعد قضاء فرنسا على ثورة المقراني سنة 1871م اضطر إلى التراجع إلى منطقة توات ومنها قاد حرب العصابات ضد الوجود الاستعماري.³

ولما حوَصر الشيخ بوعمامة في منطقة فيقيق التجأ إلى واحات اقليم توات واحتمى بسكان واحة دلدول بمقاطعة تيقورارين (قورارة) مع نهاية سنة 1883م واستقر هناك إلى غاية 1894م حيث قام بتأسيس زاويته وشرع في التعليم والترية وكسب المريدين والأتباع والأنصار والتحريض على الجهاد في سبيل الله ضد المستعمر الفرنسي وقام بعدد المراسلات والاتصالات لمختلف القبائل الصحراوية في اقصى شرق الصحراء كما راسل الفرنسيين في رسالة إلى الحاكم العسكري لدائرة غرداية في 266 افريل 1888م يحثه فيها أن يسلك طريق الامن والسلم والصلح بينهما كما راسل سي قدور بن حمزة زعيم

¹ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 09.

² - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 21.

³ - Martin(Alfred.G.P), L'action francaise dans le sahara revue africaine, N37, A1893, p76.

وانظر كذلك: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات الواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص 83.

أولاد سيدي الشيخ الشرافة يحذره من مغبة دسائس الاستعمار وسياسة التفرقة وزرع العداوة والشقاق بين المسلمين داخل القبائل سواء بالمغرب الأقصى أو الجزائر.¹

فهذه الزوايا بالإضافة إلى دورها في مجال التعليم والتربية لعبت دورا مهما في المجال الجهادي لحماية الاوطان الإسلامية من الغزاة المعتدين فهي التي خططت وقادة كل الثورات التي اندلعت ضد الاستعمار الفرنسي رافضة الهيمنة والسيطرة محافظة على مقومات الهوية الوطنية.²

وبعد دخول المستعمر إلى منطقة توات فقد كان شيوخ ومريدي الطريقة السنوسية في المقدمة يمثلهم الشيخ الحاج المهدي باجودة شيخ ومقدم الطريقة السنوسية في عين صالح، الذي استشهد مع اخوه بوعمامة في معركة اقسطن يوم 1899/12/28م.³

وبعد دخول القوات الاستعمارية الفازية لعين صالح وانحزام التواتيين في معركة الفقيقرة اخذ مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي العباس المبادرة وهو شيخ الزاوية الرقانية، والذي كان يحمل سر الجهاد الذي كان يسميه سر المكاحلية حيث أسس دار المكاحلية بأولف وجعلها بكل ادوات صنع البارود ويعلم فيها المجاهدين فن الرماية قام هذا المجاهد بالاتصال بباقي مناطق توات ليمدوه بالمؤن والسلاح والرجال فلقى الدعم من رقان وسالي وزاوية كنتة وانجزمير وتساييت وغيرها وتقدم مولاي عبد الله الرقاني لعين صالح وذلك يوم 01 جانفي 1900م وجمع جيشه بقرية البركة يوم 4 جانفي 1900م وقاد معركة طاحته يوم 5 جانفي 1900م سقط فيها شهيدا مع 40 شهيدا فأخذ الراية اخوة مولاي مبارك بن مولاي العباس الذي سقط أيضا شهيدا في معركة اينغر في 10 مارس 1900م والتي تبعد على عين صالح 60 كم، وهكذا فإن الزاوية الرقانية اخذت زمام المبادرة في التصدي للتوغل الاستعماري في منطقة توات.⁴

¹ - ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 305.

² - التهامي غيتاوي، الدرر النفيسة، المرجع السابق، ص 36.

³ - مبارك جعفري، مقالات وبحاث، المرجع السابق، ص 239.

⁴ - عبد الله اسماعيلي، دور الزاوية الرقانية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح، ملتقى وطني بعنوان: البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، المرجع السابق، ص 112-113.

وقد قام كذلك الشيخ سيدي احمد البكاي الكنتي بمناورة سياسية من اجل الوقوف في وجه التوسع الاستعماري الفرنسي في المنطقة فقد استعان بـ "هنري بارث " لكتابة رسالة إلى السلطات الفرنسية ينبهها فيها عن مخاطر غزو الصحراء الكبرى وبعد اعتلاء لويس نابليون امبراطورا على فرنسا في ديسمبر 1848م قام الشيخ بالاتصال بالسلطات البريطانية وتوطيد الصلة بها لقطع الطريق امام التوسع الفرنسي وقد اعطى الشيخ سيدي احمد البكاي بعدا دوليا خاصة لقبيلة كنتة المنتشرة في توات والأزواد مما جعله عاملا مؤثرا وزعيما معترف به لدى الدول الاوربية وخاصة فرنسا وبريطانيا التي بدأت تمد نفوذها على المنطقة.¹

وكانت الزوايا في المقدمة من حيث التوعية والتحسيس والتحريض ضد الاستعمار ومن أمثلة ذلك المقال الذي كتبه سيدي مُجَّد البكري بن عبد الرحمان يبين فيه خطر الاستعمار ويبين كيفية التعامل معه ويبين قيمة الجهاد في سبيل الله ويحث عليه موقدا الجذوة والهمة في النفوس فيقول: «...ولما أخذ الدين الإسلامي بعد الصحابة والتابعين في النقصان وتبدلت السيرة برغب غالب الامة في الفاني وزهد في الفاني فجنبوا عن الجهاد وعن لقاء العدو، فصار ملوك الإسلام يصانع ملوك الكفرة ويدخلونهم ويوافقونهم ويداهنونهم ومهادنونهم هدنة الايد فباضت بنت النصرانية وفرخت ومألت السهل والوعر فلم يفجأ المسلمين إلا والنصارى يضربون بسيوفهم في الإسلام ويأخذون الأقاليم الإسلامية اقليماً اقليماً والله ذر القائل: «ومن رعى غنما بأرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الاسد والله اعلم من خلقه حيث شرع الجهاد في الكفرة كل عام ليلا تكثر أولادهم فيكثر الكفر بكثرتهم وليلا يأنس أولاد المسلمين الدعة فتنام من الشجعان الشجاعة، فإذا فاجأها الجهاد توجد الشجاعة منهم نائمة وكل طبع لم يحرك من صاحبه فهو نائم وراسب كما يرسو الين ويطفو الماء فإذا عوهد بالتحريك قام ولا ينام، فافهم أيها الناظر وقس».²

فإن الزوايا ومن خلالها شيوخها قاموا بدورهم النضالي الكامل في التوعية والتحريض ضد المستعمر الفرنسي وحشد التأييد والدعم للمقاومة والثورة ضده، عن طريق التوجيه والنوعية وكان لهم

¹ - مُجَّد الصالح حوتية، آل كنتة، المرجع السابق، ص 188.

² - الشيخ مُجَّد البكري بن عبد الرحمان، مخطوط بخزانة كوسام، 254.

الدور الفعال في قيادة المجتمع للتخلص منه، ففي منطقة اولف من تيديكلت أبرم الاهالي معاهدة مع الفرنسيين تسمى معاهدة مولاي هاشم¹ ومن شروط هذه المعاهدة:

- أن لا يتزوجوا منهم
- أن لا يأخذوا الاهالي للتجنيد في الجيش الفرنسي
- أن لا يتحكموا في امور المسلمين من جميع النواحي

مما يؤكد تمسك الأهالي بوطنيتهم ورفضهم للاستعمار وفي عهد الثورة كان المجاهدون يأوون إلى الزوايا فتكفل بهم وتساعدهم على أداء مهامهم الجهادية، فقد حدث أن احد زوايا تيديكلت كانت تأوي المجاهدين فوشي بها للمستعمر ولم يستطيعوا ان يحصلوا على شيء وفرضوا على الزاوية ان لا تستضيف أكثر من أربعة ضيوف على أن تصرح بهم لدى السلطات الاستعمارية.²

لذلك وضع الاستعمار الزوايا ضمن أهدافه وتحت مراقبته باعتبارها هي من يوجه ويقود كل رفض استعماري، فاستولى على اموال الاوقاف، وقطع عنها كل اساليب التمويل، ووضع قيودا على أنشطتها، وشجع على قيام زوايا موازية موالية للاستعمار الفرنسي، وشجع على انتشار البدع والخرافات والابتعاد عن منابع الإسلام الصافية لتنفيذ سياسته الاستعمارية.³

لأن المال سلاح خطير في نظر الفرنسيين فلذلك راقبوا جمعه وصرفه حتى لا يستخدم ضدهم، فوضعوا شروطا للزيارات والحضرة والخدمة ونحو ذلك، ولإضعاف الزوايا قامت فرنسا بالاستيلاء على الأحباس ثم تقييد ومنع الزيارات لما تجمعها من اموال وهم يرون في ذلك منافسة لهم في الحكم لأن فكرة الفرنسيون أن من مظاهر الطاعة والخوف هي الالتزام وأن يمنح للزوايا وهذا شكل خطرا على فرنسا.⁴

وأثناء الثورة التحريرية المباركة، اشتد غض الاستعمار على رجال الدين وعلماء الإسلام حيث شعروا ان الدين هو الوقود الاساسي للثورة، لذلك اغلقوا لكثير منها وزجوا بالعديد من علمائها في

¹ - معاهدة مولاي هاشم، اولف، عرض وثيقة اللجنة الولائية المكلفة بجمع الاثار، تمارست.

² - وثيقة للتعريف بالزاوية الاحمدية (الزاوية الاحمدية عن صالح).

³ - مبارك جعفري، مقالات وبحاث، المرجع السابق، ص 241.

⁴ - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 286 - 288.

السجون، وكانت مدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير مثار شبهة دائمة للمستعمر الفرنسي، فكانت في الظاهر تتباعد عن السياسة وتختص بتعليم القرآن الكريم لكنها في الحقيقة كانت على اتصال مباشر ببعض قادة جيش التحرير ومناضليهم للتشاور والتعاون المادي والمعنوي في الامور المهمة المتعلقة بتحرير البلاد.¹

فالشيخ سيدي محمد بلكبير كان عضوا في مجلس شورى المجاهدين وكان يستقبل ويأوي المجاهدين خاصة من الولاية الخامسة والسادسة، مثل الشريف مساعديه واحمد دراية والزواوي وغيرهم وقد ربي لقيادة المناضلين، منهم آنذاك مولاي الطيب والحاج اقسام، الحاج احمد كابوية، الحاج قريدة وغيرهم كما سخر الشيخ الشرطي الهاشمي دينار الذي كان يحمي المدرسة من التفتيش والغلق ويأتي للشيخ بالمعلومات عن تحركات المستعمر ورغم ذلك قام المستعمر باعتقال الشيخ واستنطاقه لكنه اضطر للإفراج عنه بعد تجمع الاهالي حول الثكنة العسكرية التي اعتقل فيها، فكان الشيخ يقوم ببث الحمية والدعوة للجهاد ضد المستعمر الفرنسي.²

موقف الشيخ مولاي احمد الطاهري من الاستعمار: لقد وقف الشيخ مولاي احمد الطاهري

الادريسي شيخ المدرسة الطاهرية بمنطقة سالي بتوات موقفا رافضا للاستعمار الفرنسي رافضا لفكرة فصل الصحراء فكانت له مواقف عظيمة في هذا المجال ومنه ما جاء في كتابه نسيم النفحات: «والناس يفدوننا للافشاء والتبرك، منقادون لأوامرنا عاملون بنصيحتنا التي نبذلها لهم بكل صدق وإخلاص في كل الاحوال والمناسبات، وفي الدروس التي نلقيها على العامة والخاصة، ولاسيما في مدرستنا الحرة الخاصة بنا المسماة المدرسة الطاهرة العتيقة الحرة الكائنة وسط قصور سالي، وهي التي تغذي الطلبة بمناهل العلوم والمعارف المختلفة بأنواع الفنون العلمية وإطعام الطعام للمساكين وأبناء السبيل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لهم، وإيقاظهم من الغفلة وتنبههم على دسائس الاستعمار ومكائده، والناس سامعون لقولنا عاملون به، رغم ما نشاهده من غيظ الفرنسيين وحنقهم وحقدهم علينا».³

¹ - غيتاوي التهامي، الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد بلكبير، المرجع السابق، ص 20.

² - غيتاوي التهامي، الاشراف الكبير، المرجع السابق، ص 32-33.

³ - احمد الطاهر الادريسي، المصدر السابق، ص 55.

وكانت مدرسة الشيخ مولاي احمد الطاهر ملجأً للثوار يقيمون فيها تحت غطاء الزيارات ويجدون كل الدعم والمشورة وأصبحت مركزاً للتنسيق من رقان إلى أدرار تقام فيها الاجتماعات واللقاءات السرية.¹

ونظراً للخطر الذي كان يشكله الشيخ على الوجود الاستعماري الفرنسي حيث كان ييئس في الطلبة الشجاعة والبطولة على الجهاد ومكافحة الأعداء، وعند وصول هذه الأشاعات إلى المستعمر قدموا إلى سالي واستجوبوه ووجدوه الرجل الذي يبحثون عنه، فأخرجوه إلى شمال البلدة مع تلامذته وأوقفوهم تحت لهيب الشمس المحرقة وبنو حولهم سياج من حديد، حيث سارع أعيان المنطقة إلى السلطات الفرنسية وطلبوا منهم تأجيل الحكم حتى الرجوع من بلاد الحجاز لأنه عزم على الحج ذلك العام دون تدخل من جبهة التحرير الوطني وقرر الفرار بنفسه نظراً للأخطار المحدقة به وبعد أن قام بدوره في دعم الثورة التحريرية المباركة.²

وكان الشيخ مولاي احمد الطاهري الادريسي يكن حبا كبيرا لمدرسته وطلبته، فعند مغادرته أرض الوطن مضطراً إلى المغرب الأقصى كان يشده الحنين إلى المدرسة والطلبة، فقد خاطب طلبته وأحباؤه برسالة جاء فيها: «وإن سألتكم عن حالنا بعدكم فإنه كحال محب زاد غرامه وتضاعف وجده وهيامه وكثرة اسقامه، وطال داؤه وعز دواؤه وتوالت أحزانه وتحركت اشجانه وفاضت دموعه وتفرقت جموعه وقل اصطبارة وحلت به لبعادكم جميع الاسقام»، ثم يقول: «الاستعمار الظالم الذي اخرجنا من ديارنا وأبناءنا بعد التهجم علينا وعلى طلبتنا ومدرستنا وما ذقناه من أنواع الألم وشده الأيام».³

ومن هنا نلاحظ حنين الشيخ لمدرسته وحزنه على مفارقتها لها بسبب مكاييد الاستعمار الذي خشى من الدور الوطني الذي كان يقوم به الشيخ من خلال شحذ الهمم وتبيين مفاصل ومضار وخطورة الاستعمار من خلال بث روح الوطنية والحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية وعلى رأسها الإسلام

¹ - أحمد بوسعيد، اسهامات شيوخ الزوايا والمدارس الدينية في دعم الثورة التحريرية، الشيخ مولاي أحمد الطاهري التواتي انموذجا (1325-1399هـ/1907-1979م)، الملتقى الوطني البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، المرجع السابق، ص 224.

² - بن السبي حمو محمد المهدي، دور الزاوية الطاهرية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح، اعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية، المرجع السابق، ص 836.

³ - رسالة خطية، ينظر الملحق.

واللغة العربية ومحاربة البدع والخرافات والشعوذة وكل وسائل الاستعمار الثقافي الفرنسي للجزائر لإخراج المجتمع من إطاره الحقيقي وتعاليم دينه الصافية خدمة لمشاريعه الاستعمارية.¹

عبر الشيخ على حنينه لمدرسته رغم سابق عهده بالمغرب الأقصى، تبين حقه على الاستعمار حيث يقول: «الاستعمار الظالم الذي اخرجنا من ديارنا وأبناءنا بعد التهجم علينا وعلى طلبتنا ومدرستنا وما ذفناه من أنواع المكر وشدة الأيام».²

حيث أن الاستعمار توجس منه خطراً وخاصة بعد رفضه سياسة فصل الصحراء فهو كما يقول الشيخ في نسيم النفحات «قال لهم بعض المفتونين أن فلانا يقصدني انا- هو الذي عرقل التوقيع وكان يقول للناس أن مُجَّد محمود جاسوس وخائن لما بلغهم هذا الخبر قامت قيامتهم وجاءني الحاكم العسكري لمحلنا ففتش الدور والمدرسة وكتب الطلبة كتاباً كتاباً ومساكنهم ولما بلغهم أننا على اتصال مع الثورة والجبهة والجنود المجاهدين ونجمع لهم المال القوا القبض علينا لأنهم دائماً كانوا يتربصون بنا الدوائر ويتحينون بنا الفرص فأخذوني تحت حراسة مشددة من الفيف الاجني إلى مركز رقان ولا تسألني عما اهانني به ذلك الحاكم العام من الإهانة».³

دور الشيخ ضد السياسة الرامية إلى فصل الصحراء

حاولت فرنسا تسريع وتيرة فصل الصحراء خاصة بعد تولي الجنرال ديغول السلطة سنة 1958م حيث عين لويس جوكس كاتب دولة بمكتب الوزير الاول ليختص بالقضية الجزائرية وفصل الصحراء فكلف اوليفي قشار بملف الصحراء والاتصال بجاك سوستال الوزير المفوض المقيم بالجزائر حيث قام اوليفي قشار بالاتصال ببعض الشخصيات التي تتمتع بنفوذ في الاوساط الشعبية حول هذا الموضوع⁴، من بينهم حمزة بوبكر والشيخ ابراهيم بيوض واخاموخ باي سلطان الهقار وهي شخصيات وزانة لما تمثله في الصحراء من مجموعات سكانية لكنها اخفقت ما عدا حمزة بوبكر وقد حاول هذا الاخير اقناع عدد من الشخصيات الصحراوية بفائدة وجدوى الفصل من خلال اجتماعات عقدها

¹ - مُجَّد باي بلعلم، الرحلة العلمية، ج1، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 383.

² - رسالة خطية للشيخ، المصدر السابق

³ - احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 56.

⁴ - سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء، المرجع السابق، ص 50.

معهم في كل من الاغواط وورقلة في خريف 1960م، وما صاحب ذلك من أساليب الضغط والتهديد التي مارستها فرنسا على السكان والأعيان.¹

ولقد وقف الشيخ مولاي احمد الطاهر الادريسي امام محاولات الفصل من خلال تنبيه وتحريض الشخصيات الصحراوية ضد المشروع الذي تبناه قاضي تمبكتو صاحب ازواد المدعو مُجَّد محمود الذي استخدمته فرنسا لهذا الغرض فغذي بهذه الأفكار كثيرا من اهل تمبكتو والحوض وازواد والطوارق وكثيرا من أهل الحل والعقد من الصحراويين على أن الصحراء يجب أن تكون منفصلة عن الجزائر والمغرب ومالي وقد عرض الفكرة على الشيخ فيقول الشيخ في كتابه نسيم النفحات: «ولما ظهر لنا بأن هذه فتنة يقصد بها قلب الحقائق تحرك ما كان منا ساكنا وبرز ما كان كامنا غيره على الإسلام والمسلمين والوطن والدين فاقول لمن كان من أهل الحل والعقد من اكابر الناس أن مُجَّد محمود إنما هو جاسوس لفرنسا وفتنة وخائن للوطن والمواطنين ولا تغتروا به».²

حيث يقول الشيخ: «لولا عناية الله ولطفه وحفظه لوقع في حباله الاستعمار حيث لما جاء الحاكم الفرنسي وطلب من الشيخ ومن قائد سالي³ التوقيع على الوثيقة قال له الشيخ مستظفرا النصح والرضا أن التوقيع يجب أن يكون دفعة واحدة حتى يعرف الناس بهذه المهمة فاستحسن الحاكم الفرنسي هذه الفكرة، وعندما رجعنا إلى إدرار الذي هو مركز الحكومة طلب منا مُجَّد محمود انا والسيد الحاج احمد بن الحاج قاسم⁴ التوقيع ليوقع الناس قال الحاج احمد انا نطلب أن تترجم لنا هذه الوثيقة والشروط التي فيها عند الحكومة لتعرف الناس بما فيها ونجعل لها نسخا متعددة ويقع التوقيع دفعة واحدة وتقدم للحكومة نسخة واستحسن ذلك».⁵

¹ - ابراهيم ماسي، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومه الجزائر، 2012، ص 167 - 168.

² - مولاي احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 54.

³ - السي مُجَّد القايد بلحبيب، قائد منطقة سالي.

⁴ - الحاج احمد بن الحاج بلقاسم، قائد منطقة سالي.

⁵ - مولاي احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 55.

ورغم ما لاقاه الشيخ من طرف الاستعمار من مهانة إلا أنه ظل ثابتاً على رأيه يستذكر ثقل الأمانة وحجم المسؤولية وخطورة المكيدة من طرف المستعمر وكان له دور كبير في افشالها.¹

ومن هنا يتضح الدور الكبير الذي لعبه الشيخ للوقوف في وجه السياسة الفرنسية الرامية لفصل الصحراء من خلال ترسيخ روح الوحدة والهوية الوطنية، خاصة إذا علمنا أن الشيخ كانت له نزعة ثورية ووعي سياسي استطاع أن يدرك من خلاله الأهداف الفرنسية البعيدة المدى مستمداً هذه القوة من تربيته وتكوينه الديني الرافض للاستعمار والهيمنة والسيطرة وهو أحد أسباب فتحه مدرسته الطاهرية لاعداد جيل يؤمن ويسير نحو الاستقلال عن طريق التوعية والمقاومة الثقافية الفكرية.

ومن جانب آخر قدمت الزاوية الرقانية المجاهدين والشهداء في المقاومة الشعبية والثورة التحريرية، فكان من ابنائها وموريديها الشهداء والمجاهدين والمسلمين حتى أن الاستعمار كان يتوجس خيفة منها فكان رئيس المركز العسكري يتردد على قائد الزاوية مولاي لحسن ومن بعده ابنه مولاي الشريف وكان لقادة الثورة حضور في الزاوية من امثال مُجَّد الشريف مساعديه وأحمد دراية، حيث كان قائدها يستقبل المجاهدين في ميشارة داخل القسبة ويستقبل الاستعمار الفرنسي في دار الضيافة في نفس الوقت والأوان وقد قدمت الزاوية العديد من المجاهدين كما كان لهم دور في الجبهة الجنوبية من خلال جمع الاشتراكات لجبهة التحرير الوطني وإنشاء خلية المحافظة السياسية التي كان يقودها المسبل سيدي مُجَّد بن مولاي المُجَّد ديدي وكانت تجمع كل افراد العائلة الرقانية.²

مما سبق يتبين لنا أن الطرق الصوفية والزوايا والمدارس القرآنية قد لعبت دوراً محورياً في المقاومة الفكرية للاستعمار الفرنسي من خلال المحافظة على الدين الإسلامي واللغة العربية ومقومات الشخصية الوطنية، فكانت الوقود الصلب لكل أشكال الرفض والمقاومة العسكرية وحافظت على الجذوة مشتعلة والروح الجهادية فقد وجد فيها زعماء المقاومات الشعبية الظهير والنصير المادي والمعنوي والبشري.

فقد كانت منطقة توات بموقعها الجغرافي وتضاريسها المترامية الاطراف قاعدة خلفية للعتاد والمؤن والسلاح والمجاهدين وواحة لالتقاط الانفاس وتنظيم الصفوف وإعادة الكر على الاستعمار كما أن هذه

¹ - احمد بوسعيد، اسهامات شيوخ الزوايا، المرجع السابق، ص 138.

² - مولاي عبد الله سماعيل، دور الزاوية الرقانية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح، المرجع السابق.

الزوايا كانت ايضا نصيرا للثورة التحريرية الكبرى في التوعية والتحريض ضد المستعمر ووقفت شامخة امام كل محاولات التفرقة وفصل الصحراء التي كانت تسعى اليها فرنسا الاستعمارية وهذا بفضل القوة الروحية التي زودت بها هذه الزوايا طلبتها وكل مرديها وسكان المنطقة.

رابعا: مقاومة الشعراء والأدباء

ساهم دخول الإسلام للمنطقة في حركة التعريب رغبة في التعرف على التعاليم الدينية السمحة كما شجع سكان المنطقة حركة التعليم والتعلم في منطقة توات كما اهتموا بمجالات الفقه واللغة والتفسير والنحو والصرف وكان لقدم العلماء الى المنطقة في القرن 9هـ -15م دورا في إخصاب الحركة العلمية والثقافية حيث اثر الكثير من العلماء المهجرة والاستقرار بها كونها كانت منطقة مستقرة بعيدة عن الاضطرابات السياسية ونفوذ الدول والممالك وباعتبارها محورا استراتيجيا للعديد من الطرق التجارية من وإلى جعلها تتوسط العقد تتأثر وتؤثر في نشر الثقافة العربية الإسلامية، أثمرت هجرة العلماء إليها نهضة فكرية وثقافية وأنجبت علماء ورواد إصلاح أسسوا مراكز علمية ساهمت في بعث الحركة العلمية والثقافية في عموم توات، تصدت بدورها لجميع التيارات الثقافية الغربية عنها.

منطقة توات والكتابات التاريخية:

أخذت المنطقة اهتمام الكثير من المؤرخين والرحالة الذين زاروا إقليم توات وكتبوا عنهم في رحلاتهم وكتبهم ومذكراتهم ومنهم الرحالة الكبير ابن بطوطة سنة (754هـ-1353م)¹، والتاجر الجنوبي: انطونيو مالفانتي (Malfan Antonio) سنة (850هـ-1447م)²، وحسن الوزات (917هـ-

¹ - ابن بطوطة: تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 2001، ص ص 407-406

² - نياني ج-ت واخرون: تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع (أفريقيا من ف12-16م)، اليونيسكو، المطبعة الكاتوليكية، بيروت 1988م، ص671.

1511م¹ والعياشي سنة (1072هـ-1661م)² والحاج ابن الدين الأغواطي سنة 1244هـ-1828م³.

واهتم التواتيون بعلوم شتى فإلى جانب القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه واللغة والنحو والصرف اهتموا بالتاريخ وخاصة ما ارتبط به بالدين كالسيرة النبوية وسير الصحابة وتراجم العلماء والمشايخ أو تاريخ محلي مثل تاريخ حفر الفقارات أو تأسيس القصور أو قدوم العائلات وأخبار كرامات الأولياء الصالحين وغيرها وهذا مما تشهد عليه إلى اليوم خزائن المخطوطات الموجودة في أقاليم المنطقة.⁴

ومن أهم هذه الكتابات التاريخية: تاريخ توات: مُجَّد بن عبد الكريم بن أبي مُجَّد، الذي التقى بالرحالة العياشي والذي تولى منصب قاضي الجماعة التواتية والذي تضمنه دخول العلماء إلى توات وصراع المغيلي مع اليهود وفتاوى العلماء حول هذه المسائل وهي مرحلة تاريخية مهمة في التاريخ الثقافي لمنطقة توات، ودرة الأعلام في في أخبار المغرب بعد الإسلام لمحمد بن عبد الكريم التمنيطي وقد ألف المؤرخ في الأنساب والتراجم ومخطوط القول البسيط في أخبار تمنيط لمحمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور باسم ابن بابا حيدا وهو من فقهاء تمنيط في القرن التاسع عشر الميلادي ومخطوط نقل الرواة عمن أبدع قصور توات للشيخ مُجَّد بن عمر بن مُجَّد البوداوي وكتاب نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات للشيخ مولاي أحمد الطاهيري، وشقائق النعمان فيمن جاوز المائة بالزمان ل عبد الكريم بن مُجَّد ابي مُجَّد التواتي، الطرائق والتلائد في معرفة مناقب الوالدة والوالد لسيدي مُجَّد بن المختار الكنتي، والدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية لسيدي مُجَّد بن عبد القادر المهداوي التنلاي، وجوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني لمحمد بن عبد الكريم التمنيطي وغيرهم كثير.⁵

¹ - الحسن أبي مُجَّد الوزان (ليون افريقيا)، المرجع السابق، ص133.

² - عبد الله بن مُجَّد العياشي: الرحلة العياشية، 1661م، 1663م تحقيق الدكتور سعيد الفاضلي والدكتور سليمان القرشي، جزان ط1 دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ج1، ص79.

³ - الحاج ابن الدين الأغواطي: رحلة الاغواطي في شمال افريقية والسودان والدرعية، ترجمها من العربية إلى الانجليزية وبلبام ب هودسون وترجمها إلى العربية أبو القاسم سعد الله وأوردها في كتابة أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1990م، ص ص257-258.

⁴ - مبارك جعفري، مقالات وأبحاث، المرجع السابق، ص 11.

⁵ - عبد الله مقلاتي، المصادر المخطوطة والمطبوعة وأهميتها في كتابة التاريخ الحضاري للجنوب الجزائري- توات نموذجا المرجع السابق، ص ص43-45.

هاجر إلى الإقليم عدة قبائل عربية مطلع القرن الثالث عشر الهجري بعد أحداث القرامطة بالبحرين والفاطميين بمصر الذين كان لهم دور كبير في تثبيت اللغة العربية وبناء المدن والأمصار في الصحراء إذ عملت هذه الهجرات من التمكين للغة العربية والدين الإسلامي كما حملت معها المدينة وال عمران وبعد أن أعتنق أهل توات الدين الإسلامي صبغ كل شيء في توات بالصبغة الإسلامية من عادات وتقاليد وأعراف، عكف الناس على حفظ كتاب الله وتعربت ألسنتهم وانتشرت الزوايا وظهر العلماء الذين أثروا الساحة الأدبية التواتية¹.

عرفة منطقة توات العديد من الفنون الشعرية وخاصة قصائد مدح المصطفى ﷺ وهي كثيرة مثل قصيدة للشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان بن الطيب حيث يقول:

ما ضاق بي أمر فملت إلى مدح النبي إلا أتاني الفرج

واليسر واللفظ بأجمعه والفتح والخير وزال الحرج

وكيف لا وهو المنادي العلم السند الفرج شفاء المهج

وقصيدة للشيخ المغيلي يقول فيها:

بشراك ياقلبي هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم

فطب وغب عن هموم كنت تحملها وسل تنل كل ما ترجوه من كرم

ياأحمد ويا أبابكر ويا عمر نزيلكم في أمان غير منهضم

ياسيدي يا رسول الله خد بيدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم

بالإضافة إلى عدة مشايخ آخرين مثل العالم الفاضل والزاهد الناسك عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الحاجب وكذلك شعر الحكمة مثل الشيخ سيد البكري بن عبد الرحمان بن الطيب بقصيدة يقول في مطلعها:

¹ - بن خالفة نور الهدى، محاضرة بعنوان: استقرار العرب، إنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط، نقلا من التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربة عبر العصور، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة متوري، قسنطينة، 2011، ص18.

فكن صموتا ولا تكثر مكالمة فالصمت نور مبين رame سعدا

ونجد كذلك القصائد العلمية كقصيدة للشيخ بن أب المزمري في نظم باب السهو في الصلاة

يقول في بعض أبياتها

الحمد لله جزيل النعم مرشد من عن سبل الحق عم

وبعد فأعلم أنني قصدت أنجاز ما كنت به وعدت

من نظم سهو الشيخ الأخضرى معتذرا لكل الأوزعي¹

يتبين لنا مما سبق أن جل الشعر كان في غرض المدح للنبي ﷺ والشعر العلمي الذي يبين في نص منظوم أمورا فقهية تساعد الناس على معرفة أمور دينهم في أسلوب شعري وللحكمة لتهديب سلوك الناس ومعاملاتهم وهذا ما يعكس طبيعة الإنسان التواقي القائم أساسا على الدين الإسلامي في كل معاملاته ونشاطاته.

وكان هنالك فن آخر وهو فن الرسائل وخاصة تلك التي كانت تنتقل بين العلماء والفقهاء للاستفسار حول مسألة فقهية معينة أو حالة قضائية أو نازلة من النوازل وبعضها يحمل الأشواق والسلام والعلوم ومن تلك الرسائل التي كان يبعث بها الشيخ بن عبد الكريم المغيلي إلى العلماء في مختلف البلدان كليبيا وتونس والمغرب في قضية يهود توات ومن بينها الرسالة التي سماها الشيخ المغيلي، "مصباح الانوار في أصول الفلاح" والتي حققها الدكتور: رابح بونار عام 1968.

وهي رسالة أخلاقية تحمل توجيهات للحفاظ على الأخلاق والآداب الإسلامية ومقومات الشخصية الإسلامية على الرغم كونها مخصصة لليهود توات وتجبرهم على أهل المنطقة، فرأى أن اليهود قد ملكوا الرقيق الذين ثبت إسلامهم، وأنهم لم يلتزموا بأحكام أهل المدينة.²

¹ - عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص ص 55-59

² - رابح بونار: ابن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ب. ط، 1968م، ص 24.

وهذه الرسالة مقسمة إلى ثلاث فصول وضحت موقفه من هذه القضية، ففي الفصل الأول خصصه لما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار فقد بدأه بآيات قرآنية من سورة النور والبقرة وبين فيه الشيخ أنه لا يجوز للمسلم أن يترك للكافر الحرية للتصرف في ماله أو نفسه أو عياله أو يترك له الأمر والنهي في شيء من أعماله لأن ذلك مخالف للدين¹.

وفي الفصل الثاني بين ما يلزم على أهل الذمة من الجزية والصغار وقد بدأه بآيات قرآنية من سورة التوبة ثم قال بعدها فهذا أمر وجوب من الله تعالى بقتل اليهود والنصارى ولا يرفع عنهم السيف إلا إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون².

وبين الفصل الثالث الأسباب التي أدت به إلى اتخاذ القرار بهذه المسألة³ وسماه "في ما عليه يهود هذا الزمان في كثير الأوطان" قائلا: «أقول والله المستعان: لا شك في أن اليهود المذكورين كيهود توات وتيجورارين وتفياللت ودرعا وكثير من الأوطان بإفريقيا وتلمسان قد استحلّت دماؤهم ونساءهم ولا ذمة لهم»⁴.

حيث يرى الشيخ عبد الكريم المغيلي أن اليهود استغلوا ضعف الدويلات الإسلامية واحكموا نفوذهم في مراكز اتخاذ القرار في البلدان الإسلامية المغاربية الثلاث ففي الدولة المرينية كانت هذه أحد أسباب ثورة عامة الناس على سلطنتهم أبي مُجَّد عبد الحق بن أبي سعيد بعد تقريبه لليهود واستبعاده لأهل الرأي والمشورة وتمكن السكان من إسقاط الدولة عام 896هـ-1464م⁵.

وكانت رسائل المغيلي تدور حول قضية وجوب طرد اليهود من توات لإخلائهم بشرط أهل الذمة وقد أبدع في رسائله مبرزا ملكته الأدبية وتحكمه في اللغة والمعنى فيقول في إحداها: «فو الذي نفسي بيده لقتل يهودي واحد أعظم من غزوة في أرض المشركين، فاحذروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم وانهبوا أموالهم واسبوا نساءهم وأولادهم في كل مكان حتى يذعنوا للأحكام الشرعية، إنما الجزية والصغار

¹ - راجع بونار، المصدر السابق، ص 29.

² - راجع بونار، المصدر نفسه، ص 30.

³ - راجع بونار، المصدر نفسه، ص 45.

⁴ - ابن فقيه أحمد، تاريخ الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وشجوته مخطوط مكتبة كوسام، ص 16.

⁵ - أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 126.

مقموعة لشر هؤلاء الأشرار وسلاسل وأغلال يطوقون بها في سائر الأقطار على مرور الاعصار إظهارا لشرف النبي المختار، من حاول أن يفك شيء من تلك السلاسل والأغلال عن رقبة أحد من الكفار فقد حاد الله ورسوله وستقلب في عنقه ويكتب معهم في النار.¹

وكان المغيلي يتلوا قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.²

وكان الشيخ المغيلي يهجو اليهود ومن يناصرهم من سكان البلاد فيقول:

برئت للرب الودود	من قرب أنصار اليهود
قوما أهلنوا دينهم	و أكرموا دين اليهود
يكفي الفتى من شينهم	وخبث أصل صنعهم
أن قطعوا من دينهم	ورفعوا دين اليهود

من هذه الرسائل سواء الشعرية اوالنثرية التي كان يكتبها الشيخ المغيلي يتبين لنا الجانب الفني الرائع الذي وصل إليه العلماء في هذه المرحلة والتي كانت تعبر عن فطرتهم وصدقهم في التعبير لتحقيق غاية واحدة في نظرهم وهي إقامة وتبليغ الشريعة المحمدية السمحاء.

وفي رسالة كتبها مولاي علي بلحاج بن مولاي أمجد³ كتبها إلى ابن عمه في تافلاالت يخبره بزيادة مولود له وهو مولاي عبد الله الرقاني يقول في بعض سطورها: «... فهذه من عبيد الله علي بن الزين بن سيدي حمو بلحاج إلى صاحب السيادة والصفات المرضية ابن السلالة النبوية التي من الله عليها

¹ - ابن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص53.

² - سورة التوبة الآية 29.

³ - مولاي علي بلحاج: هو أكبر أولاد مولاي أمجد بلحاج وأكثرهم أولادا، وكان اول مولود يولد بأرض توات، اعتنى به جده سيدي احمد الرقاد وترى وترعرع في رعايته واحاطته حتى توفي جده رجع والده سيدي علي من رحلته فينشر العلم والإسلام في أرض التكرور ليحل محل والده في التعليم والتهديب في هذه المنطقة واتم تعليمه على يد خاله سيدي علي فأخذ بذلك من جده ووالده وخاله، وتولى الرياسة بعدهم ويواصل رسالتهم وينشر العلم والمعرفة. انظر: اسماعيلي علي، شخصية مولاي أمجد بلحاج بن سيدي حمو وتفرع ابناءه، أعمال الملتقى الأول: أولاد سي حمو بلحاج اعلام واثار، كتاب الندوة الأولى، جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية لأولاد سي حمو بلحاج، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المكتبة الوطنية الجزائرية، 2016، ص153.

وجعلها من طينة الشرف والحسب وغرس لوحته الطيبة بمعدن الجود والوجد والعلم الزكي والنسب، بحر العلوم الفاخرة الذي يمشي تحت أمره ويشارته العلماء والإعلام وتخضع لفصاحته وبلاغته صيارفة الكلام من ناظم وناثر.....»¹.

من خلالها يتبين لنا التحكم في المحسنات البديعية والصور البيانية واللغة التي تصل إلى المعنى وهي صورة لما وصل إليه المستوى العلمي والتحكم في اللغة في منطقة توات من خلال الزوايا والعلماء والتواصل مع مختلف الأقطار والحواضر العلمية.

ومن العلماء الإعلام الشيخ سيدي مُجَّد ادواعلي العباني له قصائد كثيرة منها تلك القصيدة التي بعث بها إلى ابنه إبراهيم الذي غاب إلى إفريقيا وتركه أعمى مقعد حيث بعث إليه بالأبيات التالية:

أيا ولدي يلومك من يلوم	وتجتنبك الخصوم والعموم
بتركك والدا رباك طفلا	وترك مبرة الاباء شؤم
أتهجري وأنت ربيع قلبي	ويا ولدي إني بكم رحيم
أتركني ضعيف الجسم أعمى	ولم تشغلك يا ولدي علوم
أراك بالنعيم شغلت عني	نعيم الدهر ويحك لا يدوم
فلا تقطع زمانك في عقوبي	فتفسد ما تصلي وما تصوم ² .

وهي أبيات يستعطف فيها ابنه تارة وينبهه ويحذره تارة أخرى على وجوب طاعة الوالدين والإحسان إليهما عند الكبر من خلال كلماتها يتبين لنا القدرة اللغوية العالية التي خاطب بها الشيخ ابنه.

ومن الفنون الأدبية التي تناولها الشيوخ التواتيون أدب الرحلات خاصة وأنهم كانوا كثيري الرحلات سواء اكانت لأداء مناسك الحج عن طريق الحجيج الذي كانوا يمرون به على عدة بلدان أو

¹ - مُجَّد بن عمر بن الحبيب البداوي، المصدر السابق، ص30.

² - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج2، المرجع السابق، ص122.

رحلاتهم العلمية إلى فاس ومكناس والقاهرة والحجاز فيكتبون ويدونون ما يرونه ومنهم الشيخ سيدي عبد الرحمان باعومر¹ وقد كتب رحلته إلى سجلماسة من أجل طلب العلم فيقول مقتطف من الرحلة: «خرجنا من ديارنا بالزاوية حماها الله من الفتن والأغيار، وجعلنا محط الرجال الأفاضل والأخيار يوم الخميس ثاني العقد الثالث من سادس الشهور والسنة المذكور ألف ومائة وستة وخمسين للهجرة، وتبيننا يوم الخميس أغشاها للدعاء بالبركة فيه الوارد في السنة المأثورة، وقف ذلك من السنة الشمسية السادس من عاشر الشهور نسأل الله خيرها وخير ما بعدها ونعوذ بالله من جميع الشرور وقبل ذلك بنحو شهر كان ارتحالنا من القصبة المباركة التي تفتح فيها علينا من النعم المقبلة غمامها وتفتح لنا عن أزاهير المسرات كمامها قصبة سادتنا الشرفاء الذين طوقونا أياديهم تطويق الحمام ووجدنا لديهم ما تعاطى من المال عن طريق التمام... ويوم خرجنا من القصبة المذكورة حرسها الله وحماها، مررنا بقرب سادتنا الأشراف الساكنين بتزنافت فتلقونا على عادتهم بالبشاشة والترحيب وأرونا فنائهم الرحيب.... ونزلنا بأولاد عيسى لا زال جميلهم يشكر وسيئهم يغفر.... ورحنا لزاوية قطب السالكين ومأخذ الهالكين..... فأحسنوا ضيافتنا غاية الإحسان وأمروا إلينا من البر ما يكمل عن وصفه اللسان... هذا ولما قضينا الأوطار وحانت مفارقة الأوطان والأقطار نسأله أن يحسن في النهاية كما أحسن في البداية وقد عن لي أن أتخف أهل الديانة ببعض آداب الحج والسفر لعلهم يجتنبونا منها إن شاء الله ثمار الظفر.....²

ومنه فقد أعتمد الشيخ التصوير الدقيق في وصف الرحلة باستعمال كلمات دقيقة لها وزن وطرب لدى الأذن تتحفك عباراتها باستعمال محسنات بدعية وصور بيانية تقرب إليك المعنى ولا تخل به واستعمل صيغة الفعل الماضي للدلالة على الوقوع واستعمل الجملة الفعلية للدلالة على الحركة والشغل الدائم من مكان إلى مكان فألفاظه من قاموسه الاجتماعي المحلي ومن موروثه الثقافي العالق بذهنه فلغته لغة واقعية تجذبك لقرأتها وكأنك تقرأ المقامات من حيث الدقة في اختيار الألفاظ والعبارات التي هي من صميم اللغة التواتية.

¹ - الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر: هو العالم العلامة الفهامة، كان إماما في المذهب حافظا له متفنا للنحو والمنطق والبيان والعروض وغير ذلك، كثير النسخ للكتب لا يكاد يوجد تصحيف في كتابه من شدة إعنتائه- وصفاء ذهنه وكان في اخر عمره ضير البصر وتدرسه في الفنون أوضح وأبين من البصير وفتواه راجحة عند أهل عصره وكانت تصدر الفتوى عن إذنه بخط كاتبه. محمد عبد العزيز سيدي عمر، المرجع السابق ص103.

² - مقتطف من الرحلة- مخطوط بمكتبة ملوكة.

وفي الرثاء أيضا نجد قصيدة للشيخ سيد مُجَّد بن مُجَّد الجزولي¹ يرثي بها السيد عبد الله بن مُجَّد
وعبد الله بن عبد الكريم الحاجب البكري المتوفي سنة إحدى وستين ومائتين وألف من الهجرة يقول
الشيخ مُجَّد بن مُجَّد الجزولي:

لقد جلت مصيبتنا وادلهمت وطال من التحزن والنحيب
على أحبة سادو بقدر كرام لا يميل لهم لبيب
ولا يغتاز منهم غبي سيوف للدواهي إذا تصيب
تكررت الأماني واستطالت على الاحشا من نعيمهم خطوب
وكان عويلنا يستفز خلا هميكا للترفه يستطيب
وصارت بلادنا كمناخ أسد تفر الناس منها وتستغيث
وعاد ديننا كرفيق خدن قول عن التوصل لا حبوب²

وهكذا كان دأب الشيوخ يرثون الإعلام في الفقه واللغة والعلم فالشيخ يرثي هؤلاء العلماء
ويصور أن المنطقة بفقدهم أصبحت خالية مستوحشة غير صالحة للعيش مما يبين مكانتهم ودورهم في
المجتمع وهذا لون أدبي ظهر كثيرا في منطقة توات فكثيرا ما كان الشيخ تؤلف فيه قصائد رثاء من طلبته
الذين هم على قدر كبير من العلم والأدب.

¹ - سيدي مُجَّد العالم بن سيدي مُجَّد الجزولي (ت 1305هـ): ولد رحمه الله بتمنيط سنة 1227هـ وبها أخذ تعليمه الأول فحفظ كتاب
الله عز وجل في سن مبكرة وظل معتكفا على حفظ المتون والمنظومات العلمية وغير ذلك من القصائد الشعرية كالمعلقات ثم بعد تحصيله
لمبادئ الفقه واللغة والنحو توجه به والده سيدي مُجَّد الجزولي نحو العالم سيدي عبد العزيز بن سيدي الحاج البلبالي فدرس عنه الرسالة لابن
ابي زيد القيرواني والمختصر من اوله إلى آخره ومن العاصمة لابن عاصم ومنظومة العمل للفاسي والألفية لابن مالك ولامية الافعال وغيرها
فغدى بذلك عالما وفقهيا ومحدثا بارعا في النحو والصرف وقارئا مجيدا، اشتغل بالتدريس وقام بوضع حاشية لمنظومة العمل الفاسي وله
حاشية على شرح ابي القاسم بن سيدي العمري تخرج على يده الكثير من العلماء منهم ابنه القاضي سيدي البكري - انظر عبد الحميد
البكري، المرجع السابق، ص ص 169- 171.

² - مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ج2، المرجع السابق، ص 135.

لقد كانت هذه الكتابات وغيرها كثيرة في منطقة توات في فنون النثر والشعر كانت متأثرة بالدين الإسلامي الحنيف ومضمونه الديني والأخلاقي والأدبي والاستشهاد بالقران الكريم أو استعمال ألفاظه وعباراته وهذا كله مستوحى من الخلفية الثقافية التعليمية للشيوخ فكانت الكتابات في الأدب التواتي تمتاز معظمها بالطول سواء كانت لونا شعريا أو فنا أدبيا واستعمال كثيرا للترادف والتضاد والمحسنات البديعية حتى تحال نفسك في النصوص النثرية كأنك تقرأ أدب المقامات الأندلسية مع ألفاظ التوقير والتعظيم لأن معظم الكتابات كانت أما تعظم شيخا أو رثائه وما كان للشيوخ من مكانة هامة في المجتمع التواتي الذي كان متأثرا بالزوايا والطرق الصوفية والأخلاق الإسلامية.

أدب المقاومة

كان استمرار لكل الألوان الأدبية في منطقة توات ففي الوقت الذي سطر فيه المجاهدون بطولات الفداء والتضحية أمام المستعمر الغاشم الذي استعمل القوة المفرطة بمدفعه الثقيلة وأسلحته المتطورة في هدم القصبات فوق رؤوس ساكنيها حتى أصبحت لا تفرق بين الإنسان والحيوان أو الطفل أو الشيخ أو المرأة تحت أنقاضها كان الأدباء يسجلون بقوة وحرارة هذه التضحيات في قصائدهم في مقاومة فكرية للاستعمار الفرنسي الذي كان يحجم أعداد خسائره ويضخم تضحيات المجاهدين من أجل الهزيمة النفسية وأضعاف الروح المعنوية وروح الصمود والمقاومة كانت هذه التضحيات تجد فخرا واعتزازا في أشعار الشعراء والأدباء ومصدرا ثريا ينافس الرواية الفرنسية لهذه المرحلة وقد وجدت المقاومة نصيبا كبيرا من ذلك وفي مقدمتها المعارك الأولى لاحتلال المنطقة مثل معركة عين صالح واينغر والدغامشة وغيرها.

ومن هذه القصائد قصيدة للشاعر الشيخ حمزة بن مالك القبلاوي في تصوير بطولة واستبسال مجاهدي معركة اينغر والتي غيرت نظرة المستعمر في منطقة توات والتي وجد فيها المستعمر شكلا آخر من التخطيط والمواجهة يختلف عن ما خبره في معركة عين صالح واستطاع المجاهدون تلقين العدو هزيمة نكراء في هذه المعركة التي كانت عام 1317هـ الموافق ل1900م يقول فيها الشاعر:¹

حزتم جميعا عز الفخر والسؤودا

يا أهل اينغر يا أنصار الهدى

¹ - مخطوط القصيدة في خزنة با عبد الله-أدرار.

مرابطكم وعربكم بأسرهم	كذا مواليكم يا ناصرين الهدى
أخواننا يا حماة الدين فليهنكم	نصر من الله دائما لكم أبدا
نصرتم ملة الإسلام بشرى لكم	أنصار دين الرسول المصطفى احمدا
دفعتم بمدافع مؤيدة	رجيعها بحتف العدا إذ غردا
بيضتم وجه أهل الدين بعد نضو	به كما بكم اسودت وجوه العدا
لا زال حبكم بالله منتصرا	دوما وميتكم بالله مستشهدا
لا زلتم الدهر في حصن حصين وفي	وقاية الله أمنين كل الردى
أسررتونا فلن نذعو لكم	بالنصر والظفر والثبات طول المدى
بالمصطفى خير تسليم عليه كذا	أزكى صلاة نعم الصحب أهل الندى

وهذه الأبيات من الشعر الشعبي الملحون نظمها الشاعر في الإشادة ببطولات ساكنة بلدة اينغر الواقعة بين عين صالح شرقا وأولف جنوبا، ودفاعها المستميت عن بلادهم ضد القوات الفرنسية المعتدية، متسلحين بالإيمان أولا، فأسلحتهم البدائية والبسيطة كببدو الأعداء خسائر فادحة فكانت معركة تاريخية اهتزت لها قرائح شعراء المنطقة ومنهم الشاعر حمزة بن مالك القبلاوي الذي بدأ قصيدته بمخاطبة أهل اينغر بأسلوب النداء وغرضه بذلك تخصيصهم بالمدح والثناء دون سواهم واصفا اياهم بأنصار الإيمان فلولا إيمانهم القوي بالله لما اتخذوا قرار المواجهة والمعركة وهذا أمر اشترك فيه جميع الجزائريين في المقاومة والثورة وأقر مفدي زكرياء ذلك بقوله: «ولولا الوفاء لإسلامنا.....لما حقق الشعب يوما ماله».

كما لم يفت الشاعر أن يشيد بكل مكونات بلدة اينغر وأطباقهم الاجتماعية دون استثناء فكلهم حاز شرف النضال والفداء وقد أبان الشاعر عن وعي عميق بالقضية لما وصف المقاومة الشعبية لم تكن دفاعا عن أرض فقط وإنما نصرة الإسلام ضد مكر أعداء الله تضاف إلى سلسلة انتصارات المسلمين ضد المشتركين وختم قصيدته بالسلام والصلاة على رسول الله ﷺ وهي خاتمة معتادة من شعراء الملحون.

والقصيدة من أدب المقاومة لذلك وظف الشاعر بعض الألفاظ الدالة على ذلك مثل: دافعتم، مدافع العدا، وجوه العدا، حيكم منتصرا، ميتمك مستشهدا، النصر.... أما الأسلوب البلاغي فهو الخبري المناسب للوصف والإشادة والثناء، واقتصر الإنشائي على النداء لتوضيح الأفكار ووظف الشاعر التقابل في البيتين السادس والسابع إذ بأضدادها تتميز الأشياء.

ولقد ضم الشيخ سيد الحاج محمد عبد الرحمان السكوني صوته إلى صوت صديقه الشيخ سيدي حمزة بن مالك القبلاوي في الافتخار ببطولة أهل اينغر وشجاعتهم ومقاومتهم للعدو الفرنسي الغاشم حيث يقول هو الآخر:¹

يا أهل اينغر للسماء مجدكم	سما وصوتكم يعلوا وينتشر
لله دركم بعتم نفوسكم	من الإله بجنة لها خطرا
فحبذا ذاك من بيع وعاقده	وحبذا ثمن قد ساقه القدر
جاهدتم بنفوسكم وأموالكم	في الله لا مسكم أذى ولا ضرر
طوبى لكم حزتم الرضوان الأكبر من إلهكم معه مفاخر آخر	
بشرى وروح ورحمة ومغفرة	فاستبشروا يرضى الإله وافتخروا
نصر من الله مع فتح قريب وعو	نه يعينكم والحفظ والظفر
والنصر بصحبكم متى توجهتم	والعون والفلح والتأييد والبشر
وعدا على الله حق سوف ينجزه	والوعد لا يعره التغيير والغير
حازوا جميع المعاري والفتخاري فلم	يبقوا لغيرهم فخرا ولم يذروا
لم يهربوا كثرة العدو إذا جمعو	لهم وقد حسبوا من بعد ما صبروا
إذا يقنوا بعد ذا بنصر وبهم	أكرم بها عصابة بالله ينتصر

¹ - مخطوط القصيدة في خزنة با عبد الله ادرار.

من ينصر الله ينصره ويظفره وليس بقدر أن يكيد به بشر
فالنصر آت لجند الله حقا كما آتى بذلك نص الذكر والخبر
يمشون إن حمى الوطيس يوم الوغى للموت قدما ونار الحرب تستعر
يرجون في ذالكم رضوان خالقهم لذلك لم يعرهم ضعف ولا خور
فالدين عز بهم حباية واحتمى والكفر يرهقه الإذلال والصقر
رمن حماهم كلاب الروم من سفه فحاق بالروما راموا وما مكروا
راموا خزيا حيارى يحملون على أكتافهم جيفا مأواهم سقر
فالأرض من دم كلما هم ملونة كما بقتلاهم ملئت الحفر
قل للكوافر إن نظمت حيلة فأهل اينغر قبل نظمكم شعروا
وإن جمعتم عليهم جنود الردى فجمع ذلك بالتفريق ينتشر
هام العدا نثروا لنظم شمل الهدى لله ما نظموا في الله ما نثروا
فأصبح الدين في عز وفي سعد والكفر في درك الإذلال ينحدرو
إلى الخضيض ولا زالت وجوه العدا يغشاهم الخسف والقتار والعقر
بشرى لدين الهدى نصر يعز به وذمة لم يكن بعدها حقر
أيفاكم الله تنصرون دين الهدى كما بكم جيش الكفر ينكسر
كسوتهم الناس لبس العز من بعدما اخرجوا عراة ولولاكم لما ستروا
كساكم من جميل الذكر فعلكم حتى مدى الدهر لا يعفو لها أثر
أزكى الصلاة على أولى الأنام بها مع السلام وصحبه ومن نصره

القصيدة من الشعر الفصيح منظومة في المدح والإشادة ببطولات أهل اينغر ضد المعندين الفرنسيين وقد اعتبر الشاعر نصرهم هو نصر الإسلام والمسلمين وذل الكفار والمشركين وقد كشفت القصيدة عن شخصية الشاعر المتأثرة بمعاني الدين الإسلامي الحنيف وتنجلي ذلك في الاقتباسات المتعددة من القرآن الكريم في معظم الأبيات ومن المعاني الواردة نجد: بيع المجاهدون أنفسهم مقابل الجنة، نصر من الله وفتح قريب، وعد الله المؤمنين بالنصر، الثبات في المعركة وعدم الخوف من العدو، الحسيلة والاحتساب والصبر، من ينصر الله ينصره، رجاء رضوان الله سر قوتهم، رد كيد الأعداء في نحورهم، مأويهم سقر.

ورغم الأسلوب الخبري المناسب لطبيعة الموضوع فإن الشاعر استعان بالأسلوب الإنشائي الطلبي مثل النداء في البيت الأول والأمر في: قل للكوافر، أما الإنشائي غير الطلبي فمنه التعجب في «لله دركم» و«أكرم بها عصابة»، وصيغة المدح: «حبذا» ومن أساليب البيان التي وظفها لتوضيح معانيه المجاز اللغوي في «بعتم نفوسكم» وهي استعارة حيث شبه النفوس بسلعة تباع وتشتري و«كلاب الروم» كناية عن صفة الاحتقار للعدو، و«فالأرض من دم كلماهم ملونة» كناية عن كثرة القتل وغيرها من الصور أما البديع فمنه التضاد بين عز والإذلال، واللف وينتشر، ونثروا ونظموا وكسوتهم وعراة وكلها أفاده توضيح المعنى وتقويته وتوكيده وهذا ما يدل على افتخار الشاعر وإعجابه الشديد ببطولة أهل اينغر.

كما أن القصيدة قد بينت بما لا يدع مجالاً للشك الضحايا البشرية في صفوف العدو في

الأبيات

رمت حماهم كلاب الروم من سفه فحاق بالروم ما راموا وما مكروا

راموا خزايا يحملون على أكتافهم جيفا مأويهم سقر

فالأرض من دم كلماهم ملونة كما بقتلاهم ملئت الحفر

ومن هنا يتبين لنا القيمة التاريخية في تخليد وتأريخ هذه البطولات التاريخية للمجاهدين الذين دافعوا عن الحمى وكبدوا الاستعمار خسائر مادية وبشرية ولم يكن توسعهم نزهة أو سهل المنال حيث دافع المجاهدون بأسلحتهم البسيطة وصدورهم العارية ولكن بإيمانهم القوي وحبهم للشهادة والتضحية.

وهذا ما عبر عنه ايضا الشاعر الشعبي بوتقي عبد النبي بن مُحَمَّد موسى فقد كتب قصيدته بلغة العامة الأقرب إلى الذاكرة الشعبية وهو يصف همجية العدو قائلا:

واحد راكب مخازني لاخر ساخر واحد قايد يأمر بالمنق ليا
اطلع فوق العروق واقدات النيران تسمع حسن الزهير عند الحنايا
من نصف الليل إلى إذا في نصف النهار صار القرطاس بنا عامل مزنا
فالعرق انصب مدافعو قادات النار كسر الأسوار كاملا كيف اخرجنا
ثم يصف رد المقاومة وما أوقعته بجيش الإحتلال قائلا:

وارقد في موتوا على باب واجعل في قبلة عين صالح جبانا
يججب رجال اينغر ماداوسوا عملوا مثل ما أعمل على واتبنا
اللي كذب يشوف ما عملت الأبطال عادوا مثل الاجراد جيفا فالجبانا
قتلنا منكم ثمانين إلا القبطان عسكروا سوريان شي ما سولنا¹

وهذا ما بين الضحايا البشرية في صفوف المحتل الفرنسي الذي عملت ما كنته الإعلامية على إخفائها وطمسها لا ذكاء الروح المعنوية لدى الجيش الفرنسي وتخطيطها لدى الجانب التواتي وهذا حاله في كل المعارك والمقاومات الشعبية على المستوى الوطني فهو لم يعترف في هذه المعركة إلا بأحدى عشر جنديا وأربعة وأربعين جريحا، فهذا الشاعر قد أحصى ثمانين قتيلًا في صفوفه وهذه معركة أخرى خاضها الأدباء والشعراء في مجاهدة الاستعمار بتسجيل دواوينهم الشعرية كشاهد عيان لهذه الملاحم التي تكبد فيها المستعمر خسائر فادحة في الأرواح.

كما يصف كذلك هذه الخسائر الشاعر حمزة بن الحاج أحمد القبلاوي في قصيدته التي شيدها بطولات أهل اينغر في الثبات والجهاد وما كبده للمستعمر الفرنسي من خسائر فيقول:

¹ - تواتي دحمان واخرون، المرجع السابق، ص16.

سنة وخمسين أهدوها إلى سقر موتى يلقون في الجحيم خسرا¹

لقد كانت معركة ملحمة كبيرة خاضها السكان بعد الانكسار في معركة الدغامشة وجرت هذه المعركة صبيحة يوم 19 مارس 1900م، حيث اجتمع مجاهد وقصور المنطقة من تط واقبلي حتى قصور تسابيت وتيميمون وتحصنو في القصبتين الموجودتين في اينغر وهما قصبة أولاد حادقة وقصبة أولاد جلول كما أقاموا خطين دفاعيين الأول عند مدخل الواحة والثاني عند الفقارات².

ومن الجانب الفرنسي بقيادة الرائد بومقارتن الذي كلف ملازمة كلوستر CLAUSTRE بالسير إلى عين غار على رأس مائة فارس ودخل عين غار بدون أن يتعرض لأية أذى مما جعل الرائد بومقارتن يلتحق به على رأس كوكبة الصبايحية ومائة جندي ومائة وعشرين من القوم لاحتلال كامل الواحات، وطلب من السكان الاستسلام لكنهم رفضوا واحتموا بقصباتهم وقد عزز هذا الرأي زعيم المعركة بقصبة المرابطين: «عزي الحاج مُجَّد» مقولته الشهيرة: «والله لو ماتوا أكبارها، وطيحوا أسوارها وأتخلط نساها مع أصغارها لا نستسلم»، فحاولت القوات الفرنسية الاقتحام الشامل للقصبتين لكنها فشلت أمام المقاومة³.

ونتيجة لهذه المقاومة الشرسة استنجد الرائد بومقارتن بسلاح المدفعية وزحف على منطقة اينغر أعداد من المجاهدين من منطقة توات وجرت معركة فاصلة في القصبتين يومي 18-19 مارس تكبد العدو فيها خسائر فادحة⁴، وقد راح ضحية هذه المعركة 500 قتيل معظمهم من الأطفال والنساء ومائة وستة وعشرون اسير⁵.

لقد كانت معركة اينغر معركة فاصلة في التوسع الاستعماري في المنطقة والتي لم تستطع حسمها إلا بسلاح المدفعية، وبتطبيق سياسة الإبادة الجماعية كما فعل في معركة الدغامشة بتفجير القصبات

¹ - مجموعة من الأساتذة، إطلالة حول أدب المقاومة بالجنوب الغربي الجزائري، مجلة أفاق للتنمية، ادرار، 1987، العدد2، ص ص17-18.

² - Mohamed belghite: la Assistance Algérienne au sud ouest du sahara(1852-1930) ed benifumif, 1994 p18-20.

³ - ابراهيم مناعي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية المرجع السابق، ص468.

⁴ - جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة، المرجع السابق، ص11.

⁵ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص15.

فوق رؤوس ساكنيها من أطفال ونساء وشيوخ وهذا دأب الاستعمار في كل معاركه وتوسعاته الهمجية أمام بساطة تنظيم وسلاح وخبرة المقاومة التي كانت في شبه استقلال وعزلة عن العالم الخارجي وعن الصراعات وعن الحروب بطبيعة موقعها وسكانها.

لقد أثرى أدباء المنطقة يؤرخون لهذه المعركة ويسطرون أحداثها وبطولاتها في كل أدياتهم بلغة بسيطة هي أقرب إلى الذاكرة الجماعية يصفون خسائر العدو الذي حاول إخفاءها والتستر عليها هؤلاء القتلى الذي اضطر الاحتلال إلى إقامة لهم مقبرة في عين صالح كما يقول الشاعر:

وارقد في موتوا على باب واجعل في قبلت عين صالح جبانا

فكانت هذه المعركة اتحد فيها الجميع بدون تفرقة ودون استثناء كما وصفت وقائعها وأحداثها وربطها بالصراع بين الكفر والإيمان.

لقد كانت القصائد الذي قيلت عن معركة اينغر تأريخاً للمعركة لأن التاريخ يكتبه المنتصر الذي كما رأينا يحاول دائماً تحجيم خسائره لإذكاء معنوياته وتحطيم معنويات الخصم فكانت هذه القصائد إجلاء للحقيقة وضرره للدعم النفسي وإلهاب للحماس وحماية الذاكرة من التحريف وصورة للرفض للخضوع للمستعمر فكانت نوعاً من المقاومة الثقافية والفكرية للمستعمر الفرنسي الذي حاول طمس الحقيقة.

ومن هذه القصائد التي كتبت عن سقوط المنطقة في يد الاحتلال الفرنسي قصيدة لسيدي محمد البكري بن عبد الرحمان وهي قصيدة رثاء وتوسل إلى الله تعالى حيث يقول¹:

رب إن فرانس الكفر جارو في توات وجازفوا بفساد

ختلوا قتلوا وصلوا ونالوا وأضلوا وخاطروا بعناد

خو قوامه توحد ربا واحداً أحداً بلا أضداد

لم يقولوا اتخذت يا رب نجلا ولم يشركوا برب العباد

¹ - مخطوط القصيدة في خزنة البكرين في تمنطيط.

لا ولم يجعلوا صليباً ولانـ	دأ مع الله جل عن أنداد
ووعدهم الهى بغفران	الذنوب بدون شرك معاد
أن تسلط عليهم أمة الكفر	بجور وحبوب وبعاد
فعلى المشركين فاردد لهم كر	تم أبدا وطول الاماد
وعلى كل من يواددهم من	قطرنا من منافقين شراد
رب أن تهلك أمة المصطفى لم	يبق في الأرض مومن ذو رشاد
رب انك قلت هم خير أمة	أخرجت فانتصرت بنصر يفاد
قد رددت لنسل يعقوب قيما	قد مضى كرة على أوغاد
فلا أمة مُجَّد أكرم الخل	ق عليك وأصفى ي كل ناد
صل يا ربنا وسلم عليه	وعلى اله الطول النجاد
من بداية ثورة في ظلام	الشرك يلمع نوره في البلاد

في القصيدة دعاء وتضرع إلى الله تعالى من الشاعر الذي أحزنه ما حل بأرض توات من ترويع وقتل واضطهاد للمسلمين الموحدين من فعل الكفار الفرنسيين، مبينا أن ساكنة توات موحدون يأملون النصر من عند الله لأن هلاكهم هو هلاك للأمة ونصرهم نصر للإسلام.

ومن الكتابات النثرية التي أرخت للاستعمار نجد نص للشيخ سيدي مُجَّد البكري بن عبد الرحمان الذي كتب نصا مطولا يصف فيه ما وقع لتوات يعد دخول الفرنسيين أراضيها وهو من أهم وأندر الكتابات النثرية التي سجلن حضورها إلى جانب الشعر الشعبي والشعر الملحون الذي يكتب عن هذه المقاومات والمعارك حيث يقول:

«الحمد لله الذي جعل الحكم يدور مع العلة وجودا وعلمنا وطبق الأحكام على النوازل قوانين وحكما وجعل من الكتاب والسنة كليات تشتمل على أفراد وجزئيات، والصلاة والسلام على بحر العلم

وينبوعه الزخار الذي لا يطمع أن يلججه ملك ولا نبي مرسل ولا صديق، فضلا أن يبلغ عمقه التيار، وعلى آله وصحبه السادات النبلاء الأطواد ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الأشهاد، أما بعد: فقد تجدد على هذا الإقليم التواتي ما كان يخاف عليه قبل الآن، وهو تحافت طاغية الفرنسيين عليه لعنت الله بالعدد والعد والأزل والذل والقتل والأسر بعام سبعة عشر وثلاثمائة وألف في طرفه الجنوبي الذي هو عين صالح ثم في طرفه الشمالي في هذا العام الثامن عشر، وما نزلت العقوبة بهذا الإقليم، إلا بعد شهادة خياره عليه بنهاية الظلم والفسق والمجون، والرشوة والريب والحرام وغير ذلك من مقترفيه وغير مقترفيه، ولم يتناها عن منكر، ومن تصدى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سموه مسخرة ورموه بالحمق والبله والجنون، وربما اغتاله في شبكة كيدهم ومكرهم ودأبهم دأب الشاة مع الذياب، وصار المنكر معروفا عندهم والمعروف منكرا وصارت قوادهم جباة الأموال لا دعاة، وكانوا بذلك أطمع من أشعب وأروغ من ثعلب وأمكر من هرمز وأحيل من ذيب وأبطش من أسد حتى عجت هذه الأرض إلى الله من ظلمهم مع توحيدهم ومعرفتهم قال العاصي: وإن الجنة حق وإن النار حق، فسلط الله عليهم من لا يعرفه من غيرهم من الكفرة كما سلط الله بخت نصر على بني إسرائيل، بعد شهادة أنبيائهم عليهم بالظلم والفسق والجور والتعدي، فلما كان ما كان وانتدبت عصابة من هذا الإقليم لرد الكفرة المذكورين فلم تكن عاقبة لا والله قد ضمن العاقبة للمتقين، فإننا لله وإنا إليه راجعون، على ما حدث من هذا الحادث العظيم الذي احترقت منه الأكباد لولا التعويض والتسليم لرب العباد، وقد رضينا بقضاء الله في هذه الحادثة لإخواننا المسلمين من القتل والأسر وضياع الأموال، وما رضينا المقضي به لهم وهو الولاية الكفرانية، لأن الرضى بالمعصية ومعصية وبالكفر كفر وهذه المسألة التي يرضى فيها بالقضاء دون المقضي به كان الرضى فيها بالقضاء استسلام والرضى بالمقتضى فيه اجترام.....».

في هذا النص شهادة تاريخية من الكاتب على دخول المعتدين الفرنسيين أرض توات وتعليقه ذلك بسبب انعدام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسفه والظلم وغياب الحق والعدل مما استوجب عقاب الله عز وجل ولمن ابتعد ن جادة الحق ولسان حال الكاتب بقول: «ربنا لا تواخذنا بما فعل السفهاء منا» وهو مع ذلك يؤمن بالقضاء والقدر، ويعتبر أن ما أصاب البلاد لم يكن ليخطئها مع إيمانه بالسعي لرد ظلم الكفار ورده.

كان الاستعمار الفرنسي يراقب القصائد وخاصة الرمزية منها فالشاعر التومي الحاج سعيدان¹ يقول: عندما كنت أكتب القصائد خاصة تلك التي أرسلها إلى الشيخ مولاي أحمد الطاهيري الإدريسي بعنوان: تأثير العلماء على الاستعمار استدعيت من طرف ضابط الشؤون الإسلامية المعروف بـ "يون" والذي خلقه آخر باسم «نوارجون» الذي ترجم القصيدة إلى اللغة الفرنسية ليثبت تهمة التحريض على الثورة وركز على مصطلحات منها متغطرس وكلمات المشركين ولولا تدخل والده الذي هدده برفع القضية للمحكمة حيث كان يقول في إحدى أبياته:

ففيه يتقن سيرة السلف السابقين أحفظه يا رب من عين الحاسدين
واجعله يا مولانا على المشركين أصلح بعلومه قلوب المسلمين²
العلامة الإدريسي أحمد يا سائلين من نسل طه جد الحسن والحسين

وقد رثى المشركي سقوط توات بقصيدة طويلة يستيقظ الهمم ويدعو للجهاد وتحرير البلاد فيقول³ مستنهضا الهم.

دع عنك داع السرور والمزاح واسلك سبل من بكى الدين وناح
واحك نساء الحي في لكم الحدود وضربهن الفخذين والصياح
وارثه واسمعي جميل وصفة وانذب وغرد في الغدو والرواح

ثم يعرج على الأخذ بأسباب القوة والتفطن لمكاييد الاستعمار وما يجب على المسلمين من الرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي وترك الشهوات والملاهي فيقول:

¹ - التومي سعيدان بن بنعالية من مواليد 1922م بانغر ولاية تمنراست حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، كان يتكلم اللغتين، العربية والفرنسية مارس السياسة ضمن جماعة يرأسها ولد يهوز أعمارة الذي كان يمددهم بالكتب والمجلات الأدبية الخرط في جمعية العلماء شعبة قسنطينة سنة 1940م كان يبيع الكتيبات (أم القرى، حمار الحكيم) لصالح الجمعية كما كلف بتوزيع المجلات والجرائد على المشتركين بالمنطقة، الخرط في حزب الشعب سنة 1950م عين في 9 جانفي 1957 عضو مكتب الخلية التاسعة لجهة التحرير الوطني وكلف بجمع المال والسلاح والمعلومات في نفس السنة القي عليه القبض ووضع في الإقامة الجبرية إلى فجر الاستقلال، له عدة أشعار في مختلف المجالات.

² - نفسه، ص ص 49-50.

³ - غيتاوي التهامي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص ص 179-180.

واستضعف الاستلام طرا فدى من أرضه وعمها بالاقتراح

ونحن في ظل الغرور نائمون على بساط الذل نرجو الافتضاح

همته مصروفة في أخذنا وأرضنا وما حوت من القراح

ولا يفيد الحد دون قوة فالعهد منه كسراب في البطاح

وكم مكيدة له نال بها ما لم يتله بالسيوف والرماح

وما بهم قلة ولا جبان ولا يهيم ضعف نسؤهم جراح

فكم من الأبطال في العرب وكم من الليوث في البرابر صحاح

كما دعاهم إلى النهوض والرجوع إلى السنة والسلف الصالح والعودة إلى بطولات وغزوات

الرعييل الأول في الحفاظ على دولة الإسلام ونشره والحفاظ عليه فيقول

لا خير في العيش مع الذل ولا عيش لروح الفتى دون ارتياح

والسنة العراء صارت بدعة وأحمق عندكم من قد بها باح

وهي أساس كل خير يرتجى وهي السياسة العظيمة والنجاح

ما خاب قوم سلكوا منهجها ولا استقام دونها أمر اصطلاح

والأمر سهل لو نصرتم ربكم نصركم بوعد جاء كالصباح

والقصيدة كلها أسف على حال المسلمين وما الو إليه تحت سيطرة المستعمر يستنهض فيها

الهمم ويدعو للجهاد والعودة إلى أصول الدين الصحيحة ويذكر بها بطولات الإسلام.

لعبت المقاومة الأدبية التي قادها الشيوخ والقضاة والأدباء والشعراء وغيرهم ميدانا مهما في

ميادين المقاومة الفكرية ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان مدججا بإمكانياته المادية والبشرية والثقافية

الضخمة أمام إمكانيات متواضعة لكنها كانت شوكة في حلق المستعمر أربكت كل خطته للسيطرة

على المنطقة ثقافيا وشاهدا على هزائمه وانتكاساته التي حاول عبثا إخفائها فكان الموروث الشعبي من قصائد وأغاني وحتى صيغات البارود والتوزيع وأمثال وحكم كانت شاهدا على أكاذيبه وسجلا يحفظ لنا تاريخ المنطقة ومقاومتها وحفظا للذاكرة الوطنية من التشويه والاندثار فكل هذه الفنون الأدبية تعتبر وثائق تاريخية وسياسية تعبر عن المشهد الثقافي في منطقة توات والتي فوتت على انفراد المستعمر بكتابة تاريخ المنطقة والذي يريد من خلاله اعطاء صورة مشرفة به ولثقافته وهو أحد أهداف الحركة الاستعمارية الغزو الثقافي.

الفصل الثالث: موقف الاستعمار الفرنسي من المقاومة الفكرية.

المبحث الأول: سياسة فصل الصحراء.

المبحث الثاني: التضييق على الشيوخ والعلماء.

المبحث الثالث: استمالة شيوخ الزوايا وتدجين الطرق الصوفية.

أولاً: فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية

تمثل الصحراء الجزائرية مساحة تبلغ 1.987600 كلم² بنسبة 90% من مساحة الجزائر وبعد أن بسط الاستعمار سيطرته على المناطق الشمالية لم يكن يأمن وجوده بدون السيطرة على المناطق الجنوبية باعتبارها قاعدة خلفية لجميع المقاومات الشعبية ضد المستعمر، وباعتبارها خزاناً لا ينضب من المجاهدين وقوافل الشهداء والدعم المادي والبشري للمقاومات الشعبية، كما كانت تشكل حاجزاً طبيعياً أمام إطماع فرنسا الإمبراطورية في مناطق جنوب الصحراء الكبرى وإتمام مشروع فرنسا التوسعي في القارة الإفريقية وهذا ما يؤكد تقرير المارشال: "سول" Soult وزير الحربية إلى الملك "لويس فيليب" والذي وضع فيه أهدافه التوسعية جنوباً بقوله: «إن الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى كل المناطق الواقعة جنوب التل الجزائري يجب أن تشكل نوعاً ثالثاً من المناطق الإدارية، إذ لا يمكن توظيف الأوربيين في هذه المناطق وحتى الجيش لا يدخلها إلا بصعوبة... إما لإقرار الأمن أو لتهيئة الظروف التجارية التي ستفتح لنا طرقاً هامة نحو أفريقيا السوداء».¹

الصحراء الجزائرية قبل 1947م: ظلت الصحراء الجزائرية دائماً ضمن أطماع فرنسا التوسيعية من خلال كل مشاريع الجنوب الجزائري لعدة عوامل سياسية وعسكرية واقتصادية وإستراتيجية وظلت الصحراء جزءاً لا يتجزأ من الجزائر وهذا بنص القوانين الفرنسية ذاتها وعلى رأسها القانون الفرنسي الخاص بالجزائر والصادر سنة 1884م، وكان لها بمقتضاه ممثلوها في المجلس الجزائري كما كانت تابعة للولاية العامة بالجزائر في شئونها السياسية والإدارية والاقتصادية وفرنسا سلطة الاحتلال في الصحراء كما في باقي أنحاء البلاد.²

وكانت الصحراء في رأي الساسة الفرنسيون وعلى رأسهم "ماكس لوجان" أنها كانت منطقة عبور مجهولة ومهملة من الدول المجاورة وأنه تم اكتشافها من طرف فرنسا وأنها وفيه لفرنسا، وأن تقسيم

¹ - احمد مريوش، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان المقار 1916م، المصادر، العدد 11، المركز الوطني للدراسات والبحوث لافي الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2005، ص 119.

² - الادارة الفرنسية في الصحراء الجزائرية قبل سنة 1947 سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، الايبار، الجزائر، ص 37، انظر كذلك: شعبنا لن ينقسم وارضنا لن تجزأ، المجاهد العدد 97، 05 جوان 1961، ص 03.

الصحراء بين الدول المجاورة كان اجراء تعسفيا، ويرى ان وحدة الصحراء لاجدال فيها رغم اختلاف شعوبها وانها كانت خاضعة للاستعباد قبل التواجد الفرنسي حسب رأيه.¹

الإدارة الفرنسية في تسير أراضي الجنوب: في 24 ديسمبر 1902 سنت السلطات الفرنسية

قانونا ظل القانون المرجعي لإدارة مناطق الجنوب طيلة 50 سنة، وبالرغم أنه لم يحدث كيانا سياسيا مستقلا لكنه جاء بتنظيمات إدارية معينة تحت سقف أن أراضي الجنوب جزء لا يتجزأ من الجزائر.²

حيث تعد أراضي الجنوب في نظر سلطات الاستعمار مستعمرة خاصة لها إدارتها وميزانيتها المالية وأملاكها وترتبط مع الجزائر في شخص الوالي العام.³

وبصدور قانون 14 أوت 1902م أنشأت المناطق الجنوبية وأخضعت الصحراء لنوع خاص من أساليب الحكم يختلف عن نظام الحكم في الشمال أي بقيت السلطة في المناطق الجنوبية تحت سلطة عسكرية مع بقاءها تابعة للحاكم العام في الجزائر الذي أوكلت له مسؤولية حفظ الأمن والدفاع عن المنطقة، تحكم بواسطة قائد عسكري يعين بمرسوم بناء على تقرير الحاكم العام واقتراح وزير الداخلية والحربية، حددت ميزانيتها بمرسوم 30 ديسمبر 1903م⁴، وإدارتها بقانون 04 أوت 1904 ويستمد الوالي العام سلطته ونفوذه من وزارة الداخلية ولا يملك حق التشريع.⁵

أما حدودها تتمثل في كون الحدود الشمالية للأقاليم الجنوبية هي الحدود الجنوبية كمناطق الحكم العسكري في الشمال، أي جنوب دائرة مغنية العسكرية وملحق العريشة وسعيدة ودائرة تيارت العسكرية وملحق افلوا ودائرة بوغار العسكرية وملحق الشلالة وسيدي عيسى ودائرة بوسعادة العسكرية وملحق بركة ومركز تكوت التابع لدائرة بسكرة العسكرية ودائرة خنشلة وتبسة العسكريتين، كما التزمت الإدارة

¹ - سعيد عبادو، السياسة الاستعمارية ومحاولة فصل الصحراء، سلسلة الملتقيات، المرجع السابق، ص 13.

² - الادارة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، سلسلة الملتقيات، المرجع السابق، ص 37.

³ - الهادي درواز: المرجع السابق، ص 33.

⁴ - محمد بجاوي، المرجع السابق، ص 302 _ 303.

⁵ - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 193.

الاستعمارية بدفع الحدود الشمالية لهذه الأقاليم نحو الجنوب إذا ما دعت ضرورة الاستيطان إلى ذلك، وفيما يتعلق بالمالية فإن للجزائر ميزانية خاصة تحت تصرف مجالسها المالية وهي تحت رقابة البرلمان.¹

وبموجب مرسوم 14 اوت 1905م قسمت الصحراء إلى وحدات منفصلة كما يلي²:

● إقليم عين الصفراء ويشمل منطقة الهضاب العليا الغربية وواحة الساورة وعين الصفراء وواحة توات.

● إقليم غرداية ووادي ميزاب.

● إقليم توقرت ووادي سوف ووادي اغرغر ووادي ريغ.

● إقليم الواحات ويمتد من مالي والنيجر الخاضعين للحكم الفرنسي إلى منطقة الهقار وتنزروفت.

أما من حيث الإدارة فهي في الإدارة فهي في الجنوب مختلفة عنها في الشمال فالبلديات المختلطة في الشمال يرأسها متصرف اما في الجنوب فيرأسها ضابط برتبة رائد إما البلديات الأهلية فيحكمها قائد يشرف على قبيلة بكاملها تحت إشراف رائد البلدية المختلطة، وهكذا فإن اراضي الجنوب قد نظمت بقانون 14/08/1902م، والذي أنشئت بموجبه المناطق الجنوبية وحدد وضعها القانوني العسكري وحددت ميزانيتها بقانون 30/12/1903 وحددت إدارتها بقانون 04/08/1904م ولكن التقسيم الإداري لم يتم سوى في 05/08/1920م.³

ويوجد بأراضي الجنوب نوعان من البلديات وهي البلديات الممتزجة (المختلطة) والبلديات الأهلية.

أ_ البلديات المختلطة: وهي الجهات التي يقل بها العنصر الأوربي⁴ فأوجدوا لها نظاما خاصا حتى لا تكون عربية ولا وطنية، وهذه البلديات يديرها موظف فرنسي مطلق التصريف يدعى المدير:

¹ - جمال قنان، المرجع السابق، ص 148.

² - جمال قنان، نفسه، ص 148.

³ - عبد المجيد شبيخي، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، مجموعة اعمال الملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998، ص ص 220_221.

⁴ - احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 33.

"الاد منستراتور" alad menestrature وله مجلس ينتخبه الفرنسيون مهما قل عددهم أغلبية بينما تعين الإدارة تعيينا جماعة من اعوانها لتمثيل المسلمين¹، وقد كان هؤلاء الادارين مصدر شكوى متواصلة من الجزائريين لأنهم كانوا يملكون قوة مطلقة²، ويتم تسيير البلديات بواسطة مجلس بلدي يتكون من القائد السامي للدائرة أو الملحقة العسكرية ومكتب الشؤون الأهلية وضباط المكتب العربي كما يعين نائب خاص فرنسي.³

وقد وصل عدد البلديات المختلطة عام 1900م إلى ثلاثة وسبعون بلدية في المنطقة المدنية وستة بالمنطقة العسكرية⁴.

بـ البلديات الأهلية: توجد في المناطق الجنوبية ذات الحكم العسكري الفرنسيون هم الكل فالفرنسيون فيها هم رجال السلطة العسكرية والمسلمون فيها هم أعوان تلك السلطة ولا ينتخب السكان فيها أحدا ووجد من هذا النوع سبع بلديات يحكمها قائد يشرف على قبيلة بكاملها تحت إشراف رائد البلدية المختلطة أو الملحقة ويدعى القايد آغا أو الباش آغا حسب أهمية القبيلة وقد أعادت الإدارة العسكرية في الثلاثينيات لقب شيخ العرب ومنحته لباس اغا الزيبان ابن قانة ورتبة الخليفة ومنحته الباش آغا جلوس بالاغواط والجدير بالذكر أن لكل قبيلة مجلس أو جماعة يعينها الوالي العام، ومجلس الجماعة كاتب مكلف بدفاتر الحالة الشخصية⁵ وتحول الكثير منها إلى بلديات مختلطة بعد استقرار بعض العناصر الأوربية بها.⁶

ظلت مناطق الجنوب تابعة للحاكم العام فميزانيات ولايات الجنوب توضع من طرف الحاكم العام بعد الحصول على الموافقة من مجلس الحكومة بالعاصمة، وبصدور القانون الأساسي للجزائر (دستور الجزائر)، في 20 سبتمبر 1947م نصت المادة الخمسون منه على إلغاء الحكم العسكري وضم

¹ - احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 102.

² - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 26.

³ - حمزة بن قيطون، المشروع الاستيطاني الفرنسي بإقليم عين الصفراء العسكري (1882-1914)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة احمد بن بللة، وهران، 2014_2015، ص 56.

⁴ - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 29.

⁵ - عبد المجيد شيخي، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المرجع السابق، ص 221.

⁶ - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 29.

الصحراء إلى الشمال وقد جاء فيها: «يلغى النظام الخاص بأراضي الجنوب وتعتبر هذه الأراضي ولايات تحدد بقانون بعد استطلاع رأي الجمعية الجزائرية الشروط التي بمقتضاها تؤلف هذه الأراضي كلاً أو بعضاً ولايات متميزة أو ولايات مندمجة في الولايات الموجودة أو التي ستنشأ - يلغى المرسوم الصادر في 30 ديسمبر 1903م وتدمج ميزانية أراضي الجنوب في ميزانية أراضي الجزائر من أول جانفي 1948» غير أن هذا المشروع وغيره من المشاريع لم يمهأ الحكم العسكري نهائياً وإنما دعى إلى إلغاء الوضعية الخاصة للصحراء وإحاقها بالشمال وذلك تحت ميزانية واحدة.¹

وعليه فإن الصحراء في هذه المرحلة كانت تنظيمها الإداري تبعاً لمراحل التوسع الاستعماري والمقاومات الشعبية ومردودها الاقتصادي ووزنها في مشروع التوسع الاستعماري من أجل إخضاعها وتحقيق السيطرة، هذه المعايير التي بدأت تتغير في دستور الجزائر 20 سبتمبر 1947م بمعنى بعد أحداث الحرب العالمية الثانية وما أحدثته من تغيرات في نمط الحكم الفرنسي بالجزائر بعد مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الثانية ومجازر 08 ماي 45 الأليمة سيتطور النظام الإداري في المنطقة الصحراوية الذي سوف لنا يخرج عن إطاره العسكري خاصة بعد اكتشاف امكانيات الصحراء الطاقوية والمعدنية.

الصحراء الجزائرية في السياسة الاستعمارية بعد سنة 1957

التنظيم الإداري الثاني (1947_1957): أصبح للسلطات الاستعمارية الفرنسية في المنطقة مشاريع اقتصادية أنشأت لها منظمات محلية تتولى إدارة شؤون المنطقة الجنوبية فأنشأت السلطات مكتبا للبحوث المنجمية سنة 1948م لتواصل التنقيب عن الثروات المعدنية الموجودة في الجزائر، ولضمان استغلالها كما انشئ في عام 1945م مكتبا للتنقيب عن البترول كلف بمراقبة الشركات القائمة بمختلف البحوث، والتفتيشات وأصبح هذا المكتب المسؤول الوحيد أمام السلطات الفرنسية عن جميع التنقيبات البترولية في المنطقة.²

¹ - الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى دي غول، المجاهد العدد 93، 10 افريل 1961، ص 08.

² - مشاريع استعمارية في الصحراء، جريدة المجاهد، ع 14، ص 12.

وهذا ما أكده: إيميلي قوتبي Emile Gautier في دراسة جغرافية للمنطقة بين فيها أن هذه المساحة الشاسعة يمكن أن تشكل مصدرا هائلا للرخاء وسوف توجد فيها كميات هائلة من البترول يوما ما.¹

كانت عملية التنقيب في بداية الأمر مبادرة أمريكية بداية من 1941م وتكثفت عمليات البحث بعد الحرب_ع_II، بعد تأسيس مكتب الأبحاث البترولية الذي ساهم نشاطه في إنشاء الشركة الوطنية للأبحاث البترولية في الجزائر، إضافة إلى عدة مؤسسات لعبت دورا في هذا المجال نذكر منها: الشركة الفرنسية للبترول في الجزائر، مكتب التنقيب عن المعادن في الجزائر، شركة البحث واستغلال البترول في الصحراء.²

نجحت هذه الشركات والمجهودات بإعطاء نتائج في الميدان حيث تم اكتشاف الغاز الطبيعي لأول مرة في جبل برغة قرب عين صالح في سنة 1954م وتم اكتشاف حقل للبترول بمنطقة إيجلي وآخر في منطقة تيقينتينورين في سنة 1956م وفي 12 جوان من نفس السنة تم اكتشاف حقل كبير في حاسي مسعود على عمق 3300م.³

ولم تعد الصحاري تلك المناطق العقيمة الجرداء إذ تبين انها تزخر بمخزون كبير من الخامات المعدنية الصناعية الكثيرة التي تحتاج اليها فرنسا، وهي لب الحركة الاستعمارية واحد اهدافها الأساسية فألى جانب الموارد الطاقوية وجدت فرنسا ان الجزائر تزخر بخامات معدنية هامة في منطقة كولومب ببشار نجد الفحم والمنجنيز والنحاس والرصاص والحديد الخام في منطقة تندوف على بعد خمسمائة كلم على الساحل الاطلنطي وتقدر ثروة هذه المناجم بثلاث الآف مليون طن، ونسبة الحديد في المادة الخام تتراوح ما بين سبعة وثلاثون إلى سبعة وخمسون في المائة.⁴

¹ - الحاج موسى بن عمر، السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر (1952 م_ 1962 م)، المطبعة العربية، الجزائر 2004، ص 47.

² - محمد الأمين بلغيث، فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، المصادر، العدد 04، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 الجزائر، 2001، ص 121

³ - الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى دي غول، المصدر السابق، ص 10.

⁴ - مسعود الجزائري، مشاريع ديغول في الجزر، الدار القومية للطباعة والنشر، شارع طلعت حرب، القاهرة، ص 4- 5.

بالإضافة إلى الأهمية العسكرية فقد عززت من تواجدها العسكري من اجل حماية وتأمين مصالحها الاقتصادية في المنطقة خاصة بعد اكتشاف البترول والغاز، وأنشأت مناطق محرمة وتشديد الرقابة على تنقل الأشخاص من وإلى الصحراء، والتنقل في الصحراء يتم برخصة خاصة وشدد الخناق عليها جوا بأسراب الطائرات الفرنسية المدعمة من عدة دول غربية كالو _م_ التي ساعدت فرنسا سنة 1956م ب مائة وخمسة واربعون طائرة حربية، تستعمل للغازات ونقل المظليين كما قامت فرنسا بمد الأسلاك الشائكة على طول الحدود الغربية والشرقية.¹

كما أن الصحراء هي مجال ملائم للتدريب ومقرا للقوات الاحتياطية والقواعد الجوية وسائر الخدمات التي تكون في مؤخرة القوات العاملة، كما استعملت فرنسا المنطقة لتجريب مختلف الأسلحة مثل منطقة كولومب ببشار، التي تشمل على مطار وقاعدتين كبيرتين لتجربة المدفعية وأسلحة الطيران وعدد من الورش احداها للأبحاث الالكترونية وأخرى قواعد للصواريخ الموجهة، كما تعتبر الصحاري كنقطة قوة لمحاربة حركات التحرر في إفريقيا وهذا ما يتماشى مع تصريح ماكس لوجان² وزير الصحاري إذ يقول: «يمكن أن تصبح الصحاري عاملا رئيسيا في دعم السلام في ارجاء افريقية، إذ أنها تعتبر عنصرا أساسيا في الوضع السياسي الاقتصادي في فرنسا».³

إن هذه الاكتشافات المهمة الكبيرة وعائداتها الضخمة لفرنسا جعل من فرنسا تطور نظرتها إلى المناطق الصحراوية بما يضمن لها مصالحها الاقتصادية والجيو استراتيجية بالمنطقة فبالإضافة إلى الأهمية الاقتصادية الأهمية العسكرية فبدأت السياسة الأوروبية يخططون لفصل الصحراء عن الشمال خاصة بعد الضربات القوية للثورة وعدم تمكن فرنسا من إحراز نصر عسكري عليها.

¹ - مُجدّ مبارك كديدة، الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجديدة وطولة المفاوضات النهائية 1960_1962، دار المعرفة، الجزائر، 2013، ص ص 44_ 45.

² - ماكس لوجان، عضو الفرع الأممي الاشتراكي (SFIO) كان يشغل منصب كاتب دولة للقوات المسلحة المكلف بالشؤون الجزائرية عرف بجرائمه النكراء تجاه الجزائريين ومن جرائمه دوره في اختطاف الطائرة التي كانت تقل الزعماء الخمسة يوم 22 أكتوبر 1956م، عضويته في اللجنة المصغرة المكلفة بدعم اسرائيل بالأسلحة في اطار التحضر للعنوان الثلاثي على مصر في 29 أكتوبر 1956م، إدارته لعملية انشاء الخطوط الشائكة المكهربة تحت إشراف: أندري موريس وزير الدفاع في جوان 1957م - انظر ماكس لوجان، المشكلة الإنسانية في الصحراء، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 100.

³ - مسعود الجزائري، المرجع السابق، ص 6.

وفي سنة 1949م قامت الإدارة الفرنسية باستطلاع رأي الجمعية الجزائرية حول إعادة تقسيم المناطق الجنوبية، حيث تقرر في فيفري 1950م إلغاء الارتباط بين المناطق الصحراوية وولايات الشمال، ليتم تنظيم المناطق الجنوبية في شكل مناطق صحراوية لها إدارة مدنية وكخطوة أولى طبق هذا القانون على المناطق الشمالية من الصحراء أما باقي الاجزاء فقد تم تنظيمها في شكل مناطق صحراوية.¹

وبعد سنة اقتراح مشروع قانون يهدف لإلغاء الصلة نهائيا بين أراضي الشمال وأراضي الجنوب من خلال تحويل الصحراء الإفريقية الفرنسية إلى إقليم إداري مستقل ذاتيا وبقي في صراع بين الجمعية الجزائرية التي رفضت المساس بوحدة التراب الجزائري فيما أيدت الجمعية الوطنية الفرنسية المشروع ثم عادت عن قرارها في 1952 ليتم بعد ذلك تقديم مقترحات أخرى لتنظيم الاقليم بما يخدم مصالح فرنسا.²

وبتاريخ 1953/02/20م عادت الجمعية الجزائرية لمعالجة الموضوع وتمسك بموقفها المعارض لفصل المناطق الجنوبية عن الجزائر وربطه مباشرة بفرنسا وفق مقترح "ببارجولي" في سنة 1952 الذي دعا إلى إنشاء الصحراء الإفريقية الفرنسية.³

وفي سنة 1956م تم اقتراح انشاء منظمة مشتركة للمناطق الصحراوية، للاستثمار في المنطقة وتميئتها اقتصاديا، وتشترك في هذه المنظمة، الجزائر _ موريتانيا_مالي_النيجر_تشاد⁴، وتنص المادة الأولى منه: على أن هذه المنطقة غايتها استثمار المناطق الصحراوية من طرف الجمهورية الفرنسية وتحقيق تميئتها الاقتصادية ورفع مستواها الاجتماعي وانشأت لجان خاصة بهذه المنطقة ومكاتب صناعية ومنظمات اقتصادية تهدف جميعها لاستغلال الصحراء بطرق مختلفة.⁵

وهذا ما عبر عنه الجنرال ديغول في مذكراته حيث قال: «يجب أن تبقى فرنسا متمتعة حاليا بالأموال الضخمة التي وظفتها لاستكشاف نפט الصحراء واستثماره ونقله، وأن تضمن بالنسبة إلى المستقبل أفضلية

¹ - المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء عن الجزائر، ص ص 40 _ 41.

² - م _ وب ح - أ _ ن، فصل الصحراء المرجع سابق، ص ص 40 - 42.

³ - مُجّد بجاوي، المرجع السابق، ص 315.

⁴ - مُجّد بجاوي، نفسه، ص 316.

⁵ - مشاريع استعمارية، المصدر السابق، ص 12.

خاصة فيما يتعلق بالتنقيب عن مصادره بتروولية حديثة، ويجب أن تستمر كما كان مقررا سلسلة التجارب النووية»¹.

ويتبين لنا مما سبق أن اكتشاف الثروات الطبيعية في الصحراء أصبحت تمثل البوصلة في طريقة نظرة فرنسا إلى المنطقة من إهمال هذا الجزء من البلاد إلى إعطائه أهمية قصوى وقيمة كبيرة باستعمال أساليب متنوعة لإحكام السيطرة عليه والاستئثار بجزائره والتي كانت تتجه في اتجاه فصل هذا الإقليم نهائيا عن الجزائر، بالإضافة إلى شساعة مساحته وأهميته الجغرافية والعسكرية هذا كله تحت ضغط الثورة وخشية فرنسا من فقدان الامتيازات الاقتصادية الهائلة لهذا الإقليم في الربع الأخير في احتلالها للجزائر واحتفاظها بجزائرها بثروات هذا الإقليم.

المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية O.C.R.S

أنشأت المنظمة تبعا للقانون الصادر عن البرلمان الفرنسي لفصل الصحراء بتاريخ 10 جانفي 1957م، وينص على استثمار هذه المناطق الصحراوية من الجمهورية الفرنسية وتنميتها اقتصاديا واجتماعيا والمنظمة هي جهاز له صلاحيات اقتصادية واجتماعية لذلك فإن قانون 10 جانفي 1957م لم ينشأ اقليما وانما انشأ وزارة مكلفة بالصحراء وبخصوص الجهاز الإداري والمالي للمنظمة وكيفية التعامل ومعالجة قضايا الجنوب فهي من اختصاص رئيس الوزراء الفرنسي يساعده وزيران يختص احدهما بالقضايا الجزائرية والثاني بقضايا الصحراء وبموجب مرسوم 7 اوت 1957م تم إنشاء إقليم الساورة ومركز إدارته بشار ويشمل كل من البيض_ بني عباس _ تندوف_ تيميمون_ ادرار.²

تنص المادة الأولى من القانون تنشأ منطقة مشتركة للمناطق الصحراوية تهدف إلى العمل على التطور الاقتصادي والرفي الاجتماعي للمناطق الصحراوية التابعة للجمهورية الفرنسية والتي تساهم في تسيرها الجزائر_ موريتانيا_ السودان_ النيجر_ التشاد.

¹ - بشار قويدر، استراتيجية فرنسا في فصل الصحراء الجزائرية من خلال مذكرات الجنرال ديغول، الملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المرجع السابق، ص 139.

² - يحيوي محمد، المرجع السابق، ص 375.

كما يتبع هذا القانون الذي اتفق عليه البرلمان الفرنسي بمرسوم رقم: 903/57 الصادر في 07 اوت 1957م المتضمن التنظيم الاداري لمنطقة الجنوب التابعة للمنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية ويحدد المناطق التي تدخل ضمن هذه المنطقة كالتالي:

المادة الأولى: إن أراضي الجنوب الجزائري التابعة للمنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية تنقسم إلى عمالتين الواحات والساورة.

المادة الثانية: تضم عمالة الواحات التي يوجد مقرها بالاغواط، مناطق غرداية، تقرت وهي مقسمة إلى ثلاث دوائر:

1- دائرة الاغواط: وتضم منطقة الاغواط وبلدية البيض.

2- دائرة ورقلة: تشمل منطقة الواحات وقسما من البلديات المختلطة للوادي.

3- دائرة توقرت: قسم من منطقة توقرت التابعة للمنطقة المشتركة

المادة الثالثة: عمالة الساورة مقرها كولومب وتضم قسما من منطقة عين الصفراء التابعة للمنطقة المشتركة وهي مقسمة إلى دائرتين:

1- دائرة كولومب بشار التي تضم البلديات المختلطة كولومب بشار وهي برزينة الابيض، الساورة، تندوف.

2- دائرة ادرار التي تشمل بلديات توات، قورارة.¹

ومن هنا يتبين أن منطقة توات كانت ضمن عمالة الساورة التي مقرها منطقة كولومب بشار وتقسيم المنطقة إلى عمالتين ليسهل عليها التحكم والسيطرة على المنطقة وتنظيمها وذلك لاستغلال إمكانياتها الاقتصادية وهذا لاعتراف بأهمية موقع الصحراء باعتبارها بوابة افريقيا والصحاري الممتدة غير البلدان المجاورة للجزائر وكذلك بصعوبة الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية في الصحراء وأهمية الطرق والقوافل بها.

¹ - الملحق رقم 02، السياسة الفرنسية الخاصة بالصحراء، سلسلة المنتقيات، فصل الصحراء، المرجع السابق، ص ص 80_82.

وقد حددت مهامه في المستوى الاقتصادي والاجتماعي في مايلي:

- ترقية الاجراءات التي تسمح بتحسين المستوى المعيشي للإنسان وضمان الترقية الاجتماعية مع الأخذ بعين الاعتبار عادات وتقاليد السكان.

- التوافق مع مخطط التطور في مخطط التحديث والتجهيز.

- تحضير وتنسيق البرامج والدراسات والأبحاث الضرورية لتطوير هذه الاقاليم، وبناء على نتائج هذه الدراسات والابحاث دخلت البرامج العامة للثمين حيز التنفيذ خاصة في المجال الطاقوي والمنجمي والمائي والصناعي والزراعي.

- إقامة وتنفيذ مخطط المنشآت الخاصة بالنقل والاتصالات.

- تشجيع إقامة صناعة استخراجية وتحويلية وانشاء عندما تسمح الأمور بذلك تجمعات صناعية.¹

ويبقى انشاء هذه المنظمة لعبة استعمارية فرنسية لا غير حتى وإن كان ظاهرها تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة الصحراوية إلا أن حقيقتها هي وسيلة للسيطرة على مقدرات وثروات الصحراء الطاقوية والمعدنية واستغلال موقعها الجغرافي الاستراتيجي وحاجة فرنسا العسكرية لها لإجراء مختلف تجاربها الصاروخية والنووية العسكرية، ويبقى الجانب الاجتماعي مجرد إغراءات لجلب التعاطف مع التوسع الاستعماري وإغراء سكان المنطقة لعزل الصحراء عن الشمال.

وتم في جوان من نفس السنة إنشاء وزارة خاصة بالصحراء تحت إشراف وزير الحكومة المركزية بباريس وتم تعيين على رأسها احد مجرمي الاستعمار وهو ماكس لوجان.²

¹ - نور الدين عسال، المرجع السابق، ص 04.

² - عبد الفتاح بلعوسي، الجرائم النووية الفرنسية في رقان، دراسة ميدانية توثيقية (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، لم تنشر) كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، اشراف الاستاذ الدكتور بودواية مبخوت، الموسم الجامعي، 2015_2016، ص 03.

كما أصدرت الحكومة الفرنسية مجموعة من المناشير والقوانين التنظيمية حددت بموجبها صلاحيات وزير الصحراء، حيث صدر مرسوم رقم 713/57 في 21 جوان 1957م الذي وضع تحت سلطة وزير الصحراء معظم الشؤون المتعلقة بالأقاليم الصحراوية ومنحه حق ممارسة الصلاحيات الخاصة بالإدارة والتنظيم وتثمين المناطق الخاضعة لسلطته ورسوم 152/57 المؤرخ في 16 أكتوبر 1957م الداعم لتنظيم الإدارة العمومية المتعلقة بالبنية ال إدارية والمالية المؤقتة للمنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية ثم مرسوم 398/58 المؤرخ في 12 افريل 1958م المحدد لصلاحيات الإدارة المركزية لوزير الصحراء وقد كانت أول حكومة تضم وزير الصحراء هي حكومة "موريس بورجيس مينوري" تلتها حكومة "فليكس غيار Felix Gaillard"¹.

ونظرا للتضارب الواقع في مهام هذه الوزارة والمنظمة المشتركة لتنمية المناطق الصحراوية وتداخل عدة اطراف فيها والمتمثل في الدول المجاورة استبدلت هذه الوزارة بوزارة منتدبة لدى الوزير الأول أسندت لجاك سوستال (Jacques Soustelle) في 5 فيفري 1960م في عهد حكومة ميشال دوبري Michall Debret جمعت بين المهام الاقتصادية والإدارية وأشرفت على الشؤون الإدارية والاجتماعية.²

ديغول وقضية فصل الصحراء:

لقد كانت الصحراء من أهم المواضيع الإستراتيجية في سياسة ديغول والتي ظل يناور من أجلها طويلا نظرا للمنافع الاقتصادية الضخمة لهذا الإقليم.

فعندما اقر ديغول حق تقرير المصير فهذا الخيار عند ديغول لا يخرج عن حلين اثنين أحلاهما مر فلاحتمال الأول هو ارتباط فرنسا بالجزائر في ظل شراكة، وإما أن يختار الجزائريون طريق الانفصال وفي هذه الحالة يحتفظ ديغول بمناطق في الساحل لتجميع الأوربيين على أن تكون الصحراء جزء من هذه الجمهورية وهذه القناعة رسخت لدى ديغول عندما زار حاسي مسعود في 1957م كسائح وأوصى بأن تكون الصحراء خارجة عن أي تفاهم أو تسوية.³

¹ - نور الدين عسال، المرجع السابق، ص 12.

² - Thomas (marc_robort) sahara et communaute, puf. paris 1960, p219.

³ - عبد الفتاح بلعروسي، المرجع السابق، ص 03.

وهذا ما جعل ديغول ينظر إلى الصحراء بنظرة مغايرة عن النظرة العسكرية، فكان يخطط لمشروع قسنطينة الثاني في الصحراء من خلال المشاريع الاقتصادية والاجتماعية تحسين الاستثمار الصناعي والزراعي وتنمية المجتمع من خلال مشاريع اقتصادية واجتماعية تستهدف سكان المنطقة حتى ينفذوا أيديهم عن كل تحالف مع الثورة، ففي زيارته الثانية إلى الجزائر في ديسمبر 1958م توجه إلى الصحراء وتوقف بتوقرت وصرح بما يلي: «يجب أن تكون الصحراء هي الأرض العظيمة للمستقبل بين عالمين، عالم البحر الابيض المتوسط وعالم افريقيا السوداء، عالم الاطلنطي وعالم النيل والبحر الاحمر وفرنسا في هذا العالم الضخم إهتمام مباشر... ليفهم الذين انضموا إلى الحرب الاهلية أن صفحة القتال قد طويت وتبدأ صفقة التقدم والحضارة».¹

ومن هنا يتبين لنا أن ديغول كان يسير في قناعة المنافع المادية لفرنسا ولسكان المنطقة ويراهن عليها لتغيير قناعات سكان المنطقة لينفذوا أيديهم من الثورة مثلما كان يعتقد في مشروع قسنطينة الاقتصادي قبل أن تتبين له الحقيقة وتتصدى له جبهة التحرير لإفشال مخططاته ومشاريعه.

وفي 16/09/1959م عندما أعلن ديغول عن حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره كانت في جوهرها وفي اعتقاده وقناعاته تقرير مصير بدون الصحراء حيث قال: «...إذا أبقاني الله حيا وأنصت الشعب لي بأن أطلب من الجزائريين في المحافظات الاثني عشر ماذا يريدون أن يكونوا في النهاية»، وهذا ما يعني استبعاد عمالي الساوره والواحات من تقرير المصير وقدم لذلك إجراءات اقتصادية لكسب تأييد الدول في هذا المجال، وهذا ما أكده ميشال دوبري: «الصحراء فرنسية وستبقى إلى الابد وفي 07/12/1960م صدر قرار أصبح بموجبه الدخول لهاتين العمالتين بترخيص من الحاكم العام الاداري، كما ينص في بنده الأول على أن هاتين العمالتين هما جماعات اقليمية تابعة للجمهورية الفرنسية».²

مناورات الحكم الذاتي

إنشاء جمهورية الصحراء المتحدة: لقد تحولت محاولات الجنرال ديغول إلى الميدان لفصل الصحراء خاصة بعد الضربات المؤلمة للثورة التحررية وبدأت بتهيئة بعض الزعامات المحلية لتنفيذ المشروع

¹ - عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 142.

² - عبد السلام بوشارب، المرجع نفسه، ص 143.

وعقدت العديد من اللقاءات والاجتماعات السرية بين الإدارة الفرنسية وبعض النواب والأعيان ورفعت فرنسا شعار: "الصحراء للصحراويين" وعرض ديغول تأييد حكم ذاتي للصحراء وبدأت الاتصالات سرية وعلانية في سباق مع الزمن لتنفيذ المشروع.

1- موقف حمزة بوبكر¹: هو أحد أعوان فرنسا المعروفين باتصالاتهم بالأوساط المالية الفرنسية كلفته فرنسا الحصول على موافقة الأعيان والزعامات المحلية اجتمع بهم مرة في الاغواط ومرة أخرى خلال مأدبة غداء في "سانت اوجين" بضواحي العاصمة بولوغين حاليا ولكن الشخصيات الوطنية رفضت المشروع رغم الترغيب والترهيب.²

وقد حاول حمزة بوبكر بكل ما أوتي من قوة بعدما وعدته فرنسا بأن توليه إمارة هذه المملكة حيث قام بعدة جولات للحصول على تأييد ودعم أعيان المناطق الصحراوية إذ قام بزيارة إلى منطقة الهقار واجتمع بأعيانها دون الخروج بنتيجة تذكر وقام بزيارة إلى النيجر برفقة "ماكس لوجان" في 04 ديسمبر 1961م لم يستطع خلالها إقناع الرئيس النيجيري حماني ديوري بمساعدته على قيام الجمهورية الصحراوية بعد أن ادعا انه هو من يمثل الصحراء.³

وبعد هذا الفشل الذريع أمر الحكومة الفرنسية بأن تأخذ أحد رؤساء الزاوية التيجانية وطلب من الحكومة الفرنسية تعيينه مباشرة لترسيم فكرة عزل الصحراء ونزولا عند طلبه قام رئيس الوزراء ديبري Debre بزيارة إلى الصحراء ثم زيارة أخرى قام بها "غيشار Divier Guichar" ممثل الجنرال ديغول لكنها فشلت.⁴

¹ - هو شخصية دينية وعلمية من ناحية البيض عرف بمولاته للاستعمار وقد استخدمه لكسب الوجداء والاعيان الصحراويين لاقامة دولة صحراوية، اشتغل استادا للغة العربية في ثانوية بيجو سابقا الامير عبد القادر حاليا بالجزائر العاصمة وعين عميدا في مسجد باريس بعد الاستقلال مما يؤثر له ترجمته لمعاني القرآن الكريم للفرنسية وهو والد بوبكر عميد مسجد باريس حاليا - انظر: بوسليم صالح، جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية 1956 - 1962، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، العدد 25، ص 56.

² - مسعود كواتي، محاولات ديغول لفصل الصحراء عن الجزائر مناورة ام حقيقة، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء، المرجع السابق، ص 148_149.

³ - مُجَّد مبارك كديدة، المرجع السابق، ص 79.

⁴ - مسعود توتي، المرجع السابق، ص 149.

لكن حمزة بوبكر لم يكن ليستسلم بسهولة في سبيل تنفيذ فكرته حيث تحرك مرة أخرى وجمع أربعة وعشرون شخصية ذات اصول صحراوية بمقر والي عمالة الواحات، على هامش اشغال المجلس العام لعمالة الواحات في افريل 1961م مستعينا بالبوليس الفرنسي لإلزامهم بالحضور لأنه كان يعلم انهما لن تلي نداءه إذا عرفت نواياه لكن هذا الاجتماع مني بالفشل.¹

2- موقف الحاج باي اخموك سلطان الهقار: حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية

إغراء الحاج باي اخموك وعرضت عليه أن يكون سلطانا على الجمهورية الإسلامية الصحراوية التي تضم التوارق القاطنين بكل من الجزائر مالي والنيجر وتشاد وليبيا، وهذا في لقاء ميشال دي بري مع الحاج باي اخموك في فندق تينهنان بمدينة تمنراست، إلا أن محاولته باءت بالفشل وأعدت السلطات الفرنسية الكرة مرة أخرى بعدما أرسلت له طائرة تقله إلى باريس لمقابلة الجنرال ديغول لكن هذه المرة كان رد الباي: «ربما قد لا اطلب استقلال الجزائر ولكن الذي أطلبه هو عدم الاستقلال عن الجزائر»²، وكان هذا العرض يجمع بين المساومة والتهديد لكن الحاج اخموك رفض.³

وقد عرضت السلطات الاستعمارية الفرنسية ملكا واسعا ومبلغا ضخما تتعهد فرنسا بدفعه له كل فصل، ولكنه رفض وهو موقف في غاية الشجاعة لأن هذا الرفض كان في فترة يملك فيها الاستعمار الفرنسي كل إمكانيات التأثير ورغم محاولات الإغراء لكن كان رده: «...أنا جزائري ينالني ماينال باقي الجزائريين» لأن هذه الإغراءات لم تجعله يتخلى عن الجوهر الحقيقي الذي قام عليه المجاهدون في سبيل هذه الأمة.⁴

3- موقف الشيخ إبراهيم بيوض⁵: في اطار الاجتماعات والمجهودات والمسعبي التي كان

يقوم بها حمزة بوبكر في اطار فصل الصحراء، كانت له محاولات مع أعيان المنطقة الذين جمعهم بداية

¹ - المجاهد، مناورات في الصحراء، ع 13 جانفي 1962، ج4، طبعة خاصة 2007، ص 03

² - الغالي الغربي، السياسة الفرنسية لفصل الصحراء وردود الفعل الدولية، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء، المرجع السابق، ص 265.

³ - رضوان شافو، موقف الاعيان والزعامات المحلية بالجنوب من مشروع فصل الصحراء عن الشمال، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 19 (2013)، ص 223.

⁴ - محمد مبارك كديدة، المرجع السابق، ص 74.

⁵ - هو ابراهيم عمر بن بابا بيوض ولد بالقرارة بوادي ميزاب سنة 1899م حفظ القرآن الكريم وعمره اثني عشر سنة، اخذ الفقه وعلوم اللغة العربية عن شيخه عبد الله بن ابراهيم سنة 1931م شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، انتخب بالاغلبية الساحقة في 20 افريل 1948م ممثلا لوادي ميزاب في المجلس الجزائري كان قطبا للنشاط الثوري بميزاب، عين عضوا في اللجنة التنفيذية المؤقتة الجزائرية في مارس 1962.

الأمر في المجلس العمالي لورقلة وكان رفض الشيخ إبراهيم بيوض واضحاً لحمزة بوبكر بعد ما استشاره حول موضوع فصل الصحراء وبعدهما عرض ما جرى بينه وبين ديغول فرد عليه الشيخ بيوض: «...إن فرنسا لم تكن تستشيرنا يوم فصلت اجزاء من الشمال فهي تصل وتفصل وتتحكم كما تريد بل أكثر من هذا كنا نطلب أشياء من حقنا ونرفع أصواتنا فلا تسمعنا حتى في تطبيق قوانين سنتها هي.... فإذا أرادت فرنسا أن تستشير فلتستشير صاحب الحق وهو الشعب الجزائري كله.... لا أنت أيها الرئيس ولا أنا ولا أحد من النواب يملك أكثر من بطاقة استفتاء يلقونها في الصندوق يوم الاستفتاء...»¹.

بعدهما أجهض الشيخ بيوض العملية اتصل بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية يحيطها علماً بتفاصيل الموضوع ويستصدر الأوامر اللازمة لإفئال مساعي التقسيم.²

وفشل بعدها حمزة بوبكر في جميع الأعيان حتى بمساعدة من البوليس الفرنسي التي أرغمتهم على حضور الاجتماع في افريل 1961م الذي حضرته 54 شخصية ولم تردعه عن نشاطاته الكثيفة في هذا المجال إلا تهديدات جبهة التحرير عن هذا المسعى الانفصالي.³

ومن أجل تنفيذ خطة الفصل إرسل الجنرال ديغول إلى منطقة ميزاب وزير الدفاع "أوليفي قيشار" لمساومة الشيخ بيوض فاجتمع الوزير بالشيخ ومعهما رئيس الملحقة العسكرية "العقيد كلان كلاش" و"ناصر علي" رئيس بلدية غرداية وبعد الشرح طلب الوزير من الشيخ الموافقة على إنشاء دولة حرة في قلب الصحراء قاعدتها ميزاب وقال الوزير: «أعلن الموافقة وهذه أربع مليارات لتجهيز الدولة، وهامي السماعة بيدي اخبر ديغول بهذا بنفس الوقت..» فأجابه الشيخ بيوض: «بما أن الصحراء تضم خليطاً من السكان في ميزاب والشعانية والمخاليف وغيرهم فالجواب على طلبكم يكون عن طريق استفتاء حر فالقضية قضية الجميع...»⁴.

¹ - مُجّد مبارك كديدة، المرجع السابق، ص 80.

² - مُجّد العربي الزبيري، ديغول والصحراء، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء، المرجع السابق، ص 201.

³ - مُجّد مبارك كديدة، المرجع السابق، ص 80.

⁴ - ابو العلا مُجّد سليمان، صفحات من الكفاح الخاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر نشر وتوزيع جمعية التراث، غرداية، 2012، ص ص 207_208.

وقد حاولت فرنسا مرارا ذلك وكان في أكتوبر 1959م عندما زار الوزير الاول ميشال دبري المنطقة رفقة الكولونيل "علي مراد" ممثل الواحات في مجلس الأمة الفرنسي أين عقد الاجتماع في بلدية غرداية بحضور كل من نائب ميزاب في المجلس الجزائري ونواب المجلس العمالي بورقلة ورؤساء بلديات ميزاب السبع، غرداية، بني يزقن، العطف، القرارة، بونورة بريان - مليكة وكان يهدف لعملية الفصل.¹

وحتى في صائفة 1960م عندما حاولت السلطات الفرنسية عقد صفقة في سرية تامة حول فصل الصحراء إلا أن الشيخ بيوض رفض ذلك وقال: «إننا جزائريون ومصيرنا هو مصير الجزائر، لا نبغي بذلك بديلا مهما كان الثمن».²

وقد قام الشيخ بيوض في خريف 1960م بالاتصال بالقائد "العبد" في ورقلة واتفق معه على ضرورة عرقلة المشروع، كما تم الاتصال بشيخ الزاوية في تماسين في تقرت حسب ما ذكره الشيخ شخصيا الذي رحب بالفكرة وتعهد الثلاثة بالوقوف في وجه الانفصاليين وإفساد مناوراتهم ولو كلفهم ذلك حياتهم، وقد رد الشيخ بيوض في المجلس العمالي لورقلة بقوله: «سيدي الرئيس إن مجلسنا مجلس اقتصادي بحث، ينظر في ميزانية العمالة فاختصاصنا لا يخرج عن دائرة المكاتب والمصحات والطرق والمواصلات ولا يحق لنا مطلقا التكلم باسم الأمة في أمر سياسي هام خطير».³

وبالرغم من تضارب الآراء حول موقف الزاوية التيجانية من الاستعمار الفرنسي إلا أن بعض الشهادات الحية لبعض المجاهدين أثبتت مواقف مشرفة لشيخ الزاوية التيجانية من الاستعمار منها مساهمته لتشكيل جبهة شعبية لدعم وتموين الثورة سنة 1955م وبخصوص فصل الصحراء خلال زيارة جاك سوستال إلى ورقلة وتوقرت في أول فيفري 1959م طالب بضرورة تخفيف الضرائب عن الجزائريين وبمجموعة من المطالب الاجتماعية ولضرورة حقن الدماء وتوقيف القتال وموقفه من مطالب حمزة بوبكر حينما قال: «إنه لا أمان لنا ولا ضمان من تطورات الأحداث وضرب مثال بقضية المغرب والسلطان

¹ - الحاج موسى بن عمر، المرجع السابق، ص 124.

² - ابو العلا محمد سليمان، المرجع السابق، ص 208.

³ - ليلي تيتة، فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال الواقع، الرهانات، والمال، قراءة في تقرير فرنسي جويلية 1960، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 02، ص 204.

مُجد الخامس وقضية بن عرفة وما آل إليه المغرب» وهذا مايدل على رفض التيجاني لمشروع الانفصال إضافة إلى موقفه مع الشيخ بيوض في عمالة الواحات لإفشال عملية الانفصال.¹

الشيخ مولاي أحمد الطاهري ودوره في مقاومة سياسة فصل الصحراء

كان تأسيس المدرسة في منطقة سالي ملازما للتدريس في الليل والنهار قائما للسائلين بالفتوى، فكان يعقب درسه لخليل بعد انتهائه لأقراءه بأربعة شروح يسردها بعض الطلبة واللفية والعاصمية بشرحين، ويعقب شرحه للقرآن الكريم بأربعة تفاسير وكان يرشد الضال ويهدي الحيران ويصلح ذات البين ويجمع الشمل، وتخرج على يديه جمع من الناس من أقطار شتى وبلدان عديدة.²

واستطاع الشيخ بعلمه أن يشرح افئدة الناس اليه حيث يقول: «...بعدهما استقام لنا المقام بأرض توات وفي سالي بالذات في أطيب عيش وأرغده وفي غاية الجد والاجتهاد في التدريس آناء الليل وأطراف النهار....وأقمنا على هذه الحالة والطلبة يرحلون إلى مدرستنا من كل حذب وصوب وحتى من الأقطار البعيدة والشاسعة والناس يغدون إلينا للإفتاء والتبرك منقادون لأوامرنا، عاملون بنصيحتنا الت نبذلها لهم بكل صدق وإخلاص ولاسيما في مدرستنا الحرة الخاصة بنا المسماة بالمدرسة الطاهرية العتيقة الكائنة وسط قصور سالي».³

موقفه من الاستعمار: ومن هنا يتبين لنا الدور العلمي والمعرفي الذي لعبه الشيخ في هذه المنطقة والمكانة التي حظي بها حتى أصبح مهاب المكانة مسموع الكلمة ومن خلال النصائح والإرشادات التي كان يسديها لطلبته ومستمعيه ولد له حقد الاستعمار فهو كما يقول: «...نسديها لهم في كل المناسبات وفي الدروس التي نلقيها على العام والخاص ولاسيما في مدرستنا الخاصة بنا والمسماة بالمدرسة الطاهرية العتيقة والكائنة وسط قصور سالي، وهي تغذي الطلبة بمختلف العلوم والمعارف وإطعام الطعام للمساكين وعابري السبيل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاومة للبدع وأهلها والإصلاح بين الناس والنصيحة لهم وإيقاظهم من الغفلة وتنبيههم من دسائس الاستعمار ومكايده،

¹ - رضوان شافوا، المرجع السابق، ص 225.

² - سيد الحبيب بن عبد الرحمان، الشيخ مولاي احمد الطاهري الادريسي الحسني، فتوحات الاله المالك على التنظيم المسمى بأسهل المسالك، الجزء الاول، الطبعة الاولى، 1994، المطبعة العلاوية، مستغام، ص 10_14.

³ - مولاي احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 53.

والناس منقادون سامعون لقولنا عاملون به رغم ما تشاهده من غيظ الفرنسيين وحنفهم وحقدهم علينا، ولاسيما عندما شاهدوا في المدرسة اعدادا كثيرة من الطلبة في مدة يسيرة، فكلما زاد اقبال الطلبة علينا يزداد حقدهم ويتربصون بنا الدوائر....»¹.

إن هذا الإجماع على هذه المدرسة وإقبال الطلبة عليها، وذياع صيت الشيخ في المنطقة والمكانة وكلمته التي أصبحت مسموعة لدى الخاص والعام، هذه السلطة الروحية تخوفت منها فرنسا لأنها دائما كانت ترى في الزوايا والشيخ سلطة موازية لها وقوة يجب الحذر منها، لما لهؤلاء الأعلام من وعي وبصيرة لما يحيكه المستعمر، وهذا الوعي يعبر عنه الشيخ عند ما رأى مكاييد الاستعمار في محاولاتها فصل الصحراء فقال: «ولما ظهر لنا بأن هذه فتنة يقصد بها قلب الحقائق وباطل في صورة الحق تحرك منا ما كان ساكنا وبرز منا ما كان كامنا، غيرة على الإسلام والمسلمين والوطن والدين»².

فصل الصحراء:

وقد عملت السلطات الفرنسية على تكليف مُجَّد محمود الاروني قاضي تومبكيو بمسؤولية اقناع اعيان الصحراء بفكرة فصل الصحراء عن الجزائر فكان يسعى بين ولاته والنعامه وازواد وتمبكتو وغاو وجاء لمنطقة توات إلى المدرسة ومعه حاكم رقان، وطلب الاجتماع بقائد المنطقة وهناك طلب القاضي مُجَّد محمود أن يسافر معه الشيخ لإقناع شيوخ واعيان المنطقة بفكرة فصل الصحراء، وأن هذه مهمة كلفه بها رئيس الحكومة الفرنسية وهي تعود بالخير والفائدة على أهل الصحراء فتظاهر الشيخ بالمرض غير أن الحاكم اجبره على الذهاب معه.³

وفي هذا يقول الشيخ في نسيم النفحات: «... ولما ظهر لنا بأن هذه فتنة يقصد بها قلب الحقائق وباطل في صورة الحق.... فأقول لمن كان من أهل الحل والعقد أن مُجَّد محمود إنما هو جاسوس لفرنسا وفتنة وخائن للوطن والمواطنين فلا تغتروا به... لأنه لما جاءنا وطلب مني ومن قائدي التوقيع قلت له مظهرها النصح والرضا لما جاء به إن التوقيع ينبغي في نظري أن يؤخر حتى تعرف الناس بهذه

¹ - احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 54.

² - نفسه، ص 55.

³ - عبد الكريم بن سيد المهدي حسان، الشيخ مولاي احمد، فحص الدفاتر فيما خلف الشيخ من تلامذ ومآثر للشيخ مولاي احمد الطاهري الادريسي السباعي التواتي الجزائر.

المهمة ليكون التوقع دفعة واحدة ولما زرنا العديد من المناطق طلب منا الحاكم انا والحاج احمد بن الحاج قاسم لأنه كان من كبار الأعيان الإمضاء ليمضي الناس من بعدنا فطلبنا منه الترجمة لتأملها ويعرف الناس ما فيها... وعندما طال الأمر واستفسر الفرنسيون قال لهم بعض المفتونين يقصدونني أنا _ إنني من أعرقل توقيع الوثيقة وإني أقول للناس أن مُجَّد محمود جاسوس وخائن فقامت قيامتهم وجاءني الحاكم العسكري للمدرسة ففتش الدور والمدرسة والكتب ولما بلغهم على أننا مع النضال مع الثورة والمجاهدين ونجمع لهم المال ألقوا علينا القبض وأخذونا تحت حراسة مشددة وأهانونا شديد الإهانة»¹.

فيظهر لنا من هنا أن الشيخ مولاي احمد الطاهري الادريسي بفعل ذهنيته الثورية الراضية للاستعمار تفتن لمكايد الاستعمار وألأعيه فراح يفضح الاستعمار ويوعي الناس بدسائسه ومكايده ويقاومها فعندما تأكد للاستعمار ذلك قاموا باعتقاله وتفتيش المدرسة ومراقبته وبذلك يكون الشيخ قد وقف ضد سياسة فصل الصحراء التي كانت ترمي اليها فرنسا حيث كانت تمني الصحراويين بإقامة دولة خاصة بهم مرتبطة بفرنسا تنعم بالبرقي والازدهار والاجتماعي والاقتصادي.²

كانت دعاية مُجَّد محمود قاضي تمبكتو تدور حول أن الصحراء كانت فوضى لا حكم فيها ولا تجارة ولا ماء، ولما ظهرت المعادن والكنوز والخيرات في الصحراء ادعت الجزائر أن الصحراء لها وهي كاذبة في حوزها وادعائها ويجب علينا أن ننتفع بخيرات الصحراء ولا ينازعنا فيها احد تحت راية الدولة الفرنسية.³

وأمام هذه التهديدات ذهب الشيخ لأداء مناسك الحج فرارا بنفسه من كيد الاستعمار فيقول: «...ولا تسأل عما اهاني به ذلك الحاكم من الاهانة وقالي لي ارجع إلى محلك وبعد ثمانية أيام عد الينا هنا وفي تلك الأيام كنا نتأهب للذهاب إلى حج بت الله الحرام وبعدها ذهبنا فرارا بأنفسنا من بطشهم وإهانتهم».

¹ - مولاي احمد الطاهري، نسيم الفحات، المصدر السابق، ص 56.

² - عبد الكريم بن سيد المهدي حسان، المرجع السابق، ص 99 _ 103.

³ - عبد الكريم بن سيد المهدي حسان، نفسه، ص 105.

وهكذا كان الشيخ بوعيه وبصيرته معارضا لفكرة تقسيم الصحراء مدافعا عن الوحدة الوطنية داعما للثورة في منطقة ادرار وهو الدور نفسه الذي لعبه الشيخ سدي مُجَّد بلكبير في المنطقة مع أعيان المنطقة فكان ينشر الوعي الديني والنضال الوطني والتنديد الصريح بموالة الكفار وما يجب على المسلمين للقيام بواجب الجهاد لطرد الكفار من أرض الجزائر، وكان للشيخ سيدي مُجَّد بلكبير اتصال سري ببعض قادة جيش التحرير ومناضليهم للتشاور والتعاون المادي والمعنوي في الأمور المتعلقة بالجهاد وتحرير البلاد.¹

إن الكثير من الشواهد تجمع على أن الشخصيات الصحراوية كانت ضد فكرة تقسيم البلاد وفصل الصحراء وبذلت من اجل ذلك النفيس وشاركت في الثورة بتحريضها ودعمها وفضح دسائس الاستعمار بالرغم من الإغراءات التي قدمتها فرنسا وعلى رأسها ديغول باستعمال سياسة التهيب والترغيب الذي أراد فصل الصحراء والاحتفاظ بها للإستفاد من خيراتها وثرواتها.²

لقد حاولت فرنسا عبثا تطبيق سياسة فرق تسد وفشلت فشلا ذريعا خاصة في عهد الجنرال ديغول الذي أراد تطبيق مشروع قسنطينة الثاني في الصحراء بحجة استفادة الصحراويين من ثرواتهم ورفع مستواهم المعيشي والاجتماعي عن طريق ارتباطهم مباشرة بفرنسا من خلال تأسيس دولة تسمى الجمهورية الإسلامية الصحراوية هذه المناورات التي تحطمت على جدران وعي سكان الصحراء في وحدتهم القومية ووحدة الامة والتراب الوطني وانخراطهم في النضال والعمل المسلح الذي وصل أقصى الجنوب حتى تيميماوين وبرج باجي مختار على الحدود المالية والنيجيرية بتأسيس الجبهة الجنوبية مثلما وصلت جرائمه إلى منطقة رقان في الجرائم النووية التي كان في سباق مع الزمن لاكمالها في المنطقة امام خوف خروجه من المنطقة تحت ضربات الثورة وخوض معارك العرق البطولية في منطقة تينجوارين اكدت لفرنسا انها تحاول عبثا تقسيم الجزائر فما كان منها إلا أن اعترفت تحت ضربات الثورة بوحدة التراب الوطني.

ثانيا: التضييق على الشيوخ والعلماء

في مقدمة صفوف المقاومة ضد الاستعمار كانت الزوايا والشيوخ والعلماء والنخبة بمثابة رأس كل مقاومة مهما اختلفت أساليبها ووقودها وخزائنها الذي لا ينضب، لذلك استهدفها الاستعمار

¹ - التهامي غيتاوي، الضوء المستنير، المرجع السابق، ص 20.

² - بلعروسي عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 14.

بالمحاربة حتى يقطع رأس المقاومة فكانت النخبة هي هدفه الاول ليتسنى له تحقيق أهدافه المختلفة، السياسية والعسكرية والثقافية والدينية وحاول أن يقطع كل صلة بينها وبين المجتمع حتى يصبح بدون هدف أو رؤية أو قيادة تجمعها على فكرة معينة، أمام هذه القوة المادية والثقافية الهائلة للمستعمر وقفت النخبة من شيوخ الزوايا والعلماء امام هذه الاهداف الاستعمارية ووقف الاستعمار في حرب معها حتى يتسنى له اخضاع الشعب الجزائري.

مقاومة النخب:

يعرف الأستاذ برهان غليون النخبة بقوله: «...إن نظام التربية والتعليم الذي يكون العقل الاجتماعي أي مجموعة المعارف الضرورية للمجتمع للإنتاج والإدارة والتوجيه السياسي والاجتماعي والتاريخي، وهو ليست المدرسة بجدرانها وأشخاصها من طلبة وأساتذة، وإنما هو بنية اجتماعية وعلاقة بين فئاته وطبقاته المختلفة تحدد العلاقة بين النخبة المثقفة والأغلبية العامة، أي نوع من تقييم العمل».¹

أمثال: احمد الشريف الزهار نقيب الأشراف والمفتي الحنفي محمد بن محمد العنابي صاحب كتاب السعي المحمود في نظام الجنود، وحمدان بن عثمان خوجة صاحب كتاب المرأة الذي اضطر إلى الهجرة إلى اسطنبول وتوفي هناك، والمفتي والقاضي المالكي مصطفى بن الكبابي الذي اشتهر بتدريس الصحاح بالجامع الأعظم والدفاع عن الأحوال الشخصية للمسلمين الجزائريين، ونفي مع العنابي إلى الإسكندرية، وقدور بن محمد بن راوية مؤلف كتاب: "وشاح الكاتب وزينة الجيش المحمدي الغالب".²

محاربة الاستعمار للمؤسسات

ونظرا للدور المهم الذي كانت تلعبه المؤسسات الدينية في طليعة صفوف المقاومة الثقافية، عمل الاستعمار الفرنسي منذ البداية على محاربتها ومحاربة الدين الإسلامي واللغة العربية والهوية الوطنية، فعمل على ضرب كيان الأمة الجزائرية حتى يتسنى له سلخها عن جذورها فكانت المؤسسات الدينية وعلى رأسها المسجد هدفا لهذه السياسة لأنها كانت تقف عائقا أمام سياسته الفرنسية والتنصير والتجهيل

¹ - برهان غليون، مجتمع النخبة، ط2، تونس دار البراق، 1994م، ص 16.

² - ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص 136.

فعمد الاستعمار إلى محاربتها عن طريق تحويلها إلى كنائس ومراكز إدارية وإسطبلات ومخازن ومستوصفات.....الخ.¹

عمل الائمة وشيوخ الزوايا والنخب المثقفة على مواجهة السياسة الاستعمارية عن طريق تربية النشأ تربية اجتماعية ودينية عن طريق الوعظ والإرشاد ونشر التعليم الديني، وعملت على توجيه الشعب توجيهها يخالف كل حيثيات السياسة الفرنسية لمحو الشخصية الوطنية وتوجيه المجتمع توجيهها عربيا وإسلاميا ووطنيا يخالف السياسة الاستعمارية الرامية إلى:

❖ تشجيع الطرق الصوفية الضالة التي تعمل على نشر الشعوذة وإخماد العقل.

❖ فرنسة الجزائر فرنسة كاملة في اللغة والثقافة والفكر.

❖ فرض التجنيس على الجزائريين بقصد سلخهم من شخصيتهم الوطنية العربية الإسلامية

وإدماجهم في الكيان الفرنسي وبالتالي تصبح الجزائر تابعة لفرنسا وجزء منها.

❖ العمل على نشر المسيحية والقضاء على مقومات الدين الإسلامي.²

لذلك حارب الاستعمار الأئمة وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية باعتبارهم من يقفون وراء عدم نجاح سياستهم الاستعمارية عن طريق التوعية والتعليم والتهذيب والمحافظة على مقومات الوطنية التي يحاول الاستعمار سلخها في اطار سياسته الاستعمارية، وإبعادهم إما عن طريق الوعد والوعيد أو عن طريق توليتهم الوظائف وشراء ذممهم ومنحهم امتيازات أو ألقاب واستغلالهم لترويض الشعب وإبعاد روح المقاومة والرفض للمستعمر.³

وعموما فقد تقدمت الطرق الصوفية الصوفوف في مقاومة الاستعمار الفرنسي إذ أن معظم المقاومات الشعبية التي قاومت الاستعمار كانت تستند إلى الطرق الصوفية تستمد منها قوتها وعدتها وعديدها وفي هذا يقول أحد الباحثين الفرنسيين: «إن كل سكان الجزائر كانوا ينتمون إلى الطرق الصوفية وهم بذلك يشكلون جيشا صلبا متدربا بمهارة مستعدا دائما للدفاع عن البلاد ضد الأوربيين»

¹ - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 140.

² - رابح تركي، الصراع بين جمعية العلماء وادارة الاحتلال، مجلة الثقافة، ع 85، ص ص 183 - 202.

³ - ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ش، و، ن - ث - ص 18.

وكثيرا ما كانت الطرق الصوفية تخيف الجيش الفرنسي مثلما كان عليه الحال للطريقة التيجانية وهجومها على مدينة معسكر وتمردا في عين ماضي، والطريقة القادرية ممثلة في الحاج محي الدين وابنه الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري.¹

بالإضافة إلى الطريقة القادرية في مقاومة الأمير عبد القادر، وثورة الحاج موسى الأغواطي الدرقاوي في التيطري عام 1835م، وثورة الشريف مُجَّد بن عبد الله بومعزة بجبال الونشريس وأولاد نايل 1845م_1847م، ومقاومة الشيخ احمد بوزيان القادري في واحة الزعاطشة 1849م، وثورة الحاج عمر الرحماني ومولاي ابراهيم وفاطمة نسومر في جبال جرجرة 1850م_1857م، وثورة الشريف مُجَّد بن عبد الله السنوسي في ورقلة وتوقرت 1852م_1861م، وثورة أولاد سيدي الشيخ الطيبين بالغرب الوهراني 1864م_1881م وثورة الشيخ الحداد الرحماني في 1871م في جرجرة والباور وثورة بوعمامة الطيبي بالجنوب الوهراني عام 1881_1883.²

وكانت منطقة توات داعمة ومساندة لكل المقاومات الشعبية فقد لجأ إليها مُجَّد بن عبد الله خليفة الامير عبد القادر على تلمسان كما كانت قاعدة خلفية لأولاد سيدي الشيخ كسي قدور والسي النعيمي وسي الدين وسي بوشوشة الذين نظموا ثورات بين 1855م و1874م، كما حاول سي قدور بالتعاون مع قبائل الجنوب الوهراني وتوات احداث تحالف مع ثورة القراني عام 1871م لكن فرنسا أفشلتها بإثارة فروع أولاد سيدي الشيخ القرابة.³

كما التجأ الشيخ بوعمامة إلى واحات توات بعدما غادر فيقيق واحتمى بسكان واحة دلدول بإقليم تينجوارين (قورارة) مع نهاية 1883م واستقر هناك إلى غاية 1894م وشيد زاويته وبدأ ينظم صفوفه ويتصل بالقبائل الأخرى في شرق الصحراء يحثهم على الجهاد ليوقف زحف الاستعمار الفرنسي في المنطقة.⁴

لذلك رأى الاستعمار الفرنسي في الزوايا مصدر خطر دائم وقلق على مشاريعه نظرا للمكانة التي كانت تجدها بين أوساط الناس وانقيادهم لها والدور الذي لعبته في مقاومة سياسة الفرنسة والتنصير

¹ - مُجَّد باي بلعلم، الرحلة العلمية، ج1، المرجع السابق، ص398.

² - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص 357 _ 358.

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 09.

⁴ - ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م _ 1934م، المرجع السابق، ص 305.

والكتلة التي استهدفتها وحماية الشخصية الوطنية والدين الإسلامي لذلك سعى إلى محاربتها ومراقبتها والتضييق عليها وتقطيع مواردها.¹

محاربة الاحباس واملاك الزوايا

الأحباس هو الاسم الشائع في بلاد المغرب للأموال الموقوفة كالمساجد والزوايا ويقابلها في بلاد المشرق مصطلح الأوقاف.

الحبس يقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يورث ولا يباع من أرض ونخل وكروم ومستغل، يجبس أصله وقفاً مؤبداً وتسبل ثمرته تقرباً إلى الله عز وجل.²

وتعد هذه الأحباس مصدراً مهماً من أملاك الزوايا تستعين به على الإنفاق على الطلبة وعابري السبيل والفقراء واليتامى والمساكين من أموال الميسورين من بساتين وأموال وعقار وتخصص للمنفعة العامة.³

فالاستعمار الفرنسي أصبح يرى المال سلاح خطير لا يمكن التغاضي عنه لأنه سيستعمل ضدهم لذلك قام بالاستيلاء على الاحباس باعتبارها سلاحاً في يد الزوايا والطرق، وأصبحت فرنسا تمكن للزوايا التابعة لها من جمع الأموال لزيادة نفوذها وقوتها وتحارب الزوايا الوطنية المناهضة للوجود الاستعماري وأصبح المال في نظر المستعمر منافساً لهم في الحكم لأن علامة الطاعة والخضوع للعرب في نظرهم تتمثل في الانضباط المالي وهو ما كان موجوداً للطرق الصوفية.⁴

وذلك ما عبر عنه الخبير الاقتصادي بلانكي (Blancy) عن الجزائر: «أن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية، وتتناقض مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر».⁵

¹ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر، المرجع السابق، ص 358.

² - ابن منظور، المرجع السابق، مادة حبس، ص 752.

³ - غيتاوي التهامي، سلسلة النواة، ج3، المرجع السابق، ص 386.

⁴ - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 284 _ 289.

⁵ - كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور (1850_1951)، مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغربي الحديث والمعاصر اشراف: أ. د احمد صاري، جامعة منتوري قسنطينة 2007 _ 2008، ص 06.

ويرى فينون أنه بالإضافة إلى التعصب الديني الذي هو موجود في أصل ونشأة الطرق الصوفية أضف له خطر وجود المال الذي يعتبر خطرا على الوجود الاستعماري فهذا الانضباط والتنظيم والمال الذي أصبح بيد هذه (الجمعيات السرية) يقصد بذلك شيوخ الزوايا والمقدمون والطاعة العمياء التي يديها الإلتباع لشيوخ الطرق الصوفية يجعل من فكرة الجامعة الإسلامية التي دعاها الأتراك تشكل خطرا على رعايا الأمم المسيحية التي لها رعايا مسلمون مثل فرنسا.¹

لذلك حرصت فرنسا كل الحرص على مصادرة أملاك الأوقاف وتقديم تقاريرها لدى الدومين لتتم مراقبتها، ومن أمثلة ذلك مصادرة أكثر من 81 وقفا بمدينة الجزائر فقط، منها 55 تابعة لأملاك الحرمين وإحدى عشر تخص الجامع الأعظم وكان ذلك أساس السياسة الاستعمارية ضد أملاك الأوقاف بعد استبدال كلوزيل بقائد عام جديد وهو بيرتران (1831م_1832م) باعتبار أن الفرنسيين هم أصحاب السيادة والكلمة والفصل وتنكروا لكل تعهداتهم للجزائريين عشية معاهدة الاستسلام.²

وأن وجود الطرق الصوفية وجمعها للمال على انها تحصل على حوالي نصف الضرائب المقدمة لفرنسا وأن هذه الثروة حسب تقدير تقرير سنة 1897م تقدر بـ:

نتاج الصدقات: 3.000.000 فرنك.

نتاج الزيارات: 3.000.000 فرنك.

حق دخول الطريقة: 1.500.000.

سخرة تويزة: غير مذكورة.

المجموع: 7.500.000 فرنك.

وأن هذه الاموال تجعل من الزوايا دولة داخل دولة ورأو أن هذه الأموال التي تجمعها الزوايا بعد اختفاء ومصادرة الاحباس تنذر بخطر وخيم على فرنسا وحتى بعضها كان يرسل إلى الزاوية الأم في بغداد

¹ - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 312 _ 313.

² - كمال خليل، المرجع السابق، ص 08.

والحجاز وبيروت والمغرب الأقصى، وبالتالي يجب القضاء عليه وجعله في يد الدولة الفرنسية وتصحير إيرادات هذه الزوايا.¹

لذلك قررت السلطات الاستعمارية مراقبة الزوايا عن كثب والتدقيق في مداخلهم المادية وأن تكون تحركاتهم معروفة مسبقا لدى السلطات الاستعمارية وتسهيل الحركة للزوايا الموالية لفرنسا.²

واستولى الاستعمار على أموال الأوقاف ووضع قيودا على أنشطتها وشجع على قيام زوايا موالية له تكرس الانحزام والاستسلام مما ادخل المنطقة في مرحلة جذب ثقافي وعلمي ومع انتشار للبدع والخرافات والشعوذة وتكريس الهزيمة النفسية لسكان منطقة توات واستمر ماتبقى منها يواصل مسيرة العلم والوعي وتكريس روح الجهاد ومقاومة المستعمر وأخذت بعض الزوايا على عاتقها مناهضة الاستعمار ضمن أورادها وتعاليمها لتحضير المجتمع لمقاومة الاحتلال.³

التضييق على العلماء: كان في مقدمة المقاومة الفكرية للاستعمار الفرنسي أصحاب الصفوف الأولى عوائق أمام السياسة الاستعمارية هم العلماء والأئمة وشيوخ الزوايا، لذلك ركز الاستعمار على إخضاعهم بشتى الطرق والوسائل عن طريق الترغيب والترهيب والنفي والأبعاد أو عن طريق الأغراء بالمال أو المناصب أو شراء ذمم البعض، وقد استهدفت في ذلك الشخصيات الوطنية والعائلات المثقفة ذات التأثير الثقافي والاجتماعي.⁴

وهذا ما ذهب إليه الشيخ مولاي احمد الطاهري الإدريسي الذي تفتن لمكايد وتلاعبات المستعمر الفرنسي في قضية فصل الصحراء وراح يوضح أهداف فرنسا الخبيثة للخاصة والعامة ضابقتها السلطات الاستعمارية في منطقة رقان حيث يقول: «...وعندما اخبروهم أنني أعرقل التوقيع وأقول للناس أن مُجد محمود جاسوس وخائن ولما بلغهم الخبر قامت قيامتهم وجاءني الحاكم العام العسكري لمح لنا، ففتش الدور والمدرسة وكتب الطلبة كتابا كتابا ومساكنهم ولما بلغهم أننا على اتصال مع الثورة والجهة والجنود والمجاهدين ونجمع لهم المال، ألقوا علينا القبض لأنهم كانوا دائما يتربصون بنا الدوائر ويتحينون بنا

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 290 - 291.

² - أبو القاسم سعدالله، نفسه، ص 312.

³ - مبارك صعيدي، مقالات وأبحاث، المرجع السابق، ص 241.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، عصر الامير عبد القادر الجزائري، الكويت، المرجع السابق، ص 136.

الفرص، فأخذوني تحت حراسة مشددة من اللفيف الأجنبي إلى مركز رقان، ولا تسألني عما أهانني به ذلك الحاكم العام من الاهانة وبعدها قالي لي ارجع إلى محلك وبعد ثمانية أيام ارجع إلينا، وفي تلك الأيام كنا نتأهب إلى الذهاب لبيت الله الحرام، وبعدهما ذهبنا فرارا بأنفسنا من بطشهم وإهانتهم»¹.

وهذا ما يبين حجم المكيدة كما بين كذلك الوعي الذي كان يتمتع به شيوخ الزوايا في مقاومة السياسة الاستعمارية القائمة على التفرقة والإغراء والترهيب واستغلال بعض ضعفاء العقول لبط سيطرتهم واستمرار نفوذهم.

هذا الدور أيضا لعبته مدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير بمنطقة ادرار التي كانت تنشر الوعي الديني والنضال الوطني والتنديد الصريح بموالة الكفار وما يجب على المسلمين من واجب الجهاد لطرده المستعمر أثناء الثورة التحريرية المباركة، فقد كان للشيخ سيدي محمد بلكبير اتصال مباشر بقيادة الثورة ومناضليهم للتشاور والتعاون المادي والمعنوي لدعم الثورة مما جلب عليه غضب المستعمر نظرا للدور التعليمي الذي كان يقوم به حيث غضب المستعمر نظرا للدور التعليمي الذي كان يقوم به حيث شعر الاستعمار انها المغذي والموجه للثورة، وإنما الأدمغة المفكرة بالنسبة للمجاهدين، لذلك فرضوا عليه رقابة لصيقة وتدخلوا مرارا في شؤون مدرسته ومحاوله التعرف على ما تقوم به من نشاط وصلتها بالثورة التحريرية، إلا أن العلاقات بين الشيخ والثورة كانت بطريقة سرية.

كما أن الزاوية الرقانية برقان كانت تربطها كانت تربطها علاقات سرية بالثورة وكانت محل شكوك بالنسبة لفرنسا وأن فائدة كان يستقبل المجاهدين في ميشاره داخل القصبة في نفس الوقت الذي كان يستقبل فيه الاستعمار الفرنسي في دار الضيافة نظرا للحصار الشديد الذي كان الاستعمار الفرنسي يحاصر به الزاوية وكانت الزاوية نقطة اتصال لقادة الجبهة الجنوبية من أمثال محمد الشريف مساعدي واحمد دراية وكان من أبنائها ومريديها الشهداء والمجاهدين والمسبلين وكانت تقدم الدعم للثورة رغم الحصار الشديد عليها.

¹ - احمد الطاهري الادريسي، نسيم النفحات، المصدر السابق، ص 56.

ثالثا: استمالة شيوخ الزوايا وتدجين الطرق الصوفية واستغلال أعيان المنطقة

قام الفرنسيون بسياسة الإغراء لاستمالة بعض شيوخ الزوايا والطرق الصوفية واستغلال مكانتهم ونفوذهم الاجتماعي ومنحهم بعض الأوسمة والألقاب الفخرية مثل: قائد، آغا، باشا.. الخ مثل تعيين بن عيسى خليفة على الساحل الشرقي بعد احتلال مدينة قسنطينة سنة 1837م، وتكليف بن الحمالوي في سنة 1838م بأمن الطريق الرابط بين قسنطينة وسطيف، ومنح منصب شيخ العرب لابن قانا وتعيينه على منطقة الزاب وإشرافه على منطقة الجنوب.¹

وعلى غرار أيضا ما قام به المارشال "فاني" حيث عين "حمودة بن مُجَّد الفقون" شيخا على مدينة قسنطينة بعد احتلالها سنة 1837م ميرزا الغرض من وراء ذلك في تقرير أورد فيه: «إن الواجب يحتم علينا أن يظل الشيخ الفقون المسن في داره وهو مرابط محترم جدا بين الناس وعائلته تمارس هذه المهنة منذ ثمانمائة سنة، وأن تأثيره قوي وهادئ وقد لعب دورا في تهدئة النفوس».²

كما عمد المستعمر إلى إثارة النزاعات والحزازات العائلية ضمن سياسة فرق تسد بين العائلات الكبيرة وتغذيتها مثل النزاع الذي كان بين عائلة بوعكاز ابن قانة في منطقة بسكرة والاوراس فهذا النزاع ساهم في إضعاف هذه الأسرة والتمكين للاستعمار للنفوذ بسهولة في الجنوب الوهراني، كما أن بعض الشخصيات التي أغريت بالمناصب عارضت فكرة الجهاد بتأثير من المستعمر الفرنسي مثل مُجَّد بن بلقاسم الحمالوي، رئيس اخوان الطريقة الرحمانية³، الذي اتخذ موقفا معاديا من ثورة بوعمامة وحث في إحدى رسائله إلى سي قويدر بن عبد الله، جميع أتباعه بمسألة الفرنسيين ومن ضمن ما جاء فيها: «...وأن رجلا يقال له بوعمامة خرج من عمالة وهران على رأي الدولة الفرنسية واتبعه شذمة من

¹ - احميدة عميراوي، السياسة الادارية في الشرق الجزائري من خلال مشروع لويس بلانكي، المصادر، العدد السادس، محرم 1423هـ/ مارس 2002، ص ص 85 _ 87.

² - احمد بوسعيد، بابا عبد الله، السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الزوايا والمدارس القرآنية بالجزائر 1830م_1962م، أعمال ملتقى: الزوايا والمدارس القرآنية، المرجع السابق، ص 286.

³ - لعبت الطريقة الرحمانية دورا بارزا في مقاومة الاستعمار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر بالدعوة إلى الجهاد ضد النصارى المعادين للإسلام فتوة المقراني كان لزعيمها الروحي الشيخ الحداد الدور الكبير في قيام هذه الثورة، من خلال طلابها من سيدي موسى، وايدير وآث وغليس، وغيرها كما يؤكد المؤرخ الفرنسي "مارسيل إمري" أن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن الـ 19 قد أعدت ونفذت بوحى من الطرق الصوفية ثم يضيف ومن بين هذه الثورات هي الطريقة الرحمانية. انظر: مُجَّد العربي، المرجع السابق، ص 52.

العرب حكم وهران من لا عقل له منهم... ولو كان له عقل ما اظهر محاربة الدولة بل يلتجئ لهم بطلب المن منهم والعافية مع صدقه وصفاء سريرته...»¹.

وهذا ما سيوضح تمكن الاحتلال الفرنسي من استمالة بعض الشخصيات والوجهاء مقابل مناصب إدارية وامتيازات اجتماعية معينة دون أن ينقص ذلك من دور هذه الطرق الصوفية التي اعطت أروع الأمثلة في مقاومة الاحتلال رغم تمكنها من بعض ضعاف النفوس عن طريق الألقاب والامتيازات.

وبعد ثورة بوعمامة ومقتل بعثة قلاتيزر أجهت الأنظار إلى احمد التيجاني بعدم الولاء لفرنسا وتكلم المكتب العربي في تلمسان عن مؤامرة التيجانية في عين ماضي واعتقل عددا من الأهالي ونفوا إلى جزيرة كورسيكا لكن الشرطة لم تثبت ضلوع التيجاني ولا طريقتة في الاحداث بل العكس فقد وجههم إلى الهدوء وعدم المشاركة في ثورة بوعمامة وسهل مهمة العقيد ديورد إلى السودان.²

تشجيع الشعوذة: استطاع الاستعمار الفرنسي تحييد بعض الطرق الصوفية عن اهدافها، وتحويلها إلى اوكار للشعوذة والدجل ونشر الخرافات والبدع، وإغرائها بالمناصب والامتيازات وبث روح الشقاق والنزاع بين زعاماتها مثلما حصل مع الحنصالية والعيساوية، والصراع المفتعل بين القادرية والتيجانية.³

وكذلك الحال مع شيخ وزان شيخ الطريقة الطيبية التي كان مركزها في الغرب الأقصى، والذي كان يحتفظ بعلاقات طيبة مع الفرنسيين تسمح له بتفقد زواياه في كل انحاء الجزائر واختار الحماية الفرنسية حتى في المغرب الأقصى وتزوج من انجليزية.⁴

فكانت هذه الطائفة سلاحا حادا في يد المستعمر لمحاربة الإسلام لأن هذا الشعب في نظره لا يمكن إخضاعه وهزيمته ما دام متمسكا بالمنابع الصافية للدين الإسلامي، فهو إن خسر الحرب فهو لم يخسر روحه وأمله في الحياة والنصر وراح الاستعمار يدبر الحيل والمكايد لفصل الأمة الجزائرية عن دينها

¹ - زوزو عبد الحميد، ثورة بوعمامة 1881_1908م، جانبها العسكري 1881_1883م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986م، ص ص 51_53.

² - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 327.

³ - ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830م_190م، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992، ج1، ص299.

⁴ - ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، 295.

ولغتها وتاريخها وبعضها عن دينها الإسلامي بتدجين بعض الزوايا وتحويلها إلى أوكار للشعوذة والجدل فكانت هذه الزوايا بمقاومتها الجدار الصلب الذي تحطمت على جدرانها معاوفا الهدامة لارتباط المجتمع بدينه وثقافته.¹

يتبين لنا مما سبق أن الطرق الصوفية وشيوخها إضافة إلى الزعامات المحلية كانت في عين السياسة الاستعمارية، وذلك بإخضاعها عن طريق الامتيازات والألقاب للاستفادة من نفوذها في تسهيل عملية التوسع الاستعماري، مما يبين أن القوة العسكرية كانت عاملا ثانويا في هذه العملية وأن الرفض للوجود الاستعماري من طرف السكان كان مثل عائقا حقيقيا لعملية التوسع.

وفي الاحتفال العظيم المقام في الجامع الجديد في الجزائر تعظيما لثمان الأستاذ المرحوم السيد احمد التيجاني المتوفى في قمار من وادي سوف يوم 20 أبريل 1897م. في الاحتفال الذي أقامه مفتي الحنفية محمد بوقندورة وأعضاء دائرة الدين الإسلامي والذي حضره الحكام المدنيون والعسكريون والأعيان حيث أشادوا فيه بالمقاومة الشديدة التي أبداهها سيدي محمد الحبيب في حصار عين ماضي سنة 1838م وإخلاص العائلة التيجانية للدولة الفرنسية وأشاد بزواجه من فرنسية المسماة بـ "أورلي بيكار" كما أشاد بإرسال احد مقدمي هذا الفقيه المقدس للسيد عبد القادر بن حميدة صحبة الطبيب الكولونيل فلايترس في عملياته الاستكشافية لمنطقة توات كما أشاد باستعمال احمد التيجاني لنفوذه في سبيل بسط السلطة الفرنسية مثلما فعل مع سكان توات بعين صالح ومملكتي بورنو وسوقوطو في السودان كما أشاد بصدقتهم لفرنسا.²

المصاهرة بين شيوخ الزوايا والفرنسيين

كانت احد الوسائل التي استعملتها فرنسا لتدجين الزوايا ومراقبتها وربطها بفرنسا وقد حدثت هذه الظاهرة كثيرا، ولم تكن حصرا على احمد التيجاني الذي تزوج من أوريلي التي بقيت في عين ماضي سنة 1871م والتي بقيت على مسيحييتها حتى وفاتها سنة 1933 وتزوج احد أقطاب أولاد سيدي

¹ - محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المرجع السابق، ص 361.

² - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830_1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية-الجزائر، 2009، ص ص 259_261.

الشيخ حمزة بوبكر بالأنسة فيري (Ferret) اغاجيل عمور وتزوج مُجَّد الشرقي العطايفي (تلميذ الشيخ الموسوم وعدة بن غلام الله وصاحب زاوية العطايف) من امرأة فرنسية كما أن الزوجة التي تزوجها شيخ الطيبة في المغرب الأقصى لم تسلم حتى ماتت كما أن الشيخ البودالي الهيري تزوج من امرأة فرنسية.¹

التلاعب بالمفاهيم الدينية

استخدمت فرنسا المفاهيم الدينية وبعض الزوايا والطرق الصوفية لخدمة إغراضها الاستعمارية فلم تتوانى عن مصادرة أملاك الأوقاف وتحويل المساجد إلى كنائس وإسطبلات، لكن عندما يتعلق الأمر بحاجتها إلى الجزائريين كجنود لها في الجبهات الأمامية ضد الألمان 1914م بنت لهم المساجد ووفرت لهم الأئمة لإمامتهم في الصلاة وحذرهم من التحالف مع الألمان لأن ذلك يعد خيانة وأن الدين الإسلامي يحث على عدم الخيانة.²

كما أنها قامت بتنظيم العبادات الدينية والإشراف عليها من خلال تنصيب موظفين لها لمتابعة رصد هلال رمضان وأصبحت تتلاعب به وتحفيه وهو في كبد السماء تقدم وتؤخر في بداية ونهاية الشعيرة الدينية وتلبث على الناس عبادتهم.³

وقد وجد الاستعمار بعض العملاء الذين يلبثون الحق بالباطل ويزيفون الواقع ويحرفون الإسلام عن مواضعه، فهذا منشور فرنسي يدعو الشعوب الإسلامية والعربية إلى الاستسلام بسقوط توات فمن المنشور:

«...أيها الاخوان من مسلمي المغرب خصوصا ومن عموم الأوطان أن نصيحة المسلم لأخيه نصيحة لأميته ونصيحة الأمير هي نصيحة البشير النذير...ولا ملجأ من القضاء والقدر، لكن الإنسان مأمور بالنظر ف العواقب وبالعقل يدرك الفتى رأيا صائبا مع توفيق الحق له في الممكن من الأعيان صنون وغير صنون، وحيث أن قدر الله بدخول العساكر الفرنسية إلى خطوط الصحراء الجزائرية وضواحي توات واستيلائه على قصور عين صالح وعين الفار وإيكلي وكثير من الجهات، وذلك لمصلحة

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص 312.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 249.

³ - كمال خليل، المرجع السابق، ص 44.

عمومية وحكمة الهية لا يعلم حقيقتها إلا الله عظيم الشأن كبير السلطان، فعلى العاقل التسليم للقضاء وكيف تأتي معاكسة شيء مضى والملك لله يوتيه من يشاء من عباده، والأمر كله بيده وهو الملك الديان مع أن الدولة الفرنسية كما هو محقق عند سائر الناس من غير التباس مشهورة بالرحمة والشفقة !!! والحناطة وحرز الامانة واحترام الشرائع والأديان ولا تتعرض للأموال ولا الأملاك ولا العوائد ولا لعرف الأوطان بل تؤمن خوفهم وتحقق دماءهم ونساءهم وأولادهم والكل في الأمان في ظل السلطان !!! إلا من بغى وتجبر وطغى وسعى في الفساد ومضرة وهدم المصالح من الطرق والبنيان فالدولة الفرنسية لا تسمح بذلك وتعاقب من تمرد عليها بإلقاء نفسه في المهالك فالخذر الخذر من وساوس الشيطان من الانس والجان، فالأمر مسلم في الاستيلاء من غير نزاع والمعارضة في ذلك من قبيل العيب بل هي من المحال، والمأمول من ذوي الأمر والنهي المتولين أمور المسلمين في جهات الحدود والقطر المعهود ان لا يخضعون لأقوال المفسدين وذوي الأغراض من الأجنيبين الذين دأبهم انقطاع العلائق بين الدولتين المتجاورتين والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم انه بعباده رؤوف رحيم»¹.

يتبين لنا من خلال هذا المنشور أن فرنسا استعانت ببعض من ضعاف العقول وأصحاب الأوهام والمصالح والامتيازات الدنياوية الضعيفة تصوير الاستعمار أنه قضاء وقدر، وأن رفضه ومقاومته هي رفض للقضاء والقدر، وعدم الايمان به والإيمان ركن ركين بالدين وأن الفرنسيين يوفون بعهودهم وأنهم مشهورون بالرحمة واللين ويحترمون الشرائع والأديان والملل والنحل ويحفظون ويؤمنون دماء الناس ونساءهم وأولادهم، وأن مقاومتهم هي ضرب من الانتحار وأن خروجهم مستحيل وهو ضرب من المحال فعلى الناس ألا يستمعوا لمن يدعوا لمقاومتهم وأن كل من يدعوا لمحاربة فرنسا إنما هو مفسد في الأرض يحاول عبثا الإضرار بعلاقة الجزائر بجيرانها. وهذا ما يدل على عمالة هؤلاء المرتبطين من جهة بالاستعمار وإلى مستوى الوعي العام لدى المجتمع عندما يخاطب بهذا الأسلوب نتيجة إنتشار الجهل بين عامة الناس ونفس الأسلوب اتبعته فرنسا بعد الخسائر الفادحة التي تكبدتها في معارك العرق على أيدي المجاهدين، فقد ألقى طيران العدو مناشير على سكان تيميمون وتينزوكوك بعد معارك حاسي صاكة واشتباك الحاسي الجديد الشرقي حيث وصف المجاهدين بالغاشرين والمجرمين وتوعدهم بالعقاب النازل من السماء لأن

¹ - غيتاوي التهامي: لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 175 _ 177.

فرنسا حسب المنشور تمثل أرادة الله كما أنها مثال الشرف والقوة والحق والكرم، وتبين في الأخير أن أحد السكان المحليين هو من كتب المنشور من الفئات التي استطاعت فرنسا استقطابهم.¹

ومن بين مظاهر السياسة الفرنسية لاحتواء كل رفض وتدمير لسياستها في المنطقة هو التصدي لفتوى نازلة أهل قورارة التي يطالب فيها سكان قورارة شيوخ الإسلام بمكة المكرمة الفتوى فيما إذا تغلب الكفار على وطن من أوطان المسلمين هل يبقون أم يهاجرون²، ولمواجهة هذا التوجه من الإدارة الاستعمارية الفرنسية عملت على تهدئة الأهالي بتوجيه دعايتها إلى أن فرنسا تحمل مبادئ الإنسانية وحقوق الإنسان، وأن هدف فرنسا في المنطقة جاء لمساعدة السكان للخروج من العزلة والرفع من مستواهم المعيشي والأخذ بهم نحو الرقي والتقدم، وهي بذلك كانت تهدف إلى تأخير المواجهة إلى حين واستغلال الوضع الاقتصادي لنشر المسيحية³ عن طريق المساعدة الاقتصادية وتلميع صورة فرنسا وهو هدف الحملة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر.⁴

وللتضليل والقفز على الحقائق واستصغار العقول روجت فرنسا لإشاعة طريفة رغم حدوثها في مصر وهو أن سبب إنهزام الجيش المصري بزعامة احمد عرابي إمام الجيش الانجليزي في موقعة التل الكبير سنة 1882م كان سببه نوم الجنود المصريين صباحا بعدما شغلوا أنفسهم طيلة الليل بتردد الأذكار والأوراد.⁵

¹ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 52.

² - نازلة قورارة: هي رسالة أرسلها احد شيوخ المنطقة إلى علماء وشيوخ منطقة الحجاز بمكة المكرمة يسأل فيها عن رأي الشرع فيما اذا تغلب الكفار على وطن من أوطان المسلمين ولم يكن في وسعهم رد الاعتداء كما أن المحتل الكافر رغبتهم في اقامة الصلاة وشجعهم على اختيار إمام الصلوات الخمس والجمعة وإهم لا يستطيعون مغادرة أراضيهم خوفاً من مشقة الطريق والبعد عن الوطن واستضعافهم، حيث كان الرد على وجوب اقامة المستضعفين إذا اقاموا دينهم وشعائهم مع الظروف المذكورة في النازلة، انظر الاستاذ: مُجد الامين بلغيث: سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي من خلال فتوى قورارة، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، العدد الثالث 1421_2000م، ص 135.

³ - لقد أشار الأب شارل دوفوكو أثناء إقامته بتمنراست 1905م_1916م في نص صريح: «الأمر الأول هو إقامة النظام الفرنسي والحضارة في إمبراطوريتها بالشمال الغربي الإفريقي والأمر الثاني هو التبشير» وكان الاستعمار هو الوجه الآخر للخلفية الحضارية لتوسيع سياسة التنصر، مُجد الامين بلغيث، سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي من خلال فتوى قورارة، المرجع السابق، ص 134.

⁴ - مُجد الامين بلغيث، سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي من خلال فتوى قورارة، نفسه، ص 134.

⁵ - أحمد بوسعيد-بابا عبد الله، السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الزوايا والمدارس القرآنية (1830م_1962م)، المرجع السابق، ص 287_288.

يتضح لنا مما سبق أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية كانت تخوض معركة بقاء ومعركة وجود مع الوعي الجمعي للسكان، فتارة نجدها تستعمل أسلوب اللين في إبراز أن فرنسا تريد من حملتها نشر الحرية وأنها لا تتدخل في ممارسة الشعائر الدينية، لكنها في الوقت ذاته تقوم بالتضييق على الزوايا والعلماء وتصادر أوقافهم وتراقبهم وتغري بعضهم بامتيازات متنوعة، وأخرى تستغل ظروفهم المعيشية والثقافية وتتلاعب بالمفاهيم الدينية لتشريع وجودها وهذا كله في إطار تنفيذ مشروع الإمبراطورية الفرنسية التي كان الجانب الحضاري عنصر مهم فيها.

نشر التعليم الفرنسي في المنطقة

- حالة التعليم غداة الاحتلال: بالرغم من أن الحكم العثماني التركي لم يول أهمية كبيرة للتعليم في الجزائر بسبب العنصر التركي، إلا أن حالة التعليم في الجزائر غداة الاحتلال كانت مميزة ولا يمثل فيه الاميون سوى 10% من السكان بفعل نشاط الزوايا والمدارس الحرة وذلك بشهادة من عايشوا الحملة الفرنسية على الجزائر، اذ يقول أندري نوشي عن احد الشهود قائلًا: «ربما كان يملك الشعب الجزائري أكثر من مما يملك الشعب الفرنسي إذ أن كل فرد من افراده يعرف القراءة والكتابة والحساب». وهذا ما يبين المستوى الثقافي للمجتمع الجزائري.¹

ويقول كذلك حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرأة: «أما من حيث الطاقات الفكرية فإن خيال الجزائريين خصب وأفكارهم منظمة، إنهم يدركون الأمور بكيفية عجيبة ولا يصعب عليهم أي أمر يدوي أو آلي أو له علاقة بالعبقرية».²

التعليم الحر: كانت المنطقة التواتية تذر بالمدارس والمساجد والزوايا وكان التعليم جزء من حياة المجتمع التواتي، يوازي في ذلك إقامة شعائره الدنية، فكان المعلم والإمام حجر الزاوية في كل قصر ووجوده مواز لوجود المسجد وأداء العبادة وهو جزء من النسيج الاجتماعي والثقافي والعمراني للمجتمع.

¹ - أندري نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص 211.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المرجع السابق، ص 66.

كانت الكتابات في المكان الذي يدرس فيه الصغار القرآن ومبادئ اللغة والكتابة وبعض العلوم الدينية وبعض المتون الفقهية واللغوية الأساسية كالأجرومية وابن عاشر وهدية الألباب والعقبري وغيرها مما نتج عنه جيل متمسك بدينه وعقيدته.

وعن ذلك يقول ديشي DECHE وهو المسؤول عن التعليم العمومي في الجزائر بقوله: «كانت المدارس بالجزائر والمدن الداخلية وحتى في أوساط القبائل كثيرة ومجهزة بشكل جيد وزاخرة بالمخطوطات ففي مدينة الجزائر هناك مدرسة بكل مسجد في جميع أوجهها ليس هناك مهمة أكثر صعوبة وحساسية وأهمية للتحكم في تطور السكان الاهالي من التعليم».¹

وكان المستعمر الفرنسي دقيق في سياسته التعليمية فهو وضعها للوصول إلى أهدافه الاستعمارية، فقبل وضع المدارس ميز الاستعمار بين المدن والقرى والحضر والريف والأماكن التي يوجد بها العرب والأماكن التي يتواجد بها البربر، حتى لا يسهم في تعريبهم وتشجيع النعرات اللغوية ضمن سياسة التفرقة.²

وكانت السياسة التعليمية الفرنسية تقوم على:

1- الاستمرار في إهمال التعليم العربي الإسلامي، وعدم رد الأوقاف إليه، رغم تشبث السكان به ومقاطعتهم للتعليم الفرنسي.

2- إنشاء تعليم مزدوج خاص بالجزائريين تدرس فيه اللغة العربية على أن تكون فيه الفرنسية وعلومها هي السيدة.

3- ترك التعليم في الزوايا الريفية والمستعمرات على ما هو عليه مع مراقبة برامج ومعلميه حتى لا تكون الزوايا مركزا لمعاداة الفرنسيين وقد تثبتت التقارير أن الشعب الجزائري ظل متشبثا بالتعليم الإسلامي رغم مصادرة الأوقاف وهجرة العلماء أو نفيهم.³

¹- R.goude frouy emonbynes, «Leuvre française en matière d'enseignement au Maroc» RA. Paris ed gethner n°69. anneés. 1928. p: 464.

²-R.G, op. cit, p; 465.

³- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص 21.

لهذا قاموا بفتح مدارس لتعليم اللغة الفرنسية للقضاء على ما يسمونه التعصب الديني وغرس قيم الوطنية الفرنسية في اذهان الناشئة، وتسهيل التآلف مع الأوربيين وكسب الأجيال الصاعدة وبالتالي القضاء على الشخصية الوطنية بسهولة ويسر.¹

التعليم الفرنسي: الهدف من التعليم الفرنسي خلق جيل مثقف ثقافة فرنسية، يندمج في فرنسا ويتخلى عن قيمه وحضارته العربية الإسلامية، يصفه الشيخ البشير الإبراهيمي على أنه: "ملقح بمادة الاستعمار وهي مادة من خصائصها تعقيم الخصائص".²

لذلك حرصت فرنسا على تشييد المدارس الفرنسية التي وصل عددها سنة 1880م 16 مدرسة. لكنها لم تكن لتجذب الأهالي باستثناء أبناء الأعيان الذين اعتبروا رهائن النظام الاستعماري لذلك اضطر الاستعمار لإنشاء التعليم الأهلي لتلبية حاجيات الاحتلال من الإطارات الثانوية ونص على خلق مابين ستون وثمانون قسم دراسي في السنة. إلا أنه عرف تماطلا بسبب مسؤولية رؤساء البلديات الأوربيين المكلفين ببناء المدارس حيث لم يعرف عدد المتدربين إلا زيادة طفيفة من اثنا عشر ألف سنة 1893م، إلى واحد وثلاثون ألف، سنة 1907 في الوقت الذي قدر فيه عدد الأطفال الذين هم في سن الدراسة بأزيد من سبعون ألف طفل، وحسب مرسوم 1881م، تم بناء أربعة مدارس من ثمانية مدارس مبرمجة بما ستمائة تلميذ وقد أنشئت هذه المدارس نتيجة للنزعة التربوية لجول فيري لكن هذا المشروع لم يتطور نتيجة لمعارضة المستوطنين والضغط على الحاكم العام في الجزائر بعدم تطبيق هذه السياسة.³

كان منظرو الحركة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر ينظرون بنظرة بعيدة المدى بنشر التعليم الفرنسي في الجزائر من اجل خلق مجتمع يتبنى القيم الفرنسية بعيدا عن انتماءه الحضاري، يضعف الحركات التحررية والانفصالية عن الإمبراطورية الفرنسية المزعومة بينما كان المستوطنون ينظرون بقصر نظر

¹ - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، المرجع السابق، ص 91 _ 92.

² - محمد الهادي الحسني، من وحي البصائر، تق: محمد صالح ناصر، دار الامة، الجزائر، 2010، ص 437.

³ - محمد الشريف ساحلي، تلخيص التاريخ من الاستعمار: تر: محمد هناد، محمد الشريف بن دالي حسين، ط2، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال، 2002م، ص 87.

وهو الدفاع عن مصالحهم وامتيازاتهم المادية بإبعاد الأهالي عن أي إصلاح يخول لهم المساواة معهم¹ لذلك اصدر قانون إجبارية التعليم سنة 1882م مما سيسهم في رفع عدد المدارس والتلاميذ هذه السنة، فقد أنشئت خمسون مدرسة في المرحلة الممتدة ما بين 1883م_1887م منها 29 في عمالة الجزائر وثلاثة وعشرون في عمالة قسنطينة وسبعة في عمالة وهران.²

وفي سنة 1892 دعا وزير التعليم العمومي "بورجو Borgou" أمام مجلس الشيوخ إلى وضع برنامج تعليمي يأخذ بالحسبان الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للجزائريين يتماشى وظروفهم.³

وطالب السيد كامبون دراسة شاملة قدمها في مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ 5 أفريل 1892م حيث دعا إلى الاصطلاحات التالية:

1- أن يؤخذ في عين الاعتبار المنطقة المستهدفة من مدينة أو قرية أو قبيلة صغيرة وأن توفر المدارس الكافية للمدرّس.

2- تقسيم المدارس إلى ثلاث مراحل أساسية ويرأسها مدير فرنسي وابتدائية ويرأسها معلم فرنسي وتحضيرية ويديرها مساعد ثانوي.

3- يتم اعتماد البرنامج التعليمي الذي وضعته إدارة أكاديمية الجزائر العاصمة بالتنسيق مع وزير التعليم العمومي.⁴

4- تقام دورات التعلم في العمل البدوي والتعليم الزراعي في المدارس الكبرى وفقا لبرنامج 1890.

5- التنسيق بين وزير التعليم العمومي والحاكم العام في الجزائر والإدارة العليا لتعليم الأهالي في إنشاء المدارس وتوزيعها جغرافيا واستخدام الاعتماد المالية المخصصة للتعليم.

¹ - جمال قنان: التعليم الاهلي في عهد الاستعمار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص ص 74 _ 75.

² - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 230.

³ - Combes (M). Instruction publique, Revue algerienn et munisienne de le gislation et de jurisprudence, N° 09 publiée par Lecole de droit d'Alger, 1893, p52..

⁴ - Combes (M) op. cit., pp47_48.

6- يتم إنشاء مدارس ورياض الأطفال في المدن المختلطة وتعطي الأولوية لممارسة نشاط الرعاية المنزلية ويتم الإشراف عليها من طرف أساتذة اللغة الفرنسية واللغة العربية أو الأخوات ويساعد المشرف مساعد تربوي جزائري.¹

وعن إعداد الجزائريين المتعلمين في هذه المدارس فمن بين ثمانية وستون ألف طفل متمدرس يوجد فقط ثلاثة وعشرون ألف جزائري سنة 1898م وأربعة وعشرون ألف طفل جزائري من 140 ألف طفل متمدرس سنة 1901م.²

وفي سنة 1902م كان عدد التلاميذ خمسة وعشرون ألف وعدد الأقسام ستمائة وسبعة وثلاثون قسم.³

وللقضاء على اللغة العربية ومقومات الشخصية الوطنية وسلخ المجتمع عن قيمه وثوابته فقد قامت فرنسا بفرض شروطها على استمرار تدريس اللغة العربية والعلوم الإنسانية، فشجعت اللهجات العربية والبربرية والدارجة لإماتة اللغة الفصحى، وفرضوا اللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية، ومنعوا تدريس بعض الأبواب في الدين الإسلامي مثل باب الجهاد، وتحفيظ القرآن الكريم دون تفسيره وطاردوا حتى المداح الذي كان يفتي ببطولات التاريخ في الأسواق الشعبية.⁴

ففي مادة اللغة يتم التدريب على المحادثة كوصف مادبة عشاء في إحدى المناسبات العائلية، كما يتم التدريب على استعمال الضمائر وبناء أنواع الجمل. وفي الرياضيات الكسور والأشكال الهندسية المركبة، والتركيز على تعليم اللغة الفرنسية، وفي مادة التربية المدنية يتم تعريف التلاميذ بمؤسسات الدولة كالوالي العام ومجلس الحكومة. وفي مادة الجغرافيا يتم التعريف بالدول الأوروبية الكبرى.⁵

¹ - Combes (M) op. cit., pp 48-50.

² - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص 34.

³ - Jonnart (M.C) Exposé de la situation général de L'Algérie Imprimeur du gouvernement général Algérie - 1906. p 373.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق، ص 20.

⁵ - جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في العهد الاستعماري، المرجع السابق، ص 94.

وقد أخذت اللغة الفرنسية نصيب الأسد في الدراسة مما يوضح أهداف السياسة الاستعمارية في مجال التعليم، القائمة على فرنسة المجتمع لإدماجه في فرنسا والجدول التالي يوضح ذلك:¹

الجدول رقم 23: يوضح حجم تدريس مادة اللغة العربية في المدرسة الفرنسية

المواد التعليمية	المرحلة التحضيرية	المرحلة الاساسية	مرحلة المتوسط
التربية الاخلاقية	/	1سا	1سا
اللغة الفرنسية	15 سا	11سا ونصف	5سا ونصف
الحساب والنظام المتري	5 سا	5 سا	5 سا
الرسم	2سا ونصف	2 سا ونصف	1 سا ونصف
الفلاحة والعمل اليدوي	/	2 سا ونصف	1 سا ونصف
اللغة العربية	2 سا	2 سا ونصف	3 سا
مهارات معرفية (الاقتصاد المنزلي - النظافة - المفاهيم العلمية)	/	/	5 سا
مبادئ حول فرنسا والجزائر	/	/	5 سا
اللعبة والموسيقى والجمباز	5 سا	5 سا	5 سا

ويتضح لنا مما سبق أن التركيز على تعليم اللغة الفرنسية فهي تمثل نصف الحجم الساعي في المرحلة التحضيرية، وقرابة النصف في المرحلة الاساسية، بينما اللغة العربية تمنح فقط ساعتين ونصف في الأسبوع.

التعليم الفرنسي في منطقة أدرار:

لقد كان هدف إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية يمثل حجر الزاوية في أهداف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر بصفة عامة لذلك كان التركيز على التعليم الابتدائي من اجل فرنسة التلاميذ

¹ - عومري عبد الحميد، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1830_1914م، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث LMD في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، إشراف: علي بن حويدقة، تخصص تاريخ (لم تنشر) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، 2016_2017، صص 91_ 92.

«إهمال التعليم العالي حتى لا يكتسب الأهالي مرحلة متقدمة من التعليم وفي ذلك يقول الدوق روفيقوا: «إن الشيء العجيب الذي يمكن القيام به هو تعويض العربية شيئاً فشيئاً بالفرنسية والذي لا يفتأ ينتشر بين الأهالي، لاسيما إذا وفد الجيل الجديد بأعداد كبيرة للتعليم في مدارسنا».¹

وفي 24 ديسمبر 1904م اصدر الحاكم العام الفرنسي قرارا يقضي بعدم السماح لأي معلم جزائري أن يفتح مدرسة لتعليم اللغة العربية دون الحصول على رخصة من عامل العمالة أو الضباط العسكريون في المناطق الخاضعة للحكم العسكري، كما شجعت الإدارة الفرنسية باعتبارها احد ركائز تثبيت الهيمنة الاستعمارية وإتمام عملية إخضاع الاهالي للسلطة الاستعمارية.²

ونظرا للإقبال الضعيف على المدارس الفرنسية قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى الأمر الذي أدى إلى صدور قرار الحاكم العام في 06 جوان 1917م يجعل التعليم الابتدائي إجباري على كل الأطفال الجزائريين في سن الدراسة وبضرورة إقامة المدارس الفرنسية في كل المناطق، وإرغام الأسر على تسجيل أبنائهم تحت إشراف رؤساء الدوائر وأعوانهم³، فتأسست بذلك لجان خاصة للتعليم تحصي كل الأطفال الذين يمسه سن الدراسة وتسهيل عملية التسجيل في المدارس.⁴

أما في ادرار فقد أسست مدرسة في فترة حكم الجنرال "ردفور" rodfoore وكان عدد المسجلين بها قرابة خمسة وعشرين تلميذا ومن بين مدرسيها "بيليكبي، بييرفولو" beleke beerfollo، ثم تولى إنشاء مدارس أخرى كمدرسة ادغا سنة 1956م ولم تلتحق بهذه المدارس إلا فئة قليلة وهم أبناء الموظفين لدى الإدارة الفرنسية من قياد وخوارجات ولم تكن مفتوحة لكل السكان ولم يقبل السكان على إرسال أبنائهم لهذه المدارس لخوف الأولياء على أبنائهم وثقافتهم ودينهم ولوجود التعليم الديني الموازي.⁵

¹ - ايفون توران، المرجع السابق، ص 46.

² - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830 _ 1954م، المرجع السابق، ص 60.

³ - نقادي سميرة، واقع تعليم الجزائريين في ظل التشريعات الفرنسية ما بين 1919م و1945م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2016_2017، ص 143.

⁴ - عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2013م، ص 242.

⁵ - R- goude Froy: op- cit, p 468.

وبالقدر الذي أهمل فيه الاستعمار الفرنسي تدرس أبناء الأهالي، فقد اهتم بتدريس أبناءه من التعليم الابتدائي حتى التعليم العالي وكانت البلديات تتنافس في بناء المدارس وتوفير له الإمكانيات الكافية.¹

وكمثال على السياسة الاستعمارية في هذا المجال نأخذ على سبيل المثال مقاطعة ادرار التي كان تعداد سكانها سنة 1965م قدر ب 83.589 نسمة حسب إحصاء رسمي بتاريخ 5 نوفمبر 1960م كان عدد الأطفال المتدرسين كآتي:

- من أصل 3736 طفل في سن التعلم أي ما بين السادسة والرابعة عشر من العمر لم يكن هناك إلا 436 طفل متدرس وهو ما لا يمثل إلا 11.67% فقط من مجموع الاطفال في سن الدراسة، ومن أصل 3243 بنت في سن التمدرس كانت نسبة المتدرسين تمثل 3.57% من مجموع الفتيات.²

ومن هنا يتبين لنا حالة التقصير المتعمدة في وضع الإمكانيات أمام تعلم الأهالي وإنما الهدف منه هو تعليمهم بعض أجديات القراءة والكتابة وسلخهم عن لغتهم الأصلية والاستعانة ببعض الأعمال الإدارية لتنفيذ السياسة الاستعمارية الفرنسية وللإستعانة بهم للتواصل مع الأهالي، وبهذا يكون التعليم الفرنسي هدفه تحقيق السياسة الاستعمارية الفرنسية وليس القضاء على الأمية ومنح التعليم للجزائريين.

من جهة أخرى فقد رفض الجزائريون إرسال أبناءهم للمدارس الفرنسية لأنهم يرون هذا السلوك نوع من الخضوع والانقياد للإدارة الاستعمارية وتسليم مستقبل ابناءهم لثقافة استعمارية معادية وهذا في حد ذاته مقاومة فكرية للاستعمار الفرنسي في الجزائر.³

وقد بذل الوالي العام "جونار" مجهودات جبارة في ظل التقرب من الأهالي لإرسال أبناءهم للمدارس الفرنسية وهذا يدخل في إطار نظرتة للغزو الثقافي للجزائريين من خلال التعليم الابتدائي ففي

¹ - أبو القاسم سعدالله، تاريخ التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830 _ 1954م، المرجع السابق، ص 60.

² - محمد بن دارة، المرجع السابق، ص 12.

³ عومري عبد الحميد، المرجع السابق، ص 98.

17 جوان 1910م صرح جونار أمام المجلس الأعلى قائلا: «إن المدرسة الابتدائية التي هي فرنسا حجر الزاوية في هيكل الجمهورية تشكل في الجزائر حجر الاساس في عملية إرساء هيمنتنا».¹

والمدرسة هي معركة حامية خاضتها فرنسا مع الجزائر لتثبيت الهيمنة والسيطرة الثقافية مستغلة تفوقها الحضاري والمادي فهي كما تقول المؤرخة "ايفون توران": «التعليم من اجل غزو عقل الانسان الجزائري وإخضاعه».²

وفي مقابلة مع الفايز السالم من مواليد 1954م: يقول أن فرنسا فتحت قسما في قصر تيمادين بلدية رقان في آخر سنتين للاستعمار 1960_1961م/1961_1962م وكان به نحو 20 تلميذ من مختلف الأعمار يؤطره معلمتين وهما مدام "فيدال" fidal ومامام كوك "kook"، كما كان هناك قسمين برقان المركزي، وكانت تركز على الكتابة على السبورة والقراءة في الكتب والحساب والأعداد، والتركيز على فن المحادثة الذي يعتمد على وسائل إيضاح مصورة شخصيات (صور لاصقة) ملك، عمر، زينة. وكانت المعلمة تقدم لهم تحفيظات هي عبارة عن ورقة "بون بوا" boon boa صغيرة عشرة منها تساوي ورقة متوسطة (إمماج) وعشرة منها تساوي صورة كبيرة "قرافور" grafoore، وهي عبارة عن حوافز للتعليم كما أنهم كانوا يمارسون نشاط الاناشيد مثل: " اوكليغ دولاين" okleer dolaene: في ضوء القمر.³

وعند سؤالي لماذا لم يكن كل الأولاد يدرسون لدى المدارس الفرنسية يرد عليا: بلعروسي عبد القادر أن الآباء كانوا يمنعون أبناءهم عن أنظار الإدارة الاستعمارية حتى لا تجبرهم على اخذهم للمدرسة لان فرنسا كانت تمارس اجبارية التعليم على الاهالي وأن الاولياء كانوا يرون أن الدراسة عند النصارى لا تجوز، وانه من يريد التعليم فيجب عليه التوجه إلى المسجد والمدارس القرآنية.⁴

¹ - شارل روبير اجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 558.

² - ايفون توران، المصدر السابق، ص 44.

³ - مقابلة شخصية مع الفايز السالم من مواليد: خلال 1945م، يوم 2019/12/16.

⁴ - مقابلة شخصية مع بلعروسي عبد القادر من مواليد م، 190م يوم 2020/01/14.

التلاميذ وأنه يأتي في المساء ليقراً ما هو مكتوب على السبورة كما كان يسترق السمع للناشيد التي كانت تغنى في المدرسة، لكنه كان ممنوعاً من طرف أسرته من التوجه إلى المدرسة الفرنسية وأنه يجب عليه التوجه للمسجد والمدرسة القرآنية.¹

لقد اعتبر السكان المحليين المدرسة الفرنسية نوعاً من المسخ الثقافي وطريقاً إلى الخروج عن الدين والتعليم الإسلامية وأنهم يبذلون أوقاتاً كبيرة في تعلم لغة وثقافة المستعمر، ورغم بساطة تفكير المجتمع التواتي وارتباطه الكبير بتعاليم وتقاليد وسلوكيات الدين الإسلامي، فإنه توجس شراً من المدرسة والتعليم الفرنسي خوفاً على الأجيال اللاحقة، وهنا تكمن المقاومة الفكرية للاستعمار الفرنسي بقطع كل أساليبه للوصول إلى أهدافه الاستعمارية.

إضافة إلى ذلك فإن الوضع الاجتماعي في المجتمع التواتي وصعوبة ظروف المعيشة جعلت من أرباب الأسر يوجهون أبناءهم للعمل في البساتين على حساب التعليم في المدارس الفرنسية، كما أن الفرنسيين لم يكن هدفهم وصول الأهالي إلى مستوى تعليمي مميز وإنما أن يحسنوا القراءة والكتابة والوصول إلى تمام المرحلة الابتدائية ثم عليه السفر إلى مدينة بشار لإتمام دراسته وهو الشيء الذي لم يكن متاحاً أمام الأهالي نظراً لمحدودية مستواهم المعيشي والمادي، أو التوظيف لدى الإدارة الفرنسية.²

كان قرار الشعب الجزائري مقاطعة المدرسة الفرنسية لإدراكهم لأهدافها الاستعمارية التي تهدف إلى القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي وتمسيح أبناء الجزائريين وإخراجهم عن دينهم وملتهم.³

كما أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية ركزت في تعليمها على العائلات الكبيرة والنافذة في منطقة توات من أجل إخضاعها وجعلها تابعة للإدارة الاستعمارية، لذلك اتصلت بهم وطلبت منهم إرسال أبناءهم إلى المدرسة الفرنسية هدفها في ذلك غرس قيم الدين المسيحي وتحويل ديانتهم.⁴

¹ - مقابلة شخصية مع العروسي محمد السالم، من مواليد 1939م يوم 16/11/2019.

² - مقابلة مع اعبلة الزواقة، مواليد خلال 1948م، بتاريخ 13/12/2018.

³ - الطاهر زرهوني: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1994، ص...

⁴ - اعبلة الزواقة، مقابلة شخصية يوم 13/12/2018، على الساعة 15:00.

بالإضافة إلى رفض المستوطنين لهذا التعليم لأنهم رأوا فيه تكلفة مالية زائدة وهذا بسبب معارضة أعضاء الوفد المالي حيث صرح رئيس هذا المجلس: «إننا نرفض تخصيص الأموال للمدارس الجزائرية لأن أبناء هذه المدارس مسلمين وهي عملية مكلفة وخطيرة».¹

سخر الاستعمار الفرنسي وسائل مادية وبشرية هامة لتعليم الجزائريين وهذا خدمة لأهدافه المعيشية للسكان وتحسينها والتي كان هو سبب تدهورها بسياسته الاستعمارية الاقتصادية القاسية إلا أنه فشل في أغلب الأحيان في تحقيق أهدافه وهذا نظرا:

- محدودية الإقبال على المدارس الفرنسية في منطقة توات.
- فشل محاولة الفرنسية في المنطقة.
- سيطرة التعليم الحر في الزوايا على توجه الأهالي.

وعليه فإن أهالي المنطقة كانوا يرون في التعليم الفرنسي عنصرا غريبا ودخिला على سلوكياتهم وعاداتهم ودينهم ولغتهم فاقترح بعضهم تكليف المعلمين الجزائريين لتدريس البرامج الرسمية في الزوايا بمراقبة شيخ الزاوية والأولياء وهذا لإطلاع على سير التعليم وإبعاده عن الأهداف الاستعمارية الفرنسية، لكن البعض كان يرفض كل أشكال التعليم الفرنسي كيفما كان أسلوبه وطريقته ونادى البعض بتوفر معلم للغة الفرنسية والمواد الأخرى التعليمية ومعلم آخر خاص بالعلوم الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم.²

وقد نجح المجتمع التواتي في إيجاد نمط تعليمي خاص يستفيد من خلاله من التعليم الفرنسي دون إهمال التعليم الديني فكان الأولاد عندما ينهون دراستهم في المدرسة الفرنسية يتوجهون مباشرة إلى الكتاتيب حيث كان الطالب ينتظرهم من أجل تحفيظهم القرآن وأسس العقيدة الإسلامية من طهارة وصلاة وصوم وآداب وغيرها من خلال مختلف المتون التي كانت تدرس في الكتاتيب، حتى صلاة العشاء من كل يوم مع المحافظة على أداء الصلاة في وقتها وفي المسجد.³

¹ - سعد الله ابو القاسم، اجاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 21..

² - الطاهر زرهوني، المرجع السابق، ص 21.

³ - لعروسي محمد السلام، مقابلة شخصية يوم 2018/11/29 على الساعة 18:00.

لقد كان هذا الرفض بأشكاله المتنوعة والمتعددة ليس رفضا للثقافة والتعليم والحضارة الإنسانية وإنما إدراكا لمقاصده الرامية إلى مسخ الشعب الجزائري واجتثاثه من جذوره وصقله بالثقافة العربية تمهيدا لسلخه عن دينه الإسلامي، وكان تشبث الشعب الجزائري بثقافته العربية الإسلامية وبعاداته وتقاليده مقاومة جديّة للاستعمار وحائلا أمام وصوله لأهدافه، كما أن بقاء المدارس والزوايا والكتاتيب ظل مقاوما للتعليم الفرنسي رغم كل المضايقات التي كان يتلقاها من المستعمر والحرب المباشرة عليه ولأن الذين تولوا مهمة التعليم الفرنسي في منطقة توات كان جلهم من العسكريين الفرنسيين أو زوجاتهم الذين لا يحسنون مناهج وطرق التدريس فيما بقي المعلمون في المناطق الشمالية هربا من العزلة والمناخ القاسي للصحراء، وبعد المسافة، فكان أسلوب القسوة والعنف أسلوب منفر للتعليم في هذه المدارس وهذا لجهلهم بأساليب وطرق التعليم.¹

وقد استعانت السلطات الاستعمارية بالاستغاثة بالقياد لتعيين التلاميذ الملزمين بالالتحاق بالمدارس الفرنسية، ورغم تقديم الحوافز للمتمدرسين مثل الأدوات المدرسية والملابس والرحلات إلا أنه سجل عدة حالات فرار للتلاميذ وكان الأولياء يستغلون عطلة الأسبوع لتوجيه أبناءهم للعمل في البساتين والمنزل والذهاب إلى الكتاتيب وانقطاعهم عن المدارس الفرنسية، فكانت السلطات الاستعمارية وبالاعتماد على القياد تقوم باجبار الأولياء على إرجاع أبناءهم إلى المدارس وتهديدهم بشتى الوسائل.²

وفي هذا الصدد يقول شارل أندري جوليان: «عجز التدريس عن التزويد بمخطط واضح وبمنهج فعال ولم يتم فتح المدارس في الأماكن التي تأكد فيها نفعها بل في الأماكن التي أمكن فيها إقامتها، أي في البلديات المختلطة والبلديات الأهلية... فمن المفارقات الكبيرة أن يبدأ في التعليم بداية من الجبلين الغلاظ والقاطنين في أبعد القرى عن المدن وعن مراكز الاستيطان عوض التعلق بالحضر الذين كانوا في احتكاك دائم مع تواجدنا».³

وبالرغم من أهداف السياسة التعليمية الفرنسية القائمة على تمكين التوسع الاستعماري وهي جزء من الحملة التوسعية الفرنسية، إلا أنه كانت اختلالات بعضها ناجم عن المقاومة الثقافية للمجتمع

¹ - جمعية المنار الثقافية الاجتماعية، دراسة اللغات الأجنبية في منظومة التربية، متليلي 1998، ص 05.

² - لعروسي محمد السلام، مقابلة شخصية يوم 2018/11/29 على الساعة 18: 00.

³ - شارل روبي اجرون، الجزائر المسلمون وفرنسا، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 571.

الجزائري في منع أبناءه من التوجه للتعليم الفرنسي باعتباره تعليم يتعارض مع ثقافة وتوجه المجتمع، كان المستوطنون يتخوفون من مساواة الجزائريين بالفرنسيين وفقدان امتيازاتهم من جهة اخرى كانت السياسة الاستعمارية والتي كانت في كرفر في رؤيتها لأهدافها الاستراتيجية فهي كانت توفر التعليم لفئات محدودة ومناطق معينة حسب ولاءها لفرنسا، كما انها كانت ترى في التعليم وسيلة فقط لاندماج الجزائريين في الثقافة الفرنسية أو كعوامل مساعدة لتثبيت السلطة الاستعمارية وذلك بالحرص على أن يصلوا إلى مستوى محدود من التعليم، يمكنهم من تغطية بعض المناصب الإدارية في السلطة الفرنسية ويبقى دورهم محدود كواسطة بين الإدارة الفرنسية والأهالي فهذا التناقض في استراتيجية التعليم الفرنسية أدى إلى فشل السياسة التعليمية الفرنسية.

ومن هنا يتبين مدى حجم الرفض الشعبي والتوجس والخشية من التعليم الفرنسي خوفا على أخلاق ودين وثقافة الأجيال، فبالرغم من الثقافة الفرنسية الغربية المكروسة للاحتلال والتبعية والتركيز على التعليم الديني القرآني وهذا نموذج للمقاومة الفكرية والثقافية للمستعمر الفرنسي.

فكان مصير هذا التعليم الفشل نتيجة المقاطعة الشعبية منه وتوجيه أبناءهم نحو المدارس الحرة والزوايا باعتباره تعليم استعماري امبريالي موجه لخدمة اهداف التوسع الفرنسي ولغياب استراتيجية محكمة له فقد كان موجها لفئات معينة ومناطق معينة.

الحركة التنصيرية

من بين اهداف الاستعمار الفرنسي للجزائر هو الغزو الثقافي أو ما اطلق عليه الفرنسيون نشر الحضارة الغربية الفرنسية ونشر الديانة المسيحية، وجعل الضفة الغربية للبحر المتوسط ناديا مسيحيا وإحياء امجاد الامبراطورية الرومانية.

وأمام المقاومة الشرسة لمشاريع التوسع الاستعماري التي كان في مقدمتها شيوخ الطرق الصوفية والزوايا، كان الاستعمار يخوض معركة وجوده ونجاحه فكان سلاح التعليم الفرنسي والقضاء على التعليم الحر في الزوايا أحد وسائل هذه الهيمنة بالإضافة إلى عملية التنصير والتبشير التي اخذ لواءها مجموعة من المبشرين امثال: "لافيجيري" "ودي فوكو" وغيرهم الذين عملوا على نشر المسيحية ومنحت لهم كل التسهيلات لدعم برنامج الهيمنة الثقافية للمستعمر في المناطق الجنوبية عن طريق المؤسسات التعليمية

والحرفية والخيرية والصحية والصناعية، مستغلين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت نتيجة للسياسة الاستعمارية.

مفهوم التنصير والتبشير:

لغة: التنصير من نصر، ينصر، تنصرا، والتنصير الدخول في النصرانية ونصره جعله نصرانيا، وفي الحديث «كل مولود يولد على الفطرة فأبوه يهودانه أو ينصرانه»¹، وتنصير الشخص دخل النصرانية فصار من النصارى، قال تعالى: ﴿... الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾².

ولأن مصطلح النصارى هو مصطلح أطلقه عليهم الإسلام كما جاء في القرآن الكريم أصبح النصارى يطلقون على أنفسهم اسم المسحيين بدلا منه. وللنصير عدة مدلولات اصطلاحية نذكر منها:

- تحويل الناس من مختلف العقائد والديانات وحملهم على اعتناق النصرانية سواء فرادى أو جماعات.
- الجهود التي بذلتها الكنيسة ومنحها جميع الإمكانيات باستغلال مختلف الوضعيات والظروف لتحويل الناس فكريا وعقائديا وسلوكيا إلى النصرانية.³
- أو هي الجهود المنظمة والمقصودة والمدعومة من طرف هيئات أو حكومات أو مؤسسات لنشر النصرانية في العالم.

التبشير: لغة: بشر، ويبشر وتبشر: يقال بشرته فأبشر واستبشر وتبشر، والتبشير يكون بالخير ولا يكون بالشر إلا إذا قيد كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁴.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة نصر، ص 441.

² - سورة المائدة، الآية 14.

³ - سعيد علوان، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة، 2001، ص 112.

⁴ - سورة الانشقاق، الآية 24.

ويطلق على المبشرين في اوربا اسم الارساليين Les missionnaire أو evangelisation وتعني الجير angelisation الملائكي ومن هنا جاء المعنى المقصود بالتبشير.¹

ارتبطت فكرة التنصير بالحركة الاستعمارية فكان التنصير هو الوجه الحقيقي للحركة الاستعمارية التي كانت تدعي نشر الحضارة بمعنى الحضارة الغربية المسيحية يقول كورنغان (cornevin): «إن مسار الحركة الاستعمارية لإفريقيا يعكس أهمية الدور الذي لعبته الإرساليات المسيحية حتى أن هؤلاء المبشرين تبوأوا مكانة الاستعمار».²

تبنى الاستعمار الفرنسي منذ البداية سياسة ثقافية تهدف للقضاء على الدين الإسلامي واللغة العربية ومحاربة المساجد والكتاتيب وإحلال محلها الثقافة الغربية تحت حملة شرسة انتهت بتأسيس أسقفية الجزائر سنة 1838م وعين الأسقف أنطوان ديبش أول أسقف لها.³

دستور وافق البابا عام 1858م وهو في ستة فصول:

المادة الأولى: يجب أن يحتل التبشير من الأهالي مكانه مرموقة وحظى برعاية فائقة من طرف القساوسة ولا يتوانوا أبدا في التعجيل بتنصيره، وفي اللحظة المأمول فيها بشدة يجب أن يعطوا الأهمية لكل الوسائل المسخرة لهذا الهدف من الصلوات والتضحيات والأعمال الخيرية ويجب أن يشتغل كل شيء لتحقيق هذا الغرض.

المادة الثانية: تسجيل الفقراء والمعوزين من الاهالي في قوائم المحتاجين والتي هي من صلب العمل التبشيري الذي بواسطته تعرف يد الاحسان كيف تكتب فه مآسي العقل والقلب قصد الوصول إلى مواساتها كلها:

أما الخطوات العملية المعتمدة في منهجية التسيير المسندة إلى المبشرين ما يلي:

1- عدم البحث عن إقامة دعاية تبشيرية عن انفراد.

¹ - عميرايو احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، المرجع السابق، ص 150 - 151.

² - عميرايو احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، المرجع السابق، ص 103.

³ - خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م - 1871، دار دحلب، الجزائر، 1977، ص 15.

- 2- خلق علاقات ثقة مع الأهالي لاستمالتهم والتأثير عليهم.
- 3- التجذر في المناطق المراد تنصير أهلها بعد كسب مودتهم من خلال المعاشرة.
- 4- الأخذ بعين الاعتبار فترة تنصير الأهالي لتقبل التنصير والتي تتطلب وقتا طويلا.

ومن المبادئ العامة التي قام عليها التنصير ما يلي:

- ❖ التركيز على الجانب التاريخي والتذكير بمرحلة الوجود الروماني بالمنطقة.
- ❖ تجنب تعميم أبناء الأهالي إلا بإذن من الكاردينال نفسه.
- ❖ ضرورة الاستثمار في الأطفال وتنصيرهم من اجل استثمارهم مستقبلا.¹

وقد برز في هذا المجال شخصيات مسيحية لعبت دورا كبيرا في مجال التنصير وخاضت معاركها الخاصة في هذا المجال، أمثال: اميلي دوفيار والأسقف انطوان ديبش وفرانسوا بورغاد والكاردينال شارل لافيغيري والأب شارل دي فوكو، وقد قامت اميلي دوفيلار مع مجموعة من الراهبات باعمال مهمة في هذا المجال فقد قامت بفتح المدارس لتعليم البنات وبناء الملاجئ للأيتام والمشردين، وبناء المستوصفات لعلاج السكان الفقراء والتي من خلالها عملت على تحقيق أهدافها التنصيرية وذلك بمساعدة فرانسوا بولاغارد الذي جعلته مرشدا دينيا لفرقتها في العمل التنصيري.²

كما لعب المستشرق لافيغيري دورا كبيرا في هذا المجال معتمدا على الدعم المادي الذي كانت تقدمه له السلطات الاستعمارية بعد حرب 1870م فقد عمل هذا القس على ضرورة تفكيك وخرق البنية الاجتماعية والثقافية للجزائر لما له من دور في تسهيل مشروع الحركة الاستعمارية³، أسس لافيغيري رفقة الآباء البيض مستغلا ظروف المجاعة والقحط الشديد الذي عرفته البلاد عام 1867م.⁴

وأخذ بجمع الأطفال الأيتام ويفتح لهم ملاجئ وكان مخططه هو تنصيرهم وإبقائهم تحت إشراف الكنيسة ورأي لافيغيري أن أكبر عائق لفرنسا هو الإسلام، لذا توسعت دعوته لنشر المسيحية وفي عام

¹ - المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، السنة 2002، تاريخ الجزائر 1830 _ 1962.

² - عميرايوي احميدة واخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، المرجع السابق، ص 106.

³ - حدة بولاقة، المرجع السابق، ص 35.

⁴ - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 40.

1874م كانت هذه الجمعيات تهدف إلى الوصول إلى مناطق واسعة في الجنوب الذين بدورهم اصرروا على مقاومة هذه الحركة التبشيرية.¹

وقد ركز الأسقف أنطوان ديبش على نبش التاريخ والادعاء أن المنطقة كانت مسيحية وذلك عن طريق التقرب اليهم بتقديم مساعدات مختلفة، اجتماعية وطبية وغيرها حيث يقول: «يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي..... وينبغي علينا أن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين بالخدمات».²

وقد استغل الأسقف أنطوان ديبش الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية للشعب الجزائري الناتجة عن السياسة الاستعمارية الفرنسية في عملية التنصير فكان يوزع عليهم الخبز ويمنح مبلغا ماليا لمن يقبل بالتعميد واهتم كذلك بالأطفال المشردين وهي المبادرة التي باركتها الكنيسة المسيحية والبابا غريغوار السادس عشر.³

وهذا هو الهدف الحقيقي للحركة الاستعمارية هو الجانب الآخر المتمثل في الجانب الحضاري أو نشر الحضارة والثقافة الغربية الأوروبية المسيحية والتي كانت ترى في الجزائر مداخلا لها لنشر المسيحية في القارة الأفريقية وهو ما عبر عنه "شارل لافيغيري" بقوله: «علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء اجزاؤها بنور مدينة منبع وحيها الإنجيل.... تلك هي رسالتنا الإلهية».⁴

كما فتحت جمعية الآباء البيص دارا للأيتام في الصحراء ومدرسة يتردد عليها 70 تلميذ تتبع نفس المنهج وهو تقديم مساعدات اقتصادية من اغذية وملابس باسم الاعمال الخيرية بدعوى اخراج السكان من التخلف وربطهم بالثقافة الفرنسية.⁵

وكان أول تواجد للأخوات البيص بالصحراء الجزائرية في ديسمبر 1870م وهو مالا يتناسب مع ثقافة المجتمع الجزائري باختلاط النساء بالرجال حيث لم تستطع ثلاث اخوات الاستمرار في العمل

¹ - جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 143.

² - عميراي حميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، المرجع السابق، ص 107.

³ - عميراي حميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 - 1916، المرجع السابق، ص 107 وانظر كذلك خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 53.

⁴ - صالح عوض، معركة الاسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962، ص ص 208 _ 209.

⁵ - جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 143.

بمنطقة الاغواط بالإضافة إلى الظروف المناخية والطبيعية بالإضافة إلى الرفض من طرف المجتمع لكل ما هو مناهض للإسلام، لذلك منيت هذه الجهود بالفشل ولقي البعض منهم حتفهم بعد خروجهم من الثكنات العسكرية التي كانت توفر لهم الحماية، لأن البيئة الصحراوية كانت تنظر لهم بريبة لكل من يدعو لغير الإسلام.¹

وقد أسست فرنسا في إطار حملتها التبشيرية والتنصيرية في منطقة توات كنيسة ادرار سنة 1945م وقد لعب المبشرون نشاطا بارزا في ذلك وعلى رأسهم "دوفوكو" حيث كان يغري الاطفال بالحلوى من أجل جذبهم.²

عمل دوفوكو³ مدة خمسة عشر سنة في الصحراء بداية بمنطقة بني عباس في 28 أكتوبر 1901م بالقرب من ثكنة عسكرية بعد أن حصل على إذن من الحاكم العام والآباء البيض واسس ديرا للعبادة خصص فيه حجرات صغيرة لاستقبال الضيوف وعلاج المرضى وكان حلقة وصل بين السلطة العسكرية الفرنسية والجزائريين وعمد على شراء العبيد وكان أول شخص عمده في بني عباس هو طفل اسمه عبد المسيح عمره ثلاث سنوات ونصف في 12 جويلية 1902م كما اشترى عبدا آخر اسمه بول Paul وجعله خادما له وآخر في 21 جانفي 1903م واسماه "بيار" كما أقام "دوفوكو" في منطقة عين صالح قبل أن يتوجه إلى تمارست وتعلم لغة التوارق وانشأ قاموسا في هذا المجال، وبني ديرا على

¹ - عبد الله مقلاتي: المشروع الفرنسي الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الافعال الوطنية (1830_ 1962 م) وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ص ص 146 _ 147. انظر كذلك جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 141.

² - مكي قلوب، التبشير والتنصير بجنوب الصحراء، مجلة التنمية الريفية، ب _ ع، ادرار، 1987، ص 8.

³ - شارل دوفوكو: ولد شارل دوفوكو Charles defoucauld في 16 سبتمبر 1858م بمدينة ستراسبورغ بفرنسا وقد نشأ بها يتيما حيث توفي والده في سنة 1846م فكفله شقيقه وجدته لأنه الذي كان ضابطا فرنسيا فتأثر به فوكو، كما تأثر بأسلافه الذين كان منهم رهبانا خدموا الكنيسة الكاثوليكية وقد ظهر هذا التأثير خاصة في شبابه عندما كرس حياته لخدمة المسيحية دخل الجيش الفرنسي ووصل إلى رتبة ملازم عمل في عدة اجاث من الجزائر وهو متخرج من مدرسة سان سير العسكرية، درس اللغة العربية وتمكن من معرفة مسالك وطرق الصحراء وسكانها بعد أن تخلى عنه الجيش نهائيا زار عدة مناطق صحراوية وأقام بها دعاه الجنرال لابرين للاقامة بصفة دائمة في منطقة الهقار اتقن لغة التوارق ترك دوفوكو عدة مؤلفات بين كتب وقواميس ورسائل وترجمات مثل كتاب نحو لغة التيفتاغ وكتاب Reconnaissance et itinéraire au maroc صدر سنة 1888م وقاموس فرنسي _ طوارقي نشر في مجلدين ويبلغ مجموع صفحاته 1450 صفحة ورسائل مع اصدقائه وأهله في فرنسا، وتعتبر احد المصادر القوية لتاريخ السياسة الاستعمارية في الجنوب الجزائري، انظر: عميرايو احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، المرجع السابق، ص ص 111_ 114 وانظر كذلك، جورج غيرشر: الصحراء الكبرى أرض الغدا المشرق للجزائر العربية تعريب خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة، 1961، ص ص 169_ 172، انظر كذلك: ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص ص 133_ 136.

إحدى قمم الاهتار يسمى لسكريم Lasckrem¹ يبلغ ارتفاعه 2700م وكان يتصل بالتوارق في خيمهم ويقدم لهم العناية الصحية حتى مقتله علم 1916م على يد الحركة السنوسية التي كان لها نفوذ بالمنطقة.²

وللمس بالدين وتشويه العقيدة شجع المبشرين عقيدة الانداد بين الجماهير الجاهلة وحرّموا تفسير القرآن ورفعوا بعض الشعارات أن الإسلام دين الآخرة وأن الدنيا هي جنة النصارى.

ويمكن القول أن عملية التنصير في منطقة توات اعتمدت على الأعمال الخيرية والتطبيبية التي اعتقد بأن الغرض منها تبليغ المبشرين مدى سماحة الدين المسيحي، وبالتالي كسب ثقة فئة من الناس تعتقد به وتعتنقه وتجاوزه إلى تمسيح بعض العائلات ويمكن تلخيص اهداف الحملة التبشيرية فيما يلي:

- نشر لغة وثقافة المستعمر وتشكيل نخبة موالية للاستعمار يساعدها على تكريس التوسع الاستعماري.

- مؤازرة التعليم الفرنسي المدني كعامل مساعد على تغيير ثقافة المجتمع وعامل مساعد أيضا على اتمام عملية التوسع الاستعماري.

- تكريس الاحتلال والاندماج عن طريق سلخ الاطفال من محلهم الاجتماعي والثقافي ويوجهوا نحو فرنسا.³

- فشلت السياسة الاستعمارية الفرنسية في المجال الديني في منطقة توات بالرغم من تسخيرها إمكانيات مادية ضخمة استغلت فيها فقر الناس وحاجتهم للمأكل والدواء والمأوى، نتيجة للسياسة الاستعمارية الفرنسية إلا أن الإنسان التواتي كان يفضل أن يموت من الجوع أو المرض ولا يرتد عن دينه فقد اصطدم الاستعمار بجدار صلب بفعل تغلغل الإسلام القوي في سكان المنطقة، والنهضة العلمية

¹ - سكرم: منطقة ذات مرتفعات بركانية يبلغ ارتفاعه 2700م عن سطح البحر وكان ينزل إلى الطوارق ويصعدون اليه في فصل الصيف وتعيين معهم في فصل الشتاء، تبعد 60 كلم عن تندرست وهذا الموقع يمكنه من مراقبة كل الطرق وتحركات الطوارق في تندرست، انظر: عميرايو احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، المرجع السابق، ص 125، انظر كذلك عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 125.

² - عميرايو احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، المرجع السابق، ص 117 _ 126.

³ - محمد الطاهر وعلي، المرجع السابق، ص 05.

والفكرية التي عرفتھا بالإضافة إلى جهود العلماء والشيوخ والأئمة والموروث الحضاري للمنطقة القائم على جهودات الطرق الصوفية والزوايا والعتادات والتقاليد والمعاملات وكل شيء في المنطقة انطبق مع الشريعة الإسلامية لذلك كانت محاولات المستعمر عبثا في تشجيعها للمسيحية لأن السكان كانوا يحاربون حتى اللغة الفرنسية والتعليم الفرنسي فما بالك بالدين المسيحي لذلك فشلت هذه السياسة فشلا ذريعا في المنطقة.

الفصل الرابع: فشل السياسة الاستعمارية

المبحث الأول: الحركة الوطنية في منطقة توات.

المبحث الثالث: الثورة التحريرية في المنطقة.

المبحث الثالث: معارك العرق.

المبحث الرابع: التجارب النووية.

المبحث الخامس: الجبهة الجنوبية.

كانت منطقة توات بالنسبة للسياسة الاستعمارية الفرنسية ذات أهمية بمكان نظرا لموقعها الجغرافي ضمن إطار استكمال المشروع الإمبراطوري لفرنسا للوصول إلى مناطق الساحل الصحراوي وربطها بفرنسا، ولم يكن هذا التوسع بالسهولة التي كانت تتصورها فرنسا فمعركة اقطن والدغامشة واينغر وتيميمون والمطارفة وشروين وطمين هي ملاحم خرج فيها المجاهدون بصدور عارية إمام مدافع وهمجية المستعمر التي قامت مدفعيته بهدم القصبات على رؤوس ساكنيها بأطفالها وشيوخها ونساءها مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة المنطقة السهلية التي لا توفر ظروف حرب العصابات بالإضافة إلى أنها بيئة الندرة من حيث الموارد آنذاك لكن عبر فيها المجتمع التواتي عن رفضه لهذا المستعمر عسكريا وقدم الأرواح فداء لذلك، بالإضافة إلى المقاومات الشعبية التي وجدت سندا في المنطقة.

هذه المنطقة التي لم تكن استثناء في تطور وسائل الكفاح والرفض الاستعماري من خلال المقاومة الثقافية عن طريق الزوايا والمدارس وصولا إلى نشاط الحركة الوطنية والثورة التحريرية التي وصلت إلى أقصى المنطقة في الحدود المالية النيجيرية وإنشاء الجبهة الجنوبية التي حطمت مشاريع فرنسا لفصل الصحراء وراحت تتكلم بسكان المنطقة وتنتقم منهم بالجرمة النووية الفرنسية في منطقة رقان، جريمة ضد البشر والحجر ضد البيئة والإنسانية، أفشلت السياسة الاستعمارية الفرنسية.

فكيف كان نشاط الحركة الوطنية في المنطقة؟، وكيف وصلت الثورة التحريرية؟ وما هو رد فعل الاستعمار الفرنسي؟ وكيف كان صمود المقاومين رغم طبيعة سطح المنطقة التي لا تصلح لأسلوب حرب العصابات وتتميز بقساوة المناخ؟.

أولا: الحركة الوطنية في منطقة توات:

تسمى حركة وطنية كل تنظيم سياسي أو مسلح كان يهدف إلى تحرير الأرض والإنسان تحريرا شاملا وطرد المستعمر الدخيل بغرض الاستقلال وتحقيق السيادة.¹

لم يكن لنشاط الحركة الوطنية في المناطق الجنوبية الزخم نفسه الذي كان لديها في الشمال نظرا لبعدها المسافة وشساعة المساحة الصحراوية التي أثرت على نشاطات الحركة الوطنية بمختلف تياراتها،

¹ - بشير خلدون، اصول الحركة الوطنية وتطورها 1830م_1954م، مجلة الرؤية، المرجع السابق، ص 48.

فحزب الاتحاد الديمقراطي الجزائري كان له تواجد في منطقة توقرت إما عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية وحزب الشعب فكان متواجدا في بسكرة التي تأثرت بأزمة الحزب وقد كان المجاهد عبد القادر العمودي عضو مجموعة الاثنى والعشرين مثل المنطقة في الاجتماع التاريخي وكذلك عن الاغواط وكذا تواجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في بسكرة من خلال الطيب العقبي ومبارك المليلي اللذان كان لهما ارتباط بالمنطقة، أما في جزأها الغربي فقد شهدت زخما من جميع تيارات الحركة الوطنية إلى غاية أقصى الجنوب ف ادرار وتيميمون أما بالاتصالات كما حدث بين بشار وادرار أو نفي شخصيات فعالة¹ إلى تلك المناطق فنشطت وتجمع الناس حول افكارها.²

وبعد الإصلاحات التي عرفتها المناطق الصحراوية طبقا لصدور ما سمي بالدستور الجزائري أو القانون الأساسي للجزائر يوم 20 سبتمبر 1947م المتضمن نظام الجزائر الأساسي إذ ينص في مادته الخمسين على إزالة الحكم العسكري على أراضي الجنوب وضمها إلى الشمال، وتطبيقا لاحكام المادة الخمسين استطلعت الإدارة الفرنسية في ديسمبر 1949م رأي الجمعية الجزائرية حول هذا المشروع التي وافقت على هذا المشروع.³

ونتيجة لهذه الاصلاحات تم إلغاء النظام العسكري ف الجنوب ودمج ميزانيته في ميزانية الجزائر وانتقلت بموجبه العديد من السلطات من أيدي الضباط الفرنسيين إلى أيدي حكام مدنيين وتأمين تمثيل الأراضي الجنوبية في الجمعة الجزائرية أما في البرلمان الفرنسي فكان طبقا للأمر الصادر في 1945/08/17م في مادته 14: يحدد كفية تطبيقه مناصفة بين فرنسيي الجزائر وسكانها الأصليين من المجموعات الثلاث، ولاية وهران، أراضي عن الصفراء، ولاية الجزائر، أراضي غرداية، أراضي قسنطينة، أراضي توقرت والواحات.⁴

¹ - شهد الاقليم نفي العديد من المناضلين إلى المنطقة ووضعهم تحت الإقامة الجبرية كالشيخ بوجناح سليمان (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، المناضل الذبية مُجّد (حزب الشعب)، الشيخ شونان مُجّد بن المختار (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، انظر شهادة برادعي سليمان محفوظ بتاريخ 20/04/2003، ادرار.

² - مُجّد مبارك كديدة، المرجع السابق، ص 19. انظر كذلك: تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 27.

³ - سلسلة الملتقيات، سلسلة فصل الصحراء، الادارة الفرنسية في الصحراء الجزائرية قبل سنة 1947، المرجع السابق، ص 40.

⁴ - عبد الفتاح بلعروسي، المرجع السابق، ص 28.

وهذا نتيجة لنشاط الحركة الوطنية ما بين الحربين العالميتين من تكثيف نشاطها وبلورة وتوضيح أفكارها ومطالبها فكانت تطالب امام الرأي العام في الجزائر وفي فرنسا بإلغاء الحكم العسكري في الجنوب في إقليم توات وإقليم الساورة.¹

وقد كانت جريدة البصائر من بين الجرائد التي كانت تصل المنطقة ولها قراء ومشركون حيث يقول التومي سعيدان بن بنغالية: «في الرابع والعشرين من شهر فيفري 1945م كان احد الزملاء مريضا وهو المرحوم ايدير عبد القادر خزناجي عين صالح بالبريد الغيور على وطنه ودينه الحنيف كان رحمه الله عندما يفتح الكيس البريدي يبدأ بالغلغلاف الذي يحتوي على جريدة البصائر فيجعله على مكتبه ويوزعه بنفسه على المشتركين، وفي هذه المرة توزع البريد وهو غائب وسقطت في ايدي الترجمان "أيلون" المعروف بالدهاء وحملها إلى الكومندان "طومما" toma وكانت المقالة الافتتاحية للشيخ محمد البشير الابراهيمي تحمل عنوان ومحروف حمراء: "الاستعمار زال ولم يزل من اقدح النكبات التي دارت على رأس بلادنا" وتبين أن جل المواطنين كانوا يقرءون البصائر فحار الاستعمار في ذلك».²

وعن بدايات انشاء خلايا التيارات الوطنية في المنطقة يقول برادعي سليمان عن كيفية انخراط برادعي الطيب³ في صفوف حزب الشعب الجزائري ان هذا الاخير عندما حدث مدير فندق جميلة اسمه "البير منذر" Albir Menzar عن وجود حزب في الجزائر يطالب باستقلالها فأخبره أنه ضد استقلال الجزائر اتصل هذا الاخير بالحزب في الجزائر وأصبح عضوا فيه.⁴

كما أقام عنده كل من شونان محمد المختار (من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وبن الدبية محمد وهو من حزب الشعب نزلوا ضيوفا عند برادعي محمد سنة 1945م وكان شونان محمد يتمتع بثقافة فرنسية كبيرة استفاد منه الكثير أما بن الدبية فإنه كان يتمتع بثقافة فرنسية كبيرة وكانت السلطات

¹ - خثير الصائي، المرجع السابق، ص 61.

² - التومي سعيدان، ديوان مغذي الارواح ومسلي الاشباح، مطبعة عمار فرني، باتنة، ص 40 _ 41.

³ - برادعي الطيب: ولد بمثلي خلال 1914م وانخرط في الحركة الوطنية سنة 1935م، انضم إلى حزب الشعب الجزائري والتقى بمصالي الحاج، كان كاتباً لاتحاد التجار الجزائريين اعطى دفعا للعمل السياسي بداية من 1947م لعب دورا محوريا في انطلاق الثورة القي القبض عليه في سنة 1957م وبقي تحت التعذيب مدة شهر كامل قبل أن، ينقل إلى سجن القنادسة ببشار واطلق سراحه في اواخر 1957م تعرض لاعتداء من طرف الجيش السري توفي في فرنسا سنة 1972م، انظر شهادة برادعي سليمان، مخطوطة ادرار بتاريخ 20/04/2003، ادرار.

⁴ - شهادة برادعي سليمان، مخطوط بتاريخ 20/04/2003، نفسه، ادرار.

الاستعمارية قد حذرت في البداية من الاتصال بهما واقتادتهما إلى السجن لتفرج عنهما بعد خمسة عشر يوماً وأصبحا يتجولان في المنطقة بكل حرية.¹

ساهم هؤلاء المنفيين في نشر الوعي وتزكية الروح الوطنية وشحذ الهمم وتنظيم الصفوف إلى الجانب التوعوي التربوي الديني الذي لعبه شيوخ الزوايا والمدارس القرآنية في ترسيخ الثقافة المناهضة للمحتل وعدم موالاته والخنوع له، كلها ساهمت في جعل المنطقة تعي المخاطر المحدقة بها والتضحيات المطلوبة منها مما أدى إلى احتضان الثورة في أيامها الأولى.

نتيجة لهذه الجهود انضم سكان المنطقة للحركة الوطنية بمختلف تياراتها وتوجهاتها وانضم إليها القادة كذلك من بينهم قائد تاغوزي وقائد محارزة وقائد لخنافسة وقائد اوقروت وقائد اسبع وكانت دكاكين التجار تستخدم كمكاتب لحركة انتصار الحريات الديمقراطية مما دفع بالمستعمر إلى اعتقال زعماء الحركة وزج بهم في السجون سنة 1948م ومن بينهم بن بيتور علال²، الشيخ مُجَّد³ والحفيظ قلوب الشيخ وسلطت عليهم انواع العذاب والغرامات المالية الجائرة.⁴

بالإضافة إلى حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي يرأسه فرحات عباس الذي نهض فيه البداية اقاسم عبد العزيز الذي تحول عام 1848 إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية.⁵

¹ - شهادة برادعي سليمان، المرجع السابق، ص ص 2_8.

² - الحاج علال بيتور: ابن احمد ولد خلال 1914م بمتليلي كان مسؤولاً عن جمع الاشتراكات والدعاية والتموين في النظام المدني للجهة نفاه الاستعمار الفرنسي من مدينة متليلي إلى تميمون وواصل نشاطه فنفى مرة أخرى إلى بشار، التحق بالجهة سنة 1957م واستشهد معلوما وعمره لا يتجاوز ثلاثة واربعون سنة بالفأجة الكحلة حاسي بوخلالة، انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية ، المرجع السابق، ص 54.

³ - الشيخ مُجَّد: ابن الشيخ المكنى بالفار ولد خلال 1919م بتميمون متزوج وله ابن واحد وكان مسؤولاً عن جميع الاشتراكات في النظام المدني للجهة استشهد في 1958م وعمره لا يتجاوز 39 سنة بالفأجة الكحلة حاسي بوخلالة، انظر السجل الذهبي المرجع السابق ص 49.

⁴ - المجاهد احمد عبد العزيز، صحراؤنا في مواجهة الاستعمار، دار رحاب للنشر والفنون المطبعية الجزائر، ص 53.

⁵ - شهادة بودواية بودواية، مسجلة بتميمون في 2004/08/23.

وقد ساهمت العديد من الشخصيات الوطنية في ترسيخ الروح النضالية بالمنطقة امثال فرحات عباس، وابن الدين، وشوشان مُجَّد بن مختار¹، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة قورارة الذي نهض به عبد القادر بوحادة ومولاي زعرور.²

وقد تمهكت العديد من التنظيمات الحزبية في منطقة ادرار ومن بينها حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذي انشأ تمثيل له بادرار وتميمون بإشراف المسؤول الجهوي لبشار المناضل بقي عبد الحفيظ بادرار الذي كلف عدة عناصر نشطة لتشكيل الحزب في ادرار وبعد عدة اجتماعات تنسيقية تم تشكيل المكتب المكون من العناصر التالية:

- بن خدة الحاج عبد الله رئيسا.
- بوزايد الشيخ نائبا.
- مولاي عبد السلام مسؤول المال.
- الحاج التهامي، قادة مولاي، العربي بلقاضي، قلوب الشيخ أعضاء.

وقد اتخذ المكتب من دكان قلوب الشيخ قرب مسجد سيدي عبد القادر الجيلالي مقرا له ووجد التفافا ومساندة من قبل المواطنين.³

وانشأ المناضل بيتور علال أول فوج كشفي بالمنطقة والتي نشطت على الخصوص في كل من ادرار وتيميمون، هدفه المحافظة على القيم والأصالة والوقوف في وجه الحملة التنصيرية الفرنسية، وقام هذا الفوج بعدة رحلات ومخيمات إلى تينجورارين وكان يردد بعض الأناشيد الوطنية مثل «من جبالنا طلع صوت الأحرار»، وكان هذا الفوج الكشفي يتكون من أبناء بيتور علال واقاسم بوراس وبعض شباب المنطقة.⁴

¹ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 28.

² - شهادة بومدين سلركة، مسجلة في: 2004/06/23م، تيميمون، ادرار

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 28.

⁴ - خثير الصائي، المرجع السابق، ص 66.

وقد تشكلت أيضا بعض الأفواج الكشفية في منطقة عين صالح مثل الفوج الكشفي التابع للمدرسة الفرنسية بعن صالح تحت إشراف التومي بن سعيدان بن بنغالية (مواليد 1922) باينغر ولاية عين صالح اطلق عليه اسم "شباب مُجد" وهو فوج كشفي سري ويتكون من تلاميذ المدرسة الفرنسية ذاتها التي كان يدرس بها أبناء المنطقة.¹

الانتخابات: استطاع اقطاب الحركة الوطنية تأطير الجماهير في المنطقة وتوعيتهم وربطهم بباقي انحاء الوطن وتحضيرهم لكل التحديات الممكنة، فكانت انتخابات 1948م التي وقفت فيها السلطات الاستعمارية على ترشيح كفة مرشح الإدارة الاستعمارية الفرنسية سي الخلادي على حساب باقي بوعلام مرشح حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ومحاولة ترجيح كفته عن طريق تسخير كل سلطاتها وإمكاناتها وباستعمال التزوير والتضييق على مرشح الحركة وقد عبر حاكم تيميمون عن فاجعة فرنسا في سكان المنطقة الذين كان يعتبرهم بعيدين عن نشاط وحركية ودينامكية الحركة الوطنية لذلك قامت السلطات بالتضييق عليهم وضرب الخناق عليهم واعتقالهم فدخل العمل السياسي في ادرار مرحلة السرية.²

وقد قام علال بن بيتور وعبد العزيز أقاسم وسي التهامي بحملة نشطة للترويج لمرشح الحركة وأقاموا مهرجانات كبيرة في كل من تينزوك ودلدول وشروين لتحضير الجماهير وحثها على الاقتراع والتصويت وتوعيتها بضرورة الوقوف مع ممثل الحركة.³

وحسب شهادة قلوب الشيخ: «أنه تقدم إلى حاكم ادرار العسكري: "رون زيني" Roone zene ليطلب منه ترخيصا لعقد تجمع وسط الساحة لكنه رفض ذلك وقرر مكتب الحركة عقد هذا التجمع لأنه يندرج في اطار الحملة الانتخابية، ولما بدأ التجمع وعلمت الإدارة العسكرية الفرنسية بذلك، عملت على توقيف هذا التجمع واعتقلت المسؤولين عنه وذلك لزراع الرعب وتشثيت الجهود وزعزعة الصفوف، والقبي القبض على باخدة عبد الله وبيتور علال وقادة مولاي، وقلوب الشيخ وزج بهم

¹ - التومي السعيدان، المرجع السابق، ص 07.

² - عبد الفتاح بلعوسي، المرجع السابق، ص 29.

³ - بودواية بودواية، شهادة مسجلة، 204/06/23 بتيميمون، ادرار.

في سجن ادرار، فكان رد فعل سكان الاقليم أن تجمعوا وقاموا بمسيرة إلى أن وصلوا إلى باب السجن مرددين الاناشيد الوطنية من اجل اطلاق سراح المعتقلين»¹.

ورغم مضايقات الإدارة الاستعمارية الفرنسية واستعمال أسلوب التهيب والاعتقال ومني مرشح الإدارة الفرنسية سي الخلادي بهزيمة امام مرشح الحركة باقي بوعلام بأغلبية الاصوات وهذا نتيجة للنشاط الدؤوب لمناضلي الحركة وتغلغلهم في الاوساط الشعبية حيث أن اقاسم بوراس كان يدعو المواطنين على عدم التصويت على الصندوق الذي يشرف عليه لأنه تابع للسلطة الاستعمارية الفرنسية وكان يتكلم معهم بالزناتية مما أدى إلى ترجيح كفة مرشح الحركة واثار حفيظة المستعمر فجاء المارشال "اوكرال" okral إلى مدينة تيميمون ومعه اثنان وثلاثون ضابطا للنظر في هذه القضية غير أن الإدارة المحلية زورت الانتخابات لصالح مرشح الإدارة على حساب مرشح الحركة باقي بوعلام والحاج حمادي اقاسم مرشح حزب البيان الجزائري.

وهكذا فإن الاهالي في منطقة توات قد عبروا عن رأيهم لصالح مرشح الحركة رغم الاعتقالات ورغم سياسة التخويف والتهيب التي مارسها الاستعمار، كما أن الاستعمار الفرنسي توجس منها خيفة وخابت توقعاته وحساباته التي كان يظن فيها أن المنطقة بعيدة عن أي حراك وطني هذا الحراك الذي كان يعد المنطقة لما هو قادم فنظم صفوفها وعبئها وجندها وغذاها بالروح الوطنية الاستقلالية التي كانت إلى جانب الوعي الديني الفكري المناهض للاستعمار الذي غذاه مقاومة السكان للاستعمار ودور الزوايا والمدارس القرآنية والعلماء والشيخوخ مما جعل المنطقة في أتم الاستعداد للانضمام والانخراط في العمل الثوري المسلح.

ثانيا: انطلاق الثورة في منطقة توات:

أبلى المنطقة بلاءا حسنا في دعم المقاومات الشعبية قبل احتلالها كمقاومة أولاد سيدي الشيخ ومقاومة بوعمامة وغيرها وأصبحت قاعدة خلفية للعديد من المقاومات كما قاومت المستعمر في معارك الدغامشة واينغر وشروين ودلدول وغيرها كما خاضت النضال السياسي بوجود فروع لمختلف تيارات الحركة الوطنية والتي هيئت الاجواء ووفرة الوعي السياسي والنضالي والتنظيمي للعمل المسلح.

¹ - شهادة قلوب الشيخ، المصدر السابق.

وبالرغم من نشاط الحركة الوطنية والوعي السياسي إلا أن التحاق المنطقة بالثورة كان متأخرا مثل العديد من مناطق الوطن نظرا للتحضير اللوجستي وبعد المنطقة عن الشمال وكذلك طبيعة المنطقة المكشوفة لا تصلح لحرب العصابات قليلة الأشجار الشاسعة المساحة تغطيها الكثبان الرملية قليلة المياه قليلة السكان، بالإضافة إلى القمع الفرنسي.

كانت بداية الاتصالات منذ استعراض 14 جولة 1953م حينما اتصل اعضاء الحركة بالهاشمي مُجَّد¹ حيث بدأ الفكر الثوري يتبلور لديه، خاصة بعد حركة التمرد التي قادها في الجنوب الشرقي الجزائري عمارة لخضر المدعو "حممة"²، والذي استدعى فرقة المهارية لأدرار³ للسير نحوه مما أدى إلى تمرد ما يفوق عن عشرون مهاريا على رأسهم الهاشمي مُجَّد وطالبوا بالتسريح من الخدمة فحققوا ذلك.⁴

¹ - الهاشمي المُجَّد: ولد الهاشمي المُجَّد المدعو بونافع خلال 1930 بقرية عن حمو دائرة تينزوك بزواوية الدباغ من اسرة محبة للعلم والعلماء حيث تمكن من حفظ القرآن الكريم وهو في سن السابعة من عمره في كتاب عين حمو ثم انتقل بعدها إلى منطقة الاشعاع العلمي انذاك منطقة تمنطيط وتلمذ على يد الشيخ سيد احمد ديدي بتمنطيط حيث تلقى علوم اللغة والدين من فقه واصول ونحو وغيرها كما تعلم السيرة النبوية والقيم الجهادية وفي سنة 1950م انضم إلى كتبية المهارية بالجيش الفرنسي وبعد زيارته لفرنسا لحضور الاحتفالات الرسمية ليوم 14 جويلية 1953م حدث اتصال بينه وبين مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأشاروا إليه بضرورة محاربة فرنسا ونيل الاستقلال، وبعد نجاح عمه لخضر في التمرد على قوات الجيش الفرنسي في الصحراء الشرقية للجزائر وخوف فرنسا من انتقاله إلى الجنوب الغربي قرر العدو تجنيد كل قوته للقضاء عليه بما في ذلك مهارة توات، وعندما وصلوا إلى منطقة حاسي فرسيقة وامقيدن طالبوا بتسريحهم من صفوف المهارية اتصل بالقيادة العامة والتقاثة بقائد الولاية الخامسة السيد عقي عبد الغني المعروف بالسي عمار فعينه مسؤولا عن الجبهة والجيش في منطقة العرق وسلمه خاتمي الجبهة الاخضر والجيش الاحمر والاعلام الوطنية وكان له الفضل في تأسيس اللجنة الخماسية بتيميمون والتحضير لعمليتي حاسي صاكة ومعركة تاسلغة وعمبو، انظر: مجلة عمبو، الذكرى الخمسون لثورة نوفمبر 1954، 20 جويلية 2014، جمعية سيد سليمان بن علي لحماية وتخليد مآثر الثورة، ص 13، 14.

² - الشهيد عمارة مُجَّد لخضر: ولد سنة 1925م من اسرة محافظة تلقى مبادئ علومه الأولى بمسقط رأسه عاش ويلات الح.ع. II وويلات الاستعمار فتكون لديه فكر ثوري كان على اتصال بمفجري ثورة اول نوفمبر الأوائل مثل مصطفى بن بولعيد وشيخاني بشير سجن مع انطلاق الثورة وافرج عنه في 17 نوفمبر 1954م بعد خروجه من السجن قاد معركة حاسي خليفة التي دامت يوما كاملا عينه الشهيد مُجَّد الاخضر قائدا لمنطقة الصحراء الشرقية شارك في عدة معارك وفي اواخر جويلية 1955م عقدت القيادة اجتماعا تنسيقيا للتحضير للهجوم على المناطق الحساسة للعدو وفي موقعة (هود شبكة) استشهد مُجَّد الاخضر تاركا مكانا كبيرا بين المجاهدين: انظر مجلة أول نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين (إحياء ذكرى استشهاد حمى الاخضر)، إعداد عبد الحميد السفاي، عدد 1983/58م، ص ص 76_78.

³ - مهارة توات: انشأت الكتبية المهارية لاقليم توات عام 1902م في عهد الحاكم العام جونار من قبل الرائد "لابيرين" labere وهي بمثابة شرطة الصحراء قامت بمجهودات كبيرة في مجال الجغرافيا واستتباب الامن على حدود افريقيا السوداء ووادي التاموس والحدود الغربية والشرقية، انظر: PATRICK CHARLES RENAUD OP.CIT. P140.

⁴ - محرز عبد الرحمان، الشهيد الهاشمي المُجَّد بن احمد بونافع وصفحات مشرفة من تاريخ الثورة التحريرية بولاية ادرار، منشورات جمعية مشعل التاريخ بأدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2014، ص 18.

وقد سعى سكان المنطقة إلى ربط علاقات مع مجاهدي البيض وغرداية وبشار وتمكن الهاشمي مُجَّد من ربط الاتصال بالمنطقة الثامنة من الولاية الخامسة، كما استطاع برادعي الطيب من ربط علاقته بالولاية السادسة استعدادا للثورة كما تلقت القيادة العامة مجموعة من الوطنيين وهم اعضاء المنظمة الخاصة لهذا عقد المسؤولون المحليون اجتماعا يوم 1955/10/07م في منزل المجاهد شيلون بلخير في ديدان قرب الجسر الثاني ببشار، ضم كل المسؤولين المحليين والجهويين بالمنطقة التي تشمل: بشار والقنادسة واقلي وبني عباس وتيميمون وادرار وتندوف.¹

وكان تسريح المهاربة من الجنديّة فرصة تاريخية انتظرها السي الهاشمي المُجَّد وحميدة بلعقون والزواوي مول القرعة ورفاقهم الذين انضموا إلى جبهة التحرير الوطني منذ سنة 1956م واستطاع الدين سليمان الذي امتهن التجارة من توات والأبيض سيدي الشيخ من ربط الاتصال بعناصر مهمة من جبهة التحرير في بومغون ومنهم السيد عقون احمد المدعو احمد بن لعور في جبل تندا²، واشرف على هذا الاجتماع الشيخ بن جودي المدعو سي علي وهو المسؤول المدني والعسكري للقطاع الثالث عشر الذي يشمل إقليم بشار ضمن منطقة وهران وتشكلت بذلك الافواج والمراكز على الشكل التالي:

1- التموين والاستعلامات والأسلحة.

2- تأسيس افواج المجاهدين بالعرق على طول خط واد الساورة إلى تيميمون والقصور المجاورة

لها ككرزاز، تيميمون، بني عباس.

¹ - مجلة غمبو، الذكرى الخمسين لثورة اول نوفمبر 1954م، 2004/07/20، جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية وتخليد مآثر الثورة، ص 12_18.

² - الحاج الدين سليمان: هو سليمان بن مُجَّد بن سليمان بن الدين بن سيدي مُجَّد الزواوي ولد عام 1424م بالابيض سيدي الشيخ، انتقل إلى تينركوك ونشأ في تمزلان وفاتيس التقى برفيقه في الاستعراض العسكري بفرنسا في 14 جويلية 1953م، حيث كان على دراية بإدعاءات فرنسا ووعيه بحقيقة الاستعمار وكان ينتظر الفرصة للتخلص منه لذلك رفض التجنيد مع عشرة من رفاقه في كتيبة المهاربة، فحكم عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة وعندما أطلق سراحه في 01 جانفي 1956م، توجه إلى الشمال الغربي للالتحاق بجيش التحرير الوطني وفي يناير 1956، كلف بتأسيس النواة الاولى لجيش التحرير الوطني في منطقة العرق، حضر اجتماع تاسلقة في اوت 1957م كما كلف بالبريد نحو قيادة الناحية الخامسة شارك في معارك العرق الثمانية وبعد موقعة حاسي علي في 07 ديسمبر 1957م انتقل إلى جبل بن يسيمر على الحدود الجزائرية المغربية تدرج في المسؤولية بداية من القسمة إلى امين ولائي لمنظمة المجاهدين لولاية ادرار إلى غاية 1988م توفي رحمه الله في 2006/01/06. انظر تقرير كتابة تاريخ الثورة لولاية ادرار، المنظمة الوطنية للمجاهدين، المرجع السابق، ص 07.

3- التنظيم الداخلي والخارجي ويشمل القيام بالتدريب وتنظيم المناضلين داخل افواج - تنظيم افواج مصالح الاستعلامات والاتصالات، تنظيم افواج لجلب وجمع اللباس والعتاد والذخيرة.

4- القيام بتنظيم افواج فدائيين، تحديد افواج القيادة.¹

وفي النصف الثاني من 1956م ربط الهاشمي ائمة الاتصال بقيادة المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة وعاد ومعه توجيهات عبد الغني العقبي وسي فرحات² يراقب اوضاع المنطقة استعدادا للثورة، كما رجع اخوه الهاشمي الشيخ بأخبار الثورة من ناحية الابيض سيد الشيخ وعمل على نقل منشورات وصحف الثورة إلى تميمون بطلب من مولاي ابراهيم وسي العماري، حيث دعوا إلى اجتماع في عين حو في سبتمبر 1956م حضره اربع عشر شخصا وتقرر فيه تسفير ثمانية اشخاص للتدريب إلى ناحية الأبيض سيدي الشيخ.³

لقد كان اجتماع الدبدابة يوم 1957/10/07م حاسما حيث وزع المسؤوليات العسكرية فكلف بلعيد احمد (بمنطقة العرق) قائد المنطقة الثامنة للولاية الخامسة حيث كثفوا نشاطهم التعبوي والسياسي ما بين سنوات 1956-1957 لتحقيق اهداف سياسية وعسكرية، فمن الناحية العسكرية تكوين جيش التحرير من حيث التوعية والتدريب والتجهيز لمواجهة جيش الاحتلال اما في المجال السياسي التعبوي فكان اعيان المنطقة ومشايخها حجر الاساس في أي عمل ينوون القيام به واتخذوا من حاسي علي⁴ مركزا لهم وقصر تاغوزي نواة اساسية لكل عمل ثوري ومحل قيادة في منزل عبد العزيز الطيب، وبعد مؤتمر الصومام تدعمت المنطقة بالتنظيم السياسي والعسكري والفدائي وواصل المهمة سي الحواس بعد استشهاد كل من زيان عاشور والطالب العربي ووجه فرقة عسكرية في اكتوبر 1956م يرأسها ائمة جغابة ومزيان صندل لدعم التنظيم السياسي والعسكري وكان هدفها جمع الاسلحة والعمل

¹ - خثير الصائي، المرجع السابق، ص 78.

² - فرحات بلعيد: ولد بتاريخ 23 ماي 1920م ببشار حضر اجتماع الدبدابة 1955م عين ملازما عسكريا في جيش التحرير وتولى قيادة المنطقة من وادي الساورة إلى منطقة العرق ضمن المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة وفي عام 1960م اصبح قائدا بارزا في الولاية الخامسة. انظر المنظمة الوطنية للمجاهدين، ادرار.

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 30.

⁴ - حاسي علي: بئر مائي يقع غرب تميمون ويبعد عن حاسي بوخلالة بمائة كيلومتر وعن توغزي ب 70 كلم.

الفدائي وتوسيع رقعة الكفاح المسلح لتوسيع نطاق جبهة التحرير الوطني ولما حل بمدينة تيميمون نصب المناضل جغابة مُجَّد رفقة بلغيث مُجَّد بن احمد الطالب اللجنة الخماسية بمنزل بودواية بودواية.¹

وكانت اللجنة الخماسية من الاعضاء الاتية اسماءهم:

- أقاسم عبد العزيز _رئيسا.
- بوحاده عبد القادر_ نائبا.
- شيسنة دريالي_ كاتبا.
- البشير العامري_ امينا للمال.
- سلكة بومدين_ عضوا.
- حمداوي حمو- مكلفا بالاستخبار.
- بودواية بودواية _ مكلفا بالتموين والبريد.²

وفي بداية سنة 1957م كلف كل من الهاشمي المُجَّد والشيخ بوبكر³، مرزوق، نواري نوار⁴ والدين سليمان بإعداد مراكز التنسيق والتموين والتي بلغ عددها واحد وعشرون مركزا كانت على النحو التالي:

¹ - الهادي درواز، الولاية الخامسة التاريخية التنظيم ووقائع (1954_ 1962م)، دار هومه، ط1، ص ص 162_ 167.

² - شهادة المجاهد سلكة بومدين، مسجلة بتيميمون 2004/06/23م، محفوظة بمتحف المجاهد بأدرار.

³ - الشيخ بوبكر: ابن الشيخ ولد خلال 1930 بزواية الدباغ متزوج وله ولدان التحق بجيش التحرير الوطني في 1957 مرتبته العسكرية مكلف بتمويل المعارك والاتصالات شارك في ثلاث معارك واستشهد في آخر 1958م وعمره لا يتجاوز ثمانية وعشرون سنة في جبل مرقاد قرب عين الصفراء، انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع نفسه، ص 71.

⁴ - نواري نوار: ابن ميلود ولد خلال 1923 بفاتيس تيميمون متزوج يحسن القراءة والكتابة، التحق بجيش التحرير في 1956م شارك في معركة واحدة مرتبته العسكرية مسؤول سياسي، استشهد في 1957/11/21 وعمره لا يتجاوز اربعة وثلاثون سنة في معركة حاسي غنبو بتينركوك، انظر، جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 61.

الجدول رقم 24: يوضح مراكز التنسيق والتموين في منطقة العرق

الرقم	المركز	مسؤول المركز
01	فاتيس	حكومي عبيد، حكومي سالم، نصري أمجد بن كروم.
02	تاغنطس	لقريظة قدور (عبد القادر عيشاوي)، ليتيم احمد العربي، أمجد بن مسعود.
03	تيمزلان	الزاوي أمجد بن مبروك، الدين الشيخ بن أمجد
04	تقانت	الشامخة أمجد، معلم أمجد، بالباي احمد، معلم علي، طاهري الطاهر، بن عيسى مولاي أمجد.
05	تاغيارت	نويقدي عبد القادر، حناني عيسى، يحيوي أمجد، قندة سليمان
06	الحاج قلمان	صادقي أمجد الحمياني، الهاشمي أمجد، الحاج علال بوشارب
07	حاسي بطين	شامخة أمجد، معلم أمجد
08	حاسي الجديد الغربي	هنا سا المبروك
09	حاسي تسلغة	
10	حاسي اوسكير	الحاج مسعود باغوتي (شهيد)
11	ناحية اوسكير	بلحرمة لخضر
12	حاسي الفقرة	الحاج بوجمعة بن غومار
13	حاسي علي	ابراهيم تيسير
14	حاسي بلقزاح	نعموي الحاج عبد القادر بن طاهر
15	حاسي وردسة	
16	حاسي ديبوتي	شيخ بن عبد الرحمان (شهيد)
17	حاسي لحمار	الحاج المخطار العطواتي
18	حاسي بوخلالة	بلعقون قويدر
19	زاوية سيدي منصور	مقدم مبروك، عبد الحي عبد الكريم.
20	وادي الناموس (5خيام)	بن الشنيقري أمجد بن الطيب أمجد
21	عين حمو وحيحا	الهاشمي أمجد، الداوي عمر

مراكز التنسيق والتموين¹.

ومن الأعمال التي قامت بها:

- جمع الاشتراكات: وكانت تجمع على طريقة الجمع للزيارات والأولياء والولائم وذلك للتمويه حتى لا يشك بها الفرنسيون وتنصيب مسؤولي النواحي والمراكز، وتوقيع الرسائل والوثائق وتسليم الخواتم والطابع للمسؤولين.²

كما كلفت اللجنة بالتعبئة وانشاء مراكز التموين وجمع المؤونة للمجاهدين وتم تنصيب خلايا اخرى عبر قصور الاقليم، قورارة، دلدول، اوقروت، تيمي، توات، تيديكلت وشهدت تعبئة كبيرة لترسخ الفكر الثوري وكانت تنقل الامامر الصادرة من الولاية الخامسة عن المسؤول "مراد" من جيش التحرير بمنطقة "تامده" ناحية "بوسمغون" من الولاية الخامسة المنطقة الثامنة وعرف هذا الاتصال تنسيقا محكما عن طريق المناضل قويدر وهو الذي وجه القائد جغابة في اواخر 1957 من اجل مواصلة النضال في المنطقة.³

وانتقل الهاشمي المُجَدِّ إلى قيادة الولاية الخامسة في فيقيق في الثلاثي الثاني من 1957م والتقى بالضابط عبد الغني عقي المدعو عمار الذي سلمه العلم الوطني وأختام الجبهة وعينه رسميا كمسؤول سياسي وعسكري على المنطقة وطالبه بالتنسيق مع الضابط بلعيد احمد المدعو سي احمد الموجود بوادي الساورة واختار له اسما ثوريا وهو "بونافع".⁴

وأثناء عودته التقى "بونافع" بالجنود في منطقة تاسلغة وحثهم على انشاء جيش قوي بالمنطقة لتكون لهم ناحية واقسام كما اخبرهم بالتحضير الذي يجري للتمرد الذي يحضر له مهاري حاسي صاكة

¹ - محرز عبد الرحمان، المرجع السابق، ص ص 29_30.

² - التهامي غيتاوي، لفت الانظار، المرجع السابق، ص 199.

³ - انظر المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية ادرار (تقرير كتابة تاريخ الثورة لولاية ادرار المقدم للنودة الجهوية للعرب، سعيدة، ص 05).

⁴ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 38.

ضد العدو الفرنسي والفرار من الجيش الفرنسي في شهر أكتوبر المقبل لأنه موعد اجتماع مهاري المنطقة قبل توزيعهم على الأبار.¹

التكوين السياسي والعسكري: كان يشرف على التكوين السياسي محافظ سياسي يعمل على تعليم الجنود الفكر السياسي الوطني والعقائدي وهمجية الاستعمار ودروس نحو الامية وتنفيذ الدعاية التي يثتها الاستعمار واعداء الثورة ويحثهم على الاتصال بالجماهير الشعبية لرفع الروح الوطنية في صفوفهم وكان يقوم بهذه المهمة الشهيد الهاشمي المجد وبلعقون احميدة²، وبتو الحاج علال.

العسكري: كان التدريب العسكري يتم ذاتيا وبالاستعانة بخبرة الجنود الذين عملوا مع الجيش الفرنسي.

التسليح: كان المصدر الاول للتسليح هم المواطنون الذين زودوا جيش التحرير بأسلحة مستعملة للصيد أو الاسلحة التي غنمها الجنود المهاربة من الجيش الفرنسي أثناء تمردهم أو من غنائم المعارك.

الاتصال والأخبار والدعاية: وكانت نوعين كتابية وشفوية مثل الرسائل والمجلات وكان يقوم بها المسبلون الذين يقومون بجمع المعلومات لصالح المجاهدين كما كانوا عينهم التي تراقب تحركات العدو.³

الصحة: كان برفقة جيش التحرير الوطني اطباء وممرضون وفي الحالات الحرجة ينقلون خارج الوطن.

¹ - بلبشير عمورة، السجل التاريخي لشهداء الثورة التحريرية بولاية ادرار 1954_1962 منشورات جمعية مشعل التاريخ بأدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، الجزائر، 2014، ص 30.

² - بلعقون احميدة: الشهيد بن ميلود ولد خلال 1928 بتتركوك متزوج وله ابن واحد بدأ نضاله في صفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بصفته مسؤول مدني مكلف بجمع الاموال والتنظيم بكل من تميمون وتتركوك وادرار بعدها انتقل إلى منطقة فيقيق ببني ونيف للاتصال بمسؤولين في جيش التحرير الوطني بجبل اقروز وبن يسمير في اوائل 1957م التحق بصفوف جيش التحرير في العرق الغربي الكبير نواحي تتركوك لتحضير واعداد الجيش وتعيين المسؤولين وتنظيم المراكز كان من بين المخططين لانتفاضة حاسي صاكة وبعد تنفيذ العملية اتجه إلى مركز بأجدير الشرقي، حضر معركة حاسي تسلفه سقط شهيدا في ميدان الشرق في معركة حاسي غيتو في 21 نوفمبر 1957م، انظر: بلبشير عمورة، المرجع نفسه، ص 83_84.

³ - تقرير كتابة الثورة لولاية ادرار، المنظمة الوطنية للمجاهدين ولاية ادرار، المصدر السابق، ص 06.

النقل: شكل الجمل وسيلة هامة للنقل في منطقة العرق.¹

الإعلام: اعتمد المجاهدون بالخصوص على جريدة المجاهد وصوت الجزائر من تونس والقاهرة.

القضاء: كان المجاهدون يتصفون بالأخلاق الحميدة المبنية على التضحية والجهاد لكن اذا تخلوا عنها مثل الفرار، افشاء السر، عدم الإمتثال للأوامر، ضياع الاسلحة فإنهم يتعرضون لعقوبات تتماشى وحجم الخطأ.

المحكمة: تتكون المحكمة من ضابط وكاتب ومستشار والأطراف غالبا ما يقتصد فيها عن المتهم، المحافظ السياسي كوكيل الدولة في المفهوم الحالي يناط به تحريك الدعوة.²

بداية العمل المسلح: كانت حادثة الاستعراض النواة الاساسية لبلورة الفكر التحرري لدى جنود المهارية حث انتهى اللقاء الذي جمع بين الهاشمي المُجد وبوشريط، خرج منه مصمما على إشعال فتيل الثورة وهذا ما حدث بعدما سرح من الجندية رفقة اربعة عشر مجندا من بينهم: احمدية بلعقون والدين سليمان حيث شهدت العلاقة بين المجندين الجزائريين المهارية ومسؤوليهم الفرنسيين تدهورا يوما بعد يوم وقد حاولوا استرجاعهم بعدما سحبت منهم وثائقهم وسرحوا من الجندية.³

وكان تسريح المهارية هي الفرصة المنتظرة لبداية الثورة في المنطقة وهي الفرصة التي كان ينتظرها الهاشمي المُجد وحميدة بلعقون والزاوي مول القرعة⁴ ورفاقهم الذين انضموا إلى جبهة التحرر الوطني منذ 1950م وابقوا على اتصال بالمهارية من اجل اعدادهم للعمل الثوري.⁵

¹ - تقرير كتابة الثورة لولاية ادرار، المنظمة الوطنية للمجاهدين ولاية ادرار، المصدر السابق، ص 04.

² - نفسه، ص 04

³ - نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين اعداد عبد الحميد السفاي، العدد 58، 1984، ص ص 76_77.

⁴ - الزاوي القرعة: ولد الشهيد خلال 1932م بفاتيس تينركوك ابن الشيخ متزوج وله ابن واحد بدأ اعماله الثورية في سنة 1957م ضمن المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني التحق بصفوف جيش التحرير الوطني بالعرق الغربي الكبير رتبته مسؤول سياسي شارك في عدة معارك: انتفاضة حاسي صاكة - معركة حاسي الجديد الشرقي - معركة حاسي تاسلعة - معركة حاسي غمبو حيث سقط بها شهيدا في 21 نوفمبر 1957م، انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص ص 94_95.

⁵ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 36.

وكان المهاريون يستعجلون الانتفاضة ضد المستعمر الفرنسي ففي سنة 1957م بعث بيده مُجَّد المكنى بالعطشان¹ برسالة مع بوسعيد قادة إلى السيد فرحات بلعيد اسمه الحربي سي عمار المتواجد في حاسي ديويقي ناحية أولاد عيسى تلمين التقوا به في خيام لحضر بلحرمة في العرق ومعه حوالي خمسة وعشرون جنديا وسلموه الرسالة وطلبوا منه الإذن في قتل جميع الفرنسيين الموجودين معهم والذهاب مع المجاهدين إلى الجبال والتلال لكن سي فرحات رفض ذلك رفضا مطلقا وذلك لعدم التحضير لهذه العملية وقال لهم إلى الشتاء القادم وبعد الإذن من عندنا ومنحهم رسالة محتومة ردا على رسالة العطشان.²

من خلال هذا الرد يبرز مدى التنسيق والربط المحكم والتدرج في المسؤوليات والارتباط التنظيمي كما يبين رغبة قيادة الثورة في فتح هذه الجبهة ردا على استراتيجيات فرنسا وادعائها ومحاولاتها فصل الصحراء ومن أجل فتح نقاط تمويل وقواعد خلفية دائمة للثورة من أجل فك الخناق عنها.

كما أن قيادة الثورة كانت تعي المخاطر المحدقة وتتوخى الحذر والتخطيط المحكم لأي عملية باعتبار أن فصل الشتاء هو المناسب لبدء العمل العسكري بالمنطقة لأن المنطقة صحراوية اغلب اراضيها جرداء رملية مرتفعة الحرارة سهلية مكشوفة قليلة المياه والغطاء النباتي وبالتالي فإن القيام بعمل عسكري في فصل الصيف مجهد ويحمل اخطار كبيرة على المجاهدين.

إجتماع تسلغة: للتحضير لهذا العمل كان اجتماع تاسلغة والذي كان اجتماعا تنسيقيا بين شهري اوت وسبتمبر في واحات النخيل قرب تامزلان الذي يشرف عليه الشائخة مُجَّد انعقد الاجتماع بقيادة السي فرحات والسي المُجَّد الهاشمي حيث أن الملازم فرحات بلعيد حضر نحو ثلاثين جنديا قصد رفع معنويات الجنود وتشجيعهم على القيام بالعملية.³

¹ - بيده مُجَّد المكنى بالعطشان: ولد الشهيد خلال سنة 1828م بقصر الحاج اوقروت ابن دحمان ومسعودة متزوج وله بنت التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في 15 أكتوبر 1957م بحاسي صاكة حيث كان من السادة المخططين لها، رتبته العسكرية ملازم مسؤول قسم شارك في عدة معارك منها: حاسي الجديد الشرقي _حاسي تاسلغة، في سنة 1958 إتجه إلى جبال بشار وجبال قروز ثم جبل يسمير حيث شارك في عمليات تخريبية للسكك الحديدية والاسلاك الشائكة _معركة السرج بين يسمير _ معركة رصفة لمرباط كان له هجوم بمدفعية الهاون يسقط في معركة كان قائدها بجبل مرقاد نواحي العين الصفراء اواخر سنة 1958، انظر: بلبشير عمورة، المرجع السابق، ص68.

² - التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 198.

³ - محرز عبد الرحمان، المرجع السابق، ص32.

حيث القي السيد فرحات بلعيد¹ خطابا باسم مسؤول الولاية السيد العقبي شجع فيه المجاهدين على القيام بالعملية وبضرورة تنظيم المنطقة وأحداث وحدات تابعة لجيش التحرير الوطني حيث يكون سي فرحات هو القائد والهاشمي المُجَدِّ محافظا سياسيا وقائدا عسكريا لجهة التحرير بالمنطقة وتبين في هذا الاجتماع أن المهارية حددوا يوم خمسة عشر أكتوبر تاريخ للقيام بالانتفاضة والسبب أن هذا اليوم تجتمع فيه الكتيبة لتلقي اجورهم وتقسيمهم وتحريكهم نحو الجهات المختلفة كما يرجعه البعض أن هذا التاريخ عجل من نوفمبر إلى أكتوبر نظرا لالقاء القوات الفرنسية القبض على بعض الناشطين وعجل لهذا التاريخ خوفا من اكتشاف أمرهم.²

وفي يوم 08 أكتوبر جاء السيد المُجَدِّ الهاشمي المُجَدِّ واحميدة بلعقون والسيد الزاوي مول القرعة والزيادي عبد القادر³ واخبروا العطشان أن يوم العملية هو 15 أكتوبر وقالوا له يجب ان يموت كل الفرنسيين واخبروه أن مجموعة أخرى ستهجم على تيميمون ولذا عليه ان يحرص ان تكون العملية يوم 15 أكتوبر على الساعة السابعة غير أن عملية تيميمون لم تتم لأن اعيان المنطقة رفضوا أن تتم لأن فرنسا ستنتقم من السكان العزل.⁴

وهكذا فإن التسلسل الزمني للوقائع كان كله يتجه نحو هدف واحد هو الحاق المنطقة بالثورة التحريرية حيث عمل المجاهدون على تحضير كل الوسائل المادية والبشرية للانطلاق في العمل الثوري.

ثالثا: معارك العرق

في الوقت الذي كانت فرنسا مطمئنة تمام الاطمئنان على المنطقة نظرا لعدة عوامل طبيعية وجغرافية كطبيعة مناخ المنطقة وقلة الغطاء النباتي وطبيعتها السهلية التي لا توفر المناخ لحرب العصابات

¹ - فرحات بلعيد: ولد بتاريخ 23 ماي 1930 ببشار حضر اجتماع الدبداية 1955م عين ملازما عسكريا في جيش التحرير الوطني تولى قيادة المنطقة من وادي الساورة إلى منطقة العرق ضمن المنطقة الثامنة من الولاية الخامسة، عاش فترة الاستقلال نسق العمل الثور في منطقة العرق مع الهاشمي المُجَدِّ، انظر مجموعة من المجاهدين، ادرار، المرجع السابق.

² - تواتي دحمان واخرون، المرجع السابق، ص 39.

³ - ازيادي عبد القادر: ولد خلال 1930م بالبيض التحق بجيش التحرير في 1957م شارك ف معركتين مرتبته العسكرية جندي استشهد في 21/11/1957 وعمره لا يتجاوز 27 سنة في معركة حاسي غمبو تيركوك، انظر: جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 61.

⁴ - التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 201.

وكذلك نقص المياه وشساعة المنطقة وبعدها عن التجمعات السكانية الكبرى وعزلتها كان المجاهدون يعملون بشكل حثيث على التحضيرات النهائية للاحاق المنطقة بباقي ربوع الوطن وكان التحضير وانطلاق الثورة بمثابة العاصفة التي احدثت هزات عنيفة في مقرات القرار السياسي والعسكري للمحتل لأنها جاءت في وقت نسفت كل استراتيجيات فرنسا في محاولتها لفصل الصحراء فسطر السكان ملاحم كبيرة ضد المستعمر افشلت كل سياسات فرنسا لفصل المنطقة عن كيانها وامتدادها وجذورها والمنارات التي كانت تحيكها ضد مصير المنطقة من بين هذه الملاحم:

ـ **معركة حاسي صاكة¹**: في الاجتماع التاريخي بتاريخ 13 اكتوبر 1957م وضعت اللمسات الاخيرة للهجوم وبداية الانتفاضة هذا الاجتماع الذي حضره كل من حناني علي والعطشان ومُجد بن دحمان وسليمان بن عبد الله والفضل بشرير ومُجد غريس وسبقاف مُجد (حمادي) مسؤولوا افواج المهارية وقد اتفق الجميع على أن يقود الانتفاضة العطشان يساعده نوابه: العريف الاول بن سعد سليمان والعريف الأول بن سعد فرج الله والعريف فضيل بشرير والعريف سبقاف مُجد وحناني علي² وتم الاتفاق أن يبدأ الهجوم على الساعة الخامسة مساء عند انزال العلم الفرنسي.³

في الوقت الذي وضعت فيه اللمسات الاخيرة للهجوم لم يكن الاستعمار الفرنسي يعلم لما حضر له ففي 13 اكتوبر 1957م حضر النقيب بجاك صوايي⁴ (Jack souaie) قائد كتيبة مهارية توات من تيميمون لزيارة حاسي صاكة اين اجتمع ب خمسة وستون مهاريا، واخبرهم أنهم سيوزعون إلى ثلاث فرق:

¹ - حاسي صاكة: تقع منطقة حاسي صاكة على بعد ثمانون كلم شمال شرقي تيميمون بمحاذاة الطريق القديم المؤدي إلى المنيعه، وهذه البئر هي نقطة ماء خالية من السكان، تتشرف على الضفة الجنوبية للعرق الكبير وتتميز بوجود شجيرات الزينة والدمران والديرين وقد اقام بما الاحتلال محتشدا بعد انتفاضة حاسي صاكة، ضم 300 عائلة في 250 خيمة، انظر مقالتي عبد الله واخرون، الثورة التحريرية في اقاليم توات 1962، منشورات مولاي سليمان بن علي لحماية المآثر الثورة تحريرية، مديرية المجاهدين لولاية أدرار الذكرى الخمسون لاندلاع الثورة التحريرية 2004/1954، ص 33.

² - علي حناني: ولد بتينركوك سنة 1924م التحق مبكرا بصفوف الثورة لعب دورا محوريا في تشجيع المهاريين بالالتحاق بالثورة والتمرد على فرنسا سنة 1957م شارك مشاركة فعالة في معارك العرق الاول ثم انتقل إلى فيقيق كلفته قيادة المنطقة الثالثة بإنشاء واحياء الخلايا النائمة بالعرق فعاد إلى العرق مرة ثانية واشرف على احياء خلايا جيش التحرير بالمنطقة سنة 1957م، نجح في كل المهام التي اسندت إليه حتى الاستقلال 1962م بكل حنكة وقدرة، التحق بالجيش الشعبي الوطني إلى غاية 1971م توفى في 09 اوت 1983م بتينركوك ولاية ادرار، انظر المنظمة الوطنية للمجاهدين ادرار.

³ - الميلود بلقون، معركة حاسي صاكة، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 71، ص 21.

⁴ - جاك صوايي: قائد كتيبة مهارية توات ويحمل رتبة نقيب في الجيش الفرنسي، انظر Patrick charles renaou op CIT. p 140.

- الفرقة الأولى تتوجه لبوبرنوس شرق تندوف بتراب ولاية ادرار.
- الفرقة الثانية: تتوجه إلى حاسي بوزيد قرب المنيعه.
- الفرقة الثالثة إلى قرب القصيبة بدائرة تينركوك.

وأخذ معه بعض الجنود لاستبدالهم بالموجودين بثكنة تيميمون وبذلك أصبح عدد افراد الكتيبة المتواجد بحاسي صاكة نحو 73 فرد منهم ثمانية فرنسيين وخمسة وستون جزائريا.¹

وقد تم الاتفاق في اجتماع 13 اكتوبر 1957م على قتل الفرنسيين الثمانية وضم المهارية الجزائريين إلى جيش التحرير الوطني.²

في نفس الوقت كلف العطشان كل من الهاشمي المُجد وعيساوي احميدة (بلعقون) والزاوي مول القرعة وزيايدي عبد القادر واطلق عليها تسمية فرقة الاتصال مهمتها تحريض مهارية الكتيبة على الفرار بعد تنفيذ العملية في حاسي صاكة.³

كما كلف مُجد فرج الله وبوبكر النعيمي وعبد القادر بن سليمان بالقضاء على الجنود المكلفين بالرقابة والتفتيش على حاجز طريق تيميمون والمنيعه وهم الرقيب: "ايف جان" وجنديان آخران بينما اخذ الرقيبان الاولان: "ميشال لوجار" و"البار بريفوست" يغتسلان قرب البئر لدى الشروع في تنفيذ العملية احدث سلاح سليمان بن عبد الله ضجة جلبت انتباه الفرنسيين الذين تفاجءوا لما يحدث وما ان ابتعد الجزائريان اللذان كانا بقرعهما حتى شرع في تنفيذ العملية، فعندما سمع دوي الرصاص اقتحم ساوس مُجد المدعو "القورانو" ودربال⁴ الخيمة لقتل العريف الأول روني بوايه "René Boyer" المكلف بالاتصالات وبادر دربال بإطلاق

¹ - محرزى عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 38.

² - عبد المجيد بن يعقوب، معارك العرق 1956_1962 مساهمة المنطقة في الثورة التحريرية، ادرار 1986، ص 07.

³ - غيتاوي التهامي، لفت الانظار، المرجع السابق، ص 202.

⁴ - درباله بن نانة: ولد الشهيد خلال 1930م بتبرغامين اوقروت ابن علي متزوج وله ابن واحد فر من الجيش الفرنسي والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني في 15 اكتوبر 1957 بحاسي صاكة كان أحد منفذي انتفاضة حاسي صاكة رتبته العسكرية جندي، شارك في عدة معارك منها: معركة حاسي الجديد الشرقي، معركة حاسي تاسلفه، معركة حاسي غنبو التي سقط فيها شهيدا في 21 نوفمبر 1957م، انظر بالبشير عمورة، المرجع السابق، ص 102_103.

الرصاص على الرقيب الأول بعد أن إرتقى عليه ساوس مُجدّ اثر سقوط سلاحه ولحق علي بلخضر احد العسكريين الفرنسيين الذي فر مدعورا من اطلاق الرصاص وقضى عليه بلعقون احميدة وسقطوا قتلى قرب البئر.¹

وفي الأخير تم القضاء على سبعة جنود من صف الضباط اما الثامن الذي فر فقد لحق به احد جنود المهارية المدعو لخضر يوسف واجهد عليه بلعقون احميدة ليكتمل عددهم ثمانية: ليجار: رقيب أول، ارقوا: رقيب اول، يوي: عريف، ابرافوا: عريف، طوبال: جندي، طوي: جندي، بايا: صاحب الراديو، جوطو: صاحب الراديو.

أما قائد الكتيبة النقيب "صوي" والملازم الأول "درثمة" قائد الفصيلة كانا في عطلة وسجل شهيدان في صفوف جيش التحرير هما: الصالح بن عبد القادر، ومُجدّ من تينزوك.²

وفي صباح اليوم الموالي يوم 16 اكتوبر 1957م اخبر سائقوا بعض الشاحنات نقيب ملحقة تميمون "ميكلوا" بوجود أكثر من خمس جثث قرب حاسي صاكة واشعر النقيب على الفور مركز القيادة لكتيبة مهاري توات بادرار واخبره أن الاتصال بالراديو ليوم 15 اكتوبر 1957م على الساعة 07 صباحا لم يتم وصل النقيب صوايي إلى حاسي صاكة عند الفجر ووجد نتائج المعركة.³

وتم غنم⁴: مائة بندقية من نوع ماس32، 3 قطع رشاش من نوع 24/29، 12 بندقية رشاشة، 3 أجهزة ارسال واستقبال، 6 صناديق من الذخيرة، 4 ملايين فرنك فرنسي، 240 جمل، مذياع راديو، أكثر من 15 منظارا.⁵

كما تذهب بعض الروايات ايضا أنه لم يصب اي جزائري خلال هذه المداهمة نظرا لعنصر المباغتة والمفاجئة حيث نفذت العملية في أقل من عشر دقائق ونفذت وفق خطة محكمة اظهر فيها بونافع مقدرة كبيرة على المراقبة والتخطيط والتنفيذ واختيار الرجال المناسبين وهكذا أدخلت حاسي صاكة المنطقة الثورة وأعقبها ملاحم أخرى.

¹ - جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 24.

² - احمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 98.

³ - التهامي غيتاوي، لفت الانظار، المرجع السابق، ص 203.

⁴ - علي العياشي، معركة حاسي صاكة، مجلة أول نوفمبر، الجزائر، 1986م، عدد 71، ص 22.

⁵ - محرز عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 39.

وقد احدث هذا الهجوم ضجة عنيفة لدى الاوساط الاستعمارية الفرنسية التي ارسلت على جناح السرعة الجنرال دي كرافكار Creveloeur من الناحية العسكرية العاشرة في كولومب بشار إلى تيميمون يوم 19 اكتوبر ومعه الرائد بيير بوشي¹ من هيئة الاركان الذي كلف بتنسيق العمليات مع فاننول وميكلو من اجل ايجاد المهاربة المتمردين وتوقيف تقدمهم وقد سمح له باتخاذ كل التدابير للوصول إلى نتائج ايجابية.²

وكانت الخطة تشمل نشر اكبر قوة جوية لتصوير ومراقبة مساحة نحو 200 كلم² وهذا بدون تأخر وكانت الخطة تقوم على قتل اكبر عدد من الابل وتفجير الابار ومراكز المياه في الصحراء وشن حملة برية واسعة استعملت فيها مجمع الكتيبة الصحراوية واما المهاربة الفارين فقد اتجهوا إلى شمال شرق البئر نحو منونيشات وشاهدوا اثناء ذلك الطائرات ولاحظوا طلقاتها وجاب النقيب صوايي مائة كيلومتر في 48 ساعة بين انكلوا وفيج وام الكراد إلا أن طبيعة المنطقة الصعبة جعلت من المطاردة غير مجدية وفاشلة ورجعت القوات إلى تيميمون.³

وانتهت الحصيلة النهائية يوم 26 اكتوبر 1957م بمقتل 22 شخصا و512 جملا منها 37 تابعة للكتيبة المهاربة، تدمير 05 ابار، 06 بيوت تابعة للمتمردين مع حرق وتدمير عدة اشجار نخيل تابعة لعائلات المتمردين كما القت الشرطة السرية على 06 اشخاص واستردت أجهزة.⁴

وفي 28 اكتوبر 1957م شنت الشرطة الفرنسية عملية تفتيش واسعة بالاضافة إلى مناشير دعائية تحذر البدو الرحل من التعامل مع الفلاقة كما قامت بردم العديد من آبار الماء قصد التضيق على المجاهدين ومحاصرتهم وقطع المساعدات عنهم.

كما اعلنت فرنسا أن كل المنطقة الموجودة بالعرق منطقة محرمة وكل من يوجد بها يسمى الفلاقة ويرمى بالرصاص وانشأت محتشد بحاسي صاكة سنة 1957م واحتشدت فيه جميع العائلات المتواجدة

¹ - بيير بوشي: هو من هيئة اركان الجنرال الحاكم العسكري لمنطقة كولومب بشار، ارتكب جرائم وحشية ضد سكان بتيميمون، كان منسق العمليات الحربية، انظر مجموعة من المؤلفين الثورة التحريرية في اقاليم توات 1956م - 1962م، المرجع السابق، ص 47.

² - Patriek charles Renand, les combats sahariens, (1953_1962) edgrancher, paris, 1993, p139.

³ - غيتاوي التهامي، لفت الانظار، المرجع السابق، ص 204 _ 205.

⁴ - Patriek charles Renand, OP-CIT, P144.

على سفوح هذا العرق وحرق كل املاكهم وبلغ عدد المحتشدين فيه اكثر من 300 محتشد حت بلغ عدد الخيم 275 خيمة.¹

توزعت هذه الخيم على النحو التالي:

- 90 خيمة لعرش التلي وكان مسؤول العرش من طرف السلطات الفرنسية، بوسعيد مُجَّد التلي ومسؤول العرش من قبل جبهة التحرير الوطني: دنقارة حمو.
- 175 خيمة لعرش البرودي مسؤول العرش من قبل السلطات الاستعمارية ومن قبل جبهة التحرير الوطني العربي مُجَّد وكانت تنعدم فيه شروط الحياة مما ادى إلى ارتفاع الوفيات وخاصة بين صفوف النساء والأطفال.
- ردم جميع الابار بالعرق والقاء القبض على الكثير من المدنيين والزج بهم في السجون في كل من بشار والقنادسة والمدينة الجديدة وهران والبرواقية والحراش بالجزائر، حرق مساحات كبيرة من النخيل من أملاك المجاهدين وتدمير المساكن.²

لقد اثبت المجاهدون براعات خاصة في التخفي عن اعين الاستعمار للتغلب على طبيعة المنطقة المكشوفة فإلى جانب السير ليلا كان المجاهدون يربطون نباتات السبط والدرن ويسحبونه بالخييط ليمحي آثارهم كما انهم كانوا يتركون الجمال على بعد كيلومتر أو كيلومترين منهم كما انهم كانوا يلجأون نهارا إلى حفر الرمال في مناطق نمو النباتات على الكثبان في قوس يمتد إلى نحو 800 متر ويتخذون فيه الوضع الدفاعي بحيث يمكنهم من قنص العدو إذا اقترب من مواقعهم وبالرغم من أن النقب صوابي ومهاريته والملازم الأول جون بلانييت عجزوا عن اللحاق بالمهارية فإن الطيران كان يكتشف اثارهم في بعض الاحيان وهذا ما حدث يوم 17 أكتوبر في الحاسي الجديد الشرقي.³

¹ - بلبشير عمورة، المرجع السابق، ص 24.

² - بلعقون ميلود، الدين سليمان وعدد من المجاهدين شهادة في اطار البطايقية التاريخية بتيركوك وتيميمون محفوظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 49.

حاولت فرنسا تشويه صورة المجاهدين وتضليل السكان بمناشير دعائية¹ محاولة رسم صورة نمطية للمجاهدين والتشكيك في اهدافهم ودعتهم بكل الاوصاف بانهم مجرمين وحمقى ودعاة فنية في المناشير التي القيت من الطائرات على السكان جاء فيها:

المنشور الأول:

يا قاتل الروح وين تروح لابد تخلص جريمتك

الغدارة نهبوا وهربوا

الغدارة قتلوا العساكر

فرنسا نزلت عليهم العقوبة

شافتهم الطيارة

المنشور الثاني

يا سكان تيميمون يا أهل تينركوك.

الفلاحة الغدارين المجرمين الغاشيين قتلوا في 16 اكتوبر الجاري بصفة وحشية بقريب من تيميمون ثمانية عساكر فرنسيين ونهبوا تقريبا مائة بعير كانوا يفلأو، لكن الجريمة ما تورث إلا العقوبة ولا تنفع صاحبها بشيء ابدا وعين الله لا تغفل عن شيء ابدا ولمن غدوة نزلت عقوبة الله من السماء على المجرمين وهكذا في الحاسي الجديد الشرقي لحقت القوات الفرنسية بالمجرمين وقتلت منهم ما يزيد عن عشرة والآخريين يد الله فوقهم ولا بد تلحقهم العقوبة اللي يستاهلونها مثل أي مجرم، زيادة على هذا عرفوا باللي تركو الحراق المسروق واجمالهم وزادهم وعوينهم واسلحتهم على يد فرنسا عقوبة الله نزلت على المجرمين.

يا سكان تيميمون يا أهل تينركوك

¹ - وضع هذه المناشير النقيب صوابي وكان الهدف منها تخويف وترويع السكان من تقديم اي شكل من اشكال الدعم للثوار وتصوير الفارين بالاعداء والمجرمين واستعمال اللهجة العامية واعتماد الخطاب الديني لما له من تأثير وارتباط في نفوس السكان المحليين، انظر عبد المجيد بن يعقوب، المرجع السابق، ص 25.

اسمعوا صوت الشرف وصوت الحق مع فرنسا القوية الكريمة ابنوا سعادتكم وضمنوا سعادة أولادكم.¹

من خلال المنشورين يتبين لنا الصياغة الدقيقة للمنشورين الدعائيين التحريضيين مستغلين في ذلك طبيعة المجتمع وثقافته الدينية الإسلامية: «نزلت عقوبة الله من السماء على المجرمين» وبث روح اليأس في نفوس السكان بقولها: «لحقت القوة الفرنسية بالمجرمين وقتلت منهم ما يزيد على عشرة»، «تركوا الحراق المسروق وجمالهم وزادهم وعوينهم واسلحتهم على يد فرنسا عقوبة نزلت من السماء» وصورتهم بأنهم سارقين وفلاقة وناهيين وقتلة: «قتلوا 8 عساكر بصفة وحشية ونهبوا مائة بعير كانوا يفلاو» كما خاطبوا السكان بلغة بسيطة بساطة المجتمع التواتي المسلم حيث يقول: «يا قاتل الروح وين تروح لابد تخلص جريمتك، الغدارة نهبوا وهربوا» وغيرها ما يدل على الحرب النفسية القوية التي جند لها ضباط المكاتب العربية الذين اندمجوا في المجتمع ويخاطبونه بلغته ومستواه وثقافته في محاولة بائسة لترهيب السكان وقطع الصلة بينهم وبين المجاهدين وتصوير فرنسا انها الحامية الراعية لمصالحهم: «اسمعوا صوت الحق والشرف مع فرنسا القوية الكريمة ابنوا سعادتكم وضمنوا سعادة أولادكم» لكن فرنسا اغفلت انها تخاطب مجتمعا تجذرت فيه تعاليم الإسلام وهو مجتمع بسيط محافظ نحتت فيه الطرق الصوفية والزوايا والمساجد والمدارس القرآنية ثقافة دينية لا توالي الكافر وتحت على الجهاد من اجل العرض والأرض والوطن.

كما أن الثوار كانوا يناوشون الطائرات الفرنسية بأسلحتهم الرشاشة وتذكر بعض المصادر الشفوية أن المجاهد بلعقون حميدة استطاع اصابة طائرة جانكيز وقد شوهدت وهي تنسحب من المعركة كما استطاع المجاهدون اصابة طائرة اخرى مما اضطر الطيران إلى التحليق على مسافات عالية مما يساعد المجاهدين على التخفي وعودة بعض الطائرات إلى تيميمون.²

حاول المجاهدون الوصول إلى حاسي غمبوا بعد الضربات التي تلقوها والملاحقات بالطائرات وحالة الجوع والعطش والاعياء التي لحقت بهم في هذه الصحراء الشاسعة المكشوفة إلا أن الاوامر جاءت لهم للتوجه إلى حاسي تسلغة حيث اجتمع الجيش بأكمله في انتظار أوامر جديدة حيث وصل الجميع

¹ - التهامي غيتاوي، لفت الانظار، المرجع السابق، ص 207.

² - شهادة بلعقون ميلود، متحف المجاهد، ادرار 9 اكتوبر 2006.

إلى تسليحة يوم 05 نوفمبر 1957 وعددهم ستة وسبعون مجاهدا استقبلهم القائد فرحات ومعه اربعون رجلا يمثلون مركز القيادة من اجل وضع خطة قتال جديدة وهنا انشأت فصائل قتال جديدة ووحدات ضمن جيش التحرير الوطني.¹

لقد كانت انتفاضة حاسي صاكة (صكة قوية) في وجه المستعمرالفرنسي الذي اطمئن إلى هذه الجهة من الوطن في بقائها مستقرة، بعثت احلامه ومشاريعه القائمة على فصل هذه المنطقة واستغلال خيراتها وثرواتها، فتحت من خلالها قيادة الجبهة جبهة جديدة في وجه المستعمر فرقت مجهوده وأفقدته توازنه وأضافت إلى اعباءه اعباء جديدة من اجل القضاء على الثورة حققت من خلالها الثورة شموليتها وعبرت بحق عل ثوابتها في وحدة التراب الوطني والأمة الجزائرية كما فتحت افاقا واسعة لجلب الدعم المادي والعسكر من المناطق الجنوبية جبهة مالي والنيجر بعد الحصار المطبق لخط شال وموريس وحطمت خطط الاستعمار في المنطقة السياسية والعسكرية خاصة وأن المنطقة كانت منطقة تجارب كيميائية في وادي الناموس وذرية في رقان، حطمت مشاريعها الامبريالية في تحقيق امبراطوريتها في إفريقيا.

2- كمين تسليحة 08 نوفمبر 1957م:

في إطار اشغال استكشاف واستغلال البترول في المنطقة من قبل القوات الفرنسية تم تكليف فرقة لحساب الجاذبية بعد تشخيص الاماكن ووصف طبيعتها التضاريسية واخذ الاحداثيات وحساب الجاذبية بجانب الاماكن المعنية لأخذ مظاهر الأرض بهدف استكشاف البترول، انتقلت الفرقة من تيميمون إلى تسليحة² مرورا بحاسي بوبكر، وتتكون الغرفة من 41 فردا، خمسة عشر منقبا وثلاثة ارتين واثنان لحساب الجاذبية وتسعة سائقين وتسع سيارات من نوع لاندروفر واثنان عشر عاملا جزائريا، ترافقهم فرقة لفياف اجني لاليجو يوم 06 نوفمبر 1957م.³

ويفهم من هذه الاجراءات المشددة أن القوات الفرنسية مازالت تستشعر خطر المجاهدين في هذه المنطقة لكنها كانت ماضية في سياستها التوسعية الاستغلالية في المنطقة لإغراء الشركات والدول

¹ - عبد المجيد بن عقوب، المرجع السابق، ص 94.

² - تسليحة: يقع هذا البئر على بعد حوالي 100 كلم غرب حاسي بوخلالة وأكثر من 132 كلم غرب تيميمون ويبعد عن تسليحة حوالي خمسة وسبعون كيلومتر، انظر عبد المجيد بن يعقوب، المرجع السابق، ص 25.

³ - التهامي غيتاوي، لفت الأنظار، المرجع السابق، ص 208.

الغربية بالفوائد التي يمكن أن تحصل عليها مقابل دعم فرنسا في مواجهة الثورة وهو الأساس الذي تقوم عليه سياسة فرنسا في المنطقة السياسية والإدارية والعسكرية.

كما أن القوات الفرنسية كانت تقوم بتمشيط المنطقة بطائراتها وقضت على العديد من الجمال والأشجار والآبار كما وسعت من مناطقها المحرمة بواسطة المناشير التي كانت تلقيها على السكان من أجل ابعاد السكان وفصلهم عن المقاومين والمجاهدين.¹

قاد المهمة للشركة البترولية "سوبريال"² الذي بين أن اخر نقطة في حسابه هي تاسلغة فانقسموا إلى ثلاث فرق لوضع المعالم الثابتة على الخط مع "أمري" واثنان من سيارات لاندروفر والثانية مع "ايف صوفاج" واثنان من سيارات لاندروفر تذهب مباشرة إلى تاسلغة لتعود مع فرقة اخرى والثالثة تتكون من حاسي الجاذبية ومسؤولي المهمة على متن خمس سيارات لاندروفر كما تنقل الاجهزة وتقيم المخيم في تاسلغة.³

استطاع المجاهدون قرب تاسلغة اكتشاف تحرك هذه المهمة بواسطة المناظير على اثر ذلك كلف فرحات الفرقة الأولى التي يقودها سليمان بن عبد الله بمحاصرتهم ولاحظت الفرقة أن الشاحتين مرتا بمنحدر الفايحة في طريقها إلى تاسلغة وحاولت الفرقة أن تصل إلى المكان لإقامة كمين قبل سيارات العدو ولكنها لم تصل فتوزعت إلى فوجين، الأول يقوده علي حناي والآخر يقوده سليمان بن عبد الله وقبل نصب الكمين وصلت السيارات فأطلق الجميع النار على السيارتين وعلى اثر ذلك تم ايقاف رتل السيارات عن التقدم واختبأ من كان فيها من البتروليين وعلى اثر اقتحام المكان خرج كل الفرنسيين وتم قتلهم رغم نداء سليمان بن عبد الله بالامتناع عن ذلك وتم اسر مهندس وتم ارساله إلى الشمال لأنه من قرابة احد المسؤولين الكبار بالحكومة.⁴

¹ - جيش التحرير الوطني، المجاهد، 15 مارس 1958.

² - سوبار بيال Souber Bielle موظف بالشركة البترولية الجزائرية (cap) كان في مهمة إستكشافية لوضع مقاييس معلمية لحساب الجاذبية وتحت حماية الليف الاجني التابعين للكنية الرابعة الصحراوية الذين تم وضعهم تحت تصرف الملازم بلاييت وكانت اخر نقطة قياسية يصلون اليها هي حاسي تاسلغة، انظر. Patrick(cr) op.cit p 145.

³ - شهادة بن حمادي مُجدّ سالم احد العمال الجزائريين في الشركة الفرنسية للتنقيب عن البترول مسجلة بتاريخ 2013/06/24م محفوظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.

⁴ - غيتاوي التهامي، لفت الانظار، المرجع السابق، ص 209.

بلغت خسائر العدو: ستة عشر قتيلًا، أسر أربعة، حرق ستة سيارات عسكرية.

الغنائم: ثمانية عشر بندقية ورشاش من عيار 20/29 وجهاز راديو اتصال.

الخسائر: شهيد واحد.¹

من خلال التخطيط للمعركة وسيرها يبرز دور التخطيط وسرعة الحركة والمناورة والمفاجأة من طرف المجاهدين كما يظهر جليا فشل الاستعمار في القضاء على المجاهدين واستتصال تهديدهم بالرغم من الامكانيات الهائلة برية وجوية أمام الامكانيات البسيطة لدى المجاهدين في منطقة مكشوفة صحراوية صعبة.

لقد احدثت هذه الواقعة صدى كبيرا في وسائل الاعلام في فرنسا والجزائر منها جريدة لوفيقارو الصادرة بتاريخ الحادي عشر نوفمبر 1957م تحدث مراسليها بالجزائر: "روني جانون Rene janon عن مقتل تسعة موظفين بشركة بتزول الجزائر ومعهم تسعة من اللفياف الاجني كما اظهرت جريدة باريس ماتش Paris match في صفحتها الأولى صور لسيارات الاندروفر المتفحمة وفي جرائد اخرى ظهرت عناوين مثل البترول مهدد.... ومثل جنون الشركات البترولة.²

وقد انتهت هذه المعركة بمقتل خمسة عناصر من القوات الفرنسية وفرار عنصرين وقتل سبعة من بين عشرة من عمال شركة بتزول الجزائر تأسف سليمان بن عبد الله لمقتلهم كما فر أربعة جزائريين ومن ضبطوا مع الأوربيين خيروا بين الالتحاق بالثورة أو ينقلوا إلى الحدود واسر احد المهندسين ومعه ثلاثة من الاخرين وبالرغم من أن قتل الاسرى كان خطأ إلا أن الاوساط الاستعمارية عملت على تشويه صورة المجاهدين وادعت ذبحهم رغم أنهم قتلوا رغم معارضة مسؤول الوحدة.³

إذا كانت معركة حاسي صاكة بمثابة ساعة الصفر لانطلاق الثورة في منطقة توات فإن تاسلغة كانت ضربة قوية لجهود فرنسا واطماعها الاستعمارية ومخططاتها العنصرية في المنطقة والهادفة إلى فصل الصحراء كما قضت على سياستها الاعلامية التي تصور أن المنطقة آمنة للشركات البتروولية الأجنبية.

¹ - بلبشير عمورة، المرجع السابق، ص 38.

² - Pqtrick Q//eg. op-cit, p51.

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 55.

هذه الثروة التي استعملتها فرنسا لجلب لعاب الشركات الاجنبية والدعم الأجنبي كما أدت إلى ائقال كاهل المجهود الحربي من جنود وعتاد ونقل وحدات كاملة من الشمال إلى الجنوب تخفيف الضغط عن بعض المناطق الشمالية إلى الجنوب وتحقيق الضغط عن بعض المناطق الشمالية وأدت إلى اتساع وشمولية الثورة وضربت احلام فرنسا في العمق.

وصول العقيد بيجار إلى تيميمون: وصل العقيد بيجار¹ إلى تيميمون في 13 نوفمبر 1957م مع قيادة الفيلق الثالث مظلي حاملا معه كل الصلاحيات والإمكانات لإيجاد المهارة الفارين والقضاء عليهم يقول بيجار في مذكراته أنه حشد للمهمة 1570 رجلا من بينهم 1000 مظلي وأربعة كتائب كوكبة من شاحنات جيب مسلحة وفرق دعم ومن فرقة مهارية توات خمسون من مركز كرزاز وأربعون من مركز تيميمون وثمانون من مركز بني عباس فضلا عن الشاحنات.

أما القوات الجوية عشر طائرات بيبير للاستكشاف دوريتان من الطائرات المقاتلة نوع T6 ثلاث طائرات من نوع J452 طائرة ألمانية قديمة قادرة على الهبوط في مختلف الظروف، ستة طائرات لحمل وإنزال المظليين.²

وقد وزع العقيد بيجار قواته في دائرة تقارب 70 كلم حول مدينة تيميمون.

- قام بنقل العقيد بيتو Petot للقيام بالتحقيق وجمع المعلومات في مدينة تيميمون وضواحيها وقد مارست مختلف اشكال التعذيب والاستنطاق.

- **الكتيبة الأولى:** كانت تحت قيادة الملازم الاول سوبرجيس Subergis الذي سار في سبع وعشرون شاحنة في أولاد عيسى خمسون كلم شمال غرب تيميمون وعات فسادا في هذه المنطقة.

¹ - بيجار من مواليد 1916م كان برتبة عقيد في الجيش الفرنسي (سفاح) ارتكب العديد من المجازر ضد الانسانية كان يفتخر بجرائمه في الفيتنام استفدته فرنسا لقمع انتفاضة سكان العاصمة سنة 1957م استعمل كل وسائل القمع والتعذيب ضد الجزائريين، استفدته فرنسا للقيام بمجازر وابداء في معارك العرق استعمل فيها كل الوسائل بما في ذلك الحمض الفوسفوري للقضاء على الفارين اقام محكمة في حاسي بوخاللة بتيميمون اعدم الكثير من المجاهدين، انظر الجمعية الثقافية التاريخية لمتحف المجاهد لولاية سيدي بلعباس، ص 16.

² - محرز عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 64.

- **الكتيبة الثانية:** وقائدها النقيب بلانت Planet تراقب محور شروين على بعد 60 كلم غرب تيميمون بينما توجهت الكتيبة الثالثة مع النقيب اللامي Ilamby إلى زاوية الدباغ على بعد سبعون كلم أما الكتيبة الرابعة وقائدها النقيب دوسور Douceur وضعت بمطار تيميمون على اهبة الاستعداد تحسبا لأي طارئ وقد كلف الملازمان Roher و Grillot بكشف التنظم السياس للثورة بالمدينة أما الرائد بوشي والنقيب تيمل والنقيب صوبي فقد كلفوا بمراقبة محور بني عباس، كرزار، لقصابي، ادرار باستعمال المهاربة والكتيبة الصحراوية للفيف وقد اعطى بيجار التعليمات لاستعمال كل شيء للحصول على نتيجة.¹

وبالرغم من أن القوات الفرنسية اعتقلت نحو ستة وتسعين مواطنا من سكان تيميمون واوقروا إلا أنها لم تجد اي دليل يقودها إلى أماكن تواجد المجاهدين بالعرق الغربي الكبير وحسب ما ورد عن احد الضباط في الجيش الفرنسي أنه قال: «جئنا من بلد بعيد ولسنا في نزهة وإن لم نتحدثوا سنقتل مائة شخص» ثم أضاف: «بدأنا بأحدكم اليوم» وتم معرفة مكان المجاهدين استنادا إلى صور التقطت عبر إحدى التفتيشات يظهر فيها آثار الثوار يتوجهون إلى حاسي غمبوا الذي يبعد حوالي ثمانون كلم شمال شرق تيميمون، تحرك على اثرها العقيد بيجار بسرعة لمحاصرتهم.²

معركة حاسي غمبوا: 21 نوفمبر 1957م يقع حاسي غمبوا وسط الكثبان الرملية العارية من النبات بالعرق الغربي الكبير يتخللها واد يبلغ طوله 3 كلم يحده من الجهة الشمالية حاسي تنواتو ومن الجهة الجنوبية حاسي تسلغة يبعد حاسي غمبوا عن تينركوك حوالي خمسة وثلاثون كلم وعن تيميمون ب مائة وعشرون كلم.³

وهذا ما بين الطبيعة التضاريسية السهلة المكشوفة للصحراء والقليلة الغطاء النباتي التي لا توفر الظروف لحرب العصابات بأرض رملية تمتد الرمال فيها على مسافات واسعة من العرق الغربي الكبير امام امكانات ضخمة مادية وبشرية للاستعمار الفرنسي باستعمال الطائرات والجنود المظليين بأعداد هائلة للقضاء على المجاهدين.

¹ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 60_61.

² - محرز عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 67_68.

³ - بلشير عمورة، المرجع السابق، ص 38.

حاول بن شرابير فوضيل¹ مع اثنا عشر مدنيا وفرقة الاتصال بقيادة الهاشمي المجد أن ينقلو مركز التموين من الحاسي الجديد وللهجوم على الثوار استعمل بيجار الوحدة القريبة من المنطقة كتيبة "لمبيا" الموجودة بزواوية الدباع البعيدة عن حاسي غمبو ب اربعون كلم عن طريق النقل الجوي بواسطة النقل الجوي للكتيبة الثالثة التي عليها أتن تتمركز في تابلوكوزة لهذا الغرض ويتم تنفيذ العملية على مرحلتين بواسطة ستة طائرات مروحية بينما تكون الرابعة في حالة طوارئ جوية في تيميمون، وفي زاوية الدباع يكون مركز القيادة البسيط ل بيجار.²

على الساعة التاسعة والنصف زحفت قوات بيجار على المجاهدين الذين استعدوا لها واخذوا اماكنهم في الوادي بعدما جاؤوه من منطقة حاسي تسلغة بعد المعلومات التي استقوها من المسبلين أن المنطقة ستعرض لعملية مسح من طرف أعداد هائلة من المظليين فمع بداية الاشتباك استطاع المجاهدون اصابة عدد كبير من المظليين الذين تراجعوا امام قوة المجاهدين واستطاع المجاهدون غنم اسلحة في هذا الهجوم.³

وكان أول من سقط من القوات الفرنسية الرقيب الأول سانتياك⁴ Sentenac وتبعه سقوط الملازم الأول روهر Roher وبذلك تكون الفرقة المظلية الثالثة فقدت اثنين من رؤساء فضائلها مما جعل بيجار يأمر بإنزال الفرقة المظلية الرابعة التي كانت تستعد للإقلاع في مطار تيميمون واستمر القتال حتى غروب الشمس.⁵

وقد استعملت القوات الفرنسية الغازات السامة لقتل المجاهدين وتزرعت فرق المظلية بأن اسلحتهم المكونة من قطع 29/24 وماس 56/49 قد عطلتها الرمال وأن ماس 36 التي كانت عند المجاهدين قد عملت بشكل جيد لكن الحقيقة ما اوردها "باتريك شارل روتو" في كتابته: المعارك الصحراوية بقوله: «ظلت المعركة حامية الوطيس إلى غاية السادسة وخمسة وأربعين دقيقة مساء في مواجهة منافس صلب ومنضبط يرمي بشكل مدهش، المتمردون يقاتلون إلى آخر قطرة ماء داخل

¹ - بشرابير فوضيل: ابن احمد ولد خلال 1927م بالمنعة متزوج التحق بجيش التحرير الوطني في 1957م شارك في أربعة معارك رتبته العسكرية مسؤول سياسي استشهد في 1961/11/15م وعمره لا يتجاوز سبعة وعشرون سنة في معركة حاسي علي بن حمودة. انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 59.

² - جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع نفسه، ص ص 31_32.

³ - بلشير عمورة، المرجع السابق، ص 41.

⁴ - الرقيب الأول سانتياك حاصل على رتبة فارس جوقة الشرق وهو الوحيد الذي فر من ديان بيان قو ليكون أول من يلقى حتفه في الصحراء الجزائرية بكاه العقيد بيجار. انظر لمحرزي عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 71.

⁵ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 66.

دلّاهم وإلى آخر طلقة لديهم وحتى وإن كانوا جرحى فإنهم يملكون قدرات عجيبة على الرمي والتمركز في الميدان ويتمتعون بالشجاعة»¹.

وهذا ما يدل على استبسال المجاهدون في الدفاع عن مواقعهم التي اختاروها بدقة فهم من اختاروا مكان المعركة بينما بقي الفرنسيون في مناطق مكشوفة أما رماية المجاهدين وهذا ما أكسبهم حظوظا إضافية للنصر رغم قلة عددهم 62 مجاهدا مقابل اعداد هائلة من المظليين تنزل عبر طائرات مجهزة بأجهزة اتصال متطورة امام جيش ضعيف عنهم في التسليح والتموين والعدة والعتاد.

فقد المجاهدون أثناء المعركة 32 جنديا واسر منهم عشرة تمت تصفيتهم بذلك يبلغ مجموع الشهداء اثنان وأربعون مجاهدا من بينهم ابن شراير فوضيل مسؤول قسم ومساعد لتييم الشيخ²، وثلاثة رؤساء افواج والهاشمي المجد المدعو بونافع³.

وقد شهد شهود العيان عدد كبير من القتلى والجرحى ينقلون من ساحة المعركة بواسطة المروحيات بينما لم يعترف ببجوا إلا بـ اثنا عشر قتيلا وثمانية جرحى⁴.

معركة حاسي علي⁵: يقع حاسي علي على بعد حوالي مائة كيلومتر غرب حاسي بوخلالة وأكثر من مائة واثنان وثلاثون غرب تيميمون ويبعد حوالي خمسة وسبعون كلم عن تاسلغة وفي يوم 07 ديسمبر لاحظ بيير وجود شجيرة في قمة كثيب رملي تعجب الملازم الاول من ذلك ونزل بالطائرة بالقرب منها وإذا بمراقب يفر منها شوهدت الاثار واكتشف مكان وجود جيش التحرير⁶.

وترى بعض الروايات أن اكتشاف مكان المجاهدين في حاسي علي كان نتيجة مدهمة المظليين لقصر باحو ناحية طلّمين، ونتيجة لقسوة التعذيب على المواطنين اشهر الشيخ بن عبد الرحمان سلاحه فما كان

¹ - patrick (CR) op-cit ; pp 168_188.

² - لتييم الشيخ، ابن احمد ولد خلال 1915م بتاعنطاس متزوج وله ثلاثة أولاد يحسن القراءة والكتابة التحق بجيش التحرير الوطني في 1957/10/13م شارك في ثلاث معارك حربية مرتبته نائب مسؤول قسم استشهد في 1957 وعمره لا يتجاوز اثنان واربعون سنة في معركة حاسي غمبو ببنيزكوك، انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 59.

³ - التهامي غيتاوي، لفت الانظار، المرجع السابق، ص 2011.

⁴ - محرزى عبد الرحمان، المرجع السابق، ص 83.

⁵ - حاسي علي: بئر مائي يقع غرب تيميمون ويبعد عن حاسي بوخلالة بمائة كيلومتر وعن تاغوزي بحوالي سبعون كيلومتر.

⁶ - جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة، المرجع السابق، ص 35.

من المظليين إلا أن امطروهم بوابل من الرصاص فأردوهم قتلى جميعا ماعدا السيد مسعود بن معاش الوحيد الذي ابقوا عليه وهددوا بذبحه فأعترف بمكان اختباء ابنه وابن اخيه مع المجاهدين في حاسي علي.¹

وهذا ما يوضح شدة البطش والتعذيب والقمع على السكان واستنطاقهم لأخذ المعلومات وتطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية عن طريق استعمال كل أنواع التعذيب التي اشتهر بها العقيد بيجار باستعمال سلاح الجوع والبرد القارص في المنطقة الجافة في فصل الشتاء والكهرباء والتعليق على الاشجار وغيرها من الأساليب الوحشية.

استعمل الجنرال كل امكانياته الجوية والبرية في المعركة عن طريق القصف من الطائرات اقام وحدة التحكم في حاسي بلقزاح والتحققت به كوكبة "كلاس" klaase وفرقة النقيب "بلاقي" bllate وشرعت القوات في قصف المنطقة من الجو.²

وكالعادة فإن استعداد المجاهدين وتضحياتهم وتفانيهم ومعرفتهم بتضاريس المنطقة ووديانها وعروقها واختيارهم لمواقعهم بدقة اما الهجوم الكاسح للمظليين وهبوطهم بالمظلات جعلهم مكشوفين أمام المجاهدون الذين اختاروا مواقعهم بدقة حيث بعد الهجوم شرع المجاهدون بتغيير اماكنهم واستطاع "مُجد بن مسعود" المدعو: "الجودان"³ من اسقاط طائرة من نوع "جقوار" jagoure باستعمال بندقيته الرشاشة من نوع 24/27 وهو ما يوضح الخبرة وحجم التدريب الذي كان لدى المجاهدين.⁴

وتتحدث مصادر العدو عن خمسة واربعون شهيدا وستة اسرى بينما يقل عدد قتلاه عن ستة أما المصادر الشفوية بسقوط ثلاث طائرات كما نفذ العقيد بيجار اعدامات ميدانية للأسرى المدنيين.⁵

¹ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 70.

² - المنظمة الوطنية للمجاهدين ببشار، تقرير فرع بني عباس، ص 12.

³ - عيشاوي بن مُجد المكنى الجودان: ابن مسعود ولد خلال 1928م بفاتيس تينركوك متزوج وله ابن واحد بدأ نضاله في المنطقة المدنية لجهة التحرير الوطني أوائل سنة 1957م ثم التحق بصفوف جيش التحرير الوطني في انتفاضة حاسي صاكة يوم 15 أكتوبر 1957م رتبته العسكرية جندي رامي رشاش شارك في معارك حاسي الجديد الشرقي معركة بواد منوشات، معركة بحاسي تاسلغة، معركة بحاسي علي بتاريخ 07 نوفمبر 1957م التي سقط فيها شهيدا، انظر بالبشير عمورة، المرجع السابق، ص 87. . انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 64.

⁴ - Patrick, op -cit p 162.

⁵ - مجموعة من الأساتذة عن الثورة التحريرية باقليم توات 1956_1962، منشورات جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، 2004، ص 73.

كانت المعركة عنيفة وشرسة وبعد انتهاءها انسحبت الوحدات نحو منطقة وادي الساورة ك اشبير ابراهيم وبكيرات قادة وقادة بن معاش وبعد عودة بلعقون ميلود من منطقة حاسي غمبوا وجدو المجموعة انسحبت إلى وادي الساورة وقد استشهد في المعركة اربعة عشر مجاهدا واسر اثنان وتراجع احدى عشر في الليل متسللين بين فرق المظليين.¹

بالإضافة إلى اشتباك القطاب في 04 ديسمبر 1957م وهي تقع شمال حاسي اوسكير وتأتي في إطار التفتيش الجوي عن المجاهدين الذين أراد العقيد بيجو القضاء عليهم² وبدأت المعركة بعدما اكتشف المظليون حركة من طائراتهم للأسير المهندس الذي كان بحوزة المجاهدين فأراد الحركة فأرداه لمطوش بحوص قتيلا واشتبك مظليوا الفرقة الرابعة في معركة غير متكافئة.³

يتبين لنا مما سبق حجم التضحيات المقدمة والمجهودات المبذولة في بيئة صحراوية مكشوفة وعرة حيث استطاع المجاهدون فتح جبهة في الجنوب كانت تظنها فرنسا انها لن تنهض استنزفت مجهودها الحربي على حساب عملها في المناطق الشمالية، خصصت لها فرنسا امكانات ضخمة عدة وعتادا عصفت بمشاريع فرنسا العسكرية في المنطقة (التجارب الكيماوية في وادي الناموس) والذرية في رقان والاقتصادية استثمار البترول وفتح المنطقة أما أسواق افريقيا ومشروعها للسكة الحديدية العابر إلى تومبكتو والسياسية فصل الصحراء عن الشمال وإنشاء الجمهورية الإسلامية الصحراوية نظرا لأن هذه المنطقة كان يملأها الايمان وحب التضحية والشهادة في سبيل الله بفعل الارث الحضاري الذي خلفته الزوايا والمدارس القرآنية وبالرغم من الخسائر الفادحة في صفوف فرنسا وانها افشلت استراتيجياتها بالمنطقة إلا أنها فرضت عليها تعتيما اعلاميا لاعطاء الثقة لحلفائها كما عرضت سكان المنطقة لأنواع التعذيب والتجوير والمحتشدات وباتتهاء هذه المرحلة من المعارك في العرق الغربي الكبير وانتقال المجاهدين إلى وادي الساورة شهدت المنطقة هدوء نسبيا لفترة قصيرة لتعاود بعدها المعارك والمناوشات مع وحدات جيش التحرير الوطني.

¹ - بلعقون ميلود، شهادة مسجلة بمنطقة المجاهدين، ادرار، 2006

² - عبد المجيد بن يعقوب، المرجع السابق ص34.

³ - احمد عبد العزيز، صحراؤنا في مواجهة الاستعمار، دار رحاب، الجزائر، ص 49.

إحياء النظام وتشكيل الناحية الثالثة

انقضت معارك العرق الأولى بانتصارات مدوية للمجاهدين وأفشلت سياسات فرنسا في المنطقة وأمام القوة الغير متكافئة والبيئة الصحراوية الصعبة وأمام الانتقام الوحشي من طرف الجيش الفرنسي للمدنيين انتقلوا إلى منطقة بشار وبقيت المنطقة في هدنة لمدة خمسة عشر شهرا لكن امام سياسات فرنسا السياسة والعسكرية والاقتصادية قررت قيادة الثورة اعادة العمل المسلح للمنطقة وتشكيل الناحية الثالثة.

لضرب سياسة فرنسا في فصل الصحراء قررت قيادة المنطقة الثالثة من الولاية الخامسة إحياء العمل الثوري في مناطق العرق وكلفت المهمة للمجاهد حناني علي، فمُنح خاتم الناحية الثالثة والراية الوطنية فانطلقوا من فيقيق إلى منونات في أرض قاحلة جرداء مئات الكيلومترات وقاموا بجهود جبارة لإعادة الثورة لمناطق العرق فعمل على انشاء اللجان المدنية لتكون عوناً للثوار خاصة فيما يخص التموين والاتصال والتعبئة وقاموا بجهود حثيثة لتكوين جيش منظم بالمنطقة خاصة في تينركوك وتيميمون.¹

وانتشر نظام الجبهة بالمنطقة في امقيدن وكل مناطق العرق وتيميمون وتاخيارت والحاج قلمان والقصبه وزاوية الدباغ وثملاون واجدير وتيلياوين وبني عيسى واحكم النظام وحاربت الخونة وانخرط الجميع في المنظمة وأصبحت المنطقة كلها مع الثورة ونشط جمع الاشتراكات وتعبئة السكان كلهم حول الثورة.²

وهكذا حقق التنظيم المدني والعسكري للثورة رسوخا ثابتا في المنطقة قام بأخذ اعباء الثورة وبفضله حققت الثورة نجاحات كبرى في عدة معارك طاحنة، وانتشر التنظيم إلى مدينة ادرار حيث تم تكوين عدة خلايا وقواعد لجيش التحرير الوطني من بينهم مبروك بن علي، بوسعيد لخضر، اقسام عبد الكريم، عائلة القروط وعائلة كابويا واقوجيل وقلوم، كما شهدت منطقة ادرار تنظيمان فيما بعد احدهما مرتبط لقيادة الناحية الثالثة والآخر مرتبط بالجبهة الجنوبية.³

وفي سنة 1961م تشكلت قيادة الناحية الثالثة بالعرق والتي كانت تتشكل من:

✓ حناني عيسى: قائد الناحية

¹ - شهادة المجاهد حكومي الشيخ، مسجلة بتتركوك في 24/06/2004م ومحفوفة بمتحف المجاهد بأدرار.

² - يحيوي مُجد: شهادة مسجلة للمجاهد في فاتيس يوم 26//م محفوفة في متحف المجاهد بأدرار

³ - شهادة مجموعة من مجاهدي الجبهة الجنوبية مسجلة بأدرار يوم 25/08/2008م محفوفة بمتحف المجاهد بأدرار.

- ✓ مول القرعة¹: النائب الأول مكلف بالشؤون العسكرية.
- ✓ الدية الدين: النائب الثاني مكلف بالشؤون السياسية.
- ✓ علوشي الدين: كاتب الناحية.²

دخلت المنطقة في تنظيم محكم سياسيا وعسكريا من خلال التعبئة الشعبية ومناصرة الثورة ودعمها عسكريا من خلال المعارك والاشتباكات الناجحة مع العدو وحقت وحدات جيش التحرير الوطني المهام الموكلة لها من قيادة الناحية الخامسة بجعل المنطقة جزء من المعارك التي يخوضها جيش التحرير في كل التراب الوطني.³

المعارك الأخرى: كانت معارك العرق الاولى تحديا سياسيا وعسكريا وعملياتا رفيعة المجاهدون وادخلوا المنطقة في قلب العمل العسكري للثورة في تحد واضح لطبيعة المنطقة الجغرافية المكشوفة التي لا توفر الظروف المناسبة لحرب العصابات، القليلة السكان، الواسعة المساحة وما قابلها من قمع ووحشية العقيد بيجار ووحدات المظليين فإن معارك العرق الثانية جاءت لتؤكد على بقاء واستمرار المعارك في المنطقة وتنسف مخططات فرنسا في المنطقة فكانت على النحو التالي:

1- معركة قرن القصعة: 17 مارس 1959م: تقع هذه المنطقة شمال حاسي غمبو في صيف 1959م كان عدد المجاهدين واحد وعشرون مجاهد بقيادة حناني علي الذي نقل مقر قيادته إلى هذه المنطقة، وتتبع القوات الفرنسية اثاره وكانت مواجهة مباشرة اقتصر الخسائر البشرية على شهيد واحد من المسبلين لا يتجاوز عمره خمسة عشرة سنة اسمه العوي عيسى لم يتحدد عدد قتلى الفرنسيين لأن المجاهدون انسحبوا من المعركة دون التعرف على خسائر العدو ولكن بعض الروايات تقول أن حصيلة فرنسا كانت خمسة عشر قتيلًا.⁴

¹ - مول القرعة: ولد الشهيد خلال 1932م بفاتيس تينكوك ابن الشيخ متزوج وله ابن واحد بدأ عمله الثوري في بداية 1957م ضمن المنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني التحق بصفوف جيش التحرير الوطني بالعرق الكبير رتبته العسكرية مسؤول سياسي شارك في العمليات التالية: انتفاضة حاسي صاكة، حاسي جديد الشرقي، معركة حاسي تاسلغة، معركة حاسي غمبو ابن ارتقى شهيدا بتاريخ 21 نوفمبر 1957م، انظر بالبشير عمورة، المرجع السابق، ص 94_95.

² - سجل حناني علي، قائد الناحية الثالثة محفوظة بمتحف المجاهد بأدرار.

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 81.

⁴ - شهادة المجاهد النوارى محمد بن الدين، مسجل بفاتيس يوم 26/01/2003م محفوظة بمتحف ادرار.

2- اشتباك حاسي تنواتوا قرب سيدي منصور في 13 نوفمبر 1959م عدد المجاهدين اثنان وثلاثون تحت قيادة دحماني مُجَّد بلحمار¹، وجرت بعد اكتشاف القوات الفرنسية لدورية مراقبة قادمة من المنطقة الثالثة استطاع المجاهدون فك الحصار وخرجوا سالمين من الاشتباك رغم مباغته القوات الفرنسية لهم والتي تكبدت خسائر قدرت ب 15 قتيلًا².

3- معركة حاسي الشيخ: في مارس 1959م عدد المجاهدين 21 مجاهدًا بقيادة حناني علي ولم تسفر عن أي خسائر في صفوف المجاهدين.³

4- معركة دماغ العبيد الأولى: في أواخر فيفري 1960 في منطقة قريبة من حاسي زيرارة وحاسي ثلجة كان عدد المجاهدين اثنان وخمسون تحت قيادة حناني علي دامت يوماً كاملاً وتمكن المجاهدون من اسقاط طائرتين وغنم عشرة اسلحة وقام المستعمر بتدمير مؤونة المجاهدين وجمالهم ولم يستشهد فيها أي مجاهد.⁴

5- معركة ارباك بن حمو 11 مارس 1960م (معركة الرتماية): قرب قرن الرتماية جنوب غرب منطقة حاسي منية بقيادة دحماني مُجَّد المكنى بلحمار⁵ حدثت إثر اكتشاف العدو الفرنسي لمجموعة من المجاهدين خرجوا من قرية تاغوزي لملاحقة الخونة فلاحقتهم طائرات العدو الفرنسي⁶ كان عدد الشهداء فيها شهيدان وهما ناصرِي مُجَّد⁷ المدعو: (الفلعوص) وبن رزوق علي وعدد الأسرى اثنان بوعرفة مُجَّد، بوسعيد عمر، وقد تكبد فيها العدو عدد كبير من الجنود بلغ نحو اربعين قتيلًا.⁸

¹ - دحماني مُجَّد: ابن حمادة ولد خلال 1930م بفاتيس بتميميون متزوج وله اربعة أولاد التحق بجيش التحرير في 1956م شارك في عشرة معارك مرتبه العسكرية مسؤول قسم واستشهد في 1961/12/30م وعمره لا يتجاوز 31 سنة في معركة حاسي بن خليل شمال تينركوك. انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 60.

² - احمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص 127.

³ - بلبشير عمورة، المرجع السابق، ص 46.

⁴ - شهادة مجموعة من المجاهدين مسجلة بفاتيس في 2003/01/26م محفوظة بمتحف المجاهد بادرار.

⁵ - جمعية سيدي سليمان بن علي، المرجع السابق، ص 39.

⁶ - شهادة مجموعة من المجاهدين مسجلة بفاتيس في 2003/01/26م محفوظة بمتحف المجاهد بادرار.

⁷ - ناصرِي مُجَّد: الشهيد اسمه الحربي الفلعوص ابن عبد القادر ولد خلال 1928م بفاتيس تميمون التحق بجيش التحرير 1957 بنواحي الأبيض سيد الشيخ سنة 1959م ثم عينه محافظ سياسي بالناحية الخامسة بالعرق الغربي الكبير التي كانت تحت قيادة المرحوم حناني علي استشهد في 1961/03/11م وعمره لا يتجاوز 33 سنة في معركة الرتماية نواحي حاسي مينة. انظر السجل الذهبي، المرجع السابق، ص 76.

⁸ - بلبشير عمورة، المرجع السابق، ص 47.

6- معركة حاسي زيرارة: وقعت في جوان 1960م بقيادة حمادي مُجَّد، عدد المجاهدين احدى عشر والشهداء شهيد واحد وهو خنيفر بوسنة واسير واحد وهو قادة بن لهابكي، اما خسائر العدو فبقيت مجهولة.¹

7- معركة دماغ العبيد الثانية: حدثت يوم 17 أو 19 مار 1961م وكان قائد مجموعة جيش التحرير الوطني حناني لخضر وحمادي مُجَّد رفقة عدد من المجاهدين وتمكن من فك الحصار وخروج جنوده سالمين وقد قتل من الفرنسيين أربعة.²

8- معركة حاسي ثلجة الأولى: 14 أكتوبر 1960م قائدها عيشاوي الشيخ وقعت في القسم الخامس من الناحية الثالثة في منطقة حصينة ولم يستشهد فيها أي مجاهد.³

9- اشتباك حاسي علي بن حيمودة: في 16 نوفمبر 1961م قادها حكومي مُجَّد بن بحوص⁴ عدد الشهداء اثنان وهما حكومي مُجَّد بن بحوص قائد الاشتباك ونواري مُجَّد بن احمد⁵ المدعو زقودة وعدد الأسرى واحد وهو قادة بوعمامة وعدد قتلى العدو ثمانية منهم فرنسيان وستة من الحركة.⁶

10- اشتباك ارباق اجراد: جرى هذا الاشتباك قرب حاسي علي بن حيمودة يوم 10 افريل 1961م عندما اعترضت القوات الفرنسية طريق ثلاثة من المجاهدين الذين ثبتوا يوما كاملا.⁷

¹ - شهادة حكومي بوجعة مسجلة بفاتيس، المرجع السابق.

² - تواتي دهمان وآخرون، المرجع السابق، ص 83.

³ - بلبشير عمورة، المرجع السابق، ص 47.

⁴ - حكومي مُجَّد بن بحوص: ولد خلال 1923م بتينركوك تميمون متزوج وله ثلاثة أولاد، التحق بجيش التحرير سنة 1956م شارك في 12 معركة منها ستة معارك في الناحية الثالثة البيض، له عدة عمليات مثل الكمان وزرع الالغام وتخريب الاسلاك وبعدها انتقل إلى الناحية الخامسة بالعرق الغربي الكبير تحت قيادة حناني أعلي وعندها عينه مسؤول القسم الثاني نحو حاسي قرقور وحاسي اعلي بن حمودة، كلف بمعية مجموعة من المجاهدين تسديد نفقات ارامل الشهداء وعائلات المجاهدين في طريقهم نحو تينركوك اشتبكوا مع الجيش الفرنسي في معركة سن لعراض وسقط شهيدا برتبة مسؤول عسكري للقسم الثاني في 09 أكتوبر 1961م وعمره لا يتجاوز 37. انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 58.

⁵ - النواري مُجَّد ابن المُجَّد ولد عام 1933م بفاتيس، تميمون التحق بجيش التحرير الوطني في 1959م برتبة جندي شارك في معركتين واستشهد في 15/09/1961م وعمره لا يتجاوز 28 سنة. انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، نفسه، ص 77.

⁶ - بلبشير عمورة، المرجع السابق، ص 49.

⁷ - شهادة مجموعة من المجاهدين مسجلة بفاتيس في 26/10/2003م محفوظة بمتحف المجاهد بادرار.

11- معركة حاسي سيدي قدور بن يحي: كانت فرقة جيش التحرير الوطني بقيادة حناني على متمركزة بحاسي سيدي قدور واثر وشاية حاصرة القوات الفرنسية مركز الناحية بقوة قوامها خمسة مئة عسكري واستعملت خمسون طائرة وثمانون شاحنة وكانت معركة غير متكافئة خاضها خمسة وعشرون مجاهد في منطقة مكشوفة عل مدى خمسة عشرة ساعة، وبعدما احكمت القوات الفرنسية حصارها اندلعت زوبعة رملية افسدت على الفرنسيين خططهم ومكنة المجاهدين من فك الحصار في مناطق العرق ليلتقوا مرة ثانية.¹

12- معركة دفقة مولاي: وقعت قرب حاسي ايزي يوم 18 افريل 1961م ودامت يوما كاملا اظهر فيها المجاهدين شجاعة كبيرة بقيادة العلوشي الدين وقد استشهد فيها الحاج قدور بن مسعود ومفتاح مفتاح والنواري احمدية وبن منصور والنواري سليمان² بن المجد وبن علوش.³

13- معركة قرن بوقارفة الشرقي: تقع هذي المنطقة قرب حاسي قرن القصعة وقد شهدت معركة كبيرة يوم 15 سبتمبر 1961م سبقها عملية فدائية نفذها الفدائيون في حاسي حمو وقد اكتشفها الفرنسيون اثر تتبع اثارهم التي اتجهت نحو قرن بوقارفة حيث انضم المجاهدون إلى فصيلة العيد زمالة التي كانت في انتظارهم عندئذ قامت القوات الفرنسية التي وصلت من المنيعة وبشار وحاصرت المنطقة واجبرت مجموعة من المجاهدين صغيرة العدد والمشكلة من ثلاثة عشر فردا على الدخول في مواجهة غير متكافئة بدأت من طلوع الشمس وامتدت إلى غروبها استبسل فيها المجاهدون واسقطوا طائرة العدو وقتلوا عشرين عسكريا واستشهد سبعة من المجاهدين من بينهم بحوص بوشريط والنواري قويدر⁴ واسر عدد من المجاهدين ونجا البعض باعجوبة.⁵

¹ - شهادة الزاوي بحوص مسجلة بفاتيس في 26/01/2003م محفوظة بمتحف المجاهد بادرار.

² - النواري سليمان: ابن المجد ولد خلال 1935م بفاتيس تميمون اعزب يحسن القراءة والكتابة التحق بجيش التحرير في 1959، مرتبته العسكرية جندي شارك في معركتين واستشهد في 16/12/1961م وعمره لا يتجاوز ثلاثة وعشرون سنة في حاسي ثلجة بتركوك، انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 77.

³ - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 85.

⁴ - النواري قودر: ابن النوار ولد عام 1928م بفاتيس تميمون، متزوج التحق بجيش التحرير في 1956م مرتبته العسكرية جندي شارك في معركتين واستشهد في 15/09/1961م وعمره لا يتجاوز ثلاثة وثلاثون سنة بمعركة قرن بوقارفة الشرقي نواحي حاسي بن خليل، انظر السجل الذهبي، المرجع السابق، ص 78.

⁵ - شهادة الزاوي بحوص مسجلة بفاتيس في 26 جانفي 2003م محفوظة بمتحف المجاهد بادرار.

14- معركة حاسي بن خليل: يقع هذا البئر شمال غرب حاسي بوقرافة حدث الاشتباك اثناء انتقال مجموعة من المجاهدين إلى مركز القيادة بحاسي سيدي قدور بقيادة حمادي مُجَّد بلحمار¹. حيث اعترضت طريقهم قوات الاحتلال الفرنسي فاشتبك الفريقان ودامت المعركة يوماً كاملاً تكبد خلالها المستعمر خسائر فادحة وسقط فيها حمادي مُجَّد شهيداً وعلى اثرها غيرت قيادة الناحية مقرها إلى منطقة تينوان ثم إلى حاسي الجديد ثم إلى المناطق الصعبة في نواحي حاسي بوزيد بقيادة حناني علي للهروب من أعين الجواسيس².

15- معركة حاسي ثلجة الثانية: قادها قدور بن دحمان المدعو المخلص سجل فيها العدو خسائر فادحة ولم تكن متكافئة القوى بين الجانبين³.

بالإضافة إلى العديد من المعارك والاشتباكات كاشتباك بلعروق ومعركة لقطاب وحاسي زيارة ومعركة دمغت حاسي ازي وارياف اجراد وغيرها من الاشتباكات والمعارك التي خاضها المجاهدون على العرق الغربي الكبير والتي ارتوت بدمائهم الطاهرة في معارك مكشوفة غير متكافئة خاض فيها المجاهدون معارك عديدة ضد الطبيعة القاسية وضد الخونة والجواسيس وضد فرنسا وإمكانياتها الضخمة وأسلحتها الثقيلة.

استطاعت معارك العرق الأولى إعطاء إشارة الانطلاقة للعمل المسلح في المنطقة وألحقتها بملحمة الثورة على المستوى الوطني بتضحيات وبسالة المجاهدين الذين تسلحوا بالإيمان واخذوا أسلحتهم من العدو نفسه نظراً لصعوبة المنطقة واتساعها وقلة مواردها الطبيعية وأمام همجية فرنسا التي سخرت إمكانيات ضخمة للقضاء على الثورة في المنطقة لتنبعث من جديد بعد خمسة عشر شهراً من السبات الثوري نتيجة لجرائم فرنسا على المدنيين العزل، جاءت المعارك الأخرى أكثر قوة وعنفاً وأحبطت كل مشاريع فرنسا في المنطقة الهادفة إلى فصلها عن الجزائر واستغلال ثروتها واستغلال شساعتها لأهدافها

¹ - حمادي مُجَّد ابن حمادة ولد خلال عام 1930م بفاتيس تيميمون متزوج وله اربعة أولاد التحق بجيش التحرير في 1956م وشارك في عشر معارك مرتبته العسكرية مسؤول قسم استشهادي: 1961/12/30م وعمره لايتجاوز واحد وثلاثون سنة في معركة حاسي بن خليل شمال تينركوك. انظر جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 60.

² - انظر شهادة مجموعة من المجاهدين، المصدر السابق.

³ - المصدر نفسه.

العسكرية في وادي الناموس ورقان بإجراء تجاربها البيولوجية والذرية لتزداد الثورة اتساعا بإنشاء الجبهة الجنوبية التي فتحت الثورة على عمقها الأفريقي وازالت مفعول حصار خطي شارل وموريس لخنق الثورة من الشرق والغرب، فكان انشاء الجبهة الجنوبية اسفينا دقته الثورة في وجه مخططات فرنسا التي راحت تنتقم من المنطقة بتسريع تجاربها الكيماوية في وادي الناموس والذرية في رقان.

رابعا: الجبهة الجنوبية ودورها في الثورة التحريرية.

لقد كان بعث الثورة في اقصى الجنوب تحد واضح من الثورة للاستعمار الذي كان يراهن على سياسة فصل الصحراء وفي المناطق الشمالية خطي شال وموريس لخنق وعزل الثورة جاءت فكرة ايجاد منافذ بديلة للثورة عن طريق اقامة جبهتين احدهما على الحدود الليبية الجزائرية وأخرى على الحدود المالية النيجيرية الجزائرية من اجل اشراك سكان هذه المناطق في ملحمة الثورة وفك الحصار عن الثورة وتوزيع الجهد الحربي الفرنسي في مختلف مناطق الجزائر الشاسعة وللتأكيد على البعد الأفريقي للثورة الجزائرية.

دوافع وظروف نشأتها: بعد اعلان الجنرال ديغول عن حق تقرير المصير في سبتمبر 1959م

والمناورات الفرنسية لفصل الصحراء وبعد الانتصارات الداخلية والخارجية خاصة بعد التمام شمل القيادة عقب اجتماع العقداء العشرة، ووحدة الاستراتيجية المستقبلية والدورة الثالثة للمجلس الوطني للثورة فقد حددت قيادة الثورة توسيع المواجهة إلى اقصى الجنوب في الجبهة المالية النيجيرية لإبراك العدو وتخريب مخططاته الأخيرة في تجزئة التراب الوطني.¹

حيث انشأت ضمن استراتيجية الثورة للوقوف في وجه المخططات الاستعمارية الهادفة إلى خنق الثورة فبادرت الثورة إلى ايجاد منافذ اخرى من اجل التموين والتجنيد والدعم والاتصال والأخبار والعلاج، وهذه التنظيمات السياسية والعسكرية والإدارية تعود إلى مصالح التسليح (المالغ Malga) والتدريب على السلاح والاستعلامات والاستخبارات والتكوين في فنون القيادة والقضاء والإعلام والصحافة والصناعة الحربية حيث جاءت ضد محاولات فرنسا للاحتفاظ بالصحراء بحجة أن هناك أرض لم تصلها

¹ - عبد الله مقلاتي، الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي إبان الثورة التحريرية وزارة الثقافة - الجزائر - بمناسبة الذكرى الخمسين للاستقلال 2013، ص 15.

يد جيش التحرير الوطني حيث يقول مُجَّد الشريف مساعدي¹: «كنا مستعدين للموت في سبيل الدفاع عن وحدتنا الترابية..... ولكي تثبت اقدمنا في الجنوب ونضع حدا للمزاعم التي روجت لها فرنسا قررت القيادة العامة ان ترسل بعثة إلى الجنوب تكونت من السادة عبد اله بلهوشات و مُجَّد الشريف مساعدي واحمد دراية، عيساتي، عبد العزيز بوتفليقة وكانت مهمة البعثة البحث عن الاماكن التي لم يصلها جيش التحرير لوسط وجودنا فيها، وقد كان خروجنا من تونس إلى غينيا ومالي وعند دخولنا لمالي كان لزوما علينا الانتباه لان الجيش الفرنسي مايزال متواجد هناك ومن الممكن ان يحتل هذه المناطق التي كان يعتقد ان جيش التحرير الوطني لم يصلها بعد.....»².

وكان هدفها تحقيق غايتين سياسية وعسكرية:

سياسيا: اىصال التنظيم الثوري لجهة التحرير الوطني إلى المنطقة لا فشال سياسات فرنسا الرامية لفصل هذه المناطق عن الجزائر، وذلك بإنشاء تنظيم ثوري بالمنطقة ينهض بأعباء الثورة من حيث التعبئة والرعاية وتكوين وحدات عسكرية ميدانية على تواجد الثورة بالمنطقة وارتباطها بالثورة.

عسكريا: ايجاد جبهة جديدة شنت المجهود الحربي الفرنسي وتفتح منفذ جديد للتزويد بالاسلح والدعم خاصة بعد اغلاق الجهتين الشرقية والغربية بالأسلاك الشائكة، واتخاذها مصدرا للتدريب وتزويد الثورة برجال مدربين على مختلف الاسلحة يحدوهم وعي بتحقيق اهداف الثورة المسطرة وإقامة قواعد خلفية تدعم وحدات جيش التحرير الوطني واثبات عمق الثورة في أقصى الجنوب.³

¹ - مُجَّد الشريف مساعديه: ولد سنة 1924م بمدينة سوق هراس التحق بصفوف الثورة بعد اندلاعها مباشرة خاض العديد من المعارك في السنوات الأولى وأصبح ضابطا في جيش التحرير الوطني التحق بالجهة الجنوبية كمسؤول تنظيم سياسي سنة 1960م تدرج في المسؤوليات بعد الاستقلال نوفي سنة 2005 بالجزائر العاصمة.. انظر: hocine elements.bour lamemoire casbah edition ,alger.2009.b54.

² - عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص ص 133_134.

³ - عبد الله مقلاتي، الثورة الجزائرية وافريقيا صفحة دبلوماسية ناصعة، وزارة الثقافة، الجزائر، الذكرى الخمسين للاستقلال، ص 76.

انشاء الجبهة الجنوبية: جاء انشاء الجبهة الجنوبية كتطورا طبيعيا للثورة التحريرية من اجل الشمولية والقوة فكان فتح الجبهة الجنوبية قرارا للقيادة الثورية المتمثلة في المجلس الوطني للثورة في نهاية 1959م التي أوكلت المهمة إلى هيئة الأركان العامة ولعب فرانز فانون دورا محوريا وهاما في هذا المجال.¹

واوكلت المهمة إلى فرانز فانون وبن يلس والرائد حميدة المدعو زكرياء الاتصال بالقادة الأفارقة ومناقشة المشروع معهم وجس النبض لمعرفة مدى استعدادهم لتبني المشروع وحجم المساعدات التي يمكن تقديمها للثورة، وتتمثل هذه الشخصيات الافريقية في الرئيس الغيني: "سيكو توري" secco tore و"ميديو كايثا" medebo kaita رئيس دولة مالي الذي كان يصارع الاستعمار الفرنسي.²

وهذا ما يوضح التضامن الافريقي مع الثورة التحريرية نظرا للمصير والعدو المشترك، والتنسيق بين الدول الأفريقية في مقاومة الاستعمار وهذا من خلال الاستقبال والترحيب الذي لقيه فرانز فانون لإنشاء هذه الجبهة كما يوضح العلاقات الجيدة التي ربطتها الثورة بفضل صيتها وتضحياتها وعدالة قضيتها في الخارج. وقد لقيت بعثة جبهة التحرر الوطني الترحيب من طرف الرئيس المالي وقد امر وزير دفاعه بنقل الوفد إلى منطقة قيдал وقاو وعلى اثر ذلك ارسل فرانز فانون تقرير مفصل إلى قيادة الثورة اوضح فيه تأييد القادة الأفارقة لهذه الفكرة والدعم السياسي والعسكري لإنشاء هذه الوحدات.³

وبعد فترة كلفت قيادة الثورة ممثلين عن قيادة هيئة الأركان العامة للتوجه إلى الجنوب من أجل إرساء معالمها وتتكون هذه اللجنة من عبد العزيز بوتفليقة واحمد فايد، وعمر اوصديق ممثل الحكومة المؤقتة بكوناكري، وبعد استلامهم خطة العمل انتقلوا من تونس إلى غينيا ثم إلى مالي وتوزعت المسؤوليات ميدانيا كالاتي:

- عبد العزيز بوتفليقة: قائدا سياسيا وعسكريا للمنطقة.
- عبد الله بلهوشات: عضو قيادة المنطقة مكلف بالشؤون العسكرية.
- محمد الشريف مساعدي: عضو قيادة المنطقة مكلف بالشؤون السياسية.

¹ - عبد الله مقلاتي، ابحاث ودراسات في تاريخ الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الذكرى الخميس للاستقلال، ص 258.

² - محمد قنطاري: استراتيجية السياسة الفرنسية في محاولة فصل الصحراء، محاضرة القيت بالملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء، المركز الوطني للدراسات حول الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، نوفمبر 1998م، ص 175.

³ - شهادة بن سبباق احمد، مسجلة ومحفوظة بمتحف المجاهد بولاية ادرار.

- احمد دراية: عضو قيادة المنطقة مكلف بالاتصالات والاخبار.
- عيساتي شويشي: مسؤول مصلحة التموين.
- بشير نور الدين: مسؤول مصلحة الصحة.

وبعد اشهر التحق عبد العزيز بوتفليقة بقيادة هيئة الاركان وخلفه نائبه في المنطقة عبد الله بلهوشات.¹

ونتيجة للمجهود المبذول في ميدان التعبئة والدعاية والتنظيم، فقد كانت هناك استجابة كبيرة لهذه الفكرة في اوساط التواتيين واهل المنطقة حتى أصبح لها جيش منظم متكون من عدة فيالق يزيد تعداده عن عشرون الف جندي وواصل القادة مهمة التكوين السياسي والعسكري للمنضمين لهذه الجبهة.²

وقد جاء انشاء هذه الجبهة ردا على السياسة الاستعمارية في غلق الحدود الشرقية والغربية وسياسة فرنسا القائمة على فصل الصحراء والاستئثار بثرواتها في مناورات عديدة في هذا المجال حيث لعب فرانز فانون دورا مهما في هذا المجال بحكم علاقاته المتميزة بالرئيس الغيني "سيكو توري" Sekou toure و"ميديبوكايتا" Modibokeita رئيس دولة مالي وباصرار القيادة العليا وهيئة الاركان للثورة والبعث الإفريقي للثورة في المنطقة العليا وهيئة الأركان للثورة وللبعث الإفريقي للثورة في المنطقة.

مراكز التدريب لجيش التحرير الوطني: بعد استقلال مالي سنة 1960م ساعد على انشاء مراكز وقواعد خلفية للثورة للتدريب والتكوين والتنظيم ومن القواعد الاستراتيجية الخلفية لجيش التحرير على الحدود قاعدة "قاو" التي تبعد عن مركز "قيدال" بـ 420 كلم و1600 كلم وعن "باماكو" العاصمة المالية التي تعتبر اول قاعدة عسكرية كمركز قيادة جبهة التحرير الوطني للتدريب على فنون القتال وحرب العصابات ومختلف الاسلحة والمتفجرات والألغام وتكوين المحافظين السياسيين والمرشدين

¹ - عبد الله مقلاني، ابحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 261_263.

² - مصطفى هشماوي، جذور نوفمبر 1954 منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 174_187.

والممرضين والمعالجين واللاسلكي والاتصال والأخبار والتموين لأعداد الاطارات العسكرية السريعة في ظرف خمسة واربعين يوما ومن اهم هذه المراكز: قاوا، كيدال، تاسيلي وغيرها.¹

مراكز الجبهة الجنوبية ونشاطاتها: إنطلاقا من مراكز قاوا ثم فتح العديد من المراكز في شمال مالي والنيجر بالقرب مع الحدود الجزائرية.

● مركز كيدال: الذي استقرت به وحدات جيش التحرير الوطني وباشرت مهام التنجيد والتدريب واقامت به مصالح الاتصال والنقل والتسليح.

● مركز انتكو: يشرف على النقل والتدريب واستقرت به الكتيبة الثانية يقودها بوجمة بوسعيد.

● مركز اندوني: يتولى الاشراف على المهام العسكرية والمدنية يقوده اولا الطالب جميعا وتنشط به الكتيبة الأولى.

● مركز تساليت: يقع على الحدود المالية الجزائرية على بعد 35 كلم من برج باجي المختار وهو موقع متقدم للتموين والاتصالات، استقرت به الكتيبة الثالثة يشرف عليها سي يحي.

● مركز تاديتي للتموين والنقل: جنوب تمنراست² ويحتوي مركز القيادة "بقاوا" على مبنى وضعته السلطات المالية تحت تصرف جيش التحرير الوطني، كما ارست لجان مدنية لجبهة التحرير تشرف على تاطير الجزائريين "بقاوا" ونذكر من بين مسؤوليها: بوجمة بوسعيد، والحاج حمادي اقاسم، والحاج عبد القادر.³

وبفعل هذه المراكز على الحدود الجزائرية المالية النيجرية تكونت جبهة كبيرة ضد المستعمر الفرنسي اكدت على بعدين أساسيين وهو وحدة التراب الوطني امام المناورات الديغولية لفصل الصحراء كما اكدت على البعد الافريقي للقضية الجزائرية وهو ما تجلى ايضا في قمم الوحدة الافريقية التي قدمت كل الدعم للقضية الجزائرية.

¹ - سلسلة المنتقيات فصل الصحراء في السياسة الاستعماري الفرنسية المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، دار القصة للنشر، ص 179.

² - تواتي دحمان وآخرون، المرجع السابق، ص 117.

³ - شهادة مجموعة من مجاهدي الجبهة الجنوبية، مسجلة يوم 2003/08/25م، متحف المجاهد - ادرار.

وهكذا انطلق العمل وفق محورين:

المحور الأول: العمل السياسي الذي يتمثل في تكثيف الاتصالات بين المناطق وجيش التحرير الوطني بغرض التجنيد وتكثيف وجود جيش التحرير الوطني.

المحور الثاني: وهو تكوين شبكة اتصالات في كامل المناطق لتأمين سرعة الاتصالات بين العاصمة وولايات الجنوب بكل سهولة، وقد استغرق هذا العمل سنة كاملة وبعد ذلك زدوا باللباس من الولاية الثالثة وبدا العمل في خلايا منظمة في قواعد وهي رقان، سالي، اولف، عين صالح، ادرار، تميمون، تمراست، بشار تيندوف حتى الحدود الموريتانية.¹

وقد انحرف اهل المنطقة في هذه الجبهة يحذوهم الايمان والتضحية للوصول إلى الهدف المنشود فكانت هذه الخلايا منتشرة في كل منطقة من مناطق توات وكانت كالاتي:

- زاوية كنتة: الحاج الصديق بن عبد القادر.
- تيلولين: الحاج المجد خليل.
- سالي: مولاي عبد الله السي حمو.
- تيطاوين: العزاوي.
- انجزمير: الحاج عبد الرحمان.
- رقان. الحاج الصالح، الحاج قدور لقصاصي، مولاي المجد الرقاني، مولاي الشيخ، زين الدين بن السي محمد، مولاي عبد الحي، مولاي الناجم.
- تساييت: خيضاوي
- أولاد ونقال: الحاج محبوب
- ادغا: حماوي البركة
- بودة المنصور: الحاج سالم
- بني لو: الحاج عبد الله
- تمنطيط: الشيخ الحاج عبد القادر بن سيدي احمد ديدي

¹ - عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص ص 134_135.

- فنوغيل: لمتوكل مُجّد

- أولف: مولاي عبد الرحمان_ سيدي الوافي هياوي_عمار مُجّد القايد_ أولاد مولاي السعيد

وحسب شهادة لـ مُجّد الشريف مساعديّة عن الحاج عبد القادر اقوجيل: «ابناء توات كلهم كانوا مجاهدين ولم يكن منهم عملاء».

وقد حرصت قيادة جبهة التحرير على ربط الاتصال وتوثيقه عن طريق انشاء هذه الخلايا لترتبط ارتباطا عموديا بقيادة الثورة في الولايات خاصة الولاية الخامسة لذلك اهتمت بالتوعية السياسية وتجنيد الجزائريين والاهتمام بمسألة التموين والتسليح فقد كلف السيد عبد العزيز بوتفليقة القاسم حمادي يربط الاتصال بمناطق ادرار وبشار ووهران للتواصل مع الولاية الخامسة، وكلف دفّة مُجّد وبوعمامة عبد الرحمان يربط الاتصال بمنطقة تمنراست وكسب اعيان التوارق لدعم الثورة وعلى رأسهم الحاج باي اخاموخ، واتصل بمولاي احمد الاكحل وهكذا انتقل مسؤولوا الجبهة إلى منطقة توات والاهقار لتنشيط الثورة.¹

لقد تحولت المحنة إلى منحة نتيجة تفاقم مشكلات القيادة والتسيير مما أدى إلى تخفيف قبضة الثلاثي: (بلقاسم وبن طوبال وبوالصوف) من خلال انشاء هيئة بومدين اخذت على عاتقها تنظيم جيش الحدود الشرقية والغربية وتحديثه فقد اعادت الانضباط في قاعدة المغرب وأرضت الجنود في القاعدة الشرقية وحسنت اوضاعهم وأطلقت سراح المحكوم عليهم في مؤامرة العموري الرواد بلهوشات ودراية ومساعدية وإرسالهم إلى المناطق الجنوبية وتنظيم جيش التحرير الوطني في فيالق وتجهيزهم بالأسلحة استعدادا للمعركة الحاسمة.²

يتبين لنا مما سبق أن انشاء الجبهة الجنوبية وتقويتها جاء نتيجة قرار هيئة الأركان التي عمدت إلى تقوية جيش الحدود الشرقية والغربية وانشاء الجبهة الليبية الجزائرية بالإضافة إلى الجبهة الجنوبية وقد كان حل الخلاف وابعاد الثلاثي المحكوم عليهم في قضية لعموري إلى الجبهة الجنوبية كحل يرضي الاطراف من جهة ويجعلهم امام تحد لإثبات الذات من جهة اخرى بتنظيم جبهة جديدة تضع حلا لحالة الحصار التي يضرها الاستعمار على الثورة في الشرق.

¹ - عبد الله مقلاتي، ابحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 363 _ 364.

² - عبد الله مقلاتي، الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية، المرجع السابق، ص 22.

مهام الجبهة:

أ- داخليا: تمثل نشاط الجبهة داخليا في التوعية والتأطير بتشكيل لجان مدنية مهمتها احصاء السكان الجزائريين في المنطقة ووضع بطاقات خاصة عن عملهم ونشاطهم وامكانية الاستفادة منهم وكانت تحت اشراف هيئة سياسة تسمى قسمة تكونت من احدى عشر عضوا كآآتي:

- سيد لحبيب رئيسا
- اقسام عمر
- ديدي مولاي عبد الكريم
- لروي بصوص
- مرابطي محمد البركة
- دحاج عبد القادر
- اباحسان الجومي
- بن السي حمو عبد الله بن احمد
- لقصاصي عبد القادر بن سيد احمد
- فرجاني الحاج احمد¹

وقد كلفت الجبهة بالإضافة إلى التوعية جمع الاشتراكات وتقديم كافة اشكال الدعم المادي للثورة عن طريق جمع الاشتراكات وارسالها إلى قيادة الثورة في شكل سلع وبضائع لبيعها في مالي وتسلم عائداتها لقيادة الثورة هناك.

الجدول رقم 25: يوضح حجم المساهمات في إطار الجبهة الجنوبية

تاريخ التبرع	المبلغ المتبرع به	تاريخ التبرع	المبلغ المتبرع به
31 افريل 1961	100000 فرنك مالي صفة	03 جانفي 1962	100000 فرنك مالي صفة
14 جوان 1961	100000 فرنك مالي صفة	07 جانفي 1962	100000 فرنك مالي صفة
10 جوان 1961	1000000 فرنك مالي صفة	2 فيفري 1962	100000 فرنك مالي صفة
02 ماي 1961	5000 فرنك مالي صفة	29 فيفري 1962	500000 فرنك مالي صفة
10 ماي 1961	1500000 فرنك مالي صفة	4 مارس 1962	2500 فرنك مالي صفة
31 اوت 1961	100000 فرنك مالي صفة	31 مارس 1962	100000 فرنك مالي صفة
13 سبتمبر 1961	100000 فرنك مالي صفة	30 فيفري 1962	100000 فرنك مالي صفة

¹ - شهادة في اطار البطاقية التاريخية من طرف عدد كبير من مجاهدي الجبهة الجنوبية، محفوظ بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.

100000 فرنك مالي صفة	04 ماي 1962	100000 فرنك مالي صفة	04 أكتوبر 1961
100000 فرنك مالي صفة	04 جوان 1962	100000 فرنك مالي صفة	03 سبتمبر 1961
100000 فرنك مالي صفة	07 جويلية 1962	100000 فرنك مالي صفة	15 جويلية 1961

المجموع: 7005000 فرنك مالي صفة بالعملة الصعبة.¹

ب_ على المستوى الخارجي: كان الهدف من انشاء هذه الجبهة هو كسر الحصار المضروب على الثورة في الشمال وإمداد الثورة بالسلح ففي هذا المجال كانت الجبهة تشهد نشاطا ملحوظا في امداد الثورة بالسلح حيث عملت الجبهة الجنوبية على تأمين امدادات السلح التي اقتناها بالصفوف من تشيكوسلوفاكيا والتي تحتوي على عشرين قنطارا من الاسلحة الخفيفة ونصف الثقيلة باسم دولة غينيا وقد تسلمها بوتفليقة وبن سبغاف من الرئيس سيكوتوري ونقلت إلى مالي ومن هناك إلى "قاو" ووزعت على شباب المنطقة.²

كما زودت الجبهة جوا عن طريق الطرود والحقائب المهربة دون علم السلطات المحلية ولا ربان الطائرات كما زودت عن طريق البحر عن طريق رأس الرجاء الصالح وصولا إلى ميناء كوناكري بمساعدة السلطات الغينية وايصالها برا عبر الشاحنات والسيارات إلى مالي وغاوا واستفادت منها الولايتين الخامسة والسادسة التي ساعدتها على تسليح وحدات جديدة ضد الاستعمار.³

وكانت تمول الجبهة الجنوبية بالاسلحة والذخيرة عن طريق الموانئ الاسبانية والبرتغالية وجزر الكناري والمغربية بحرا إلى ميناء كوناكري بواسطة بواخر تجارية اجنبية يشرف عليها افراد من الثورة تنقل الشاحنات والسيارات ليلا إلى القواعد الخلفية لجيش التحرير الوطني من اجل امدادها بالسلح وكسر الحصار المضروب عليها وتسعير المواجهة ضد العدو.⁴

¹ - التهامي غيتاوي، لفت الانظار، المرجع السابق، ص 307 _ 308.

² - شهادة بن سبغاف مُجد، مسجلة في 2002/05/27 بأدرار، محفوظة بمتحف المجاهد بأدرار.

³ - قنطاري مُجد، السياسة الفرنسية في الصحراء، مجموعة باحثين، فصل الصحراء في السياسة الفرنسية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 1998، ص 179.

⁴ - قنطاري مُجد، نفسه، ص 179.

وقد توخت قيادة المنطقة السرية في عملها من اجل تثبيت اقدام الثورة نظرا لصعوبة المنطقة وشساعتها والسيطرة والرقابة الاستعمارية عليها، وصعوبة للاتصال مما ادى إلى انتهاج السرية واخذ الحيلة وبعد تثبيت اقدام الثورة وخلاياها تعذر على الاستعمار اكتشافها أو القضاء عليها.¹

وبعد وقف النار اخذت الجبهة الجنوبية على عاتقها الاشراف على المرحلة الانتقالية وإدارة المنطقة الصحراوية الجنوبية الممتدة من برج باجي مختار إلى ادرار ومنها إلى عين صالح وتمنراست وهكذا دخل مُجَّد الشريف مساعدي واحمد دراية ادرار وانتقل مساعدي إلى تميمون واحمد دراية إلى تمنراست واشرفوا على رفع العلم الوطني في هذه المناطق ولعبت الخلايا المدنية دورا مهما اثناء الثورة وبعدها في المنطقة.²

ومن هنا تبين لنا الاتي:

- أن انشاء الجبهة الجنوبية كان وليد مخطط ونظرة مستقبلية ثابتة وتطور طبيعي لمسار الثورة خاصة هيئة الأركان.

- الدور الفعال لفرانز فانون والرئيس المالي والنيجري والسلطات الغينية في تسهيل ومد العون للثورة.

- البعد الافريقي للثورة التحريرية من خلال مد الجسور في اعماق افريقيا.

- حققت شمولية وقوة الثورة كما جاء في مقررات مؤتمر الصومام 1956.

- وجهت ضربة قاصمة لمخططات فرنسا في مشروعها وسياستها لفصل الصحراء الجزائرية والاستئثار بثرواتها وخيراتهما.

- فك الحصار على المناطق الشمالية وامدادها بالسلاح وتشتيت الجهد الحربي الفرنسي حول جميع مناطق التراب الوطني.

¹ - عبد الله مقلاتي أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 265.

² - عبد الله مقلاتي، الثورة الجزائرية وافريقيا، المرجع السابق، ص 93.

- تبرز مدى الجهود الجبارة التي بذلتها قيادة الثورة في منطقة واسعة وشاسعة وصعبة وقاسية
بانشاء وحدات لجيش التحرير الوطني بها.

- الالتفاف التلقائي والجماعي لسكان المنطقة بهاو اعانة المجهود الحربي من طرف السكان
مقتنعين بالشهادة في سبيل الوطن متشبعين بالنفحة الدينية للدفاع عن وطنهم.

خاتمة

من خلال هذه الرحلة العلمية خلصنا في هذا العمل إلى النقاط التالية:

تبين لنا أن هذه المنطقة منطقة توات نظرا لموقعها الجغرافي المميز الذي ربط خطوط التجارة بين الشرق والغرب والشمال نحو الجنوب، نحو توميكتو وأفريقيا جنوب الصحراء كانت محط اطماع غربية استعمارية كبيرة للسيطرة على التجارة الأفريقية وما تزخر به من معادن وثروات مثل الذهب والعاج وغيرها، لذلك كانت محل اطماع الدول الاستعمارية وسخرت في ذلك جمعياتها العلمية والجغرافية من اجل كشف طرقها وأسرارها وأغوارها استعدادا لغزوها ولا يختلف في ذلك فرنسا أو بريطانيا أو غيرها فكلها كانت تضع عينيها على هذه المنطقة.

تعددت التسميات حول المنطقة، لكن في عمومها كانت منطقة متقطعة للعبادة والتدبر والتصوف والابتعاد عن بزخ الحياة وترفها فهي منطقة متواجدة في بحر من الصحراء تمتاز بقساوة طبيعتها (حرارة مرتفعة صيفا وبرودة مرتفعة شتاء)، تتخلها بساتين غناء تروى بمياه الفقاقير يعتمد اهلها اسلوب الكفاف من العيش والقناعة.

اعتمد سكان المنطقة على انفسهم في تنظيم امورهم باعتماد اسلوب حكم الجماعة التواتية كانوا في أغلب الأحيان لا يخضعون لأي سلطة مركزية إلا استثناء بالاسم ارتبطوا ببساتينهم وأرضهم انصهروا اجتماعيا وكونوا مجتمعا متماسكا متعاونوا وزعت الادوار فيه بشكل يكفل العيش والتعايش للجميع تحت سقف الشريعة الإسلامية.

واتضح لنا مما سبق أن المنطقة رغم بعدها عن مراكز القرار إلا أنها كانت واعية بالأخطار المحدقة بالأمّة الإسلامية من خلال ارتباط سكانها بالتجارة بالشمال والجنوب فقد حارب سكان المنطقة المستكشفون الغزاة وقتلوهم في كثير من الأحيان لمعرفة بنواياهم الحقيقية وبعد دخول المستعمر للمنطقة كافح السكان بصدور عالية في صحراء خالية، داخل اسوار قصباتهم التي لم يتردد الاستعمار في دكها على رؤوس ساكنيها، مسجلا مجازره التي لم تخل منها منطقة من الجزائر تفوق فيها المدفع الحاقد على عش القصب الطينية على اجساد السكان المحليين ولم يفرق بين رجل أو شيخ أو امرأة أو طفل أو انسان أو حيوان، دفنوا كلهم تحت ركام هذه القصب التواتية الشاخنة.

قدم التواتيون التضحيات في سبيل الدفاع عن ارضهم وعرضهم في الدغامشة واينغر والمطرفة وشروين شارك فيها كل سكان توات بكل ما يملكون بالنفس والنفيس تحذوهم رغبة في الشهادة رغم قلة امكانياتهم وعدتهم وعتادهم وعدم خوضهم للحروب لأن المنطقة كانت مسالمة.

ونتيجة لهذا فقد استعملت فرنسا سياسة استعمارية تهدف إلى السيطرة بكل الوسائل على المنطقة، مستعملة سياسة استعمارية في المجال الاداري والاجتماعي والثقافي والقضائي كغيرها من أراضي الوطن استهدفت الحاق المنطقة بفرنسا في نظام عسكري لهذه المنطقة كما ألحقت القضاء المحلي بالقضاء الفرنسي لفرض هيبة المستعمر وضيقت على المساجد والزوايا والكتاتيب مقابل تشجيع التعليم باللغة الفرنسية، حاربت الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ الجزائري في سياسة استعمارية تهدف إلى ترسيخ الاستعمار وتقويته ومسح كل مقومات الشخصية الوطنية.

شهد التنظيم الاداري في المنطقة في عهد الاستعمار تغيرا مستمرا يهدف إلى السيطرة على المنطقة، حيث تم وضع المنطقة ف البداية تحت نظام الوحات الصحراوية، ثم اقليم عين الصفراء ثم ألغي النظام الإداري القديم ضمن ما كان يعرف بأقاليم الجنوب، وإنشاء عمالتين بكل من الساورة والواحات تتبعان مباشرة للحكومة الفرنسية. وفي قانون 1957م أنشأت وزارة الصحراء أو وزارة مكلفة بالصحراء بعد اكتشاف مواردها المعدنية والطاقوية وإنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية، والتي استبدلت بوزارة منتدبة لدى الوزير الأول اسندت لـ جاك سوستال Jacques Soustelle جمعت بين المهام الاقتصادية والإدارية وأشرفت على الشؤون الادارية والاجتماعية.

ومن هنا يتضح لنا دور الطرق الصوفية والزوايا والعلماء والقضاة في مواجهة هذه الهجمة الثقافية الهادفة إلى الهيمنة والسيطرة والغزو عن طريق الصليب والتحيز التي قادها لافيغري Lafegere ووانطوان ديبش entoine debeche، والاقتصادية التي قادها مجرموا الاستعمار بحرق الاراضي ومصادرتها وتجويع السكان المحليين والتفرقة الاجتماعية من خلال تفتيت الاسر والملكيات ومنح الالقاب والأوسمة والامتيازات وخلخلت النظام الاجتماعي القائم على التعاون والتآزر والتآخي تحت ظلال الشريعة الإسلامية.

كانت المقاومة الفكرية والعلمية والادبية التي تصدى لها الائمة وشيوخ الزوايا والاعيان لا تقل ضرورة وأهمية على المقاومة العسكرية أو السياسية في ظل التفوق المادي والعسكري والحضاري للحضارة الغربية في الجزائر عامة والمنطقة خاصة وظلت هذه المؤسسات الدينية والإعلام والفقهاء والشيوخ والزوايا تحافظ على جذوة المقاومة مشتتة في وجه مقاومة هذه السياسة الاستعمارية الهادفة إلى السيطرة والهيمنة ومسح مقومات الشخصية الوطنية.

تصدى للقضاء والفتوى في منطقة توات عائلات استأثرت بذلك نتيجة لظروف عدة كالأسرة البلبالية والبكرية بحكم المستوى العلمي للعائلتين وانتمائها إلى حاضرة تمنطيط مركز السيادة والإدارة في المنطقة انذاك كان يستمد احكامه من الشريعة الإسلامية تحت اشراف الإدارة الاستعمارية التي يرفع لها الاستئناف.

اضطلعت الجماعة التواتية بمهام اجتماعية واقتصادية وتعليمية مهمة ووزعت المهام للإمام وشيخ القبيلة والعشيرة ومن له خبرة ودراية بالمكاييل والأوزان والمقاييس والفقارات دورا مهما تدير كل مايتعلق بالزواج وإدارة الاحباس والبساتين والفقاقير ومراعاة الضعفاء والفقراء كما عملت فرنسا على تكريس هذا النظام الاجتماعي القائم للمجتمع من خلال حصر المناصب القيادية في العائلات المنتفذة التقليدية من خلال منحها منصب القايد المعين من طرف الإدارة الاستعمارية الذي ينتمي إلى نفس المنطقة، واستمرت الجماعة التواتية في أداء مهامها تحت اشراف الإدارة الاستعمارية التي تنتمي إلى نفس المنطقة.

ساهم الوضع المعيشي المتردي للمجتمع نتيجة طبيعة المنطقة التي تعرف بإقليم الندرة في ظهور العديد من الامراض والأوبئة الفتاكة التي كانت تعالج بالطب التقليدي لكن دخول المستعمر الفرنسي اعطى اهمية لموضوع الصحة في اطار سياسته الاستعمارية الهادفة إلى تحقيق الاستعمار بطرق ناعمة سلسلة للتقرب من السكان المحليين بالرغم من انه كان قليلا جدا.

تماشت السياسة الضريبية الفرنسية وفق ما يتماشى ونشاط سكان المنطقة مثل ضريبة البرزة والكرفي ورسوم الزيارات والطكس والضريبة على المياه والنخيل وضريبة البرزة ووضع ايديهم على المكوث والاقواق والحبوس، لانها كانت ترى ان السيطرة المالية جزء لايتجزأ من السيطرة الاستعمارية وان الاموال

التي كانت تجمعها الزوايا تشكل خطرا على وجودها الاستعماري واشراكا لها في السلطة لذلك عملت على أحكام السيطرة الاقتصادية على المجتمع التوائي.

حاولت فرنسا التضييق على الشيوخ والعلماء، من خلال مراقبتهم ومراقبة مواردهم ومحاصرتهم لانها كانت ترى فيهم عماد وصلب المجتمع وحاولت كثيرا استمالتهم لتطبيق سياستها الاستعمارية مثلما رأينا في نازلة تينقورارين التي رأت أن الاستعمار قضاء وقدر وأن الفرنسيين الذين غلبوا على الأرض التواتية قد سمحوا للسكان بممارسة شعائهم وأن لا طاقة للسكان بمجابهتهم ولذلك وجب عليهم طاعتهم فأرسلوا بنص الفتوى إلى بلاد المشرق وإلى الحجاز للفتوى فيها وبعد بداية معارك العرق كانت فرنسا في نفس الاتجاه ترى أن من يحاربها انما هو خائن لوطنه ودولته وأن هؤلاء مجرمين خارجين عن القانون مستغلة الوازع الديني للسكان وشيوخ الزوايا المنتفعين بمزايا المستعمر الفرنسي.

تشجيع الشعوذة والطرق الصوفية الضالة خدمة لمشاريعها وحولت بعض الطرق الصوفية عن اهدافها وحولتها إلى اوكار للشعوذة والدجل ونشر الخرافات والبدع وتشجيع روح الشقاق والنزاع بين زعامتها وتشجيع الخلافات بينهما مثل النزاع المفتعل بين القادرية والتيجانية خدمة لمصالحها الاستعمارية.

خاض المستعمر صراعا حادا في محاربة التعليم الإسلامي واحلال محله التعليم الفرنسي، بالاضافة إلى عملية التنصير والتبشير لتحقيق الهيمنة الثقافية وبالتالي تحقيق السيطرة الكاملة على المجتمع الجزائري، مستعملين في ذلك المؤسسات الخيرية والحرفية والصناعية والصحية مستغلين بذلك الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية للمجتمع التوائي، والتي كانت نتيجة للسياسة الاستعمارية التي حاولت بكل قوة فصل الصحراء عن الشمال من خلال استعمال شخصيات مثل حمزة بوبكر الذي تماهى مع مناورات فرنسا القاضية بفصل الصحراء، والذي رفع شعار الصحراء للصحراويين وعرض تأييد حكم ذاتي للصحراء حيث عمل حمزة بوبكر على جمع تأييد الاعيان والزعامات المحلية وحشدها من اجل تدعيم هذا المشروع واقترح ديغول مشروع انشاء مشروع الجمهورية الصحراوية المتحدة والتي تضم مناطق من مالي والنيجر وتشاد والجزائر وموريتانيا وليبيا وهذا نتيجة لضربات الثورة القوية في المنطقة.

المواقف البطولية والمشرفة والوطنية للزعامات المحلية في رفض المشروع، في ظل السيطرة والتهديد الاستعماري الفرنسي وعلى رأسهم الحاج باي اخموك سلطان الهقار الذي عرضت عليه فرنسا أن يكون

سلطانا على الجمهورية الإسلامية الصحراوية والذي قوبل بالرفض التام والواضح من طرف الحاج باي اخموك والشيخ ابراهيم بيوض وهو احد أعيان ميزاب والذي رفض بدوره الفكرة والشيخ مولاي احمد الطاهري في منطقة سالي برقان في منطقة ادرار الذي رفض الفكرة وحاربها وتلقى في ذلك اذى كثير من السلطة الاستعمارية.

فشل جميع محاولات فرنسا الاستعمارية للسيطرة على المنطقة فكريا وعسكريا من خلال احتضان نشاط الحركة الوطنية بالمنطقة، والتي دخلت المنطقة بكل تياراتها مثل الاتحاد الديمقراطي الجزائري وانتصار الحريات الديمقراطية وحزب الشعب الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكانت جرائد البصائر والشهاب تصل للمنطقة ولها قراء ومتابعين والتي وصلت المنطقة عن طريق الاتصالات بين منطقة ادرار وبشار أو عن طريق نفي شخصيات فعالة إلى المنطقة مثل: الشيخ بوجناح سليمان عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو المناضل: الدية مُجَّد عن حزب الشعب والشيخ: شونان مُجَّد بن المختار عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين تم نفيهم إلى منطقة أدرار. بالإضافة إلى حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي نخض فيه: اقاسم عبد العزيز وعبد القادر بوحادة ومولاي زعرور وعلال بيتور وغيرهم ممن احتضنوا العمل السياسي بالمنطقة، وحضروا المنطقة لفترة الكفاح المسلح عن طريق التوعية ونشر الفكر الاستقلالي المناهض للاستعمار وإنشاء الكشافة الإسلامية في أول فوج لعلال بن بيتور.

شارك اعضاء الحركة الوطنية في الانتخابات المختلفة واقفين في وجه مرشح الإدارة الاستعمارية الفرنسية مما يدل على وطنية ودينامكية الحركة الوطنية في المنطقة.

تبين لنا مما سبق أن المنطقة ابلت البلاء الحسن في دعم المقاومات الشعبية مثل مقاومة أولاد سيدي الشيخ ومقاومة بوعمامة كما تصدت لدخول الاستعمار الفرنسي في معركة الدغامشة بعين صالح بقيادة الشيخ أباجودة مقدم الطريقة السنوسية بالمنطقة ومولاي العباس الرقاني في معركة اينغر وهو مقدم الطريقة الطيبية بالمنطقة، كما قدمت تضحيات في معارك دلدول ولطارفة وغيرها وشارك فيها كل أهل توات بالرجال والمال والسلاح.

ساهمت المنطقة في الثورة التحريرية المظفرة بداية من 1956م في معارك العرق الكبير، في معركة حاسي صاكة 1957م وكمين تاسلغة 1957م. والإمكانات الهائلة التي سخرتها فرنسا للقضاء على الثورة بإرسال العقيد: بيجار على رأس فيلق عسكري مظلي مكون من: 1750 مظلي فرنسي مع عشر طائرات "بيير" للاستكشاف ودوريتان من الطائرات المقاتلة نوع T6 وثلاث طائرات من نوع J452، هذا الحجم الكبير من القوات سخرته فرنسا للقضاء على افراد الثورة التحريرية الذين كبدوا فرنسا خسائر فادحة وافقدوها توازنها العسكري ونسفوا استراتيجياتها القائمة على فصل الصحراء والاستئثار بخيراتها وثوراتها.

انشاء الجبهة الجنوبية في اقصى الحدود الجزائرية وايصال الثورة إلى آخر نقطة في الجزائر الجنوبية كرس شمولية الثورة ووطنيتها وقوتها، ونسف مشاريع فرنسا الاستعمارية وافقدتها مفعول حصارها للحدود الجزائرية المغربية والتونسية بخطي "شارل carle" و"موريس morrese" وكرس البعد الافريقي للثورة الجزائرية وعمقها القاري في وجه استراتيجية فرنسا للقضاء على الثورة.

كان انشاء الجبهة الجنوبية فكرة قيادة الاركان العامة في مواجهة سياسة فرنسا للقضاء على الثورة وعزلها وفصل الصحراء عن الشمال، مما افقد فرنسا الامل في كل مشاريعها لتقسيم الجزائر والاستئثار بخيراتها وثوراتها.

قامت فرنسا بأعمال انتقامية ضد الشعب الاعزل في منطقة توات أمام رجال ومجاهدين كانوا يجاربون على شتى الجهات، فمن جهة الطبيعة المتمثلة في اراضي شاسعة كبيرة يغطيها العرق الرملي الغربي الكبير، خالية من المياه والغطاء النباتي، مكشوفة لا توفر ظروف حرب العصابات، امام الطائرات وفرق المظليين المزودة بأحدث الاسلحة والفرق المدربة التدريب العالي امام ايمان المجاهدين والثوار في تحقيق الشهادة أو النصر، فكانت هذه الشجاعة القوة التي قاومت بها سكان المنطقة.

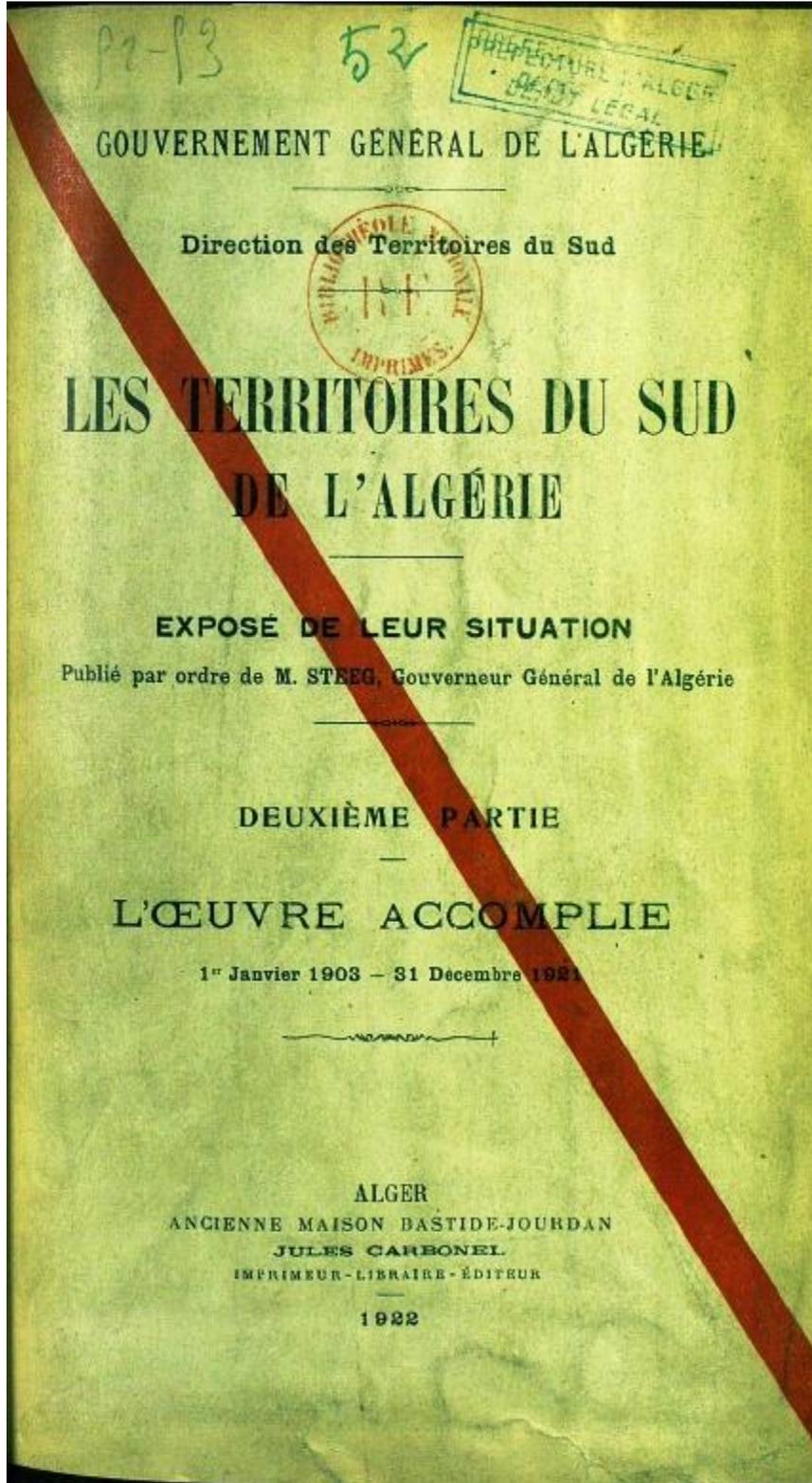
بالإضافة إلى الظروف الصعبة لمجاهدي الجبهة الجنوبية لجمع المساعدات وإرسالها وإرسال الاسلحة إلى مختلف جبهات القتال في الداخل عبر هذه المسافات الطويلة كان أيضا من بين دروب البطولة التي خاضها سكان المنطقة.

وصفوة القول: من خلال هذا العمل تبين لنا أن المقاومة الفكرية كانت اساس وعمود كل المقاومات الأخرى سواء العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية. لأنها هي الروح التي تستمد منها بقية المقاومات الحياة، وهذا بفعل الدور الذي لعبته الطرق الصوفية والزوايا والمساجد والكتاتيب والأئمة والشيخوخ والقضاة الذين وقفوا اما المهجمة الاستعمارية الثقافية، وحافظوا على جذوة المقاومة مشتعلة حتى اندلاع الثورة التحريرية 1954م.

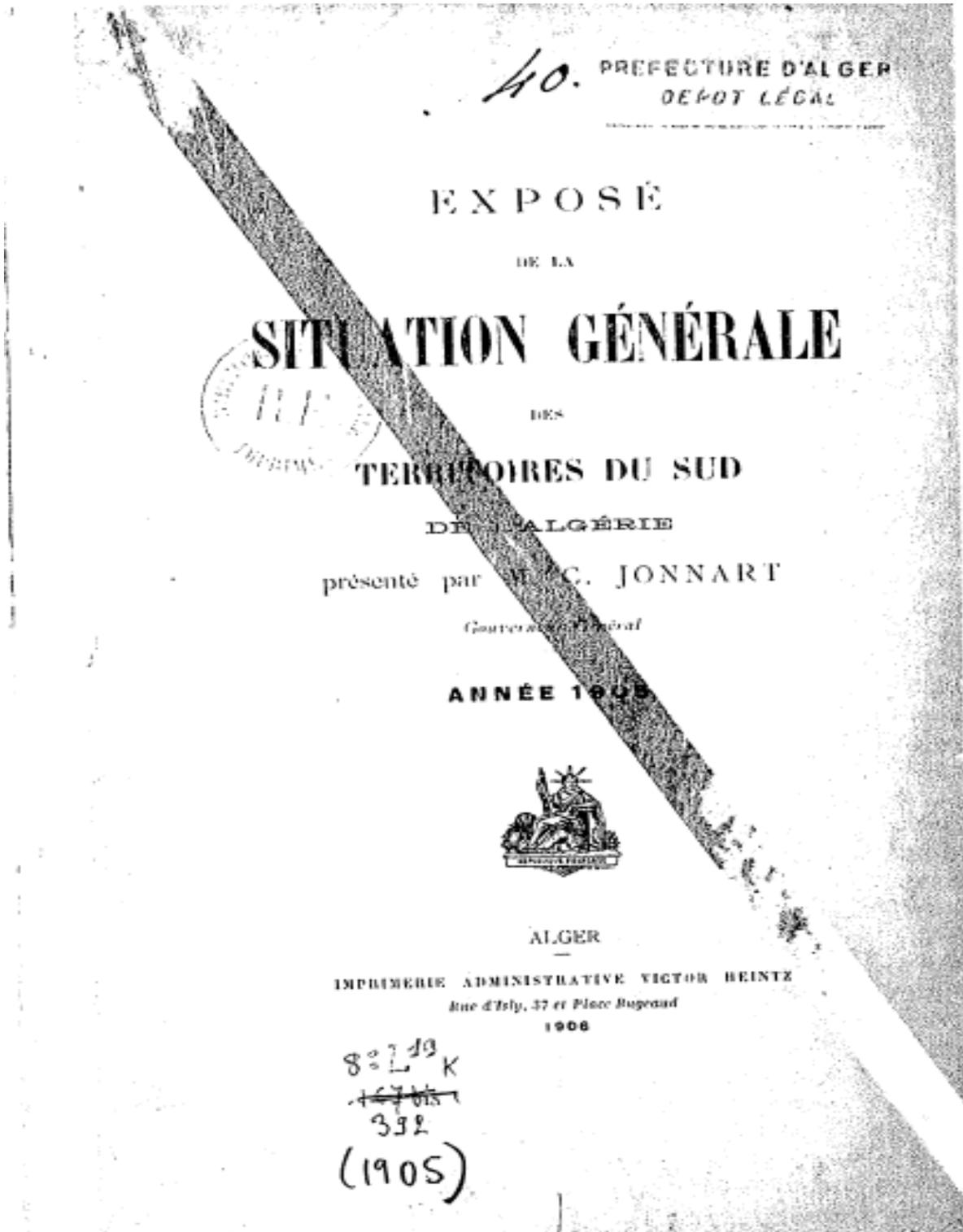
إن محاربة التعليم الفرنسي وسياسة التنصير والمحافظة على اللغة العربية والدين الإسلامي الذي عرفت به منطقة توات جعلها في كثير من الاحيان قاعدة خلفية للعديد من المقاومات الشعبية في مناطق مختلفة، كما انه مدها بالقوة في مقاومة دخول المستعمر للمنطقة وفي الثورة التحريرية الكبرى في انحاء الوطن.

وخلاصة الكلام أن المجتمع الذي يحافظ على توابته من دين ولغة وآداب وعادات وتقاليد ولا ينسلخ في ثقافة المجتمع الآخر سيكون دائما حيا وإن اعتراه بعض الفتور وأن الدين الإسلامي الذي كان عماد وجود وثقافة وكيونة المجتمع التواتي ساعده في الصمود في وجه القوة الاستعمارية الفرنسية وتركت هذه الطرق الصوفية والزوايا اثرها في المجتمع في سلوكه وعلاقاته وحياته إلى حد اليوم.

الملاحق



تقارير الحكومة الفرنسية لأقاليم الجنوب 1900م



تقارير الحكومة الفرنسية لأقاليم الجنوب 1948

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE

Commissariat Général du Centenaire

LES TERRITOIRES DU SUD
DE L'ALGÉRIE

PREMIÈRE PARTIE

CE QU'ILS SONT — POURQUOI ILS ONT ÉTÉ CRÉÉS

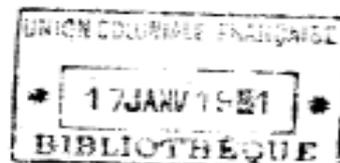
ALGER

IMPRIMERIE ALGÉRIENNE.

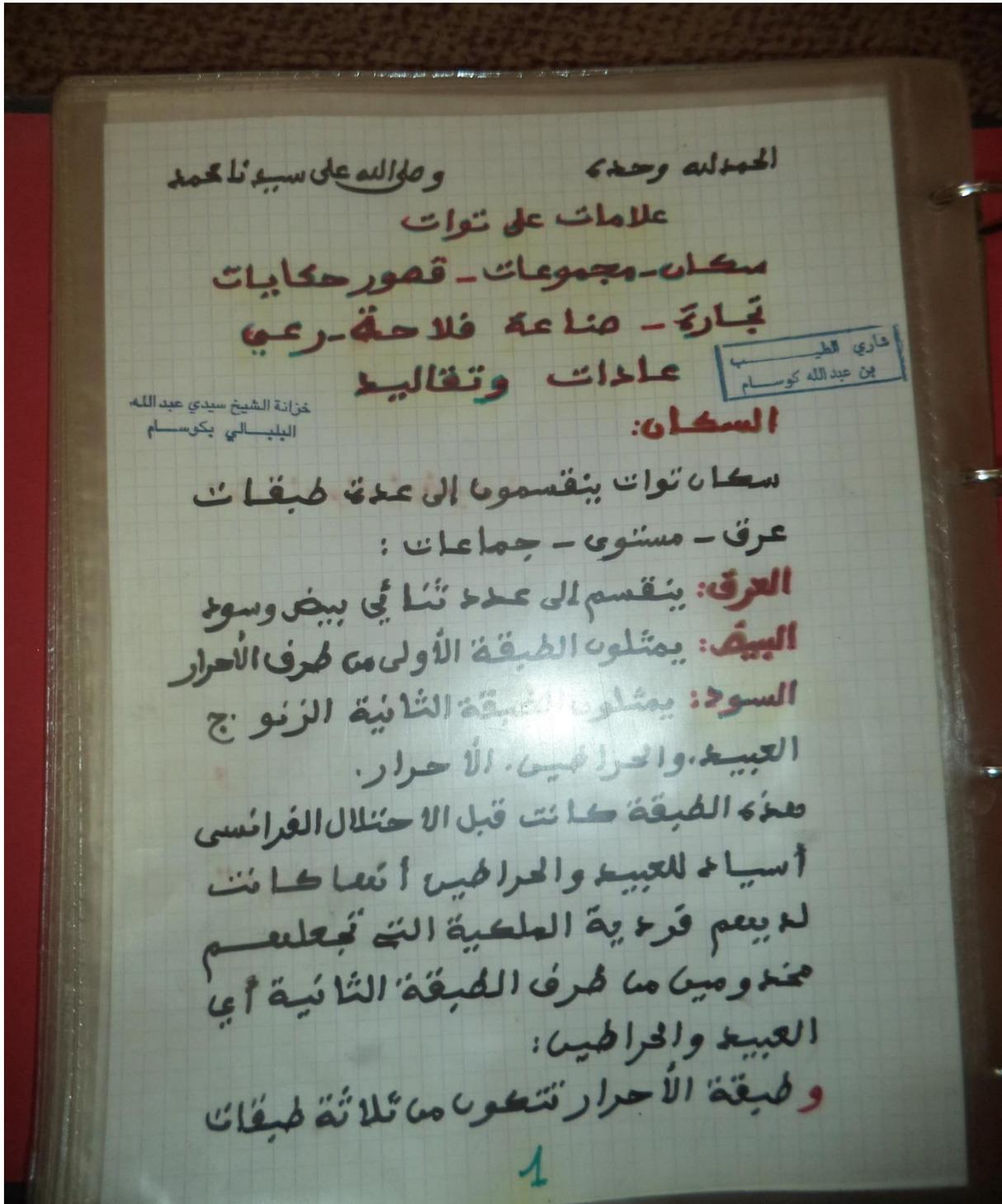
2, Rue Bourdon, 2

1929

80 Lk'9
399
(1429,1)



تقارير الحكومة الفرنسية لأقاليم الجنوب 1929



توات صناعة فلاحية - خزانة كوسام

الشرفاء - المرابطين - العرب - الزناتة
 الطبقتان الاولويان الشرفاء والمرابطون
 كانوا نعم الملاكين لمعظم اجزاء المنفعة
 المدخل والمحصل التي كانوا يتحصلون
 عليها من يد مستغليهم الأحرار والعرب
 والمرابطين كانت مداخيل لهما قيمة كبرى
الشرفاء والمرابطين: يكونون طبقتين
 مميزتين في تواتر كانوا يأخذون -
 الضرائب وكانت طبقة الشرفاء يتحصلون
 على قيمة مالية من بيت المال كل عام
 تحت عنوان التكرم.
و بعدا حسب العسكرة السياسية والدينية
 للشخص الواحد منهم.
العرب: يعيشون من منتوج أملاكهم التي
 يأخذونها من طرف المرابطين والقبائل
 وكانوا يحرصون على جمع الضرائب -
 والنفذ ايا التي يجب عليهم ارسالها الى السلطان
 في كل عام
 طبقة

تواتر صناعة فلاحة - خزانة كوسام

طبقة الأحرار - الشرفاء - والمرابطين والعرب
كانوا هم الطبقة الخاملة. والقابضة التامة.
تعتبر العمل شيء لا يطاق. ولا تقدم أي
خدمة وتنتظر بنظرة سيئة للحكم الفراضى
الذى يعرض على توات أنما فاض على حكمها
مثل قيمتها وعلوها على المرابطين والعبيد
وتدفع أي تقليل للتصور الذى تخطى به هذه
الطبقة في أي لحظة في الحكم المحل.

المرابطين: أو الأحرار الثاني: هم أطفال

العبيد المحررين لا نعلم كبار في السن أو سيادتهم
لا يستفيدون منهم ويحررونهم لعرض على
للغوز بالجنية لهم يحررون أخذوا أكثر استحقاق
الذين برعوا على ولا يعلم والاعلى ليعرفوا
العبيد المحررين الجدة لا يعرفون إلا البرهنة
على ولا يعلم لا سيادتهم وييقون عند نهم
ليواصلوا خلة منهم ويأخذوا الأحياء
يعطونهم بساكنين حراسهم أو للعمل
في ظروف صعبة ويصبحون إن أحماسين

خزانة الشيخ سدي عبد الله
الاسمى بكرسام

3

توات صناعة فلاحة - خزانة كوسام

او خراسيين اذا كانوا حفا سين يا حذون .
 الجزء السادس من المحصول وليس الخامس كما
 يطلق عليهم ويسمى عنهم ايضا
و اذا كانوا خراسيين في الخراسية ، التقسيم
 الطبيعي للمنتوج العقار و ظروف معيشتهم
 طانت اصبحت .

و الملاكون يربحون على حساب بعم اكثر من
 خمسة عشر بالمائة **و** هؤلاء العبيد يوجدون
 في ظروف اقل حظا ويتأسفون على وضعيتهم
 الأولى أين كانوا يتخلصون على الطعام واللباس
 فقد هذه الطبقة أخذت الصعوبة بنفسها
 وبدأت في حلق المعان الملايم لها بحيث
 أصبحت الوحيدة المتشيلة في تورات .
 لأنها أصبحت الآن لها ما يميزها الخاصة -
 اشتروها من أسياخهم القدماء وسيصبحون
 يوماً بعمليهم ونجا حسم الطبقة الاكثر غناء
 وتأخذ معان البيض الذين ما زالوا يعيشون
 في الحمول والروتين **و** بعدة الاخيصة ما زالت لم
 تذكر

تترك الخطر القادم العن لا يظهر حلياً العن —
 يبعدها ولا يبيد لول أي مبعود ويتخلون عن
 كبرياء نعم وتعتهم وبتعمكون في العمل
إن العراطين يستحقون على الأقل الرحمة والتشجيع
 العن يمنحهم لا يقصرون في الخدمة للبيضاء.
ومؤلاء لا يخرجون من حيزهم **ويعتبرون** العمل
 دائماً شئاً به يعي.

السود : إن السود كانوا عبيداً قد أتى بهم
 من السود **و** العملاء يبيعونهم في أسواق
 توات إنهم كانوا يشتغلون في ممتلكات
 أسيادهم لكي يفعموا ويلبسوا بلبسهم
 غيبي كافية إنهم كانوا مضطربين للسرقة
 إنهم يعملون بعباء دون أي أجر وأسيادهم
 يزوجونهم في الوقت نفسه بأما سود.
 يمتلكونهم لينجبوا أولاد عبيد من صلبهم
 والنساء يعملن بنفس الوتيرة مثل الرجال
 والعديدات يرفضن ويتوجهن إلى الضعارة
 والتي هي ممنوعة في قانون الشرع الإسلامي

خزانة الشيخ سيدي عبد الله

توات صناعة فلاحة - خزانة كوسام

وأما الأحصاء عهد ما في بعض العفا فير بمقام الماء بعموما -
وحيث أنه مفيد أيضا صورته.

الحمد لله وحده و صل الله على سيدنا محمد وآله
لما أمر السلطان الشريفي العاشمي الإمام مولانا الرشيد
بن مولانا الشريفي بن مولانا علي الحسين أباؤه الله بالنصر
العزيز وتقدموا بالحجوز الحريز وضجر عساكن على الأعمام
أنه أمر خديمه محمد بن أبي بكر بن الشيخ التواني بكيل مياه
أهل نوات بعيله من أولاد آل أبي خريز وجاء العيل على
العدل والصواب وأول بلاغ نسا بيت سواف بوعرفوب
الأربعة حبتان غير فيراطين ونصفي **سافية** لأبرك بابلان
حبتان ونصفي وفيراطين **سافية** أولاد عبد الله حبة وثلاث
وفيراطين **سافية** أولاد علي حبتان غير ربيع **سافية** عكريف
بسدس حبة **سافية** بولصير ثلاث حبة وفيراطين **سافية**
اللوأ حبتين وثلاث **سواف** **بن** **أركان** **سافية** تارانت
ربيع الحبة **سافية** أمسكور حبتين وربيع **سافية** زل ربيع الحبة
سافية أچرمقر ثلاثة حبوب ونصفي **سافية** أولاد عتب
حبتين وربيع ونصفي فيراطين **سافية** أچرنج حبة وربيع **سافية**
أچرنج حبة وسدس **سافية** تعجت حبة ثمير ثلاث **سافية**
أسقام حبة ونصفي **سافية** أولاد محمد أربعة حبوب ونصفي
سافية عيم أمرب بابلان حبة وربيع **سافية** أچر كمد
ثلاث حبة غير فيراطين **سافية** أمهرون ثلاث حبة وفيراطين
سافية د پھسا ب بن أركان خمسة حبوب وثلاث **سافية**
بمخافي حبتين ونصفي **سافية** أولاد علي ثلاثين حبة
وثلاث وفيراطين غير سدس الفيراطين **سافية** بپكرين على

فهرسة الأشياخ المسجلين في هذا السجل

44	عبد الكريم الحاجب	1	سيد الحاج البلبالي الملوحي
46	محمد البكري...	6	عبد العزيز البلبالي الملوحي
48	مصطفى بن عمرو والمجد بن احمد	8	عبد الله البلبالي الملوحي
50	عبد الكريم بن احمد	10	عبد الله الأديغ الوتقالي
52	المجد بن احمد	12	عبد الله بن ابي مدين المتطفي
54	عبد الرحمن وعمر	14	مولاي سليمان بن علي الوتقاني
56	احمد بن محمد	16	ابو الانوار بن عبد الكريم تتلان
		18	سيد عمر بن عبد الغادر التتلاقي
		20	سيد عمر بن عبد الرحمن الاموي
		22	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم
		24	... المجد بن ابي محمد بن احمد بن محمد
		26	... محمد بن ابي المزمري
		28	... عبد الغادر بن سيد البكري عبد الله
		30	... عمر بن محمد الباز
		32	... محمد الطالع بن سيد البكري
		34	... بن سيد محمد بن محمد بن البكري
		36	عبد الله بن محمد عبد الله بن عبد الكريم
		38	عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم
		40	محمد بن البكري بن عبد الكريم بن محمد
		42	عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري
		50	سيد الكريم بن احمد بن ابي محمد التتلاقي

شاري بن عبد الله كوسام

التتلاقي وبجده سيد احمد المذكور
والديه علم ما ينفع من تكميته بيريذ والله اعلم
(14)

فهرسة الأشياخ البلباليين - خزانة كوسام

وأهل القرية أحقاد الشيخ السنوسي وقد وفجت على
تاريخ زاوية سيد عيسى في سنة 833 وان أهل الآن
أصلهم من فارس من قبيلة لوداي.

وأما أهل أولاد عيسى لم نعتز على تاريخها إلا زمام
فقارة أذغاغ التي هي الآن بأذغاغ تاريخه سنة
473 قبل استدللت على معاصرتها مع أهل أفبور
الذي تاريخه سنة 726 وقد حكموا أنه معاصر
لتمنطير التي هي قبل الهجرة النبوية بسنوات
حسبما ذكرها ابن خلدون.

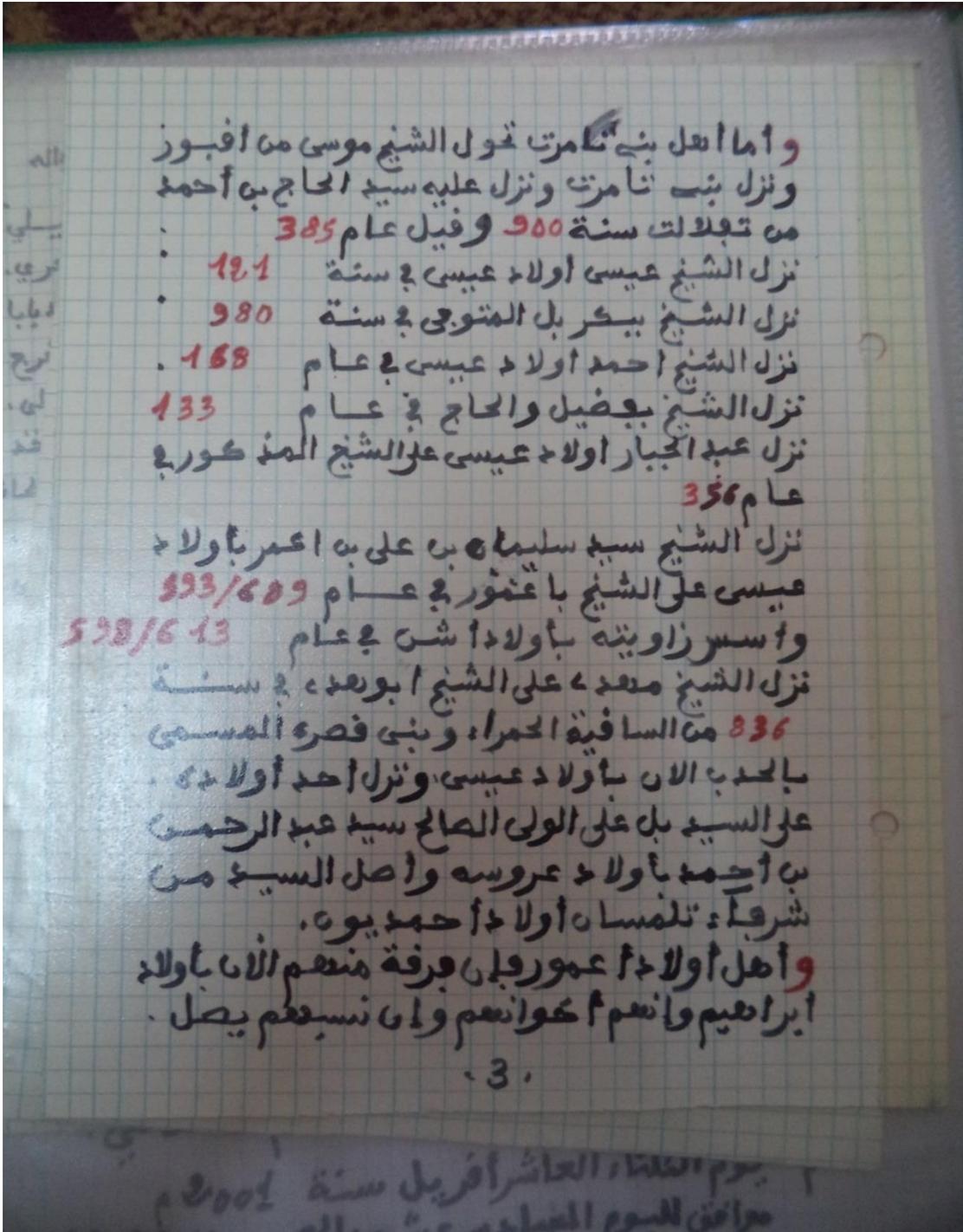
وأما أهل أولاد الشيخ بجفت وأنعم أخوان أهل أفبور
وان أصلهم من بلاد الساحل، وقيل وأهلها أولاد
به أب وأنعم ينسبون لأولاد أخ ليم من بلاد الساحل

وأما زاوية الشيخ سيد عمر بن سيد الحاج عبد الرحمن
قريباً عندهما في سنة 1093 وشرع في تجديد
بنيانها وحجر فقارة على به الحسن من التراب فقط
وقيل نزلها الشيخ سيد عمر في عام 1466 وتوفي
في عام 1227

وأما أهل المنصرية نزل بها الشيخ الغازي بعد
تحوله من أفبور سنة 169

08 AVR 1985

(2)



نبذة عن علماء كوسام - خزانة كوسام

إلى أديلم واد نزلهم على الشيخ أبو يعقوب في سنة 721
 وأهل ترخالت نعم أولاد الشيخ علي كروا ونعم
 ينسبون لأهل ترخالت من سوسر الأفضا وان نزلهم
 نزلهم في سنة 646
 وأما أولاد الحسين التي هي الآن مشهورة
 بأولاد أحمد كان نزلهم أولاد ينسجوت ثم
 نزلوا على أولاد الحاج بن علي بأولاد الحسين
 سنة 912
 وأما أولاد علي نزل ببع مولانا بجالي بن مولانا
 سليمان ^{شاري الطيب}
 وأما أولاد أنقال كان ببع أولاد سيد يوسف مع
 أخوالهم أولاد بن داوود وقد بلغنا إلى أصلهم
 من أفبور نزلوا أولاد أنقال سنة 821
 وأما تنلان تحول إليهم الشيخ سيد أحمد
 بن يوسف سنة 1045
 وأما دغاغ نزلها الشيخ حاجوا بعد تحوله من
 أولاد عيسى سنة 933
 وأما أهل بريج أعراب وانهم قدموا لتوات سنة
 926 ونزل مولانا فاسم على ضعفا بهم سنة 1046
 (4)

08 AVR 1985

الحمد لله وحده
 وحول الله على سيدنا محمد

**هذا تقييد مفيد لمن شارك في معركة
 الاغامشة عين صالح واينغر وهم شارك
 معهم في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي**

سيد ، عزيز ، بن سيد ، محمد العايب وأخيه سيد ،
 العالم بن سيد ، محمد العايب وحمه لمين بن محمد كندوا
 وسيد العايب الصغير بن سيد ، الحبيب وعلواته بن محمد
 كندوا بن سيد الحبيب وسيد ، بابا بن سيد ، بونعامه
 بن سيد ، محمد العايب و بونعامه بن محمد العالم وبوجهه
 بن بيدوا بن ا مبارك و ابا عومر برعوا بد

**ذكر تاريخ وضع القصور في قطر دا بدر بتد كلت
 بقفرتوات:**

قرية اقبلى الزاوية في سنة ستماية واثنان وخمسون
 هجرية ٦٥٦ هـ

قرية اركشاش في سنة ستماية وثلاثون وثمانين
 هجرية ٦٨٣ هـ

قرية سامل في سنة سبعماية وواحد وعشرون
 هجرية ٦٥١ هـ

ذكر وضع قرية انرام في سنة اثنان وعشرون وسبعماية هـ
 ٦٥٤ هـ

ذكر قرية المنصور في سنة سبعة وعشرين وسبعماية هـ
 ٦٥٦ هـ

كما وجدنا في تقايب القصور الخمسة بقطر دا بدر -
 تقييد سيد ، محمد لمين بن سيد ، عزيز ، وكما وجد
 بخبر سيد ، احمد بوسليم قايلا نا قلا من خلف سيد ،
 الطالب النفا مي رحمهم الله اجمعين ام

هوانة الشيخ سيدي عبد الله
 البلباسي بكو - سام

هاري الطيب
 هوانة عبد الله كوسام

تقييد لمن شارك في معركة الاغامشة عين صالح ضد الاستعمار الفرنسي - خزنة كوسام

الحمد لله وحده، وعلمه على من لا نبي بعده

من سيد مولانا عبد العزيز بن الامير
السلطان سيد محمد بن مولانا
عبد الرحمن بن مولانا بهشام

شاري قطر
عن عبد الله كوسام

واثرت
بمقتضى
التي
موجبه
عمال
التي
بمقتضى

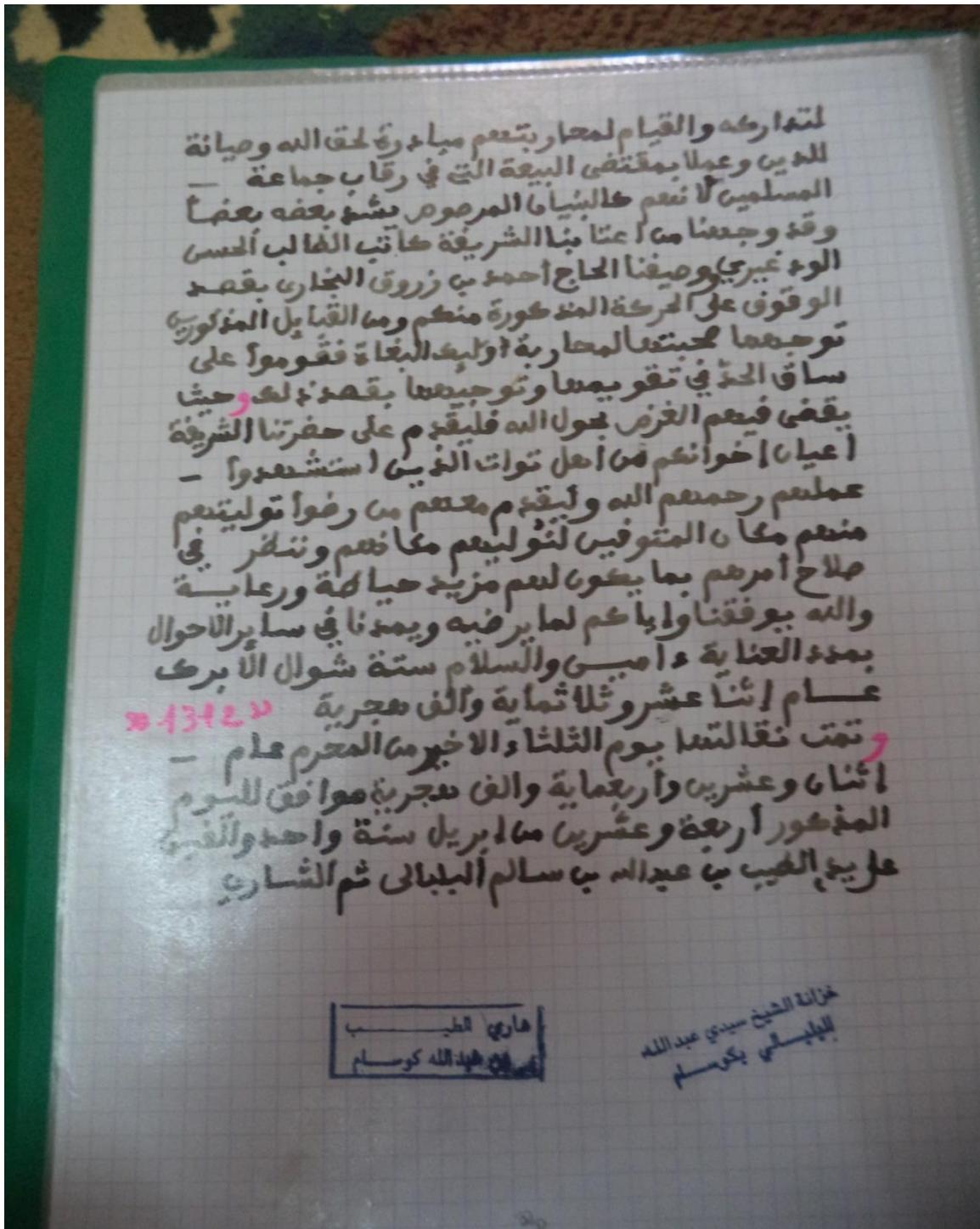
خدمنا الارضين قواد توات واعيانهم كافة وفقكم
الله وسلم عليكم ورحمه الله وبركاته.
و بعد فقد بلغ لعلمنا الشريف ان خدامنا القائدين حسونا
والقايد محمد بن الحاج احمد محمود وغيره كما كانوا
قادمين لا عتانا بنا الشريفة لقصه التنفستة ومعهم
جماعة من التوارق ووال عيين صالح واولاد زنان وغيرهم
مصعوبين فيما معهم من البعد ايا ولما وطوا بلاد الغنامة
محم عليهم نجومائة وعشرين فارساً من العنافة وقتلو
نعم في الليل غدرأ وفعسوا لنعم جميع ما معهم وكتب
لاخوانهم محضرتنا الشريفة فها ليس انما فمهم من اوليك
البيعات الظالمين وصرق الامتعام الى اخذ الشار منتم
ومعاقبتهم بما اوحىه الشرع على ظلمهم القاد
واثرت فينا ففذه الواقعة تاثيراً عظيماً وها لنا امر من التفتيح
واسفنا لاخوانهم الذين حل بهم ذلك المصاب الشنيع
ولقد طاب القايد حسون رحمه الله والقواد المستشهورون
معهم من الولات النصحاء وعندنا من الخدام الصالحاء وعندنا
من استشهد معهم من جماعة خدامنا التوارق ومن
معهم من الوفود الذين قاءهم الايمان والطاعة حتى
غدرهم البيعات الناعشرون للحمود فاستوجبوا
بظلمتهم لعنة الله وعذابه وسخطه وعقابه والخراب
من رحمته والبعج عن حضرته **قال تعالى** انما السبيل على
الذين يظلمون الناس ويغيثون في الارض بغير الحق اوليك

خزانة الشيخ سيدي عبد الله
الهلالي بكوسام

رسالة السلطان المغربي إلى أهل توات - خزانة كوسام

لستم عذاب اليم **وقال** **صل الله عليه وسلم** من أعلن على
 قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله وهو مكتوب بيده
 عينيه **دايس** من رحمة الله **وقال** **صل الله عليه وسلم**
 من جرح ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان
وقال **صل الله عليه وسلم** ليس شيء مما عصى الله به فهو
 أعجل عقاباً من البغي **ولو بغي** حبل على حبل ليجعل
 الله الباغي منعماً **ذكراً** **وحيث** جعل لنا من مصاب أخو
 انكم المومنين **و** فجتتكم ما الله أعلم به وجعلنا من
 الأهم المقدم **صرف** الأهتمام لمواخذة أولئك الظلمين
 المحاربين بما قضى الله عليهم جزاء على ما اقترفوه
 وسعوا فيه **ولاجل** أهتمامنا بذلك **ووضعوه** منا **صدرنا**
 أمرنا الشريف لقبائل الصحراء من أيت عفة **وبن** محمد
و **ويمنع** بالحرمة اليم **وأمرنا** مولاي **أرشيد** بالوقوف
 بي ذلك **ونفذنا** لستم ما يجهزكم كما أصدرنا **أمرنا** الشريف
 لأهل وادي الساوره بالحرمة اليم **عذلك** **وأمرنا** باليم
 وأعيانهم **يضعهم** على التجمل **والنفوس** **وشد** العقد على
 الأيقاع **بأولئك** الظلمين **والأخذ** فيهم **بالتأرو**
عليهم أيدياً واحدة في الاستعمال **وقطع** الثواب **وحسم**
 الأثارت حتى يصيروا **ذيار** نعم بلا قاع **ورجالهم** **حصي**
بمضارب السيوف **وأستة** القولح **تضمير** تلك **التأجبة**
 من بغيتهم **وأراحة** المسلمين **من** عدوانهم **ونعيم** لا
 حير الله لهم **صدم** **ولا** قدر لهم **على** العلك **ذفتاً**
وعليه **فلتجمعوا** أشم **حركاتهم** **كذلك** **ووجهوهما**
ذات قوة **واستعداد** **لتضاف** **لحرمة** القبائل **المذكورين**
ويكون الجميع **أيدياً** واحدة في أخذ الثأر **واستعمال**
أداة الأثوار **ومعلوم** **شرعاً** **أن** ما صدر من أولئك -
 الظالمين **البغاة** **يوجب** على أهل الجامعة الأهتمام
 لتداركه

رسالة السلطان المغربي إلى أهل توات - خزانة كوسام



رسالة السلطان المغربي إلى أهل توات - خزانة كوسام

تاريخ ١٢٠٥

المجلد ١٠٠

Handwritten signature or name

مرسلة العطف المختار السيد الكولونيل الفرنسي الى موره كلابت غرا ونيش فلاحج اتوات
وتوكلت الكلابت حفصه توات وجرارة وتوكلت بعد التلا على كليمها ستجيبها غرا
وتاسفنا حير لم تفروا برينها تليها من تلامذتها في كبر الفطوح الى صر تلت تلمسان فكيفنا ان لا في حقا
من الغالبه بينهم وبين حفصه الطنفة من كان ذلك عند الحرفي في كبر ايام
الخطاب المرسله به في تلامذتها بعد عاها العلق من انشراح ومختار منهم ثلاثة على جميع
اهل الوطن ورسالة التلمسان وترون في ذلك مسلاته معصية وحيثما يتوكم الشهادت
الحكل بتوات وجرارة وتوكلت عا رساله من الصل تلمسان فاختيرت بالمناجع الررا
التي وكرت بها السيد انوار العلق بالاولاد والى بيت بلان يتم بها السيد اطر كسوا
شوان الوالى فيها نال يفصله عيتم غير تحت الروية البغيمت نوات العلق وحيث تاملنا
على احوال السدر في هذا النوع اخذنا عدد اخر عكس بعضها من جراته وثمانية من نوات
ويعتبر اني من توكلت جوا حفصه توات في جراته من جراته الشريعة والناو اف احم
في استقبال الافر من رسة تلمسان ومن يوا بقا فليستولى فاضيا ويعلم كطابعه وانتم
الفر حبيب وبعيد مستقيم المنفعة التي تجود بها الحلاب من رسة تلمسان ولا يجهل او
حيث بنته لعم الذكر في النواز الشريعة هذا الوصر سوع فر من رسة تلمسان يعرولوا ذلك
الادب والسيد استنوا كل العلم ويكذبون به واذ عا لرى السيد الوالى العلق ساقا
على في رسة فايلا لا يتوجهون في ان الالهي في في امة الفري ان التمر
وقصبت كصنعتهم خليل او غير حتى اراه السيد الوالى العلق بعث فضاة من رنا حيث انتم
النوات الا نحن استعملنا في ذلك حتى نجود من رسة تلمسان وجرارة تلامذتها حفصه توات
رعيها يمس علقها عا تلامذتها الكهنة وان يثبت منهم سواء حفصه توات وحقها المنفعة
واسرع جازين للوفا بيب الشريعة ولا يليبوا او ارباب الروية البغيمت حيث يلمسوا
منها طابعهم واصل التلامذتها الذين استعملتهم العلق الفزابل فخصينا هم يفتنوننا
في ذلك وكرنا به في كسر حفصه توات وجرارة وتوكلت ان قلنا ومورد في رسة الفذوة
التلمسان او قلنا جنتها من يقع اليها في التعليق والفراة يثبت في ذلك تلميذنا تلامذتها
الكنزة عا التلامذتها التي وتتمك منذ تاجير حفصه توات عا الخرفة الشريعة
ويعت حفصه من الكهنة لهم ليتولوا الخطيب الشريعة والطوايع الروية والتلا
والحقوق باذنه السيد المرزوقا عا

رسالة الكولونيل الفرنسي إلى توات - خزانة كوسام

الحمد لله وحده، بتاريخ يوم 3 أوت سنة 1905

ما سعادتكم المعظم المحترم السيد الكولونيل لافي بي
 حماكم الصحراء وقصورها عاقبة غرباً ومشرقاً من قراره
 إلى توات وتديككت إلى عاقبة فقهاء توات وقرارته
 وتديككت بعد السلام عليكم فاستجبنا غاية وتأسفنا
 حين لم نقدر موا لوبنا تلميناً من تلاميدكم للقدوم
 إلى مدينة تلمسان فخصينا أنعم قد خفتكم من مقابلة
 بينكم وبين تلاميد فقهاء الصحراء فإرجاء ذلك من غير
 الخوف فيمكن أن لم تقدموا معنى الخطاب الذي رسلتم
 به فنظر تلاميدكم بعد وفاء العام من التاريخ واختار
 منعهم ثلاثة على جميع أهل الوطن ونرسل إلى تلمسان
 وترور في ذلك مسألة فمهمة وحين عاينوكم -
 السادات الحظام بتوات وقرارته وتديككت على
 ارسال بعض إلى مدرسة تلمسان فأخبروكم بالمن
 فع الدراغمية التي قصدكم بها السيد الوالي العام
 بالولاية الجزائرية بل لم يتم بها السيد المذكور
 شأن الوالي فيما نأفضله عليكم حين فتحت -
 الدولة الفخيمة نواحي الصحراء وحين تأملنا
 على أحوال الشرع في هذا النواحي اخترنا عدد
 أحد عشر فقيهاً من قرارته وثمنا بنية من توات
 وفقهين اثنين من تديككت فوافقناهم دون غيرهم
 في فصل النوازل الشرعية ولا نوافق في الأخرى المستقبل
 إلا أن قرأ بمدرسة تلمسان ومن يقرأ بها فليتلوا
 قافياً ويعطى لها بها وأنت الذي فقيه وفقيه مستقيم
 المنفعة التي يجدونها لها بمدرسة تلمسان ولا
 سيما أولهم حيث يهتم لهم النظر في النوازل الشرعية
 لهذا الوطن سوى نريد منعهم أن يعدلوا لذلك
 المقصود

شاري الطي
 محمد عبدالله كوسام

خزانة الشيخ سيدي عبد الله
 الطي
 بكر كوسام

رسالة الكولونيل الفرنسي إلى توات - خزانة كوسام

المقصود الأدب والسياسة وإعمال العلم فيعذبون
 به مما أزعج السيد الوالي العام سابقاً بقلّة -
 علمهم وفتورهم قديماً لا يتوجد بعد، الناحية
 إلا العجائبي في قراءة القرآن ذوا قراءة فقهية ط
 كحتم خليل وغيره، حتى أراء السيد الوالي العام
 بعث قضات من الناحية الضهرانية إلى توات الأخر
 استعملته في ذلك حتى نجد من تقرره بتلمسان
 من خيار تلاميذ فقهاء توات مدعيها بحس عقلهم
 على تلاميذ الضهرة وأن يثبت منهم سواد فقهاء
 توات وفقهاء الضهرة وأنهم حائزين للوظائف
 الشرعية ولا يجيب أفراد أرباب الدولة الفخيمة
 حيث يلتزم منها لها بعدم.

و أما التلاميذ الذين سمعتهم العام القابل فقلناهم
 يعنوننا في ذلك وكرراً به في نفس فقهاء توات -
 وقرارة وقد يكلت إن قلّة وجود من يرغب القوم
 إلى تلمسان وقلّة اجتهاد من يقدم إليها في
 التعليم والقراءة يثبت ما ذلك تسييق تلاميذ
 الضهرة على تلاميذ توات ويتمكن منه تأخير
 فقهاء توات على الخدمة الشرعية وبعث فقهاء
 من الضهرة لعدم ليتولوا الوظائف الشرعية
 والخوابع الدولية والسلام. من المكتوب بأذن السيد
 المذكور أعلاه.

تم بحمد له وحسن عونه بعد صلاة المغرب
 يوم الأحد سنة ١٢٥١ م
 موافق لثني عشر صفر سنة ١٢٥٢ هـ

الحبيب بن عبد الله
 خزنة الشيخ سيدي عبد الله
 الجليلي بكنة

رسالة الكولونيل الفرنسي إلى توات - خزنة كوسام

17 AVR 1985

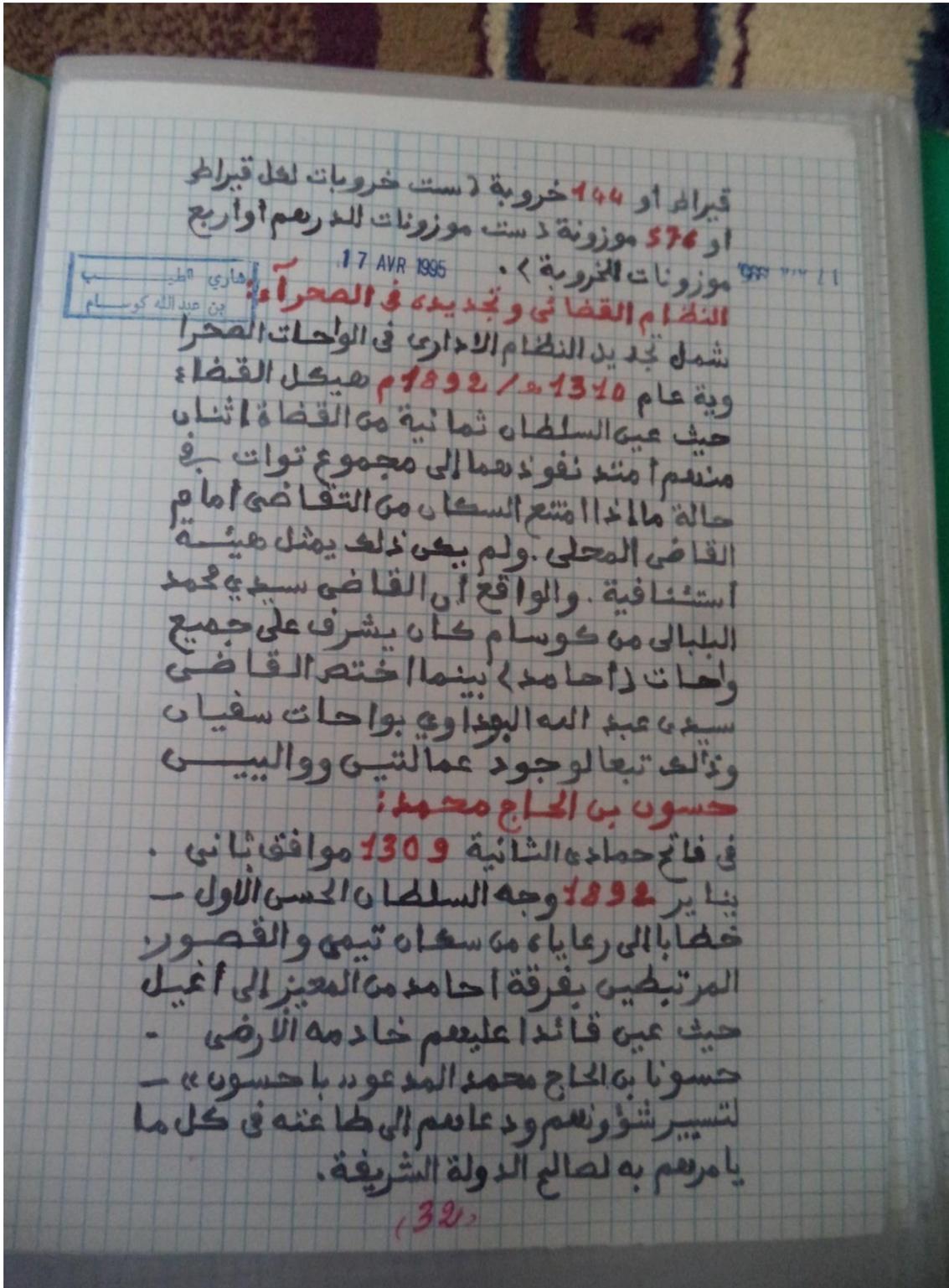
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .

شاري طر
بن عبد الله كوسام**المكاييل:**

كان أهل الصحراء يستعملون المكاييل خاصة لتقدير مياه السقي فكانوا في البداية يعيرون بالعيون دون مكيال خاص. ولأول مرة في عهد مولاي الرشيد العلوي جاء الحجابي المسؤول عن إحصاء مقادير المياه من أجل تحديد الزكوات والأعشار. بلوحة من نحاس مثقوبة لتقدير المياه. وكانت هذه اللوحة مستعملة في مناسك أخرى من المغرب. وهذا هو أصل ما يسمى بالكيل الأصغر. ووحدة الكيل في هذا النظام هي الحبة أو الأصبع. أي كمية الماء التي تمر خلال يوم وليلة من ثقب في لوح نحاسي له مقياس محدد تقريبا بحجم الإبهام. غير أن أحوال هذا الثقب تختلف باختلاف الدوائر والواحات فهي من تسعة مليمترات في تامست. من سبعة وعشرين مليمترات ومن سبعة وعشرين مليمتراً في (سالي) وبعضهم استعمل مصطلحات أخرى غير الحبة مثل كلمة قيراط في (تيمي) وأصبع في (تسابت) وغيرها وخرق (أي ثقب) في أولاف وتيلر. ويمكن تقدير معدل صبيب الحبة بثلاثة لترات ونصف في الدقيقة. والحبة تعادل 24 قيراطاً أو ستة وتسعين درهماً 96 أربعة دراهم لكل

31

مكاييل ماء الفقارة كوسام - خزانة كوسام



قضاء توات - خزانة كوسام



وثائق تأسيس مدينة ادرار

Adrar un village neuf, j'allais
dire un centre de colonisation ;
la Djema consentira volontiers, je
n'en doute pas, à faire l'abandon
définitif du terrain nécessaire.

Dans le projet que vous
me soumettiez, il y avait bien
été prévu un développement
relativement considérable du centre
créé ; les avenues seront suffisamment
larges pour permettre ultérieurement
l'adjonction d'arcades aux constructions
qui seront édifiées et autres
embellissements ou perfectionnements ;
il ne faudra pas s'installer trop
près de la kasba, il sera
nécessaire d'éviter la proximité
des foggagui et des sequias, etc. etc.

Je vous serais obligé, mon
cher Capitaine, de m'indiquer dans
quelles conditions vous pensez pouvoir
donner suite à ce projet.

/ H. Lera

وثائق تأسيس مدينة ادرار

Il sera nécessaire de vous
 entendre à ce sujet avec le
 Capitaine Commandant d'armes de la
 place d'Adrar dont l'avis est
 indispensable.

G. Selouy

En réponse à votre lettre du
 10/10/1891 de v. s. c. qui propose de
 créer un village européen à Adrar
 n'ayant pu échapper les ^{troupeaux} ~~troupeaux~~ ^{de cette localité} ~~de cette localité~~
 dans les ^{troupeaux} ~~troupeaux~~ ^{de cette localité} ~~de cette localité~~
 pays qui ^{ne sont} ~~ne sont ^{pas} ~~pas ^{encore} ~~encore ^{travaillés} ~~travaillés~~
 cette déjà demande ^{à l'administration} ~~à l'administration~~ de se
 parcelle de terrain pour y élever des ^{chèvres} ~~chèvres~~
 en un moment à la place des ^{gourbis} ~~gourbis~~ en
 branches qui occupent actuellement.
 Mais l'urgence de cette création
 ne me semblait pas se faire sentir, et
 j'en avais remis l'étude au plus tard
 principalement ^{à cause} ~~à cause ^{de} ~~de ^{la} ~~la ^{rarité} ~~rarité ^{des} ~~des ^{matériaux} ~~matériaux ^{et} ~~et ^{de} ~~de ^{la} ~~la ^{grande} ~~grande ^{difficulté} ~~difficulté~~
 d'avoir indigènes ^{et} ~~et ^{de} ~~de ^{la} ~~la ^{grande} ~~grande ^{difficulté} ~~difficulté~~
 exclusivement pour les besoins ^{de} ~~de ^{la} ~~la ^{garison} ~~garison~~
 l'effort tout ce qui est disponible.
 Cette création d'un village est due~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

وثائق تأسيس مدينة ادرار

Création de cercles administratifs dans le département de la Saoura.

Le ministre du Sahara,

Vu la loi du 5 avril 1881 sur l'organisation municipale, ensemble les textes qui l'ont modifiée ou complétée;

Vu le décret n° 53-866 du 20 septembre 1958 portant organisation communale dans les départements des Oasis et de la Saoura, et notamment son article 13;

Vu les propositions du préfet de la Saoura,

Arrête:

Art. 1^{er}. — Il est créé dans le département de la Saoura, sept cercles administratifs définis aux articles ci-après:

Art. 2. — L'arrondissement de Colomb-Béchar comprend cinq cercles administratifs:

1^o Le cercle administratif des Oued-Sidi-Cheikh, comprenant les communes de Brézina et d'El Abiodh-Sidi-Cheikh. Ses limites administratives sont celles de l'ancienne annexe de Brézina-el-Abiodh. Son siège est fixé à El Abiodh-Sidi-Cheikh.

2^o Le cercle administratif de l'Oued-Béchar, comprenant les communes de Béni-Ounif, Colomb-Béchar, Deldara, Kénadza et des Ksour-du-Nord. Ses limites administratives sont celles de l'ancienne annexe de Colomb-Béchar, à l'exclusion des postes d'Abadla et de Taghit. Son siège est fixé à Colomb-Béchar.

3^o Le cercle administratif des Douï-Ménia, comprenant les communes d'Abadla, Ksi-Ksou et Taghit. Ses limites administratives sont celles des anciens postes d'Abadla et de Taghit. Son siège est fixé à Abadla.

4^o Le cercle administratif de la Saoura, comprenant les communes de la Basse-Saoura, Béni-Abbès, El Ouata, Guerzim, Igli, Kerzaz, Tabeibala et Tamert. Ses limites administratives sont celles de l'ancienne annexe de la Saoura. Son siège est fixé à Béni-Abbès.

5^o Le cercle administratif des Réguibat, comprenant les communes des Réguibat et de Tindouf. Ses limites administratives sont celles de l'ancienne annexe de Tindouf. Son siège est fixé à Tindouf.

Art. 3. — L'arrondissement d'Adrar comprend deux cercles administratifs:

1^o Le cercle administratif du Gourara, comprenant les communes d'Aouzouit, Charouine, Deldoul, Hadj-Gueimane, Taghoulzi, Timimoun et Timerkouk. Ses limites administratives sont celles de l'ancienne annexe du Gourara. Son siège est fixé à Timimoun.

2^o Le cercle administratif du Touat, comprenant les communes d'Adrar, Bouda, Boufaddi, Fenoughil, Inzegmir, Reggan, Sali, Shaâ, Tamentit, Tamest, Timmi, Tsabit et Zaouiet-Koufita. Ses limites administratives sont celles de l'ancienne annexe du Touat. Son siège est fixé à Adrar.

Art. 4. — Les chefs des cercles administratifs visés aux articles 2 et 3 ci-dessus sont nommés par arrêté du ministre du Sahara.

Art. 5. — Le préfet du département de la Saoura est chargé de l'exécution du présent arrêté, qui sera publié au *Journal officiel* de la République française.

Fait à Paris, le 12 décembre 1958.

MAX LEJEUNE.

قرار تقسيم عمالة وهران

تقيد بعض ما وقع بين محمد وسفيان من الفساد

وفي عام 1221 هـ وقعت مساجره بين الشيخ البرك السبلي البداوي مع الشيخ يحيى بن الحاج العباس الغابري التماوي فصولح بينهما ثم في سنة 1222 هـ كتب الشيخ البرك قائد الحسين البداوي بنفسه وقصد شلالات وحاء بجيش حاكم من البرز فبشوا القارة على حضور محمد وازجروا من اصفهر وسرفا، ثم بعثوا القندا، كما اضجروا من ارضي لسفيان بذلك والبعض من عوامهم وصحبوا على بلاد اذ غاغ بمنى وشعوا في البلاد واكثروا فيها الفساد وقطعوا القارة اخلوا واجرنيح وعظمت لشوكتهم واستعدت وها نعم وجلت فبشهم العبد وبالله فبانت خلق كثير من الكفر قين.

وفي سنة 1223 هـ هجم عبيد محمد وذو منبع على المنصور بيوده وهتكوا صنفا وضجرا واستعدت وها نعم وجل عتوهم ولما علم بذلك الشيخ البرك اخذ معزة ونزل بها بيرا عامه فبشهم فبشهم اهل تهمي وما عتروا عليه فبشهم والنفد يد على جاريتيه فاخبر نعم بمكان البير وقصدوه واخرجوه منه وقتلوه اسد فبشهم فبشهم ونزعوا اسنانهم وسبكوا بها رابه الامداع.

وفي سنة 1226 هـ هجم حيدر محمد وذو منبع على تقصيف ووقع قتالا عظيمها وفسادا اليما فسلم اهل تقصيف لدو وشيعه مالا جز يلا فارتحلوا عنهم.

وفي سنة 1238 هـ جاء عزوم من عبدا واغاروا بسواد السعود على عبيد ورواب لا تقل بيوده فلعف بجمع اهل البلاد واستخلصوا منهم ما اخذوا شوغا واستعدتوا لهم وعرض عليهم الاميت بيوده فبانتوا وكرو لهم بغيرا والهمومهم وفي اخر البيل هجم العزوم على اهل بيوده وهم ضيام قد رحومهم بالسقا كين ولم ينج منهم الا ثلثه وهم ادرين بن البدوي بن المنصور ورجل من قور لهما ربيتي يسمى كين بن شعير كين بن والجزولي بن الشيخ كنعينت العداوه بين القرينين التي سنة 1257 هـ جاء نعم من عبدا واجتمعوا بالسبح محمد بن الحاج احسن التماوي وقلبوا منه عند الصلح مع اهل بيوده وقصبتهم لهم وقدم معهم لبيوده واجرم الصلح بينهم واقتاموا الضيافة للعبديع.

وفي سنة 1269 هـ زحف الحاج محمد بن الحاج يحيى بجيش ذوي منبع ومحمد على بلد ابرنجانا وولطعوا جميع شغل البلاد واستشف هذا نعم للبلاد فبشهم الله منهم ان يمشطوا منهم فارتحلوا

تحقيق بعض ما وقع بين محمد وسفيان من الفساد خزانه كوسام

الحمر للام وعمره

الغارات الوحشية التي طرقت تغرض لها المنطقة:

لقد عرفت منطقة غارات وحشية منذ تأسيسها الى بزوغ شمس الاستقلال وذلك من طرق الاعراب سطر لبيادية وغيرهم باذ لم يكن آنذاك احترام للحدود وحق الجوار فكانت اغارات تنالها من هبت الاخر تتجسس ضعف أهلها فكان يخرج أهل القرية لقرية اخرى لاداء صلاة الجمعة مثلاً فيجدون العدو ثم يلقونهم في ياربهم وأموالهم وهذا هو السبب الرئيسي الذي جعل لبيعات تغدي في ذكر ما وقع من الغارات في الاقليات لاول والثاني للهجرة.

توفي سنة 630 أهل أقبور على تمطي وحقوا أضراراً بالقصور لآلة : أزقور . بشارق . طيط ومانقر.

في سنة 675 جهاد غزو من أرض اشيت اجتماع أهل واد الجنة أباد واقصر منصور وتامست وقصر مكيد .

في سنة 690 اغار على توات جيش من عبدة وفعالوا بها مناصر عظيمة

في سنة 705 جهاد من واد ريغ اولاد ايطالي وقاتلوا مع أهل تاديريت واقصوا بقصور أخرى منها . قصر عيسى قصر امبارك بن موسى . بشارق وقصر طيطا فكانت لمراسة عليهم كانوا هم رغم رغم انهزاهم لم يترددوا فلهذا راعين

الغارات الوحشية على توات

الحمر للاح وعمره

الغارات الوحشية التي طرقت تغرض لها المنطقة:

لقد عرفت منطقة غارات وحشية منذ تأسيسها الى بزوغ شمس الاستقلال وذلك من طرق الأعراب اسطرا لبيادية وغيرهم اذ لم يكن آنذاك احترام للحدود وحق الجوار فكانت لغارات تنابها من حين لاخر نتيجة ضعف أهلها فكان يخرج أهل القرية لقرية أخرى لاداء صلاة الجمعة مثلا فيجدون العدد قد تم لقصم في ديارهم وأموالهم وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجعل لجمعات تغدى في ذكر ما وقع من الغارات في الألفين الاول والثاني للهجرة.

630 توفي أهل أقيور على تنظيم واطقوا أضرارا بالقصور لآية: أزقور - إشارف - طيط ومانغر.

وفي سنة **675** جهاد غزود من أرض اشليت اجماع أهل واد لينة وأباد واقصر المنصور وتامست وقصر ملكيد.

وفي سنة **690** أغار على توات هيش من عبدة وفعالوا بها مناكر عظيمة.

وفي سنة **705** جهاد من واد ريغ اولاد إطاليب وقاتلوا مع أهل تادريتا وأقصوا بقصور أغرى منها، قصر عيسى قصر امبارك بن موسى إشارف وقصر طيط فكانت لبادرة عليهم لكنهم فقم رغم انهزاهم لم يردعوا فلكروا ارامعين

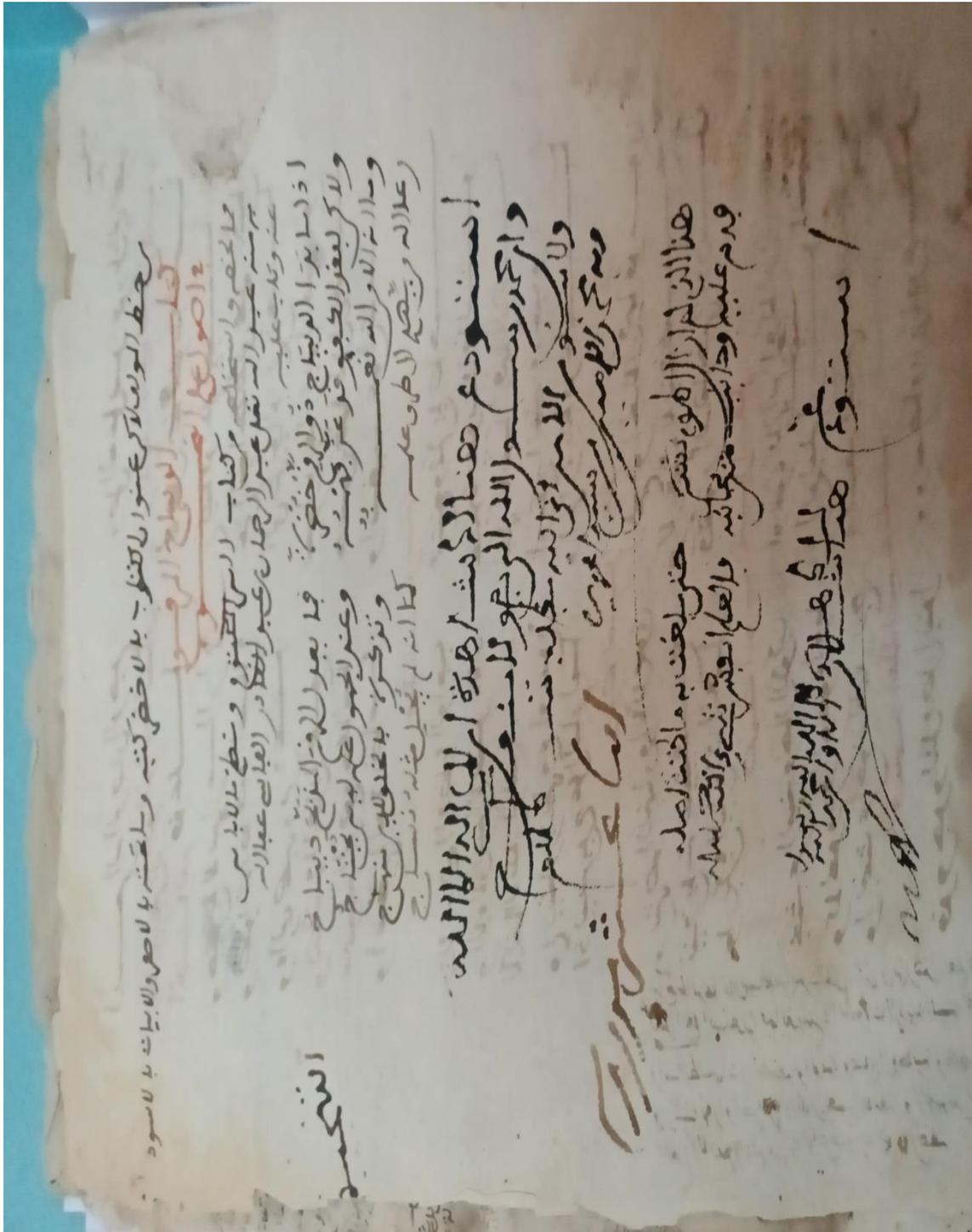
الغارات الوحشية على توات

وفي سنة 1028 هـ جاءت حركة طيسيس وتزلزلت بوزان في صورها
 وقعت بينهم وبين أهل يحيى معركة طالت مناسكها
 نيسرية 60 قتيلاً ثم رحلت الحركة في يودة فالحق
 يسم أهل يحيى ولم يبق منهم أهل يودة في نفس
 السنة وقع عطف بين أهل يحيى وأهل يودة ونهض
 حضرهما خلق الشيخ أبي يحيى ولا يتبين عنه الشيخ بنده
 وفي سنة 1034 هـ تزلزلت أولاد جموا يودة وأغمة ومنها قاتلات
 وتزلزلوا بتمطيظ فتبعهم أهل يودة وقعت بينهم معركة
 عنده وتمطيظ قد قتل أولاد جموا في تمطيظ فاختارهم
 منها أهلها فقتلوا بقاياهم ثم مناسك ورموا بيكبة في قصر
 تمطيظ قاغمة و 34 عماراً و 12 طفلاً وساروا في قصر
 تيطاق فتبعهم أهل تمطيظ وقعت بينهم معركة خارج
 بيوزة فشرع أهل تيطاق وأصحابهم بينهم بين الطائفتين
 واشتد منهم الجور به 12 مقالاً نقلت عماراً واطقاً
 به 20 مقالاً نقلت طفل فربح أهل تمطيظ به وأهملهم وأطلقهم
 واقترق الجمعات ثم بعد ثلاثة أيام جاء أهل
 تيطاق لتمطيظ وطلبوا منهم ما دفعوا لأولاد جموا فقامتوا
 فرفع الأمر في قاضي خيال عات الشيخ سيدي عليه السلام
 ابن سيدي محمد فانتفى على أهل تيطاق فمير قاده عنه سياستهم
 وأمر أهل تمطيظ به فرفع ذلك لعدم ففعلوا

الغارات الوحشية على توات

في واد ريح
 وفي سنة 708 غادوا بياض مقال فانتهوا من اهل تاوريرت
 وادقوا بقصور اخرى منها قصر بلبيس قصر امبارك
 بين مونسى لشارق وقصر تيط
 وفي سنة 720 استعان اهل تاوريرت ونيغ بأولاد سعيد من
 ارض ارضن قادمه وهم بياض رجيل فشنوا القارة على
 قصر اعرية بلغت لقتلى 200 رجيل لهذا بقصر النظر
 عن خسائر ملادية
 وفي سنة 1004 هجاءت قبيلة من ارض الساهل فخرت لوقايف
 على اهل توات وقتلوا بها سنة بقمون زمن خريف
 بيور سيد يوسف في زمن ابيصق بالصفاش
 وفي سنة 1010 هجاءت اعرية من الساهل واستلمت ق قصورا
 منها مكرة و ادغلا و عتري ولم يسجل التاريخ ختمسائرهم
 المادية والبشرية
 وفي سنة 1018 هجاءت 25 رجيل تجارا من اعرية ونزلوا
 بقطيط فقصدهم اهل قنوقيل بمساعدة اهل تيميم
 بجادلون هلك بعض القصور فتمصر اهل قنوقيل فوقع
 شنتان عظيم من اهل قنوقيل واهل
 تيميم

الغارات الوحشية على توات



كتاب الديباج المرقوم في أصول علم النجوم وعلم الرياضيات - علي بن محمد بن علي القريش
المعروف بالقصاوي - مكتبة اقبلي



كتاب الديباج المرقوم في أصول علم النجوم وعلم الرياضيات - علي بن محمد بن علي القريش
المعروف بالفصاوي - مكتبة اقبلي

الفهارس

أ- فهرس الأعلام:

ب- فهرس القبائل والبطون والدول

ج- فهرس الأماكن:

د- فهرس الزوايا:

هـ- فهرس المعارك والاشتباكات:

و- فهرس الطرق الصوفية:

ز- فهرس الجداول:

ح- فهرس القضاة:

ط- فهرس المصادر والمراجع

أ- فهرس الأعلام:

حرف الألف - أ -

ابن بابا حيدا	11، 106، 108، 236،	احمد بن الشيخ	254.
	245، 250، 253، 281.	مُجَدُّ الرقاد الكنتي	
ابن عاصم	99، 232، 254، 257،	احمد بن مُجَدُّ	17، 218.
	288.	الرقادي الكنتي	
ابن قانا	331.	احمد دراية	275، 279، 330،
			398، 400، 406.
ابو الحسن الشاذلي	171، 225.	أحمد ديدي	90، 92، 227، 228،
			239، 240، 257،
			258، 259، 365،
			402.
أبو يحيى المتباري	215، 250.	اقاسم عبد العزيز	361، 368.
ابي حامد الغزالي	181.	الإمام الجنيد	164.
احمد التيجاني	17، 25، 185، 332، 333.	الأمير عبد القادر	24، 191، 192، 193،
			196، 211، 215،
			270، 316، 324،
			526، 329.
احمد الشريف الزهار	324.	أنطوان ديش	351، 352، 410.
احمد المنصور	23.		

حرف الباء - ب -

الباشا إدريس	51.	بن بيتور علال	361.
باقي بوعلام	363، 364.	بن خدة الحاج	362.
		عبد الله	
برادعي الطيب	360، 366.	بن سبقاق	399.
برادعي سليمان	12، 359، 360، 361.	بوبكر النعيمي	376.
بقي عبد الحفيظ	362.	بوحدادة عبد القادر	368.
البكري بن عبد الرحمان	127، 141.	بودواية بودواية	12، 361، 363، 368.

362	بوزايد الشيخ	381، 377، 371	بلعقون احميدة
360	البيير منذر	370، 367	بلعيد احمد
		404	بن السي حمو عبد الله
			بن احمد

حرف التاء - ت -

363	التومي بن سعيدان	95	التلمساني ابن زكرياء
	بن بنغالية		بن ابي البركات

حرف الجيم - ج -

181	جلال الدين	410، 319، 314، 277	جاك سوستال
	الرومي		
49	جرمان	375	جاك صوايي

حرف الحاء - ح -

337، 324، 161	حمدان بن عثمان	362	الحاج التهامي
	خوجة		
368	حمدواي حمو	264	الحاج المختار بن احمد
			البرمكي
52	حمزة بن الحاج مُجد	272، 194	الحاج المهدي باجودة
318، 317، 316، 277	حمزة بوبكر	413، 412، 317	الحاج باي اخموك
412، 334، 319			
374، 372، 366	حميدة بلعقون	188، 179	الحاج عمر الفوتي
393، 392، 391، 375	حناني علي	231، 271، 191، 174	الحاج عمر الفوتي
396			
394	حناني لخضر	320، 268، 262، 226	الحبيب بن عبد
			الرحمان
361	والحفيظ قلوب	181	الحسن الحلاج
	الشيخ		
		394	حكومي مُجد بن
			بحوص

حرف الدال - د -

ديدي مولاي عبد	393	دحماني مُجَّد بلحمار
الكريم		
404		
	343	الدوق روفيقوا

حرف الراء - ر -

الرقابي مولاي عبد الله	4، 50، 212	
بن مولاي العباس		

حرف الزاي - ز -

زيان عاشور	376، 374، 372، 366	الزاوي مول القرعة
367		
	376، 374	الزيادي عبد القادر

حرف السين - س -

سي قدور بن حمزة	377، 376	ساوس مُجَّد
25، 44، 194، 271		
سيدي احمد	116، 92	سعيد قدورة
181، 187، 197، 254،		
البكاي		
273		
سيدي احمد بن	30	السلطان المغربي
166، 176، 185، 258،		
موسى		مولاي الحسن
سيدي المختار الكبير	187	السلطان كاغو
181، 187		
سيدي سليمان بن	23	السلطان مولاي
108		
علي		سليمان
سيدي مُجَّد ادواعلي	23	السلطان مولاي عبد
286		
		الرحمان
سيدي مُجَّد بن عبد	12، 368	سلكة بومدين
281		
القادر المهداوي		
التنلاني		
سيدي مُجَّد بن عمر	104	سلكة عبد الرحمان
216		
البداوي		
سيكو توري	367	سي الحواس
399، 400		
	364، 363	سي الخلاصي

حرف الشين - ش -

الشيخ الحداد	191، 270، 326، 331.	الشيخ سيدي اعمر 222. المهداوي
شارل ديما	156.	الشيخ سيدي عبد 287. الرحمان باعومر
الشريف بن مُجَّد	191.	الشيخ سيدي عبد 249. الله العصنوتي
شعيب ابي مدين الاندلسي	171.	الشيخ سيدي 226. لحيب
شوشان مُجَّد بن مختار	362.	الشيخ سيدي مُجَّد 90، 196، 213، 227، بلكبير 237، 257، 265، 275، 330.
شونان مُجَّد المختار	360.	الشيخ عبد القادر 261. بن مُجَّد ولد الصافي
الشيخ ابراهيم بيوض	277، 317، 318، 413.	الشيخ عثمان 55.
الشيخ الحاج مُجَّد بن الحاج احمد البوحامدي	265.	الشيخ مُجَّد الموسوم 171، 172.
الشيخ الفقون	331.	الشيخ مُجَّد باي 203، 204، 209، بلعالم 263، 264، 265.
الشيخ المغيلي	23، 95، 216، 223، 248، 250، 251، 252، 253، 283، 285.	الشيخ مُجَّد بن عمر 92. بن الحبيب البوداوي
الشيخ المُجَّد بن مُجَّد المختار بن حمزة بن مالك	265.	الشيخ مُجَّد بن 174. عيسى
الشيخ بوعمامة	14، 16، 25، 32، 33، 42، 43، 45، 46، 191، 193، 195، 196، 211، 270، 271، 326.	الشيخ مُجَّد بن مُجَّد 288. الجزولي

- الشيخ حمزة بن مالك 289. الشيخ ميمون بن 252.
القبلاوي عمرو بن مُجَّد الباز
- الشيخ سالم بن مُجَّد بن 215، 253. الشيخ يحيى بن يذر 253.
ابي بكر العصنوتي بن عتيق التدلسي
- الشيخ سيد الحاج مُجَّد 291. شيلون بلخير 366.
عبد الرحمان السكوي
- حرف الطاء - ط -**
- الطالب العربي 367. الطيب العقبي 359.
- حرف العين - ع -**
- العباس بن مُجَّد بن 178. عبد الله بلهوشات 399، 400.
المختار ابن سالم التيجاني
- عبد الجبار 23، 95، 174، 224، 252. عبد الله بن أبي 17، 215.
بكر العصنوتي
- عبد الرحمان 172. عبد الله بن مُجَّد 282.
بن عبد الكريم الحاجب
- عبد الرحمان التنلاي 98، 99. العربي بلقاضي 362.
عبد الرحمان الثعالي 172، 182، 184، 207، 295.
عزي الحاج مُجَّد
- عبد الرحمان بن عبد 267. عقبة بن نافع 23، 109، 254.
الله هيباوي
- عبد العزيز الطيب 367. العلوشي الدين 395.
عبد العزيز بوتفليقة 398، 399، 400، 403. علي السنوسي 177.
عبد الغني عقي 367، 370. علي بلخضر 377.
عبد القادر الجيلالي 165، 171، 173، 218، 209، 247، 249.
عبد القادر العمودي 359. عمر اوصديق 399.

عيساتي شويشي	400.	عبد القادر بن مُجَّد بن سليمان	174.
عيسى ابن مُجَّد البيطوي	250.	عبد القادر بوحادة	362، 413.
عيشاوي الشيخ	394.	عبد الكريم المغيلي	17، 94، 184، 187، 209، 210، 216، 218، 234، 237، 251، 253، 265، 283، 284.
		عبد الله السنوسي	191، 271، 326.
حرف الفاء - ف -			
فرحات عباس	361، 362.	فرانز فانون	399، 400، 406.
الفضل بشرير	375.	فرجاني الحاج احمد	404.
فلاتيرز	49.	فرحات بلعيد	367، 373، 374.
حرف القاف - ق -			
القاسم حمادي	403.	قادة مولاي	362، 363.
حرف الكاف - ك -			
كنكان موسى	18، 109.	كلوزيل	328.
حرف اللام - ل -			
لقصاصي عبد القادر بن سيد احمد	404.	لالة فاطمة نسومر	174.
لمطوش بحوص	390.	لافيار	48.
		لخضر بلحرمة	373.
حرف الميم - م -			
مُجَّد محمود الاروني	321.	مبارك المليي	359.
محي الدين بن العربي الاندلسي	181.	مُجَّد الأداوعلي	255.
محي الدين عبد القادر	172.	مُجَّد الشريف مساعدي	330، 398، 399، 403، 406.

172	مُجَدُّ الهواري	367	مزيان صندل
237، 232	مُجَدُّ بلعالم الزجلاوي	324	مصطفى بن الكبابطي
210، 234، 241، 265	مُجَدُّ بن أب المزمري	12، 196، 226	مولاي احمد الطاهري
		262، 268، 275	الادريسي
		276، 320، 321	
		322، 329	
331	مُجَدُّ بن بلقاسم	12، 196، 226	مولاي احمد الطاهري
	الحملاوي	262، 268، 275	الادريسي
		276، 320، 312	
		322، 329	
11، 281، 326	مُجَدُّ بن عبد الكريم	113، 115، 138	مولاي إسماعيل
	التمنطيبي	228، 257، 265	
19، 26، 94، 98، 236	مُجَدُّ بن عبد الكريم بن	413، 362	مولاي زعرور
	عبد الحق البكري		
217، 219	مُجَدُّ بن علي النحوي	17، 30، 183	مولاي سليمان بن
	الوقروني	184، 209، 210	علي
		241، 247، 249	
210، 241، 369، 389	مُجَدُّ بن مسعود	113، 362	مولاي عبد السلام
333	مُجَدُّ بوقندورة	285	مولاي علي بلحاج
			بن مولاي أمجد
367	مُجَدُّ جغابة	399	ميديووا كائنا
165	مُجَدُّ عبده	12، 303، 309	ماكس لوجان
		313، 316	

حرف النون - ن -

318	ناصر بن علي	368	نوار بن نوار
395	النواري قويدر	58	نابليون لويس

حرف الهاء - ه -

19، 20	هيروودوت	365، 366، 369	الهاشمي مُجَدُّ
--------	----------	---------------	-----------------

.116	البمبار	،110 ،109 ،105 ،21 ،20	البربر
		.246 ،130 ،127 ،113	
.16	بنو هلال	.47	البروشيين
.106	بني يفرن	،14 ،47 ،61 ،197 ،273	بريطانيا
		.409	
		حرف التاء - ت -	
.47	تامريزت	،32 ،33 ،35 ،36 ،187	التوارق
		،247 ،317 ،354 ،355	
		.403	
.186	التكرو	.47	تادماين
		حرف الجيم - ج -	
.102 ،16	الجيتول	.51	الجنود الصبايحية
		.102 ،16	الجيتول
		حرف الحاء - ح -	
		،105 ،109 ،112 ،114	الحراطين
		.115	
		حرف الحاء - خ -	
		.54 ،108 ،114	الخنافسة
		حرف الدال - د -	
.47 ،46	دوي منيع	.186	الداجومبا
		حرف الراء - ر -	
		.48	روسيا
		حرف الزاي - ز -	
.207 ،181	الزيانيين	،19 ،21 ،103 ،106 ،107	زناتة
		.113 ،108	
		حرف السين - س -	
.186	السنغاي	.116	سرقو
.186	سنوفر	.186	السريير

186.	السونتكة	181.	السعديين
	حرف الشين - ش -		
،247 ،193 ،108 ،54	الشعانية	،105 ،106 ،108 ،111	الشرفاء
،318		،112 ،113 ،115 ،195	
		،263 ،287	
	حرف الصاد - ص -		
		،105 ،106	صنهاجة
	حرف العين - ع -		
،134 ،113 ،109 ،18	العرب	،391	عائلة اقوجيل
،331 ،306 ،300 ،196			
،338 ،332			
،106	عرب الزاب	،391	عائلة القروط
،103 ،22	عرب المعاقيل	،391	عائلة قلوب
،379	عرش البرودي	،391	عائلة كابويا
،379	عرش التلي	،98 ،104 ،105 ،112	العبيد
		،114 ،115 ،116 ،117	
		،218 ،218 ،354 ،393 ،394	
،47	العوايد	،189 ،206	العثمانيين
	حرف الغين - غ -		
		،47 ،54 ،108 ،247	الغنامة
	حرف الفاء - ف -		
		،116	الفولان
	حرف القاف - ق -		
،193	قبائل لعمورة	،116	الفوتا
،236	قبيلة أولاد أحمد	،361	قائد تاغوزي
،119 ،23	قبيلة أولاد علي	،114	قبائل المعقل
	بن موسى		
،106	قدالة	،103	قبائل بني هلال

19، 21، 23، 24، 26،	القصور	.193، 37	قبائل حميان
31، 45، 47، 51، 52،			
53، 54، 88، 89، 103،			
107، 110، 113، 114،			
116، 117، 118، 119،			
121، 122، 131، 135،			
136، 137، 140، 144،			
146، 213، 229، 243،			
281، 366.			
حرف الكاف - ك -			
		.187، 181	الكنثيون
حرف اللام - ل -			
105، 106.	لمطة	.106، 105	لمتونة
حرف الميم - م -			
105، 106.	مسوفة	.186	المانتكة
106.	مغراوة	.114، 108، 53	المحارزة
8، 11، 17، 20، 22،	المغرب	.47	المحاميد
30، 32، 34، 37، 41،			
44، 50، 52، 54، 61،			
73، 85، 92، 103،			
106، 108، 109، 110،			
111، 115، 119، 130،			
151، 162، 171، 173،			
174، 177، 178، 180،			
181، 182، 192، 194،			
197، 199، 201، 206،			
207، 216، 219، 226،			
236، 246، 248، 252،			

ج- فهرس الأماكن:

حرف الألف - أ -

141، 144.	أنزجيمير	367.	الابيض سيد الشيخ
26، 44، 108، 213،	اوقروت	391.	اجدير
219، 224، 361، 370،			
386.			
26، 222، 224، 244.	أولاد سعيد	11، 12، 13، 16، 31، 48،	ادرار
		55، 64، 72، 73، 74، 75،	
		78، 82، 83، 84، 120،	
		139، 145، 146، 152،	
		156، 159، 209، 213،	
		223، 227، 236، 238،	
		239، 242، 244، 258،	
		259، 265، 276، 278،	
		311، 312، 323، 330،	
		342، 343، 344، 354،	
		359، 362، 363، 364،	
		365، 366، 376، 377،	
		386، 391، 402، 403،	
		406، 413.	
210، 219، 402.	أولاد ونقال	144، 183، 185، 241،	ادغا
		343، 402.	
32، 49، 51، 102،	أولف	28، 40.	ارزيو
124، 209، 210، 211،			
240، 244، 245، 264،			
265، 266، 272، 274،			
290، 402، 403.			
50.	ايغلي	13، 116، 181، 218، 241.	الأزواد

.48	ايقسطن	.361، 129، 72	أسبع
.104، 66	إيقلي	.16	اشبيلية
.334، 52	ايكلي	.17، 16، 11، 9، 8، 3، 2	افريقيا
		،34، 33، 32، 30، 28، 27	
		،43، 42، 39، 38، 36، 35	
		،76، 65، 58، 55، 49، 46	
		،106، 102، 80، 79	
		،151، 147، 116، 108	
		،10، 179، 178، 173	
		،187، 186، 183، 181	
		،194، 192، 189، 188	
		،245، 244، 243، 197	
		،286، 284، 269، 251	
		،315، 312، 309، 303	
		،406، 390، 382، 351	
		.409	
،50، 49، 48، 26، 25	اينغر	،51، 39، 35، 32، 26، 25	اقبلي
،196، 55، 53، 51		،225، 220، 124، 109	
،290، 289، 272، 225		،255، 245، 244، 240	
،294، 293، 292، 291		.295، 265	
،363، 358، 296، 295			
.413، 410، 364			
.23	لأرض التكرور	.48	امبلبال
		حرف الباء - ب -	
.319	بني يزقن	،313، 158، 67، 38، 28	باريس
		.384، 317	
،37، 26، 25، 22، 12	بودة	.400	باماكو
،103، 100، 72، 47			

،136 ،134 ،124 ،107			
،223 ،221 ،209 ،185			
،258 ،257 ،244 ،227			
.402			
،193 ،179 ،178 ،24	بوسمغون	.406 ،401 ،323	برج باجي المختار
.370 ،366			
.72 ،26	بوفادي	.319 ،86	بريان
.319 ،86	بونورة	.328 ،172	بغداد
،75 ،74 ،53 ،44 ،30	البيض	.20	بلاد الزاب
،179 ،141 ،85 ،77			
،312 ،311 ،265 ،193			
.366 ،354 ،352			
		،77 ،75 ،74 ،69 ،54	بني عباس
		،385 ،366 ،354 ،311	
		.386	
	حرف التاء - ت -		
،263 ،261 ،158 ،37	تمراست	.387	تابلكوزة
،401 ،354 ،317 ،265			
.406 ،403 ،402			
،23 ،22 ،21 ،12 ،11	تمنيط	.48 ،36	تادمايت
،100 ،93 ،92 ،72 ،26			
،108 ،107 ،106 ،103			
،216 ،215 ،213 ،119			
،236 ،227 ،223 ،217			
،247 ،245 ،242 ،240			
،252 ،251 ،250 ،248			
،265 ،258 ،257 ،253			
.411 ،402 ،281			

،312 ،311 ،308 ،64	تندوف	،384 ،383 ،373 ،370	تاسلغة
،376 ،366		،414 ،388	
،305 ،68 ،16	تنزروفت	،107	تاعنطاس
،11 ،10 ،8 ،5 ،4 ،3	توات	،393 ،367 ،361	تاغوزي
،18 ،17 ،16 ،13 ،12			
،23 ،22 ،21 ،20 ،19			
،28 ،27 ،26 ،25 ،24			
،33 ،32 ،31 ،30 ،29			
،38 ،37 ،36 ،35 ،34			
،46 ،43 ،42 ،40 ،39			
،52 ،51 ،50 ،49 ،47			
،66 ،65 ،56 ،55 ،54			
،75 ،74 ،73 ،72 ،71			
،80 ،79 ،78 ،77 ،76			
،89 ،88 ،87 ،83 ،81			
،96 ،95 ،93 ،91 ،90			
،101 ،99 ،98 ،97			
،106 ،105 ،104 ،103			
،110 ،109 ،108 ،107			
،116 ،115 ،114 ،111			
،137 ،120 ،119 ،118			
،146 ،145 ،142 ،141			
،150 ،149 ،148 ،147			
،159 ،157 ،156 ،151			
،184 ،183 ،177 ،162			
،189 ،187 ،186 ،185			
،198 ،196 ،195 ،194			
،207 ،205 ،204 ،200			

،214 ،212 ،211 ،209
 ،218 ،217 ،216 ،215
 ،223 ،222 ،220 ،219
 ،232 ،231 ،230 ،226
 ،238 ،236 ،234 ،233
 ،244 ،243 ،241 ،239
 ،248 ،247 ،246 ،245
 ،252 ،251 ،250 ،249
 ،256 ،255 ،254 ،253
 ،264 ،263 ،262 ،259
 ،272 ،271 ،269 ،267
 ،280 ،279 ،275 ،273
 ،284 ،283 ،282 ،281
 ،295 ،289 ،288 ،286
 ،299 ،298 ،297 ،296
 ،321 ،320 ،312 ،301
 ،334 ،333 ،329 ،326
 ،355 ،354 ،348 ،346
 ،366 ،364 ،360 ،358
 ،385 ،384 ،377 ،375
 ،410 ،409 ،403 ،402
 ،415 ،414 ،413 ،411
 ،84 ،83 ،68 ،64 ،60
 ،217 ،191 ،178 ،85
 ،319 ،315 ،312 ،305
 ،359 ،326
 ،226 ،143 ،42 ،41
 ،390 ،262

توقرت

.369

تاغيارت

تومبكتو

.75 ،74 ،54 ،44

تاغييت

،171 ،130 ،34 ،33	تونس	.111 ،108 ،31	تافيلالت
،194 ،189 ،179 ،178			
،283 ،246 ،244 ،217			
.399 ،398 ،372			
،52 ،51 ،50 ،35 ،13	تيديكلت	،129 ،120 ،72 ،47 ،26	تامست
،88 ،73 ،66 ،55 ،54		.148 ،138	
،109 ،108 ،107 ،102			
،195 ،194 ،185 ،131			
،241 ،225 ،222 ،218			
،274 ،271 ،265 ،242			
.370			
.108 ،51 ،26 ،25	تيط	.226 ،103	تاويريرت
.402	تيطاوين	.224 ،26 ،25 ،22 ،19	تبلكوزة
،107 ،106 ،103 ،21	تيكورارين	،103 ،48 ،31 ،26 ،21	تسايت
.108		،195 ،185 ،146 ،107	
		،205 ،272 ،261 ،247	
		.402	
.402 ،139	تيلولين	،103 ،72 ،26 ،25 ،21	تسفاوت
		.268 ،226 ،109	
.391	تيلياوين	،79 ،47 ،40 ،34 ،28	تشاد
		،317 ،311 ،310 ،188	
		.412	
.345 ،107 ،25 ،21	تيمادين	.52 ،32	تعنطاس
.369	تيمزلان	.369	تقانت
،47 ،37 ،31 ،26 ،22	تيمي	.22	تكدا
،100 ،90 ،72 ،54			
،129 ،119 ،116 ،115			
،210 ،209 ،148 ،146			

.249، 241، 220			
،31، 25، 22، 21، 16	تيميمون	.336	التل الكبير
،71، 54، 53، 52، 44			
،76، 75، 74، 73، 72			
،83، 82، 79، 78، 77			
،154، 152، 131، 108			
،260، 258، 224، 223			
،335، 311، 295، 261			
،363، 362، 359، 358			
،368، 367، 366، 364			
،377، 376، 375، 374			
،382، 381، 380، 378			
،388، 387، 386، 385			
.402، 406، 391			
.20، 10	تيهت	،103، 88، 18، 11، 10، 5	تلمسان
		،176، 172، 162، 106	
		،206، 182، 181، 179	
		،211، 209، 208، 207	
		،248، 247، 246، 244	
		،270، 258، 251، 250	
		.332، 326، 284	
		حرف الجيم - ج -	
.405	جزر الكناري	.194، 46	جنان بورزق
		.366	جبل تمدا
		حرف الحاء - ح -	
.396، 394، 393	حاسي زيرارة	.391، 369	الحاج قلمان
.48	حاسي سوقي	.390، 369	حاسي اوسكير
،376، 375، 370، 335	حاسي صاكة	.395	حاسي ايزي

377، 378، 382، 384، .414			
367، 369، 388، 389، .394	حاسي علي	369، 389.	حاسي بلقزاح
381، 386، 387، 390، .392	حاسي غمبو	382.	حاسي بوبكر
395. قرن	حاسي القصة	376، 396.	حاسي بوزيد
177، 182، 243، 276، .412، 329، 287	الحجاز	386، 393.	حاسي تنواتو
195.	الحمام الفوقاني	393، 394، 396. 369، 373.	حاسي ثلجة حاسي ديبوتي
حرف الدال - د -			
4، 25، 26، 31، 45، 195، 211، 271، 326، .413، 370، 364، 363	دلدول	367.	الدبداب
حرف الراء - ر -			
12، 16، 26، 32، 52، 80، 107، 111، 124، 125، 195، 196، 209، 223، 244، 247، 260، 262، 272، 276، 277، 323، 329، 330، 345، .413، 397، 390	رقان	48.	رق اجماز
حرف الزاي - ز -			
193، 306.	الزيان	209، 260، 386، 387، 391.	زاوية الدباغ
		26، 72، 109، 111، 113،	زاوية كنتة

،129 ،138 ،185 ،195
،209 ،223 ،255 ،272
.402

حرف السين - س -

سالي ،12 ،26 ،31 ،124 ،195 سفيسفة ،24 ،193

،196 ،209 ،226 ،262

،263 ،264 ،265 ،268

،272 ،275 ،276 ،320

،321 ،413

الساهلة ،44 ،225 سكيكدة ،28 ،40

الساورة ،24 ،27 ،32 ،34 ،52 ،54 السودان ،11 ،17 ،18 ،20 ،21

،64 ،66 ،68 ،77 ،79 ،31 ،34 ،35 ،37 ،23

،104 ،111 ،131 ،185 ،38 ،39 ،68 ،98 ،102

،193 ،218 ،244 ،305 ،105 ،109 ،114 ،115

،311 ،312 ،315 ،360 ،116 ،127 ،130 ،138

،366 ،370 ،390 ،410 ،141 ،145 ،147 ،162

،173 ،178 ،186 ،187

،188 ،194 ،215 ،216

،218 ،237 ،243 ،244

،249 ،251 ،253 ،262

،311 ،332 ،333

سبع ،69 ،172 ،221 ،361 السودان الغربي ،11 ،17 ،23 ،34 ،35

،38 ،39 ،68 ،109

،127 ،130 ،162 ،188

،215 ،216 ،243 ،244

،249 ،251

سجلماسة ،21 ،22 ،35 ،103 ،113 السينغال ،28 ،188

،243 ،287

حرف الشين - ش -

شروين	22، 26، 44، 53، 54، 55، شنقيط	226، 243، 255، 256،
	109، 224، 358، 363،	262.
	364، 386، 410.	

حرف الصاد - ص -

الصحراء القبليّة .17

حرف الطاء - ط -

طرابلس	28، 34، 127، 130، 217، طنجة	31، 44.
	244.	

45، 53، 54، 55، 107،

ظلمين

109، 358، 373، 388.

حرف العين - ع -

العرق الغربي الكبير	34، 386، 390، 396، عين الفار	334.
العطف	319، عين حمو	367، 369.
عمور	37، 334، عين صالح	12، 16، 19، 25، 26،

31، 32، 33، 37، 41،

42، 45، 46، 48، 49،

50، 51، 52، 53، 65،

66، 72، 73، 75، 104،

107، 109، 120، 194،

195، 212، 225، 244،

255، 271، 272، 289،

290، 294، 296، 298،

308، 333، 334، 354،

360، 363، 402، 406،

413.

34، 37، 40، 41، 45، 46، عين ماضي

عين الصفراء

60، 68، 70، 72، 73، 74،

،81 ،79 ،78 ،77 ،76 ،75
،140 ،130 ،86 ،85 ،83
.410 ،312 ،305 ،193

حرف الغين - غ -

،68 ،64 ،60 ،46 ،34	غرداية	.34 ،17	غانا
،86 ،85 ،83 ،73 ،70			
،305 ،271 ،263 ،127			
،359 ،319 ،318 ،312			
.366			

،130 ،127 ،105 ،40 ،34
.244 ،241

غدامس

حرف الفاء - ف -

،129 /120 ،109 ،72	فنوغيل	.369 ،222	فاتيس
،226 ،217 ،213 ،209			
.403 ،268 ،255			
،174 ،46 ،41 ،24	فيقيق	،178 ،177 ،174 ،32 ،28 ،3	فاس
،371 ،326 ،271 ،175		،250 ،233 ،220 ،206 ،193	
.391		.287 ،254 ،252	
		.225 ،48 ،45 ،25	فقارة الزوى

حرف القاف - ق -

.216 ،23	قصر بوعللي	،38 ،179 ،245 ،287	القاهرة
		.372	
.367	قصر تاغوزي	.399 ،245	قاو
.48	القطارة	.319 ،106 ،86	القرارة
.133 ،85	قمار	.393	قرن الرتماية
.379 ،366	القنادسة	.272 ،195	قرية البركة
،71 ،64 ،38 ،23 ،16	قورارة	،84 ،83 ،73 ،65 ،39 ،28	قسطنطينة
،77 ،76 ،75 ،74 ،73		،208 ،206 ،193 ،177	

،87 ،86 ،83 ،79 ،78	،340 ،331 ،323 ،315	
،131 ،109 ،104 ،88	.359	
،222 ،221 ،195 ،185		
،271 ،244 ،242 ،224		
،362 ،336 ،326 ،312		
.370		
.401 ،400 ،399	قيدال .388	قصر باحمو
	حرف الكاف - ك -	
،75 ،74 ،64 ،60 ،30	كولومب ،258 ،196 ،177 ،75 ،74	كرزاز
،308 ،85 ،78 ،77 ،76	.385 ،366	
.378 ،312 ،309		
	.146 ،111 ،92	كوسان
	حرف اللام - ل -	
	.386	لقصابي
	حرف الميم - م -	
،108 ،53 ،45 ،44 ،3	المطارفة ،188 ،109 ،68 ،59 ،34	مالي
.410 ،358 ،242	،382 ،317 ،305 ،226	
	،404 ،401 ،400 ،399	
	.412 ،405	
،206 ،197 ،181 ،17	المغرب الإسلامي ،186 ،32	المحيط الأطلسي
.246 ،207		
،250 ،28 ،10 ،5 ،3	مكناس .32	المحيط الهادي
.287		
.319 ،86	مليكة ،130 ،115 ،35 ،34 ،28 ،17	مراكش
	.263 ،261 ،245 ،226 ،176	
.383	منحدر الفايحة ،115 ،35 ،34 ،28 ،17	مراكش
	،245 ،226 ،176 ،130	
	.263 ،261	

48	منطقة الشباية	401	مركز اندوني
،45 ،39 ،34 ،32 ،25	المنيعة	401	مركز تاديتي
،194 ،54 ،48 ،46			
.395 ،376 ،271			
.405	ميناء كوناكري	401	مركز تساليت
		،77 ،75 ،74 ،40 ،39 ،37	المشربية
		.258 ،85	
	حرف النون - ن -		
		.21	نوميديا
	حرف الهاء - ه -		
		،305 ،277 ،80 ،68 ،55	الهقار
		.412 ،317 ،316	
	حرف الواو - و -		
.52 ،46	وادي كبير	،50 ،47 ،46 ،30 ،23 ،19	الواحات
		،73 ،72 ،70 ،68 ،64 ،60	
		،84 ،83 ،80 ،78 ،75 ،74	
		،305 ،295 ،115 ،86	
		،319 ،317 ،315 ،312	
		.410 ،359 ،320	
.254 ،219 ،113 ،25	وادي مسعود	،244 ،218 ،104 ،52 ،34	وادي الساورة
		.390 ،370	
.254 ،219 ،113 ،26	وادي مسعود	،382 ،369 ،80 ،52 ،34	وادي الناموس
		.397 ،390	
.52 ،46	وادي مقيدن	،382 ،369 ،80 ،52 ،34	وادي الناموس
		.397 ،390	
.305 ،85	وادي ميزاب	.47	وادي النيل
،42 ،40 ،39 ،37 ،31	ورقلة	.103	وادي جرير
،68 ،64 ،60 ،53 ،48			

،263 ،191 ،178 ،86

،318 ،312 ،278 ،271

.326 ،319

،54 ،42 ،40 ،39 ،28

وهران

.305 ،103

وادي ريغ

،172 ،83 ،73 ،66

،331 ،263 ،260 ،178

.403 ،379 ،366 ،332

.50

وادي زوزفاته

د- فهرس الزوايا:

حرف الزاي - ز -

زاوية ابن مرزوق	206.	زاوية بجي البليدة	178.
التلمساني			
زاوية ابي الانوار	209.	زاوية بدران	224.
زاوية ابي حجلة	209.	زاوية بلال	209.
زاوية احمد الغماري	207.	زاوية بوعلي توات	207.
زاوية الاخضري بسكرة	207.	زاوية تماسين	178.
زاوية البكري	207.	زاوية جبل ابي قبيس	177.
الزاوية التينلاتية أدرار	219.	زاوية حينون	209، 210.
الزاوية التعالبية في الجزائر	206.	زاوية سيد البكري	47.
زاوية الحشف	209.	زاوية سيد زايد تبرغابن	222.
زاوية الحملاوي ميله	207.	زاوية سيدي الكريم	216، 223، 242.
زاوية الدباغ	209، 260، 386، 387، 391.	زاوية سيدي الحاج	183.
الزاوية الرقانية	195، 212، 272، 279، 330.	زاوية سيدي الحلوى	207، 208.
الزاوية السنوسية بتلمسان	206.	زاوية سيدي باسيدي فاتيس	222.
زاوية الشيخ ابي عامر البويرة	207.	زاوية سيدي بلقاسم أدرار	209.
زاوية الشيخ أبي يحي المتباري	215.	زاوية عيسى	183.

زاوية كتنة	26، 72، 109، 111،	زاوية الشيخ الحفناوي	207.
	113، 129، 138، 185،	قالمة	
	195، 209، 223، 255،		
	272، 402.		
زاوية كتنة القادرية	185.	زاوية الشيخ المصمودي	190.
زاوية مُحمَّد بن عبد	209، 210، 216	زاوية الشيخ عبد القادر	213.
الكريم المغيلي		بن عومر فنوغيل	
زاوية مهدية	209، 223.	زاوية الشيخ مُحمَّد بلكبير	207، 227.
زاوية مولاي احمد	225.	زاوية الشيخ مُحمَّد بن	210.
		عبد الكريم المغيلي	
زاوية مولاي	183، 184.	زاوية الشيخ مولاي	25، 209.
سليمان بن علي		عبد الله الرقاني	
زاوية مولاي هيبه	124، 207.	زاوية العربية	183.
زاوية ورقلة	178.	زاوية الفقيه أبي زكرياء	208، 209.
		الزواوي تلمسان	
زاوية سيدي ابي	207.	زاوية القيطنة	192، 208.
مدين			
زاوية الشيخ بن	209.	زاوية الكرزازية	176، 185.
عومر بودة			
زاوية سيدي عبد	209.	الزاوية الملارية في	206.
القادر فنوغيل		قسطنطينة	
زاوية سيدي عبد	213.	زاوية الهامل بوسعادة	207، 212.
الله بن طمطم			
اوقروت			
زاوية سيدي علي	209.	زاوية المُحمَّد بن عبد	190.
بن حنيني زاجلو		الرحمان في ذراع الميزان	

هـ - فهرس المعارك والاشتباكات:

حرف الألف - أ -

393	اشتباك حاسي تنواتوا	394	اشتباك ارباق اجراد
394	اشتباك حاسي علي بن حيمودة	390	اشتباك القطاب
		396	اشتباك بلعروق

حرف الدال - د -

295، 289، 0، 49، 32،	الدغامشة
413، 410، 364، 358	

حرف الكاف - ك -

414	كمين تاسلغة
-----	-------------

حرف الميم - م -

395	معركة حاسي سيدي قدور بن يحي	393	معركة ارباك بن حمو
414، 384، 375	معركة حاسي صاكة	358، 272، 49	معركة اقسطن
388	معركة حاسي علي	413، 295، 49	معركة الدغامشة
386	معركة حاسي غمبو	55	معركة الكوديا
395	معركة دفقة مولاي	53	معركة المطارفة
393	معركة دماغ العبيد الأولى	50، 51، 196، 272، 289، 295، 296، 413	معركة اينغر
394	معركة دماغ العبيد الثانية	396	معركة حاسي ازي
53	معركة شروين	393	معركة حاسي الشيخ
53	معركة ظلمين	396	معركة حاسي بن خليل
392	معركة قرن القصعة	394	معركة حاسي ثلجة الأولى
395	معركة قرن بوقارفة الشرقي	396	معركة حاسي ثلجة الثانية
		394	معركة حاسي زيارة

و- فهرس الطرق الصوفية:

حرف الألف - أ -	.225، 172	الاحمدية
حرف التاء - ت -	،185، 180، 179، 178، 17	التيجانية
	،192، 191، 189، 188	
	،319، 316، 270، 224	
	.412، 333، 332، 326	
حرف الجيم - ج -	.172	الجازولية
حرف الحاء - ح -	.332، 270	الحنصالية
حرف الدال - د -	.270، 193، 191، 189، 176	الدرقاوية
حرف الراء - ر -	،189، 180، 179، 174	الرحمانية
	.331، 191، 190	
حرف الزاي - ز -	.172	الزورقية
حرف السين - س -	،180، 177، 30، 24، 4	السنوسية
	،206، 194، 189، 188	
	.413، 355، 272، 211	
حرف الشين - ش -	،180، 175، 174، 172	الشيخية
	.196، 193	

حرف الطاء - ط -

الطريقة الشاذلية 171، 174، 184. الطيبية 4، 175، 193، 332، 413، 334

الطريقة القادرية 53، 92، 165، 172، 184، 187، 188، 192، 193، 216، 218، 252، 262، 270، 326

حرف العين - ع -

المعيسوية 172، 174

حرف القاف - ق -

القادرية 48، 53، 92، 165، 172، 175، 177، 180، 184، 185، 187، 188، 189، 192، 193، 216، 218، 251، 252، 262، 270، 326، 332، 412

حرف الميم - م -

المشيشية 171

حرف النون - ن -

الناصرية 172، 180

حرف الياء - ي -

اليوسفية 172، 180

ز- فهرس الجداول:

حرف الجيم - ج -

- الجدول رقم 01: يمثل انجاز خط السكة الحديدية ارزيو عين الصفراء .40
- الجدول رقم 02: أسماء قيادة ملحقة توات 1900م. .72
- الجدول رقم 03: التنظيم الاداري لتوات التابع لإقليم الواحات 1905. .73
- الجدول رقم 04: التنظيم الاداري لإقليم عين الصفراء. .74
- الجدول رقم 05: التنظيم الجديد لتوات وتيميمون سنة 1909م. .75
- الجدول رقم 06: التنظيم الاداري لإقليم عين الصفراء من 1920 إلى 1929. .77
- الجدول رقم 07: التطور الاداري لإقليمي توات وقورارة من سنة 1902 إلى 1930. .78
- الجدول رقم 08: تنظيم العدالة الإسلامية في إقليم عين الصفراء. .86
- الجدول رقم 09: يبين المخالفات التي قمعت من طرف السلطات المحلية من سن 1907 إلى سنة 1912. .86
- الجدول رقم 10: الجرائم والجنح المعروضة امام مجلس الحرب لإقليمي توات وقورارة سنة 1907-1915 .87
- الجدول رقم 11: تعداد فئات المجتمع التواتي سنة 1906م .112
- الجدول رقم 12: تعداد فئات السكان عرش تيمي سنة 1950. 115
- الجدول رقم 13: تكلفة نفقة الاطفال الرضع .129
- الجدول رقم 14: نوع السلع وثمانها .130
- الجدول رقم 15: الخدمات الصحية المقدمة في مستشفى ادرار 1925_1926. .146
- الجدول رقم 16: يبين احصائيات عدد المتعلمين والأقسام والتلاميذ في المناطق الجنوبية سنة 1900 إلى سنة 1914. .154
- الجدول رقم 17: احصاء لويس رين سنة 1884 في الجزائر. .179
- الجدول رقم 18: يبين اتباع كل طريقة في الجزائر حسب لويس رين 1884م .180
- الجدول رقم 19: يبين زوايا توات الوسطى .223
- الجدول رقم 20: يبين زوايا منطقة قورارة .224
- الجدول رقم 21: يبين زوايا اقليم تيديكلت .225
- الجدول رقم 22: يبين أهم الخزان في منطقة توات .242
- الجدول رقم 23: يوضح حجم تدريس مادة اللغة العربية في المدرسة الفرنسية .342
- الجدول رقم 24: يوضح مراكز التنسيق والتموين في منطقة العرق .369
- الجدول رقم 25: يوضح حجم المساهمات في إطار الجبهة الجنوبية .404

ح- فهرس القضاة:

حرف الألف - أ -

القاضي المُجَدِّ بن 90
أحمد الحبيب البلبالي

حرف الحاء - ح -

الحاج بن البكري 91
البلبالي

حرف الشين - ش -

الشيخ سيدي مُجَدِّ بن 91.
عبد الرحمان البلبالي

حرف العين - ع -

العربي بن الحاج 91، 92.
المُجَدِّ التمنطيبي

عبد الحق بن عبد 93.
الكريم البكري
عبد الله بن أحمد 90.
البلبالي

حرف الميم - م -

مُجَدِّ بن عبد الكريم 22، 227.
البكري

مُجَدِّ بن أمجد الحبيب 81.
البلبالي
مُجَدِّ بن أمجد بن أحمد 92.
البلبالي

ط- فهرس المصادر والمراجع

المراسلات

1. الحاج أحمد بن الحاج عبد العزيز (قايد عرش تساييت): رسالة إلى كبير الهيلة ولعياد ولعيز وجلان وحماد (زيارة طبيب المستشفى)، د ر، 1958/10/12 وثائق بيد احمد بن حسان.
2. العقيد لايرين: رسالة إلى فقهاء توات وقوراة وتيديكلت، در - 1905/8/3م، خزانة الرقاني، بودة ادرار.
3. حاكم ملحقة توات: رسالة إلى كافة القياد، (بعثة طبية)، ع1، 1953/12/18م، وثائق خزنة بن الوليد.
4. حاكم ملحقة توات، رسالة إلى كافة القياد (زيارة طبيب العيون)، ع47، 1955/03/20، وثائق خزنة بن الوليد.
5. رئيس مستشفى أدرار رسالة إلى قياد تيمي (بخصوص المرضعات)، د ر، 1954/11/4م، وثائق خزنة بن الوليد.
6. حاكم ملحقة توات: رسالة إلى كبير زاوية رقان دون تاريخ، خزانة زاوية الرقاني، بودة - ادرار، الجزائر.

التقايد والتقارير

7. تقويد في بعض اخبار توات اعلاما وفوائد، مخطوط خزانة كوسام، مخطوط بدون رقم تصنيف، خزانة الشيخ عبد الله البلبالي، ورقة 24.
8. تقويد في خزانة كوسالم أسماء بعض الفقهاء الذين تولو القضاء في سنة 1318_1900م، وهم أمجد بن احمد لحبيب بن أمجد البلبالي، المختار بن مصطفى الرقادي، أمبارك بن أمجد المأمون، حمزة بن الحاج احمد، تقويد حول قضاة توات، خزانة كوسام، أدرار.
9. تقويد حول علماء كوسام بيد الطيب لنصاري، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، تيمي، ادرار.

المخطوطات

10. ابن بابا حيدة، القول البسيط في اخبار تمنطيط، مخطوط بخزانة كوسام، ورقة 07.
11. ابن فقيه أحمد، تاريخ الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وشجرته مخطوط مكتبة كوسام.
12. البكري بن عبد الرحمان التنتلاقي، الديون، ج 3، د- ر، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
13. البكري بن عبد الكريم البكري، اعلام الاخوان بأخبار بعض السادة الاعيان، خزانة أولاد القاضي البكرية تمنطيط، ادرار، الجزائر.

14. البكري مُحمَّد بن عبد الرحمان، مخطوط بخزانة كوسام، 254.
15. بن اب المزمرى مُحمَّد، تحلية القرطاس في مسألة تخميس الخماس، مخطوط خزانة ابن الوليد، بعبد الله الجزائر.
16. بن عبد الكريم مُحمَّد البكري، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الالف الثاني، مخطوط بخزانة مُحمَّد باي بلعالم، أولف.
17. بن عبد الكريم مُحمَّد، درة الافلام في أخبار الغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة تمنطيط، ادار، الجزائر، الورقة 2
18. بن عبد الكريم مُحمَّد، درة الافلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، تحقيق: أبو أنس عبد القادر تعوي، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر 2017.
19. بن عبد الكريم مُحمَّد بن عبد الحق البكري، جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الالف الثاني، د- ر، خزانة أولاد القاضي، تمنطيط - ادار، الجزائر.
20. بن يوسف احمد التينلاقي، وثيقة حبوس تينيلان، خزانة تينيلان، ادار.
21. بولعراف احمد، مخطوط تقييد في نسب الولي الصالح مولاي سليمان بن علي، خزانة سيد عبد الله البلبالي، كوسام، ادار، الجزائر، الورقة 04
22. رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان باعومر، مخطوط مكتبة ملوكة، ادار، الجزائر.
23. س - ط - و، 1955_1692، ع 25، 15/09/1958.
24. س الاخ، الترس 1944-1946، دار 10/01/1945م.
25. س، الاح والتر 1936م، 1943م، ع 106، 03/03/1941.
26. س، الاح، والتر 1936م، 1943م، د- ر 13/05/1942.
27. س، م، 1943 - 1951، ع 130، 18/04/1945.
28. سيد البكري بن عمر التينلاقي، ديوان شعر، ج1، خزانة سليمان بقصر أدغا.
29. الطبونيا لفونجولي عمر، مجموعة الجواهر في طريق سلطان الاولياء الشيخ عبد القادر الجيلالي، مخطوط بمكتبة الحاج مُحمَّد السلام المغيلي، الحي الغربي - ادار.
30. قصيدة الشيخ حمزة بن مالك القبلاوي، خزانة باعبدالله، ادار، الجزائر.
31. قصيدة سيد الحاج السكوني، خزانة باعبدالله، ادار، الجزائر.
32. مُحمَّد بن عبد الرحمان البلبالي، غنية المقتصد في ما وقع من قضايا ومسائل، خزانة شار الطيب، ورقة 03.
33. معاهدة مولاي هاشم، اولف، عرض وثيقة اللجنة الولائية المكلفة بجمع الاثار، تمارست.

34. المغيلي عبد الكريم، مخطوط بدون رقم التصنيف، مكتبة الغيلي، بوعلبي، زاوية كنتة، ادرار.
35. مؤلف مجهول جريدة مختصرة في انساب اهل تيمم الشريفاء وعوام المرابطين مكتبة كوسام، ص 01.
36. وثيقة للتعريف بالزاوية الاحمدية (الزاوية الاحمدية عن صالح).

المصادر المطبوعة

37. إبراهيم (مُجد الفاسي الاصطخري)، المسالك والممالك، تحقيق مُجد صابر عبد العلي، القاهرة، 1961.
38. ابن بطوطة مُجد بن عبد الله ، تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1970.
39. ابن بطوطة: تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، دار صادر، بيروت، 2001.
40. ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة، ط1، دار بن الهيثم، القاهرة، 2005.
41. ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
42. ابن غداري (المراكشي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت 1848-1851.
43. ابن منظور، لسان العرب 730 - 811، ج6، المكتبة التوقيفية.
44. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، ج11.
45. ابن منظور، لسان العرب، المجلد 3، دار لسان العرب بيروت، دون تاريخ نشر.
46. ابن منظور، لسان العرب، مج 08، تح: ياسر سليمانبوشادي (د - ط)، (د ن س).
47. ابو العباس احمد الناصري، الاستقصاء لخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق جعفر الناصري و مُجد الناصري، دار الكتاب البيضاء المغرب، 1955.
48. أبو القاسم (ابن حوقل)، صورة الأرض، طبعة برلين 1938.
49. أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية ماء الموائد، ج1، تحقيق مُجد حجي، 1977 طبعة حجرية، المغرب.
50. ابو عبد الله مُجد بن مُجد القيسي، انس الساري والسارب من اقطار المغرب إلى منتهى الامل والمآرب، تح مُجد الفاسي، 1986.
51. الأغواطي الحاج ابن الدين: رحلة الاغواطي في شمال افريقية والسودان والدرعية، ترجمها من العربية إلى الانجليزية وبلبام ب هودسون وترجمها إلى العربية أبو القاسم سعد الله وأوردها في كتابة أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1990م.

52. ايفون توران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين 1830م _1880م ترجمة: مُجَّد عبد الكريم اوزغلة، مصطفى ماضي، دار القصة-الجزائر، 2005.
53. بن عبد الكريم مُجَّد، درة الافلام في اخبار المغرب بعد الاسلام، تحقيق: ابو انس عبد القادر تعوي، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر 2017.
54. بن عثمان خوجة حمدان، المرأة تقديم وتعريب وتحقيق مُجَّد العربي، الزبيري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للعنوان المطبعية، 2006م.
55. الحسن أبي مُجَّد الوزان (ليون افريقيا)، وصف إفريقيا، ترجمة مُجَّد حاجي ومُجَّد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، لبنان 1983م.
56. رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته، رقم 1631.
57. السعدي عبد الرحمان ، تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس 1964، ص 07.
58. الطاهري احمد الادريسي، ترجمة لتلميذه وخليفته الحبيب بن عبد الرحمان العلوي، فتوحات الاله الملك على النظم المسمى بأسهل المسالك، ج1 المطبعة العلاوية، مستغانم، ط1، 1994.
59. الطاهري احمد الادريسي، كتاب الدر المنظوم في شرح مقدمة ابن اجروم، ترجمة للشيخ عن طريق تلميذه السيد الحبيب بن عبد الرحمان، مطبعة الواحات، غرداية، ط1.
60. الطاهري احمد الادريسي، نسيم النفحات من اخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء الثقات—تحقيق عبد الله الطاهري، بدون دار النشر، طبعة 2010 بدون دار النشر.
61. العباسي عبد الله بن مُجَّد، الرحلة العباسية، تحقيق الدكتور الفاضلي ود سليمان الفرنسي، دار السويدي للنشر والتوزيع الامارات العربية المتحدة، 2006، ج 1.
62. العياشي عبد الله بن مُجَّد: الرحلة العياشية، 1661م، 1663م تحقيق الدكتور سعيد الفاضلي والدكتور سليمان القرشي، جزان ط1 دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ج1.
63. الناصري مُجَّد ابوراس، عجائب الافار ولطائف الاخبار، تح، المهدي البوعبدلي.
64. الونشريسي احمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى افريقيا والاندلس والمغرب، ج2، نشر الاوقاف والشؤون الدينية بالمغرب، 1981، ص156.
65. الونشريسي احمد بن يحيى، المعيار والجامع المغرب عن فتوى أهل افريقيا والمغرب والاندلس (نازلة يهود توات وقصور صحراء المغرب الاوسط)، مخطوط أنجزته القنادسة، بشار، ورقة رقم 02

الشهادات والمقابلات

66. اعبلة الزواقة، مقابلة شخصية يوم 2018/12/13، على الساعة 15:00.

67. بلعقون ميلود، الدين سليمان وعدد من المجاهدين شهادة في اطار البطاقية التاريخية بتينركوكوتيميمون محفظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار..
68. بلعقون ميلود، شهادة مسجلة بمنطقة المجاهدين، ادرار، 2006
69. بودواية بودواية، شهادة مسجلة، 204/06/23 بتيميمون، ادرار.
70. سجل حناني علي، قائد الناحية الثالثة محفظة بمتحف المجاهد بأدرار.
71. شهادة الزاوي بحوص مسجلة بفاتيس في 2003/01/26م محفظة بمتحف المجاهد بادرار.
72. شهادة الزاوي بحوص مسجلة بفاتيس في 26 جانفي 2003م محفظة بمتحف المجاهد بادرار.
73. شهادة المجاهد حكومي الشيخ، مسجلة بتتركوك في 2004/06/24م ومحفظة بمتحف المجاهد بأدرار.
74. شهادة المجاهد سلكة بومدين، مسجلة بتيميمون 2004/06/23م، محفظة بمتحف المجاهد بأدرار.
75. شهادة يرادعي سليمان، مخطوطة ادرار بتاريخ 2003/04/20، ادرار.
76. شهادة بلعقون ميلود، متحف المجاهد، ادرار 9 اكتوبر 2006.
77. شهادة بلعقون ميلود، متحف المجاهد، ادرار 9 اكتوبر 2006.
78. شهادة بن حمادي محمد سالم احد العمال الجزائريين في الشركة الفرنسية للتنقيب عن البترول مسجلة بتاريخ 2013/06/24م محفظة بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.
79. شهادة بن سبقاق احمد، مسجلة ومحفظة بمتحف المجاهد بولاية ادرار.
80. شهادة بودواية بودواية، مسجلة بتيميمون في 2004/08/23.
81. شهادة بومدين سلكة، مسجلة في: 2004/06/23م، تيميمون، ادرار
82. شهادة في اطار البطاقية التاريخية من طرف عدد كبير من مجاهدي الجبهة الجنوبية، محفوظ بمديرية المجاهدين لولاية ادرار.
83. شهادة مجموعة من المجاهدين مسجلة بفاتيس في 2003/01/26م محفظة بمتحف المجاهد بادرار
84. شهادة مجموعة من المجاهدين مسجلة بفاتيس في 2003/10/26م محفظة بمتحف المجاهد بادرار.
85. شهادة مجموعة من مجاهدي الجبهة الجنوبية مسجلة بأدرار يوم 2008/08/25م محفظة بمتحف المجاهد بأدرار.

86. شهادة مجموعة من مجاهدي الجبهة الجنوبية، مسجلة يوم 25/08/2003م، متحف المجاهد - ادرار.
87. شهادة المجاهد النوارى مُحَمَّد بن الدين، مسجل بفاتيس يوم 26 /01/2003م محفوظة بمتحف ادرار.
88. لعروسي مُحَمَّد السالم، مقابلة شخصية يوم 29/11/2018 على الساعة 18:00.
89. مقابلة شخصية مع الفايز السالم من مواليد: خلال 1945م، يوم 16/12/2019.
90. مقابلة شخصية مع بلعروسي عبد القادر من مواليد م، 190م يوم 14/01/2020.
91. مقابلة شخصية مع لعروسي مُحَمَّد السالم، من مواليد 1939م يوم 16 /11/2019.
92. مقابلة مع اعبلة الزواقة، مواليد خلال 1948م، بتاريخ 13/12/2018.
93. المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية ادرار (تقرير كتابة تاريخ الثورة لولاية ادرار المقدم للندوة الجهوية للعرب، سعيدة.
94. يحيواي مُحَمَّد: شهادة مسجلة للمجاهد في فاتيس يوم 26//م محفوظة في متحف المجاهد بأدرار

المصادر باللغة الفرنسية:

95. Exposé de la situation Général des Territoires du sud de L'Algérie, présenté par M .c. jonnart, Gouverneur Général, année 1905, Imp, administrative Victor heintz, rué d'isty 37 et place bugeaud 1906.
96. Exposé de la situation Général des Territoires du sud de L'Algérie, présenté par M .c. jonnart, Gouverneur Général, année 1907, Imp ,administrative Victor heintz, rué d'isty 37 et place bugeaud 1908.
97. Exposé de la situation Général des Territoires du sud de L'Algérie, présenté par M-c, Jonnart Gouverneur Général année 1909, typographie Adolphe Jourdan , imprimeur – libraire – éditeur, 2-place de la régenck-2,1910.
98. Exposé de la situation Général des Territoires du sud de L'Algérie, présenté par M-CH, Jonnart Gouverneur Général année 1911, typographie Adolphe Jourdan, imprimeur –libraire– éditeur, place du Gouvernement 1912.

99. Exposé de la situation Général des Territoires du sud de L'Algérie, présenté par M-CH, Jonnart Gouverneur Général année 1912, typographie Adolphe Jourdan, imprimeur –libraire– éditeur, place du Gouvernement 1913.
100. Gouvernement Général de L'Algérie commissariat General de contrition les territoires du sud de l'Algérie première partie: ce qu'ils sont–pourquoi ils sont été créés Alger, Imp, Algérienne 1929.
101. Gouvernement Général de L'Algérie, deuxième partie: Ce qu'ils sont–pourquoi ils ont été créés ,jules carbonel, 1922.
102. Gouvernement Général de l'Algérien, Direction Des Territoire Du Sud, Les Territoires du sud de L'Algérie, Exposé de leur situation, publié par ordre de M Steeg, Gouvernement Général de l'Algérien, deuxième partie L'œuvre accomplie, 01 janvier 1903 – 31 décembre 1921, ImP, Alger, Imp, lieraie–éditeur, 1922.
103. Gouvernement Général de l'Algérien, Direction Des Territoire Du Sud, Les Territoires du sud la situation Général des Territoire du sud de L'Algérie, pendant les années 1914 et 1915, Rapport D'ensemble présenté par M.CH. Lutaud Gouvernement Général, Alger, Imp–libraire– éditeur 1916.
104. Gouvernement Général de l'Algérien, Direction Des Territoire Du Sud, Les Territoires du sud de L'Algérie, Exposé de leur situation, publié par ordre de M Steeg, Gouvernement Général de l'Algérien, Troisième partie, Essai De Bibliographie, (volumes, brochures, Articles De Revues, Documents Cartographiques), Alger Jules carbonel ,1923.
105. Gouvernement Général de l'Algérien, Direction Des Territoire Du Sud, les territoires du sud de L'Algérie, Exposé de leur situation Général des Territoire du sud de L'Algérie, de 1930_1946.

106. Situation Général des territoire du sud de L'Algérie, pendant ies années 1616-1917 et 1918, rapport d'ensemble 1919.

المراجع باللغة العربية

107. ابو العلا مُجَّد سليمان، صفحات من الكفاح الخاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي في الجزائر نشر وتوزيع جمعية التراث، غرداية، 2012.
108. ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ش، و، ن -ث.
109. ابو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ش، و، ن -ث.
110. ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830م _ 190م، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992، ج1.
111. ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830م _ 190م، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992، ج1.
112. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998.
113. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998.
114. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، بيروت، دار العرب الاسلامي 1998.
115. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، بيروت، دار العرب الاسلامي 1998.
116. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة 2011.
117. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة 2011.
118. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
119. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م.
120. ابو داوود سليمان بن الاشعت: سنن ابي داوود، تحقيق شعيب الارنؤوط و مُجَّد كامل قرة بللي، ج6، دار الرسالة العالمية لبنان 2009، رقم 4252.
121. ابو قاسم بن هوزان القشيري، تحقيق خليل المنصور، ط3، منشورات مُجَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2005.
122. أبوبكر مُجَّد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ط1، دار صادر، بيروت، 2001.
123. ابي الفرج عبد الرحمان (ابن الجوزي)، تبليس ابليس، دار التقوى، القاهرة.
124. الازرق احمد، الكتاتيب القرآنية في الجزائر، دار الغرب، 2002.
125. اعميراي احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية ط2، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2007.

126. الاميرة بديعة الحسيني الجزائري، وما بدلو تبديلا، تفاصيل دقيقة عن جهاد الامير عبد القادر ودولته، ط1، توزيع دار الفكر، دمشق، 1423 هـ/2002م.
127. اندري نوشي واخرون، الجزائريين بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح اسطمبولي ومنصف عاشور، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م.
128. باي بلعالم مُجَّد، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج 1، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
129. باي بلعالم مُجَّد: ارشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، 1433، ص 74.
130. بجاوي مُجَّد، الثورة الجزائرية والقانون 1960م _ 1961م، ط2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005.
131. برهان غليون، مجتمع النخبة، ط2، تونس دار البراق، 1994م.
132. بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م _ 1871، دار دحلب، الجزائر، 1977.
133. البكري عبد الحميد: النبذة في تاريخ توات وأعلامها دار الطباعة العصرية الجزائرية، 2010.
134. بلاح بشير وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830_1889، ج1، دار المعرفة الجزائرية، 2010.
135. بلبشير عمورة، السجل التاريخي لشهداء الثورة التحريرية بولاية ادرار 1954 _ 1962 منشورات جمعية مشعل التاريخ بأدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، الجزائر، 2014.
136. بن سويسي مُجَّد، أسس التخطيط العمراني كإحدى مقومات الحضارة الاسلامية، دار العلم والايمان، عمان 2015.
137. بن عبد الله سعيد، العدالة في الجزائر من الاصول إلى اليوم، ج 1، مؤسسة تسبو للنشر والتوزيع، الجزائر 2001.
138. بن عمر مُجَّد بن الحبيب البوداوي، ثقل الرواة عن ابدع قصور توات، تحقيق مولاي عبد الله اسماعيلي، دار الكلمة ادرار، الجزائر، 2015.
139. بن نعمان احمد، نفسية الشعب الجزائري، ط 2، دار الامة للطباعة، الجزائر، 1997.
140. بن يعقوب عبد المجيد، معارك العرق 1956 _ 1962 مساهمة المنطقة في الثورة التحريرية، ادرار 1986.
141. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وللنهاية 1962، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1997.

142. بوشارب عبد السلام، الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995.
143. بوعزيز يحيى، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ثورات القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة 2009.
144. بوعزيز يحيى، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية، 1830 _ 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
145. بوعزيز يحيى، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1 بن عكنون، الجزائر، 1999.
146. بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، 2004.
147. بولحية نور الدين، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط2، دار الأنوار 1437هـ/2016م.
148. بومهلة تواتي، الاحتلال الفرنسي الصحراء الجزائرية 1837-1934م، دار المعرفة، الجزائر، 2012.
149. بونار رابح: ابن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ب. ط، 1968م. - بونار رابح: ابن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ب. ط، 1968م.
150. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
151. تركي رابح، الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الاحتلال، مجلة الثقافة، ع 85.
152. التمبكتي احمد بن بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج2، حرف الميم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
153. تواتي دحمان وآخرون، الثورة التحريرية في أقاليم توات 1956م-1962م، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية.
154. جعفري أحمد أبا الصافي: رجال في الذاكرة التواتية: محمد بن أب الزمري (1160هـ) حياته وأثاره، الطبعة الثالثة، يناير 2008، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر.
155. جعفري احمد ابا الصافي، رجال في الذاكرة الشيخ سيدي ادواعلي، ف16هـ، حياته، شعره، ط2، مكتبة النهضة المصرية، 2000.

156. جعفري مبارك بن الصافي، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
157. جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
158. جعفري مبارك، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي 2016.
159. جمعية المنار الثقافية الاجتماعية، دراسة اللغات الاجنبية في منظومة التربية، متليلي 1998.
160. جورج غيرشر: الصحراء الكبرى أرض الغدا المشرق للجزائر العربية تعريب خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة، 1961.
161. الجوزي ابن القيم، الطب النبوي من زاد المعاد في هدي خير العباد، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1461هـ-2000م.
162. الجدي مُجَّد، مباحث في المذهب المالک بالمغرب، ط1، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1993.
163. الجيلالي عبد الرحمان بن مُجَّد، تاريخ الجزائر العام، ج 5، دار الامة، بيروت، (ب _س).
164. جيلالي قالون عياد صالح، تسويق التراث الثقافي وحمايته، دراسة حالة ولاية ادرار، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 2018.
165. الحاج موسى بن عمر، السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر (1952 م _ 1962 م)، المطبعة العربية، الجزائر 2004.
166. حسن احمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006.
167. حسن مُجَّد، الجغرافية التاريخية الافريقية من القرن الاول إلى التاسع، فصول في تاريخ الموقع والمسالك والمجالات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2003.
168. الحسني مُجَّد الهادي، من وحي البصائر، تق: مُجَّد صالح ناصر، دار الامة، الجزائر، 2010.
169. حمدان مُجَّد، النكاي والزوايا في تركيا، الطبعة الاولى مكتبة الثقافية الدينية القاهرة، 2012.
170. الحمدي احمد، الفقيه المصلح مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى 2012.
171. حوتية مُجَّد الصالح، الطرق الصوفية في إقليم توات، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
172. حوتية مُجَّد الصالح، توات والازواد، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
173. حوتية مُجَّد الصالح، توات والازواد، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

174. حوتية مُجَّد الصالح: ال كنتة. دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، دار الكتاب العربي، 2008.
175. الخضري مُجَّد: الدولة العباسية ط3، دار المعرفة، بيروت 1977.
176. الخليفة سيدي احمد، الطرائف والتلائد في كرمات الشيخين الوالدة والوالد، ت يحي ولد سيدي احمد، دار المعرفة الجزائر، 2011، ج1.
177. دحمان مُجَّد، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، الرباط، 2006.
178. درواز الهادي، الولاية الخامسة التاريخية التنظيم ووقائع (1954 _ 1962م)، دار هومه، ط1.
179. درواز الهادي، الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954م _ 1962م، سلسلة اوراق من الذاكرة، ب _ ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
180. دليل ولاية ادرار، 1999م، دار الثقافة.
181. دليل ولاية ادرار، واحات من الفن وقصور الامن الجزائر.
182. رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
183. رابح تركي، الصراع بين جمعية العلماء وادارة الاحتلال، مجلة الثقافة، ع 85.
184. الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا: تأليف اثيلوموري، تعريب خليفة مُجَّد التليمسي، طرابلس، 1971، ط1.
185. الزحيلي مُجَّد، التنظيم القضائي في الفقه الاسلامي، دراسة مقارنة، دار الفكر المعاصر، بيروت دمشق، 2002.
186. زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج1، دار الجيل بيروت، لبنان.
187. زوزو عبد الحميد: ثورة بوعمامة 1881 - 1908م، ط1، ج1، ش ون ت، 1981م.
188. زوزو عبد الحميد، ثورة بوعمامة 1881_1908م، جانبها العسكري 1881_1883م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986م.
189. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830_1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية، الجزائر، 2009.
190. زيايدية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء، في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية 2010.
191. ساحلي مُجَّد الشريف، تلخيص التاريخ من الاستعمار: تر: مُجَّد هناد، مُجَّد الشريف بن دالي حسين، ط2، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال، 2002م.

192. السايحي مُجَّد الطاهر بن التواتي، شيخنا الامام كما عرفناه سيدي مُجَّد بلكبير رحمه الله، دار الطبع بن خلدون، تلمسان الجزائر، بدون سنة طبع.
193. السحمراني اسعد، التصوف منشؤه ومصطلحاته، ط1، دار النفائس، بيروت، 1987.
194. السعيدان التومي، ديوان مغذي الارواح ومسلي الاشباح، مطبعة عمار فرني، باتنة.
195. سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات الواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.
196. سعيدوني ناصر الدين، عصر الامير عبد القادر الجزائري، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م.
197. سلسلة المشاريع الوطنية للبحث منطلقات واسس الحركة الوطنية والثورة التحريرية الجزائرية 1830 _ 1954 مقررات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، صنعة خاصة، وزارة المجاهدين، ص 38.
198. سيد الحبيب بن عبد الرحمان، الشيخ مولاي احمد الطاهري الادريسي الحسني، فتوحات الاله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك، الجزء الاول، الطبعة الأولى، 1994، المطبعة العلاوية، مستغانم.
199. سيدي عمر مُجَّد عبد العزيز، قطف الزهرات من اخبار علماء توات، مطبعة دار هومه، 2002.
200. شارل رويبر اجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007. - زهوني الطاهر: التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1994.
201. شترة خير الدين، الفكر الإصلاحية والدعوي عند الشيخ مُجَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مؤسسة البلاغ، الجزائر، 2013.
202. شرابي هشام، النظام الايوبي، ط 4 دار العرب للنشر والتوزيع وهران، الجزائر، 2002.
203. شهبي عبد العزيز، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، 2007. - بوعرفة عبد القادر: جهاد شعبي ام مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي، قسم الفلسفة، جامعة وهران.
204. شيب مُجَّد، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، ب- س.
205. شيتي العيد، مدن وثقافة ادرار جوهرة الجنوب، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ادرار، 2007.
206. الصديق حاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، ط 2، منشورات الجير، بني مسوس الجزائر، 2011.

207. الصديق حاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 17 إلى 20م، منشورات الخبر، 2003.
208. الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، الجزائر المؤسسة الجزائرية للفنون المطبعية، 1994م.
209. الطاهر وعلي مُجَد، التعليم التبشيري في الجزائر، 1830-1904م، الجزائر، منشورات دحلب.
210. الطيب مُجَد بن الحاج عبد الرحيم، القول البسيط في اخبار تمنطيط، تحقيق محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين.
211. عاصم مُجَد رزق، خانقوت الصوفية في مصر، العصرين الايوبي والمملوكي ج1، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة 1998.
212. عبد العزيز احمد، صحراؤنا في مواجهة الاستعمار، دار رحاب للنشر والفنون المطبعية الجزائر.
213. عبد العزيز احمد، صحراؤنا في مواجهة الاستعمار، دار رحاب، الجزائر.
214. عبد العزيز عبد الله، معلمة الصحراء، ط1، مطبوعات وزارة الاوقاف، المغرب، 1976.
215. عبد العزيز الماطي، التداوي بالاعشاب والنباتات الطبيعية، دار الهدى عين ميلة، الجزائر.
216. عبد العزيز بن عبد الله: معلمة الفقه المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى (1403هـ/1983م).
217. عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الامة، الجزائر، 2013م. - حسان صبحي، النظام التربوي الاستعماري في الجزائر، 1930-1962، ط1، الجزائر، رياض العلوم للنشر والتوزيع 2005م.
218. عبد الكريم بن سيد المهدي حسان، الشيخ مولاي احمد، فحص الدفاتر فيما خلف الشيخ من تلامذ ومآثر للشيخ مولاي احمد الطاهري الادريسي السباعي التواتي الجزائري.
219. عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، ج1، 2003.
220. العربي اسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1983.
221. العكرمي حسن، حقيقة التصوف والطريقة في الاسلام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
222. عميروا احميدة واخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916 دار الهدى عين مليلة الجزائر 2009.
223. عوض صالح، معركة الاسلام والصليبية في الجزائر من سنة 1830 إلى سنة 1962.

224. غيتاوي التهامي، سلسلة المرأة الصافية في ذكر بعض الصوفية الصافية، ج1، منشورات ANEP، 2006،
225. غيتاوي التهامي، سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحياقليم توات، ج1، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، 2008، الجزائر.
226. غيتاوي التهامي، الاشراف الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بن الكبير رحمه الله، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار وحدة الروبية، الجزائر، 2007.
227. غيتاوي التهامي، الدرر النفيسة في ذكر حملة من حياة الشيخ سيدي احمد بن موسى، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2014.
228. غيتاوي التهامي، الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد بلالكبير، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار 2002.
229. غيتاوي التهامي، الفتح الميمون في اخبار قورارة وعلماء تيميمون اقليم توات ولاية ادرار، منشورات المطبعة العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2013.
230. غيتاوي التهامي، سلسة الرواة، سلسلة الرواة في ابراز شخصيات من عالمي وصالحى اقليم توات ولاية ادرار، الجزائر، ج3، ط2005، منشورات ANEP.
231. غيتاوي التهامي، سلسة النواة في ابرز شخصيات من علماء وصالحى اقليم توات، ج 2، المطبعة الحديثة، الجزائر، 2005.
232. غيتاوي التهامي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية ادرار إبان الاحتلال الاستعماري، منشورات العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الحراش الجزائر، 2013.
233. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثاني عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية.
234. الفرقة التقنية للمركز، دليل خزائن المخطوطات لولاية ادرار، المركز الوطني للمخطوطات ادرار.
235. فضيلات جبر محمود، القضاء في الاسلام وآداب القاضي، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، 1991.
236. قبلاي المختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية واثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الفن للطباعة، باتنة، 1976.
237. قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والاشهار، الجزائر، 1994.

238. قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار، الجزائر، 1994.
239. قنان جمال: التعليم الاهلي في عهد الاستعمار، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.
240. قنطاري المجد: استراتيجية السياسة الفرنسية في محاولة فصل الصحراء، محاضرة القيت بالملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء، المركز الوطني للدراسات حول الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، نوفمبر 1998م.
241. كبير سليمة: الشيخ بوعمامة الزعيم الديني والقائد العربي المحنك، د- ط، المكتبة الخضراء، الجزائر، د- س.
242. كديدة محمد مبارك، الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة المفاوضات النهائية 1960_1962، دار المعرفة، الجزائر، 2013.
243. لمحرزي عبد الرحمان، الشهيد الهاشمي المجد بن احمد بونافع وصفحات مشرفة من تاريخ الثورة التحريرية بولاية ادرار، منشورات جمعية مشعل التاريخ بأدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2014.
244. الماطي عبد العزيز، التداوي بالاعشاب والنباتات الطبيعية، دار الهدى عين ميلة، الجزائر.
245. ماكس لوجان، المشكلة الانسانية في الصحراء، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954.
246. مجموعة من الاساتذة عن الثورة التحريرية بإقليم توات 1956_1962، منشورات جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية، 2004،
247. محمد عبد الحق، رياض الانس والابتهاج بترجمة شيخنا العلامة أبي احمد علالي محمد الحاج العلوي السالي التاسفاوية الطبعة الاولى 2017، دار البلبالين - ادرار، الجزائر.
248. مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الذكية في طبقات المالكية، القاهرة، المطبعة السلفية، 1930م.
249. المدني أحمد توفيق، تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظامها وقوانينها ومجالستها وخالاتها الاقتصادية واللغوية والاجتماعية، المطبعة العميرير، الجزائر، 1350هـ.
250. مجموعة مؤلفين، تاريخ تاريخ الجزائر 1830_1962، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، 2002.
251. المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، الملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء عن الجزائر..

252. مسعود الجزائري، مشاريع ديغول في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، شارع طلعت حرب، القاهرة.
253. المقابسي نجاح، المعاهدة والمؤسسات التعليمية في العالم الاسلامي، المؤرخ الغربي، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد 19، بغداد، 1981.
254. مقالاتي عبد الله، ابحاث ودراسات في تاريخ الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الذكرى الخميس للاستقلال.
255. مقالاتي عبد الله، الثورة الجزائرية وافريقيا صفحة دبلوماسية ناصعة، وزارة الثقافة، الجزائر، الذكرى الخمسين للاستقلال.
256. مقالاتي عبد الله، الجبهة الجنوبية المالية النيجرية ودورها الاستراتيجي إبان الثورة التحريرية وزارة الثقافة - الجزائر - بمناسبة الذكرى الخمسين للاستقلال 2013.
257. مقالاتي عبد الله واخرون، الثورة التحريرية في اقاليم توات 1956-1962، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية ماثر الثورة التحريرية، الذكرى الخمسون لاندلاع الثورة التحريرية 1954-2004.
258. مقالاتي عبد الله: العلاقات الجزائرية الإفريقية إبان الثورة التحريرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.
259. مقالاتي عبد الله: المشروع الفرنس الصليبي الاحتلالي للجزائر وردود الافعال الوطنية (1830 _1962 م) وزارة الثقافة، الجزائر، 2011.
260. مؤيد العقبي صلاح، الطرق الصوفية، والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار الراق، بيروت لبنان، 2002.
261. مياسي ابراهيم، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر 2012.
262. مياسي ابراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
263. مياسي ابراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934 دار هومه الجزائر، 2005.
264. مياسي ابراهيم، التوسع الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية سلسلة الملتقيات، فضل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الايبار الجزائر.
265. مياسي ابراهيم، قبسات من تاريخ الجزائر، دار هومه الجزائر، 2012.

266. الميلبي مُجد، المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامع الشعوب، دار الكلمة بيروت، 1983، ط2.
267. ناجي ك جلول: الرباطات البحرية السلسلة التاريخية، عدد 09، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1999.
268. نياني ج-ت واخرون: تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع (أفريقيا من ف12-16م)، اليونيسكو، المطبعة الكاتوليكية، بيروت 1988م.
269. ولديده احمد مولود، الصحراء الكبرى مدن وقصور، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
270. اليحصبي ابو الفضل عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، ط1، بيروت، دار الكتاب العلمية، ج1.
271. يوناني الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 الهجري، الموافق ل 12-13م، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004.

المراجع باللغة الفرنسية

272. Alfred Georges Paul Martin, Géographie Nouvelle de L'Afrique du Nord, Forget et Cie éditeurs, Paris, 1912.
273. Alfred Georges Paul Martin, L'action française dans le Sahara, revue africaine, N37, A1893.
274. Alfred Georges Paul Martin, Quatre siècle d'histoire marocaine : au sahara de 1504 à 1902, au Maroc de 1894 à 1912, Librairie Ernest Leroux, Paris, 1923.
275. Augustin Bernard & Napoléon Lacroix, la pénétration saharienne (1830-1906), Imprimerie Algérienne, Alger, 1906.
276. Marcel Augiéras, Chronique de l'ouest saharien (1900-1930), Comité de L'Afrique Française, Paris, 1930.
277. Benrard Safforoy, Chroniques du touât-centre saharien, Ghardaïa, Algérie 1994.

278. CH: Simon, occupation et organisation des régions sahariennes , Année 1905.
279. Combes (M). Instruction publique, Revue algérien et tunisienne de législation et de jurisprudence, N° 09 publiée par L'école de droit d'Alger, 1893.
280. Fillias Achille, Dictionnaire des communes de L'Algérie, Alger, 1903.
281. G. Tillion la Conquête des Oasis Sahariennes, (1900_1901) ed paris, 1903.
282. Hocine ,éléments pour la memoire, edition, alger,2009,p54.
283. J C Echallier, Villages désertés et structures agraires anciennes du Touat- Gourara (Sahara Algérien), A M G, Paris, 1972.
284. M C Jonnart, Exposé de la situation générale des Territoires du Sud de L'Algérie, Imprimerie Administrative, Alger, 1908.
285. Louis Rinn, Marabouts et khouan étude sur L'Islam en Algérie, Adolphe Jordan, Alger, 1884.
286. M Ch Lutaud, Exposé de la situation Générale des territoires du sud de L'Algérie, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1914.
287. Louis Joseph Jean François de Colomb, Exploration des Ksours et du Sahara de la province d'Oran, Imprimerie du Gouvernement, Paris,1858.
288. Maurice Honoré, Le Transsaharien et la pénétration française en Afrique, A Pedone, Paris, 1901.

289. Meriem chabou, Espace ksourien et sosiete Les Cas de tementit, les cahiers de jepau, 1996 – Alger.
290. Mohamed belghit, la Résistance Algérienne au sud ouest du Sahara (1852-1930), 1994.
291. Patrick-Charles Renaud, les combats sahariens (1955-1962), J Grancher, Paris, 1993.
292. R Gaudefroy-Demombynes, L'œuvre française en matière d'enseignement au Maroc, Geuthner, Paris, 1928.
293. Thomas Marc-Robert, Sahara et Communauté, presses Universitaire de France, Paris 1960.

الرسائل والأطروحات الجامعية

294. بابا عبد الله، الحياة الاجتماعية والاقتصادية بتوات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962، من خلال سجلات المحكمة الشرعية (أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه في قسم العلوم الانسانية غير منشورة)، جامعة أحمد دراية، ادار، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، 2019.
295. بخدا مريم، اعلام العائلة الثنلالية ودورهم العلمي باقليم توات خلال القرنين 11-12هـ (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، غير منشورة) جامعة احمد دراية أدرار كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2012، 2013.
296. بعثمان عبد الرحمان، القضاء في منطقة توات، (أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه في قسم الحضارة الإسلامية غير منشورة)، جامعة وهران 01 احمد بن بلة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، السنة 2015-2016.
297. بلعروسي عبد الفتاح، الجرائم النووية الفرنسية في رقان، دراسة ميدانية توثيقية (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، لم تنشر) كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، اشراف الاستاذ الدكتور بودواية مبخوت، الموسم الجامعي، 2015_2016.

298. بن السويسي مُجّد، العمارة الدينية الاسلامية في منطقة توات، تمنطيط نموذجاً من القرن 6هـ إلى 13هـ/12م-19م، اطروحة اعدت لنيل شهادة الدكتوراه بمعهد الاثار، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2007 - 2008. - عبد الله عباس، التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان العربي رسالة ماجستير غير منشورة تخصص تاريخ حديث -معهد التاريخ، جامعة الجزائر السنة الجامعية 1997-1998.
299. بن دارة مُجّد، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952_1962، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص تاريخ الجزائر، إشراف جمال قنان، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1998_1999.
300. بن قيطون حمزة، المشروع الاستيطاني الفرنسي بإقليم عين الصفراء العسكري (1882-1914)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة احمد بن بللة، وهران، 2014_2015.
301. بهية عبدالمؤمن، الحياة الاجتماعية في إقليم توات خلال القرنين 18م- 19م من خلال نوازل الغنية البلبالية، مذكرة ماجستير قسم الحضارة الإسلامية، وهران، 2006.
302. بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، (أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه في قسم التاريخ، غير منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الأدب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، 2006.
303. بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال توازن الحثوري في القرن 12هـ 18م (أطروحة أعدت لنيل شهادة الماجستير في قسم التاريخ، غير منشورة)، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، السنة الدراسية 2011_2012.
304. بولاقة حدة، واقع المجتمع المدني الجزائري إبان الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال (مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، تخصص السياسات العامة والحكومات المقارنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم السياسة، جامعة الحاج لخضر، باتنة 2010_2011).
305. تختوخ مُجّد، الزوايا في إقليم توات (تيميمون، توات الوسطى، تيديكلت) (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم علم الاجتماع، غير منشورة) كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2012-2013.

306. جعفري احمد، الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنين 12-13هـ أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب كلية العلوم الإنسانية إشراف محمد رمزي، جامعة ابي بكر للقياد 2006-2007.
307. جعفري مبارك، الحياة الاجتماعية والاقتصادية، منطقة الازواد خلال القرن 12هـ/19م (اطروحة أعدت لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر قسم التاريخ، غير منشورة)، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، السنة 2013 _ 2014.
308. حموني فاطمة، غنية المقتصد فيما وقع في توات من قضايا ومسائل لمحمد عبد العزيز البلبالي ت 1261هـ، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاسلامية، (غير منشورة) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة احمد دراية، أدرار، السنة الجامعية 2014، 2015.
309. ختير الصافي: النضال في إقليم توات، (رسالة أعدت لنيل شهادة الماجستير في قسم التاريخ. غير منشورة)، جامعة بشار، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، السنة: 2012م.
310. سالمي زينب، الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرن 8-9هـ،(مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، لم تنشر) تخصص تاريخ المغرب الاسلامي اشراف الدكتور بودواية مبخوت، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2011-2012.
311. شاهدي محمد: الشيخ محمد بلكبير ودوره الثقافي والاجتماعي في اقليم توات خلال القرن الـ 20 (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم الإنسانية، لم تنشر) اشراف الدكتور محمد الصالح حوتية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، جامعة احمد دراية ادرار، 2011-2012.
312. العايب وهيبة: التربية التحضيرية في المدرسة القرآنية وتأثيرها على مهارات القراءة والكتابة (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الدراسات اللغوية التطبيقية) اشرف شريفة عطاس، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2004-2005، غير منشورة.
313. عباس عبد الله، التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان العربي رسالة ماجستير غير منشورة تخصص تاريخ حديث -معهد التاريخ، جامعة الجزائر السنة الجامعية 1997-1998.

314. علوان سعيد، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة الامير عبد القادر، قسنطينة، 2001.
315. عومري عبد الحميد، الحياة الثقافية والفكرية في الجزائر 1830_1914م، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث LMD في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، إشراف: علي بن حويدقة، تخصص تاريخ (لم تنشر) كلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016_2017.
316. كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور (1850_1951)، مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر اشراف: أ. د احمد صاري، جامعة منتوري قسنطينة 2007_2008.
317. مسعودي زهرة، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب افريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ غير منشورة، قسم التاريخ) كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة ادرار.
318. نقادي سميرة، واقع تعليم الجزائريين في ظل التشريعات الفرنسية ما بين 1919م و1945م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2016_2017.

الملتقيات والمجلات والجرائد

أ- الملتقيات:

319. ابراهيم باحيس عبد الحميد، الزوايا والمدارس القرآنية واثرها في هوية الامة، اعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، 6-7 جمادي الأول 1434/17-18 ابريل 2018، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2013.
320. ادرار تاريخ وتراث، نشره بمناسبة الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بلكبير، بعنوان المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة في ترسيخه ونشره، 21-23 جوان 2010.
321. اسماعيلي عبد الله، دار الزاوية الرقانية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح، الملتقى الوطني البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال 15-16 ديسمبر 2012، تنظيم ولاية ادرار.
322. اسماعيلي علي، شخصية مولاي محمد بلحاج بن سيدي حمو وتفرع ابناءه، أعمال الملتقى الأول: أولاد سي حمو بلحاج اعلام واثار، كتاب الندوة الأولى، جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية لأولاد سي حمو بلحاج، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المكتبة الوطنية الجزائرية، 2016.

323. بحوث الملتقى الوطني، الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدريسا، أدرار 23-24 جوان 2010.
324. بكر اوي مُجَّد عبد الحق، الشيخ مُجَّد بلكبير، رسالة ادرار، مجلة تصدر عن ولاية ادرار، العدد 2.
325. بلعالم عبد السلام الاسمر: اعلام فقه النوازل بمنطقة توات خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، الملتقى الوطني الرابع: اسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث (1500-2000م)، أيام 19-20 افريل 2010.
326. بن خويا ادريس، البعء العلمي والاجتماعي بزواية الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي بأدرار، أعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، 07-06 جمادي الثاني 1434 الموافق ل 17-18 افريل 2013 بإليزي، ج1، دار الكتاب العربي الجزائر، 2013.
327. بن خويا ادريس، الزوايا الجزائرية ودورها في مكافحة الاستعمار، أعمال الندوة السنوية السابعة تخليدا لآحياء مآثر الشيخ، 14 ماي 2012، جامعة ادرار.
328. بن زيطة احميدة، الهيكل التنظيمي والوظيف للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة لولاية أدرار، أيام 1-2-3 ماي 2000م.
329. بن شيخي اسماء: لعلي توميش، الزوايا والطرق الصوفية ودورها في ارساء معالم التربية الروحية، أعمال الملتقى الزوايا والطرق الصوفية والمدارس القرآنية، ج1، ط1، دار الكتاب العربية، 2013.
330. تركي عبد الرحمان، نشأة الطرق الصوفية بالجزائر الملتقى الدولي 11 بعنوان: التصوف في الاسلام والتحديات المعاصرة، أيام 9 - 10 - 11 نوفمبر 2008، جامعة ادرار.
331. ثياقة الصديق، نمط العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بإقليم توات، اعمال الملتقى الأول المشترك بين جامعتي ادرار وتيارت، العلاقات الحضارية بين اقليم توات والحواضر الإسلامية، جامعة أدرار، 14 ابريل 2009.
332. جعفري مبارك، جوانب من الحياة الاجتماعية بمنطقة توات من خلال المصادر المحلية (ق 12هـ، 18م)، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12هـ-13هـ/18-19م، من خلال المصادر المحلية، المركز الجامعي الوادي، مطبعة منصور، الجزائر، 2012.

333. جعفري مبارك، الزوايا في منطقة توات ودورها في المحافظة على الهوية الوطنية ومقاومة الاستعمار الفرنسي، ملتقى حول البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، تنظيم ولاية ادرار يومي 15 - 16 ديسمبر 2012 الموافق ل 01 - 02 صفر 1434هـ، تحت اشراف وزير الشؤون الدينية والأوقاف والاحتفال بالذكرى الخمسين للثورة.
334. خالد مَّحْد، ضرورة الممارسة الصوفية في المخيال الاجتماعي، الملتقى الدولي الرابع، الجزائر، 2007.
335. رزقي عبد الله، واقع الزوايا في اقليم توات بين مقتضيات الاصاله ومتطلبات الرسالة، مجلة الحضارة الإسلامية، ع11، منشورات كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، مكتبة رشاد للطباعة والنشر، الجزائر.
336. سرير ميلود، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، جامعة ادرار، 2.
337. شيخى عبد المجيد، الادارة الفرنسية في الصحراء حتى الاستقلال، سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الابيار، الجزائر.
338. شيخى عبد المجيد، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، مجموعة اعمال الملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء عن الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998.
339. العربي مَّحْد: مؤسسة الزاوية، مجلة اعمال الملتقى الاول والثاني لدور الطرق الصوفية أبان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
340. فزان زهير، دور فقهاء توات في ارساء دعائم السلطة التشريعية بالمنطقة من القرن 9هـ إلى القرن 13هـ، الملتقى الثاني الصحراء الجزائرية مجال لبناء الانسان والحضارة جامعة بشار 04/23 نوفمبر 2014.
341. قنطاري مَّحْد: استراتيجية السياسة الفرنسية في محاولة فصل الصحراء، محاضرة القيت بالملتقى الوطني الاول حول فصل الصحراء، المركز الوطني للدراسات حول الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م، نوفمبر 1998م.
342. مجموعة مؤلفين، اعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية بين تحديات الحاضر ورهانات المستقبل، الطبعة الاولى، 2013، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

343. معزیز بوبکر، الملامح الاصلاحية للشيخ سيدي محمد بلڪبير رحمته الله (حضور لقضايا الحياة والدين، حضور لعناصر الهوية العربية الإسلامية)، أعمال ملتقى الزوايا والمدارس القرآنية، ج2، المرجع السابق.

344. مقالاتي عبد الله، المصادر المخطوطة والمطبوعة وأهميتها في كتابة التاريخ الحضاري للجنوب الجزائري، اقليم توات أمودجا - أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 13-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية يومي 29 صفر 01 ربيع الأول 1433هـ/24-25 جانفي 2012، المركز الجامعي الوادي، تم طبع الكتاب بمساهمة الوكالة الوطنية لتطوير البحث الجامعي ANDRN، مطبعة منصور، 2012.

345. من تنظيم ولاية ادرار: البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، ملتقى وطني ادرار يومي 15-16 ديسمبر 2012، الموافق لـ 1-2 صفر 1434.

ب- المجالات

346. بلعقون الميلود، معركة حاسي صاكة، مجلة أول نوفمبر 1954، العدد 71.

347. بلغيث محمد الأمين، سياسة التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي من خلال فتوى قورارة، مجلة المصادر، ع3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.

348. بلغيث محمد الأمين: سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي من خلال فتوى قورارة، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، العدد الثالث 1421هـ_2000م.

349. بلغيث محمد الأمين، الاسلام الطرقي وصدمة الظاهرة الاستعمارية بالجزائر، مجلة عصور، العدد 3، مخبر البحث التاريخي، وهران، جوان 2003.

350. بلغيث محمد الأمين، فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال، المصادر، العدد 04، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 الجزائر، 2001.

351. بن الصغير حاضري يمينة، القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي، مجلة الوحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011.

352. بن خالفة نور الهدى، محاضرة بعنوان: استقرار العرب، إنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط، نقلا من التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة متوري، قسنطينة، 2011.

353. بوسليم صالح، الزوايا باقليم توات خلال القرنين 12-13هـ، 18-19م بين الاشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة الواحات، غرداية، العدد 69، 2010.
354. بوسليم صالح، جوانب من السياسة الاستعمارية الفرنسية 1956 - 1962، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، العدد 25.
355. بوعلام بالسايح، الثقافة الافريقية، طموحات ومتطلبات مجلة الثقافة، ع 96، ديسمبر 1986.
356. تيتة ليلي، فصل الصحراء الجزائرية عن الشمال الواقع، الرهانات، والمال، قراءة في تقرير فرنسي جويلية 1960، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 02.
357. جعفري مبارك : الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في اقليم توات بالجنوب الجزائري خلال القرن 12هـ -18م، مجلة الواحات، العدد 154، 2011.
358. جعفري مبارك: الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في اقليم توات بالجنوب الجزائري خلال القرن 12هـ -18م، مجلة الواحات، العدد 154، 2011.
359. حلوش عبد القادر، اهمية التاريخ والجغرافيا بالبرامج التعليمية الفرنسية في الجزائر، مجلة الرؤيا، السنة الاولى، ع ح، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، ثورة اول نوفمبر 1954، ماي-جوان 1996.
360. حلوش عبد القادر، الكولون الفرنسيون والتعليم الاهلي، مجلة عصور، ع2، مخبر البحث التاريخي، مصادر وتراجم، جامعة وهران، السنة الأولى، ديسمبر 2002.
361. رزوقي عبد الله، واقع الزوايا في اقليم توات، مجلة الحقيقة، العدد 17، جانفي 2011، جامعة أدرار، 2002.
362. رضوان شافو، موقف الاعيان والزعامات المحلية بالجنوب من مشروع فصل الصحراء عن الشمال، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 19 (2013).
363. الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى دي غول، المجاهد العدد 93، 10 افريل 1961، ص 08.
364. الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى دي غول، المجاهد العدد 93، 10 افريل 1961، ص 08.
365. عسال نور الدين، التنظيم السياسي والإداري الاستعماري للصحراء الجزائرية 1954_1962، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 12، 2016.

366. عميراوي احميدة، السياسة الادارية في الشرق الجزائري من خلال مشروع لويس بلانكي، المصادر، العدد السادس، محرم 1423هـ/ مارس 2002.
367. العياشي علي، معركة حاسي صاكة، مجلة أول نوفمبر، الجزائر، 1986م، عدد 71.
368. قلوب مكّي، التبشير والتنصير بجنوب الصحراء، مجلة التنمية الريفية، ب _ ع، ادار، 1987.
369. كاتب مجهول، الزوايا ودورها في اقليم توات، مجلة الحقيقة، العدد 17، جانفي 2011، جامعة ادرار 2003.
370. مجلة الرؤية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، السنة الأولى، العدد الأول جانفي فيفري 1996.
371. مجلة أول نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين (إحياء ذكرى استشهاد حمى الاخضر)، إعداد عبد الحميد السفاي، عدد 1983/58م.
372. مجلة عمبو، الذكرى الخمسون لثورة نوفمبر 1954، 20 جويلية 2004، جمعية سيد سليمان بن علي لحماية وتخليد مآثر الثورة.
373. مجلة غمبو، الذكرى الخمسين لثورة اول نوفمبر 1954م، 20/07/2004، جمعية سيدي سليمان بن علي لحماية وتخليد مآثر الثورة.
374. مجموعة من الأساتذة، إطلالة حول أدب المقاومة بالجنوب الغربي الجزائري، مجلة أفاق للتنمية، ادار، 1987، العدد2.
375. مجموعة من الأساتذة. إطلالة حول أدب المقاومة بالجنوب الغربي الجزائري، مجلة أفاق للتنمية في ادار، 1987م، العدد2.
376. مريوش احمد، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار 1916م، المصادر، العدد 11، المركز الوطني للدراسات والبحث لاني الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2005.
377. نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين اعداد عبد الحميد السفاي، العدد 58، 1984.

ج- الجرائد

378. جريدة المجاهد، العدد 93، بتاريخ 10 أفريل 1961، ص 08.
379. جيش التحرير الوطني، المجاهد، 15 مارس 1958.
380. شقوفة، جريدة الاخبار ، المرابطون في الجزائر، 17 افريل 2004.

381. المجاهد شعبنا لن ينقسم وارضنا لن تجزأ، العدد 97، 05 جوان 1961.
382. المجاهد، مناورات في الصحراء، ع 13 جانفي 1962، ج4، طبعة خاصة 2007، ص 03
383. مشاريع استعمارية في الصحراء، جريدة المجاهد، ع 14، ص 12.
384. مشاريع استعمارية في الصحراء، جريدة المجاهد، ع 14، ص 12.

المعاجم والاطالس

385. مقالاتي عبد الله، مبارك جعفري، معجم اعلام توات، منشورات دار الرياحين، الجزائر، 2013.
386. كحالة عمر رضاء، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج 3، ط 8، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1997م.
387. ابو انيس ابراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج 1-2، ط2، د - د ت، 1972.
388. ابو عمرو شهاب الدين، القاموس الوافي، تر، يوسف البقاعي، ط1، دار الفكر بيروت، 2003.
389. الهادي فطش وآخرون، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2009.
390. شعبان عبد العاطي عطيه وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر 2004.
391. معجم المنجد في اللغة والاعلام، ط43، دار المشرق 2008.

ي- فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
	الاهداء
	شكر وعرفان
1	مقدمة
15	الفصل التمهيدي: التوسع الاستعماري في الجنوب الغربي الجزائري
19	وصف توات عند بعض المؤرخين
25	أهم قصور توات
27	اهتمامات الفرنسيين بالمنطقة والبعثات الاستكشافية
31	البعثات الاستكشافية
33	دوافع الاحتلال الفرنسي للمنطقة السياسية والاستراتيجية
38	بيان القوافل التجارية سنة 1899-1900
39	خط سكة الحديد
43	غزو منطقة توات
44	المقاومة الشعبية في المنطقة ضمن ثورة أولاد سيدي الشيخ
47	رد فعل أهل توات على هذه التهديدات
48	الاحتلال الفرنسي لمنطقة توات
50	معركة الدغامشة
50	معركة اينغر
53	احتلال تيخوارين
53	معركة المطارفة
54	معركة شروين
54	حركة طلّمين
54	احتلال منطقة توات الوسطى

57	الفصل الأول: السياسة الاستعمارية في المنطقة
58	أولا: الإدارة الفرنسية في منطقة الجنوب
58	الحكم العسكري بالجنوب
59	قانون 1902 وتنظيم أقاليم الجنوب
61	الإدارة الفرنسية في تسير مناطق الجنوبية
63	السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1656 – 1947
63	إلغاء النظام العسكري
65	التنظيم للإداري
80	ثانيا: التنظيم القضائي لمنطقة توات
81	القضاء الفرنسي
89	هيكل القضاء بتوات
89	مصادر قضاة توات
90	أشهر القضاة الذين تولوا القضاء بالمنطقة
97	نماذج من الأفضية المطروحة
102	ثالثا: الوضع الاجتماعي
105	التركيبة البشرية للإقليم
119	العلاقة بين الجماعة التواتية والإدارة الفرنسية
127	المستوى المعيشي والصحي لمنطقة توات
133	الأزمات الاقتصادية
137	الوضعية الصحية
140	الطب الشعبي والتدواي بالأعشاب
144	الطب الفرنسي الحديث
148	الطاقم الطبي
149	العيادات المختصة للأهالي

150	مؤسسات الأهالي للاحسان والقرض التعاضدي التعاوني
151	رابعا: في المجال الثقافي
156	الوسائل والأهداف
157	I- سياسة الدمج
158	II- على مستوى المجال التربوي
159	III- على المستوى الديني
160	الفصل الثاني: المقاومة الفكرية وسائلها وأبعادها
161	أولا: دور الطرق الصوفية في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية
162	تعريف التصوف
168	تعريف الطريقة
170	أنواع التصوف
171	الطرق الصوفية
171	1- الطريقة الشاذلية
172	2- الطريقة القادرية
174	3- الطريقة الرحمانية
174	4- الطريقة العيسوية
174	5- الطريقة الشيخية
175	6- الطريقة الطيبية
176	7- الطريقة الدرقاوية
176	8- الطريقة الموساوية
177	9- الطريقة السنوسية
178	10- الطريقة التيجانية
181	الدور الديني للطرق الصوفية في منطقة توات
181	انتقال التصوف إلى المنطقة

183	وصول التصوف إلى منطقة توات
186	دور إقليم توات في نشر الإسلام في غرب إفريقيا
189	موقف الطرق الصوفية من الاستعمار الفرنسي
189	موقف الطريقة الرحمانية من الاستعمار الفرنسي
191	موقف الطريقة التيجانية
192	موقف الطريقة القادرية
194	دور الطرق الصوفية في تنعيم المقاومة في منطقة توات
197	ثانيا: مقاومة المؤسسات
198	المدارس والكتاتيب
201	مراحل التعليم في الكتاب
202	الزوايا
206	نشأة الزوايا
206	الزوايا في المغرب الإسلامي
207	الزوايا في الجزائر
209	الزوايا في منطقة توات
209	نشأة الزوايا في منطقة توات
212	1- زوايا المشايخ
212	2- زوايا المرابطين
212	3- زوايا الطلبة
215	زاوية الشيخ أبي يحيى المتباري
216	زاوية الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي
216	زاوية سيدي البكري بن عبد الكريم
217	زاوية سيدي عبد القادر
217	زاوية الشيخ علي بن حنيني

218	زاوية مولاي هيبة
218	الزاوية الكنتية
219	زاوية سيدي عمر بن صالح بأقروت
219	الزاوية التينلاتية
228	الهيكل التنظيمي للزاوية
228	تنظيم وتسيير الزاوية
229	المكونات المعمارية للزاوية
243	اعلام توات ودورهم في المقاومة الفكرية
246	قدوم العلماء إلى منطقة توات
249	أهم العلماء الذين توافدوا على منطقة توات
249	*- مولاي سليمان بن علي
249	*- الشيخ سيدي عبد الله العصنوتي
250	*- عيسى ابن مُجَّد البيطوي
250	*- أبو يحيى المتباري
251	*- عبد الكريم المغيلي
252	*- الشيخ ميمون بن عمرو بن مُجَّد الباز
253	*- الشيخ يحيى بن يذر بن عتيق التدلسي
253	*- الشيخ سالم بن مُجَّد بن ابي بكر العصنوتي
254	*- احمد بن الشيخ مُجَّد الرقاد الكنتي
255	*- مُجَّد الأدواعلي
256	من علماء منطقة توات خلال القرن العشرين
257	1- الشيخ سيدي احمد ديدي البكراوي
257	2- الشيخ سيدي مُجَّد بلكبير
261	3- الشيخ عبد القادر بن مُجَّد ولد الصافي

261	4- الشيخ مولاي احمد الطاهيري
265	الشيخ مولاي سالم بن مولاي اسماعيل بن سيدي مُجَّد
265	الشيخ مُجَّد باي بلعلم
267	عبد الرحمان بن عبد الله هيباوي
268	الحبيب بن عبد الرحمان
269	إسهامات شيوخ الزوايا في المقاومة ضد المستعمر الفرنسي
275	موقف الشيخ مولاي احمد الطاهيري من الاستعمار
277	دور الشيخ ضد السياسة الرامية إلى فصل الصحراء
280	رابعا: مقاومة الشعراء والأدباء
280	منطقة توات والكتابات التاريخية
289	أدب المقاومة
302	الفصل الثالث: موقف الاستعمار الفرنسي من المقاومة الفكرية
303	أولا: فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية
303	الصحراء الجزائرية قبل 1947م
304	الإدارة الفرنسية في تسير أراضي الجنوب
307	الصحراء الجزائرية في السياسة الاستعمارية بعد سنة 1957
311	المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية O.C.R.S
314	ديغول وقضية فصل الصحراء
315	مناورات الحكم الذاتي
315	إنشاء جمهورية الصحراء المتحدة
316	1- موقف حمزة بوبكر
317	2- موقف الحاج باي اخموك سلطان المقار
317	3- موقف الشيخ إبراهيم بيوض
320	الشيخ مولاي أحمد الطاهيري ودوره في مقاومة سياسة فصل الصحراء

320	موقفه من الاستعمار
321	فصل الصحراء
323	ثانيا: التضييق على الشيوخ والعلماء
324	مقاومة النخب
324	محرية الاستعمار للمؤسسات
327	محرية الاحباس واملاك الزوايا
329	التضييق على العلماء
331	ثالثا: استمالة شيوخ الزوايا وتدجين الطرق الصوفية واستغلال أعيان المنطقة
333	المصاهرة بين شيوخ الزوايا والفرنسيين
334	التلاعب بالمفاهيم الدينية
337	نشر التعليم الفرنسي في المنطقة
342	التعليم الفرنسي في منطقة أدرار
349	الحركة التنصيرية
350	مفهوم التنصير والتبشير
357	الفصل الرابع: فشل السياسة الاستعمارية
358	أولا: الحركة الوطنية في منطقة توات
363	الانتخابات
364	ثانيا: انطلاق الثورة في منطقة توات
371	التكوين السياسي والعسكري
372	المحكمة
372	بداية العمل المسلح
374	ثالثا: معارك العرق
375	معركة حاسي صاكة
385	وصول العقيد بيجار إلى تميمون

386 معركة حاسي غمبوا
388 معركة حاسي علي
391 إحياء النظام وتشكيل الناحية الثالثة
392	1- معركة قرن القصعة
393	2- اشتباك حاسي تنواتوا
393	3- معركة حاسي الشيخ
393	4- معركة دماغ العبيد الأولى
393	5- معركة ارباك بن حمو
394	6- معركة حاسي زيرارة
394	7- معركة دماغ العبيد الثانية
394	8- معركة حاسي ثلجة الأولى
394	9- اشتباك حاسي علي بن حيمودة
394	10- اشتباك ارباق اجراد
395	11- معركة حاسي سيدي قدور بن يحي
395	12- معركة دفقة مولاي
395	13- معركة قرن بوقارفة الشرقي
396	14- معركة حاسي بن خليل
396	15- معركة حاسي ثلجة الثانية
397	رابعاً: الجبهة الجنوبية ودورها في الثورة التحريرية
397	دوافع وظروف نشأتها
400	مراكز التدريب لجيش التحرير الوطني
401	مراكز الجبهة الجنوبية ونشاطاتها
404	مهام الجبهة
408	خاتمة

416	الملاحق
459	الفهارس
460	أ- فهرس الأعلام
467	ب- فهرس القبائل والبطون والدول
472	ج- فهرس الأماكن
486	د- فهرس الزوايا
488	هـ- فهرس المعارك والاشتباكات
489	و- فهرس الطرق الصوفية
491	ز- فهرس الجداول
492	ح- فهرس القضاة
493	ط- فهرس المصادر والمراجع
522	ي- فهرس الموضوعات

الملخص:

كثيرا ما نتكلم عن المقاومة العسكرية، السياسية او الاقتصادية لكن تبقى المقاومة الثقافية هي الوقود الذي تستمد منه كل هذه المقاومات عنفوانها وقوتها. فقد كان حضور الاهداف الثقافية والحضارية في الحملة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر قويا لسلخها عن مقوماتها وامتدادها الحضاري ليتسنى لها اتمام العملية الاستعمارية.

وقد قاومت الجزائر عامة ومنطقة توات خاصة هذه الهجمة الاستعمارية، ووقفت الطرق الصوفية والزوايا والمدارس القرآنية سدا منيعا امام هذه الهجمة وذلك بمقاومة التبشير والتعليم الفرنسي ومقاطعة القضاء الفرنسي وغيرها، هذه الادوات التي تصدى لها شيوخ الزوايا والطرق الصوفية والاعلام والاعيان والادباء والشعراء حافظت على هوية المجتمع لتكون الوقود الذي استمدت منه الثورة التحريرية قوتها ونشاطها.

الكلمات المفتاحية: المقاومة الثقافية، الزوايا، الطرق الصوفية، توات، الاستعمار الفرنسي.

Résumé:

On parle souvent de la résistance militaire, politique ou économique pourtant la résistance culturelle reste le combustible d'où toutes ces résistances inspirent leurs vertus et forces. Pour cela, la présence des objectifs culturels et civilisateurs était très remarquable pendant la conquête coloniale française de l'Algérie afin de la déraciner de ses constitutifs et de son étendue civilisatrice , qui irait permettre d'achever l'opération coloniale.

L'Algérie, en général, a lutté contre cette offensive coloniale, et la région de Taoute , en particulier, où les méthodes soufiques , les Zaouïas et les écoles coraniques ont constitué un fort rempart , en résistant contre l'apostolat et l'enseignement français et en boycottant la justice française... Ces outils que les cheikhs des Zaouïas, les maîtres spirituels des méthodes soufiques, les savants, les notables, les lettrés et les poètes les ont combattus, en conservant l'identité de la société qui allait enfanter et planifier le chemin de la guerre de libération nationale et lui fournir sa force et dynamisme nécessaires.

Les mots clés: - La résistance culturelle, Les Zaouïas, Les méthodes soufiques, Taoute, La colonisation française.

Summary:

We often talk about military, political and economic resistance, but the cultural resistance remains the fuel from which all these resistances derive their strength and power. The presence of the cultural and civilizational goals in the French colonial campaign against Algeria was strong and it helped separate Algeria from its cultural components and extension so that the colonial process could be completed.

Algeria in general and the region of Touat in particular resisted this type of colonial attack. Sufi orders, Zawiyas, and Quranic schools stood as an impenetrable barrier to this attack by resisting Christian evangelization, French education and boycotting the French judiciary...etc .

The confrontation to these French tools by the Sheikhs of the Zawaiyas, the writers, the poets, the heads and notables of the region preserved the identity of society and wasto a fuel from which the liberation revolution drew its strength and activity.

Keywords: cultural resistance, Zawiyas, Sufi orders, Touat, French colonialism.